

ليف تولستوي

اليوميات

الجزء الخامس

١٩٠٤ - ١٩٠٧

- ◆ المؤلف: ليف تولستوي
- ◆ العنوان: اليوميات - الجزء الخامس
- ◆ ترجمة: يوسف نبيل
- ◆ الطبعة الأولى 2020
- ◆ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- ◆ مستشار النشر: سوسن بشير
- ◆ المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠٢٠ / ١٠٣٤١

الترقيم الدولي: ISBN

978 - 977-765 - 272 - 8

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-0111602787
E-mail: afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ١١١١٦٠٢٧٨٧

ليف تولستوي
اليوميات

ترجمة
يوسف نبيل

الجزء الخامس
١٩٠٤ - ١٩٠٧

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

تولستوي، ليف.

ليف تولستوي : اليوميات - الجزء الخامس - ترجمة: يوسف نبيل

ط 1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2020

504 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 10341 / 2020

الترقيم الدولي 8 - 272 - 765 - 977 - 978

1 - الأدباء

2 - تولستوي، ليف

١٩٠٤

٢ يناير - ياسنايا بوليانا.

أنهيت كتابة قصة (الإلهي والبشري) في دفتر اليوميات القديم. مرضت ليومين، واليوم تحسنتُ حالتي. أفكر على نحو جيد. مساء اليوم فكّرت في الآتي:

١ - الحركة التي نظنها ستستمر إلى الأبد وتتمثل لنا في صورة «التقدم» ليست إلا وهمًا ينبع من وعينا بانفصالنا عن العالم. في غياب الحركة يستحيل أن نكون منفصلين. في الحقيقة نحن ثابتون، تمامًا كالله، لكننا نظن وحسب أننا نمزق حدودنا ونوسّعها. في هذا تتمثل الحياة. إننا أنفاس الله.

٣ يناير.

حالي الصحية ليست بخير؛ فتمة مشاكل بالكبد وإفراز العصارة الصفراوية. تنزهت على متن الجواد وراقبت ذوبان الثلوج. سيريوجا (ابنه الأكبر) وتانيا (شقيقة زوجته) هنا. أفكر على نحو جيد جدًا. أتقدم تدريجيًا في العمل على «السند المزيف»، لكنني مشتت للغاية. أنا مشغول

كذلك بتصحيح «الأفكار»^(١). ففكرت في الآتي:

١ - هل أخشى الموت؟ لا، لكن عند اقترابي منه أو التفكير فيه لا يسعني ألا أشعر ببعض الاضطرابات التي يشعر بها المسافر عندما يقترب من تلك البقعة التي يهبط فيها قطاره من ارتفاع شاهق إلى مستوى البحر تقريباً أو التي يصعد فيها إلى ارتفاع شاهق على متن منطاد. يعرف المسافر أن لا شيء سوف يصيبه، وأن ما سيحدث معه قد حدث مع ملايين الكائنات، وأنه يُغيّر طريقة السفر وحسب، لكن رغم ذلك لا يمكنه ألا يشعر بتلك الاضطرابات بينما يقترب من مكانه. هذا هو شعوري بالموت.

٢ - اعتقدت في البداية أن تأسيس حياة صالحة بين البشر أمر ممكن تحقيقه في وجود تلك الإنجازات التقنية وهذه الأشكال من الحياة التي تعيش في كنفها الإنسانية الآن، لكنني الآن أصبحت على قناعة بأن هذا أمر غير ممكن؛ فالحياة الصالحة وشكل الحياة القائم الآن على التطور التقني أمران متضاربان تماماً. في غياب العبيد لن نحظى بمسارح وحلوى ومعدات وكافة وسائل الترف بشكل عام. ليس ذلك وحسب، بل إننا لن نتمكن تقريباً من تشييد السكك الحديدية والبرق. بالإضافة إلى ذلك تَعَوَّدَت الآن أجيال كاملة على تلك الحياة المصطنعة، حتى أن سكان المدن لم يعد بمقدورهم أن يحيا حياة عادلة ولا يفهمونها من الأساس ولا يريدونها. أذكر جيداً ما قاله يوشا أوبولينسكي عندما علّق في قرية أثناء هبوب عاصفة ثلجية عن أن الحياة في القرية أمر مستحيل،

(١) يشير إلى كتابه "من أفكار الحكماء لكل يوم".

حيث تتساقط الثلوج هناك بغزارة لدرجة أنه ينبغي عليك أن تزيل كتلاً رهيبَةً منه حتى تتمكن من السير. ثمة أناس الآن من الذين نعتبرهم أرفع الناس ثقافة، لا يُبدون دهشة بشأن كيفية تمكن الناس من أن يحيا دون عواصف ثلجية ولا ظلام ولا حرارة ولا برودة ولا أتربة ولا مسافات شاسعة، كما يحيا الآن سكان المدن، لكنهم يُبدون دهشتهم بخصوص تمكن أولئك الذين يحيون وسط الطبيعة من الصراع معها والحياة فيها!

٣- الحركة وهم ينبع لا محالة من انفصالنا عن بقية الكائنات. يستحيل على المرء أن يجد مغزى لحياته في سعيه المنفصل صوب الكمال؛ أي توسيع حدوده؛ لأن كل سعي كهذا، وكل توسيع للحدود يُعتبر لا شيء وسط المكان والزمان اللانهائيين. أما إدراك مغزى الحياة في التقدم ووحدة الكائنات - مثلما ظننت سابقاً - فهو مستحيل أيضاً؛ لأن كل سعي صوب الوحدة يُعتبر لا شيء وسط لا نهائية الزمان والمكان. حياتنا إذن هي حركة تبدو لنا وحسب، لكنها في الحقيقة لا تتحرك إطلاقاً.

لسبب ما إذن أنا كائن منفصل عن أي كائن روحي آخر، ويبدو لي أنني أتحرك وسط كائنات أخرى متحركة، وسط الأحياء والأموات.

تعتمد صلابة هذا الكائن بلا شك على مدى إدراكه لروحانيته. يتمثل له الوعي بروحانيته في توسيع حدوده. لذا أقر بروحانيتي بفضل هذا الوعي، إما في صورة توسيع حدود قانوني، أو توسيع حدود إرادة من أرسلني أنا الكيان الروحي إلى هذا العالم؛ من ألف حياتي واشترطها في هذه الحالة من الانفصال. إن انفصال الكيان الروحي عن بقية الكائنات،

والذي يبدو لصاحبه في صورة توسيع لحدوده، لا يحمل لي أي مغزى في حد ذاته، لكن لا بد من وجود هذا المغزى غير المفهوم لي، وهو موجود فعلاً. يتمثل الإيمان الحقيقي والضروري للناس في هذا تحديداً؛ الإيمان بأن لحياتي مغزى عميقاً غير واضح بالنسبة لي. أنا أؤمن بوجود ذاك الذي لحياتي معنى بفضله، وبالتالي أؤمن بوجود مغزى لحياتي.

٦ يناير.

تحسنتُ حالتي الصحية قليلاً. الجوفاتن. صنعتُ مفكرة جديدة^(٢).
أكتب اليوم في «السند المزيف». عليّ تدوين الآتي:

١ - ثمة نوعان من العقل: عقل يعمل داخل المجال المادي، يُبدي الملاحظات ويصل إلى استنتاجات ويفحص الملاحظات، وعقل يعمل داخل المجال الروحي، يهتم بعلاقات المرء بالله والناس وبقيّة الكائنات، وبالمتطلبات الأخلاقية. كلما زاد حجم أحدهما، قل حجم الآخر.

١١ يناير.

كنت مريضاً بآلام الكبد لأربعة أيام. لم أكتب شيئاً. أنهيت بالأمس
الإضافة المتعلقة بجاريسون^(٣) وعملت في المفكرة الجديدة (دورة

(٢) يشير إلى كتابه "دائرة القراءة"، وهو مجموعة مختارة من الاقتباسات المختلفة لكتاب وحكماء مرتبة يومياً بحسب التقويم بالإضافة إلى أقوال وقصص لتولستوي. لم يُترجم هذا الكتاب بعد.

(٣) ويليام لويد جاريسون: ناشط أمريكي معروف في مجال الحرب ضد العبودية. بعد أن تُرجم كتاب تولستوي "حقيقة إيماني" قرأه ابن جاريسون وأرسل إلى تولستوي خطاباً يعرب فيه عن تشابه أفكار تولستوي مع كثير من أفكار أبيه، وأرسل فعلاً بعض كتابات أبيه لتولستوي. نتيجة ذلك ضمّن تولستوي بعد تلك الاتفاقات في كتابه "ملكوت الله بداخلكم".

قراءات). أشعر أنني في حالة جيدة جدًا. أنا متيقن تمامًا دون أي جهد من أنني أعيش أمام وجه الله وحسب، وهذا يبعث فيَّ سرورًا شديدًا. بالأمس فكّرت في الآتي:

يا لها من ضلالة اعتدنا عليها تمامًا؛ أن يفكر المرء ويقول: «أنا أعيش». أنا لا أعيش، بل الله يحيا فيَّ. كل ما في الأمر أنني أَمُرُّ بالحياة، أو بالأحرى أظهر في أحد أشكال الحياة المتميزة عن الآخرين.

يعيش الله بداخلي أو بالأحرى عبري، أو ربما يبدو لي أنني موجود وأنَّ ما أسميه «نفسي» ليست إلا ثقبًا يتخللها الله.

١٤ يناير.

استيقظت اليوم بصحة جيدة، شاعرًا بالقوة الجسدية، يضغط عليَّ وعيي بدناءتي وفساد حياتي التي عشتها وأعيشها. حتى تلك اللحظة؛ الظهيرة، أنا ساقط تحت تأثير تلك الحالة المزاجية الصحية. كم من الحسن، بل والمفيد أيضًا أن أشعر - كما أشعر اليوم - بالوضاعة والدناءة! في مثل هذه الحالة لا يمكن للمرء أن يطلب شيئًا من أحد ولا يمكن أن يشعر بالإساءة من أحد؛ لأنه يشعر أنه يستحق كل ما هو سيئ. على المرء أن يحذر فقط من أمر واحد؛ ألا يتحول ذلك الشعور إلى يأس وقنوط، حتى لا يعيقه عن السعي صوب الخروج - ولو قليلًا - من وحل فسادة والعمل والخدمة بقدر ما يستطيع. خطرت على ذهني الآن فكرة ما، ولكن عليَّ قبل ذلك أن أدوّن ما فكرت فيه سابقًا:

ما جدوى الانشغال بعملنا الأدبي عندما يكون خاضعًا للرقابة!

كل ما نحتاج إلى قوله، وكل ما يمكن أن يفيد الناس في مجال السياسة الداخلية أو الخارجية والحياة الاقتصادية والدينية، وكل ما هو منطقي لا يُسمح به! هكذا هو الأمر في النشاط الاجتماعي أيضًا. لم يتبقَّ لنا سوى لهُو الأطفال. «هيا العبوا... العبوا أيها الأطفال! كلما ازداد اللهُو، قلَّت فرصة فهمك لما نفعله معك». لقد أصبح ذلك جليًّا لي تمامًا.

فكرت اليوم في الفارق الرئيس بين العلم والدين. يشبه الإنسان جواد الطاحون؛ عليه أن يفعل شيئًا الآن، وحتى يقوم بشيء عليه أن يعرف الطريقة التي سيقوم بها بهذا الشيء. ليعرف الطريقة، لديه بعض التكهّنات العامة التي يلهمه بها الوعي الديني. هذا سبب وجود الوعي الديني وهو ما يفسر وجوده الآن ولماذا سيظل موجودًا.

صوفيا وساشا في موسكو. حالتي الصحية مستقرة. كتبت قليلًا في «السند المزيف».

١٦ يناير.

بالأمس كتبت عن الدين. حالتي الصحية لا بأس بها. لم أُنم جيدًا، وبالتالي لا أستطيع الكتابة اليوم. وصلت صوفيا. بالأمس زارنا بولانجي. حاولت اليوم أن أعمل على «دورة قراءات» لكنني لا أستطيع كتابة شيء اليوم. بالأمس فكّرت في الآتي:

١ - يبرهن العلماء الطبيعيون والفيسيولوجيون على أن الإنسان ينال انطباعاته من العالم المادي، ويفحصون الأعين وموجات الضوء ومصدر ترددات موجات الأثير والهواء وتأثيرها على السمع وعمل الأعصاب

لحاسة اللمس، بينما يتلخص الأمر كله في أن الإنسان - وكل كائن حي - مرتبط ببقية الكائنات ارتباطاً سرمدياً، ويعرفها كما يعرف نفسه، ولكن على نحو أبعد قليلاً. عندما يستقبل الانطباعات يدركها، ويقتصر الأمر على أنه يتذكر ما عرفه مسبقاً.

٢- كم كان أمييل^(٤) على حق تمامًا حينما قال إن لكل فكرة وشعور ذروة معينة علينا أن نلتقطها ونحاول الحفاظ عليها! إن فوّتها المرء لن يستعيدها ثانية. هذا ما حدث معي منذ يومين حينما فكرت بقوة وجلاء في الحكومة المجرمة، لكن الفكرة أصبحت الآن باردة وضعيفة.

١٨ يناير.

حالي الصحية جيدة. بينما كنت أتنزه بالأمس فكّرت في الموت وشعرت باقترابه واستقبلت ذلك الشعور بفرح... نعم، بفرح وهدوء أيضاً. شكرًا لله على ذلك. فكّرت أيضًا في الآتي:

الوقت موجود بالنسبة لنا بسبب عدم قدرتنا على الإحاطة بكل شيء بسبب انفصالنا، وكذلك بسبب المكان. ولكن كيف يمكننا أن نفسر انحدار الحيوانات والبشر من والديهم؟ ما معنى الابن خارج مفهوم الزمان؟ ما علاقته بي؟ ما علاقتي بأبي وأمي وزوجتي وحتى ببقية الكائنات؟ ثمة برغوث بحر عاش منذ ألف عام في أستراليا. إنه أبعد المخلوقات عني. ثمة أيضًا كلب عاش حينها في أستراليا، وهو أقرب مني بعض الشيء. ثمة برغوث بحر يعيش الآن في أستراليا، وهو أقرب

(٤) هنري فريدريك أمييل: فيلسوف أخلاقي سويسري وشاعر وناقد.

مني من المثاليين السابقين. ثمة كلب وجواد يعيشان في روسيا، وهما أقرب مني من الأمثلة السابقة. الأقرب من كل ذلك هو إنسان يعيش الآن في أستراليا، والأقرب مني منه إنسان يعيش في روسيا، وأقرب منه إنسان يعيش في ياسنايا بوليانا، والأقرب مني من جميع ما سبق ابني. كيف يمكن تصور العالم إذن في غياب مفهومي الزمان والمكان؟ كيف يمكنني تصور «أناي» التي تتضمن بداخلها كل ماضي في هذا العالم؟ بالأمس أضفت قليلاً إلى مقالتي عن شكسبير، وراجعت ما كتبت في (السند المزيف) و(حجر الزاوية)^(٥). حالتي الروحية جيدة.

١٩ يناير.

حالتي الصحية تسوء. بالأمس فكّرت على نحو رائع:

١ - أنا كائن روحي، لذا أنا كائن أبدي أزلي خارج نطاق الزمان والمكان، منفصل عن جوهري. أعرف أن كلمة «منفصل» تشير إلى مفهوم زمني ومكاني، لكنني لا أستطيع فهم الأمر على نحو آخر. يمزق هذا الكائن المنفصل حدوده كغاز مضغوط، وفي هذه العملية تتلخص الحياة؛ أقصد في عملية وعي المرء بروحانيته ووحدته بالكيان الكلي، وبالتالي يسعى إلى الاتحاد به. في هذا السعي وتعزيز الوعي تظهر الحياة الإلهية.

كل كائن حي ينحو في حياته نحو الصلاح؛ يزداد إدراكه شيئاً فشيئاً لوحده مع بقية الكائنات والعالم والكيان الكلي. يتمثل لي ذلك داخل

(٥) حجر الزاوية: عنوان مبدئي لمقالة لتولستوي عن الدين.

إطار الزمان؛ أي أنه مع الشيخوخة يزداد الإنسان والكلب صلاحًا على السواء، لكن في الواقع ذلك يحدث خارج إطار الزمان؛ أي أن الإنسان منفصل ومتحد في ذات الوقت. يكمن التناقض كله في أننا نفكر خارج إطارَي الزمان والمكان، سواء على نحو شرير أو طيب؛ أي أن عقلنا لا يمكنه الاكتفاء بالتفكير داخل إطارَي الزمان والمكان. ينحصر ما هو منطقي فيما نراه داخل إطارَي الزمان والمكان، بينما مفهوم الزمان والمكان نفسه غير منطقي!

٢- الدليل على أن الزمان والمكان ليس لهما وجود في حد ذاتهما لكنهما مجرد إطارات ضرورية للتفكير نتجت عن حالة انفصالنا، هو أنهما يتبلوران بشكل مشترك؛ فالمكان هو إمكانية تصور أو فهم شيئين في وقت واحد، أو بشكل عام فهم شيئين بمعزل عن الزمان. الزمان هو إمكانية تصور أو فهم شيئين في مكان واحد أو بمعزل عن المكان. لم أفعل شيئًا اليوم باستثناء بعض المراجعة على «حجر الزاوية».

٢٢ يناير.

أنا بخير صحيًا، لكن الموت على الأبواب. عملت على نحو سيئ. عملت اليوم في (السند المزيف) لكن العمل تعثر؛ إما أنني أهملت بعض سمات الشخصيات وإما أنني أفسدتها تمامًا. انشغلت أمس واليوم بترتيب كافة الخطابات. فكرت في الآتي:

١- عليّ أن أوضح علاقتي بالحكومة. يمكن أن تكون لنا رؤيتان فيما يتعلق بالحكومة: إما أن تكون الحكومة شرطًا ضروريًا لإقرار

النظام، وبالتالي علينا الخضوع لها وخدمتها. الرؤية الأخرى هي ما أراه فعلاً ألا وهو أنه من المستحيل ألا نعترف أن الحكومة ليست إلا مجموعة من المجرمين. إن اعترفنا بذلك، سيكون علينا بالإضافة إلى محاولة تنوير هؤلاء المجرمين وإقناعهم بالتوقف عن أفعالهم الإجرامية وريح أنفسهم بقدر الإمكان، أن نتوقف عن المشاركة في أعمالهم والاستفادة من غنائمهم. أهم شيء هو ألا نفعل ما يفعله الليبراليون الآن أي الاعتراف بضرورة الحكومة ونضالها بأدواتها؛ لأن هذا السلوك ليس إلا لعبة صيبانية.

٢- إبان الليل، فكّرت في الآتي: ما طبيعة الزمان؟ لماذا يبدو لنا كأنه يمضي... يمضي ببطء؟ لا شيء يمضي، كل ما في الأمر أنني أقارن بين الحركات المختلفة، لكن لا وجود للزمان في حد ذاته أو أنه ثابت لا يتحرك. علاوةً على ذلك، كل حيز من الزمان هو جزء من اللانهاية؛ لا يمثل شيئاً. إن أقررنا بلا نهائية الزمان، لن تكون ثمة اختلافات بين الكائنات. تمثل الكائنات أنواعاً مختلفة من الاتحادات، ومثل هذه الاتحادات تتم على نحو لا نهائي، ويتكرر كل شيء عدداً لا نهائياً من المرات، ولا يلحق الدمار بتلك العملية.

لقد أفسدت المعنى. هراء. أنهكت.

٢٧ يناير.

ثلاثة أيام من الرشح والسعال وعدم الكتابة. فكري ضعيف، حتى إنني أظن أن ما يحدث هو أمر سيئ. دوّنت بعض الأفكار في دفثري. مضيت لتوي لأتنزه وفكرت في الآتي:

الحرب^(٦) ومئات المجادلات عن سببها ومغزاها وما الذي سيتج عنها... إلخ. يتجادل الجميع بشأن ذلك، من القيصر وحتى أصغر جندي. بالإضافة إلى كل هذه المجادلات سيتوجب على كل فرد أن يسأل نفسه: كيف سيسلك هو شخصيًا تجاه الحرب؟ لكن لا أحد يفكر بهذه الطريقة. إنهم حتى لا يفكرون في أن هذه المجادلات غير مهمة على الإطلاق وأن لا حاجة لهم إليها. فلتقبض على عنق أحدهم وتضغط عليه. سيشعر فورًا أن حياته هي أهم شيء. إن كانت حياته هي أهم شيء، فبالإضافة إلى أنه صحفي أو قيصر أو ضابط أو جندي، هو إنسان أولًا وأخيرًا قد جاء إلى هذا العالم لمهلة قصيرة، وعليه أن يفارقه بحسب إرادة مَنْ أرسله إليه. ما الذي يمكن أن يكون أهم بالنسبة له مما يجب عليه أن يفعله في هذا العالم؟ يقينًا هذا أهم بالنسبة له من كافة المجادلات الخاصة بما إن كانت الحرب ضرورية أم لا، وماذا سيتج عنها. من الواضح أن ما يتوجب عليه فعله بخصوص ذلك هو ألا يقاتل ولا يساعد الآخرين على القتال، هذا إن لم يكن بإمكانه منعهم من القتال من الأساس.

٢٨ يناير.

لم أتعافَ بعد. أشعر بالآلام الكبد بالإضافة إلى مشكلة الرشح. راجعت اليوم قليلًا من «السند المزيف». فكرت على نحو جيد في الحرب التي اندلعت. أريد أن أكتب عن الآتي: عندما يحدث أمر مريع، كالحرب مثلاً، يُصرِّح الناس بمئات الآراء عن المعاني المختلفة للحرب

(٦) اندلعت الحرب بين روسيا واليابان في ٢٧ يناير ١٩٠٤.

وكذلك نتائجها المتعددة، لكن لا أحد يدلي برأي يتعلق بنفسه وبما عليه أن يفعل بشأن الحرب. هذا أفضل وأوضح شرح لحقيقة أن لا شيء بإمكانه أن يعالج الشر الموجود في العالم سوى الدين.

لا أعرف كيف ينجحون في فعل ذلك. لا أستطيع التفكير على نحو جيد حتى تلك اللحظة. أفكار للتدوين:

١- إن أردت أن أؤسس علاقة رزينة بالحياة، عليّ أن أدرك وأتذكر أنني سأموت بقدر ما أفهم وأتذكر أنني لم أكون موجوداً من قبل.

٢- الخلاص الوحيد من كافة البلايا هو أن يعي الناس واجبهم صوب الله ويضعوه في درجة تسبق كافة واجباتهم الأخرى؛ أن أتذكر أنني إنسان قبل أن أكون قيصرًا أو حوذيًا أو شرطياً. هذا وحسب ما أريد أن أعلمه للناس.

٣- ثمة حب للعمل ينبع من الرغبة في خدمة الله والناس. هذا عمل فاضل. وثمة حب للعمل ينبع من الرغبة في تحسين الأوضاع. هذا عمل لا يفيد ولا يضر، طالما لا يضر الناس في شيء، وإن كان من الصعب أن يتحقق ذلك. ثمة حب للعمل ينبع من الرغبة في النسيان بدلاً من الإقرار بالذنب. هذا عمل شرير ومضر دائماً.

٤- الشعوب الأوروبية مديونة بـ ١٣٣ مليار. من يدين لمن؟ الفقراء والعمال هم المديونون للأغنياء وأصحاب الأسهم. ربما سيختلف الأمر يوماً ما، ولكن حتى الآن يتولى العمال الكادحون دفع فوائد الديون، بينما الأغنياء من أصحاب الأسهم هم من ينالون أرباحها.

كبدني يؤلمني طوال الوقت، وليست لديّ طاقة كافية للعمل.

٢ فبراير.

حالتي الصحية جيدة. في الفترة الأخيرة بدأت أفكر على نحو أكثر صفاءً. أعمل في «السند المزيف»، لكنني لا أستطيع كتابة شيء عن الحرب. دوّنت فكرة واحدة وحسب: كم من الصعب أن يعيش المرء على نحوٍ دينيٍّ حقيقيٍّ؛ أن يعيش من أجل الله بمعزل عن رغباته ومديح الناس! تعود صعوبة ذلك إلى أنك تتعرض في كل دقيقة لنسيان الله بسبب الشهوات وتأثيرات الناس. الوسيلة الوحيدة للحيلولة دون ذلك هي أن تتذكر مَنْ أنت، فالتذكر هو الوعي كما أنه نوع من الإيحاء الذاتي. أذكر كيف كان زوج شقيقتي ماشينكا يقول لها بلطف وابتسامة: «أتذكرين؟»، قلت في نفسي وقتها أنهما قررا أن يُذكرَا بعضهما بالحياة الصالحة، وتأثرت بشدة. كم يمكن أن يكون حسنًا لو تم ذلك بين زوجين لهما فكر وإيمان واحد، فيذكرُ كلُّ منهما الآخر بمغزى الحياة وأهم ما في هذا العالم!

أعيش على نحو لا بأس به، وبصحة جيدة. أكتب عن الحرب وأفكر على نحو جيد. هذا ما ظننته. أما الآن، وبعد الغداء لا يمكنني أن أقول «على نحو جيد». فكّرت في الآتي:

١ - يتألف العالم من أجزاء إلهية منفصلة. يمنح الانفصالُ العالمَ الماديَّ حركته. أزل المادة، ولن يكون ثمة انفصال. إن زالت الحركة كذلك، لن يكون ثمة انفصال. المادة والحركة موجودان إذن بالنسبة لنا وحسب، نحن الكائنات المنفصلة. بالنسبة لله ما من مادة أو حركة.

ولكن بالنسبة لنا ثمة عدد لا نهائي من الكائنات المنفصلة لا يمكننا إدراكها إلا داخل نطاق المكان (أي بشكل محدود) والزمان (أي في الحاضر وبشكل جزئي في الماضي). بالنسبة لله ثمة كائنات منفصلة موجودة بلا زمان أو مكان.

تسعى كافة الكائنات المنفصلة؛ كل حسب سماته، إلى التوسع والانتقال إلى شكل أسمى من أشكال الانفصال. في هذا تلخص حياتنا. بالنسبة لله، فإن هذه الكائنات قد توسعت فعلاً وانتقلت إلى درجة ثانية فثالثة ثم عبر عدد لا نهائي من أشكال الحياة. نمرُّ بكل ذلك، وفي هذا معنى حياتنا ومصدر خيرنا.

في حقيقة الأمر كل شيء ثابت بالنسبة لله، بلا حركة أو جسد، لكن الحياة موجودة. أي حياة؟ لا يمكننا فهم أو معرفة ذلك. تتألف حياتنا التي نعرفها في الانتقال من حياة إلى أخرى عبر حركة وقيامة ونمو أبديين.

لكن بالرغم من أن حياتنا روحية، والمادة والحركة هما مجرد شرطين لانفصالنا، إلا أن الحياة في هذا العالم ليست وهماً، بل هي الحياة الوحيدة الحقيقية، وهدف حياتنا هو خدمة تلك الحياة المشتركة التي نعرفها. أدق ما يمثل علاقة حياتنا المنفصلة بحياة عالمنا هي علاقة الخلية بالجسد بأكمله. إن علاقتنا بالكيان الكلي هي علاقة الخلية بجسد العالم كاملاً. تعيش الخلية وتعمل وتهرم وتحلل وتموت، لكن خلية أخرى تحل مكانها.

١٩ فبراير.

أكتب طوال الوقت في مقالي عن الحرب، ولكن بلا جدوى. حالتي الصحية لا بأس بها، لكني أحياناً أشعر بضعف في القلب. لا يمكنني بأي طريقة أن أرحب بالموت. لست خائفاً، لكنني مليء بالحياة ولا أستطيع القيام بذلك. قرأت في كتاب كانط وأعجبت به، والآن أشعر بالإعجاب بليشتنبرج^(٧). إنه قريب مني للغاية. عليّ أن أكتب عن درجات الوعي الثلاثة. كتبت عن ذلك اليوم لتشير تكوف.

كتبت بعض الخطابات. كم كانت فكرة درجة الوعي الثلاث تبدو شديدة الأهمية عندما فكرتُ فيها، وكم بدت ضعيفة عندما كتبتها! سأعود إليها مجدداً فيما بعد.

يبكي الطفل أثناء عملية الولادة، ويئن المحتضر. يجب أن يتهيج كلاهما، فكلا اللحظتين تمثل أهم لحظات الميلاد لكليهما؛ ينتقل فيها الطفل إلى هذا الجانب، وينتقل المحتضر إلى جانب آخر.

٢٣ فبراير.

أكتب في مقالي عن الحرب. حالتي الصحية جيدة. أريد أن أكتب تيمة لقصة (الإلهي والبشري)، فهي تروق لي بشدة. أفكار للتدوين:

١ - تربكني فكرة أنني في غياب الزمن لا يمكنني تصور شيء. عندما أقول: إن كل ما أراه هو داخل نطاق الزمن، ويخضع لفكرة التسلسل،

(٧) جورج كريستوف ليشتنبرج: عالم وشاعر وكاتب ألماني وأستاذ في العلوم الطبيعية، اقتبس تولستوي الكثير من أقواله في كتاب: "دائرة القراءة".

كأنّي أقول: إن كل ما سيكون هو كائن بالفعل، لكنني لا أستطيع رؤيته وحسب. لكن هذا التصور هو على أي حال تصور داخل نطاق الزمن. من الضروري أن أفهم الوجود خارج نطاق الزمن كما أدرك نفسي فيما أطلق عليه «ذكرياتي»؛ أدرك نفسي في عامي الخامس والعاشر والخامس عشر والعشرين والحادي والعشرين على أنها نفس واحدة. أنا هو كل ما بدا لي داخل نطاق الزمن، وعندما تحين لحظة موتي سأكون كل ما كنته على امتداد حياتي. أنا أجمع كل شيء بحياتي. تستبعد حياتي الزمن، لكن علاوة على أنني كل ما كنته طوال حياتي، أنا أيضًا ما كانه أبي وجدي وجدتي والناس جميعًا. أحمل كل هذا بداخلي، بل إنني حتى كل ما سيكون بعد موتي. لا أقصد ما سيكون، فهذا تعبير زمني، بل أقصد ما هو مخفي عني، فأنا لا أستطيع أن أنطوي على كل شيء، لهذا يبدو لي أنني داخل نطاق الزمن. يتضح إذن أن مفهوم الزمن ينبع من فكرة المحدودية والانفصال. صحيح أنني كل شيء، لكنني لا أدرك مني إلا جزءًا، لذا يسري مفهوم الزمن بالنسبة لي. يتمثل مغزى الحياة لي في وعبي بجوهري الإلهي الأبدي اللانهائي. لذا يبدو لي أن هدف الحياة يتمثل في عملية التوسع، ولكن التوسع ليس هو الهدف بل هو إحدى سمات الوعي. لا يتوقف الوعي عن العمل والتنوير، ولا يمكنه التوقف من الأساس. يتجلى عمله في الحياة في السعي صوب الوحدة بالكيان الكلي. يتمثل كل ذلك في ماضي وحاضر ومستقبل كافة الكائنات. يسعى الإنسان صوب الاتحاد بكافة الكائنات، في الماضي والحاضر والمستقبل؛ في الماضي: بفهم حياة العالم القديم خاصة البشر، في الحاضر: عبر التعامل

مع الناس، في المستقبل: بخدمتهم. يجري كل ذلك بالنسبة لي داخل إطار الزمن. بالنسبة لي أنا كيان واحد كامل تكوّن عبر الزمن، أما بالنسبة للكائن الكلي، ليس وجودي سوى تعبير عن وعي محدود. يصعب فهم الأمر، لكنه هكذا.

٢٥ فبراير.

بخير صحيحاً. أنا منهمك طوال الوقت في الانتهاء من مقالتي عن الحرب. بينما كنت على فراشي أول أمس كتبت الآتي في خطاب إلى تشيرتكوف:

١ - في المرحلة الأولى من الوعي يبحث الإنسان عن الخير لنفسه فقط، ككائن مادي بحسب ما يتصور نفسه. في المرحلة الثانية يبحث عن الخير لنفسه فقط ككائن روحي منفصل بحسب ما يتصور نفسه. في المرحلة الثالثة يكون بمثابة خير لنفسه ولكل ما يحيط به. إنه لا يبحث في هذه المرحلة عن شيء، بل يوجد، فلا موجود سواه.

٢ - الحياة هي نمو الوعي. كل ما يحدث في الحياة - مهما كان - يعمل على نمو الوعي.

٣ - الحرية غير ممكنة إلا في المرحلة الثالثة من الوعي. لا يمكن للكائن المادي المنفصل أن ينعم بالحرية، ولا يمكن ذلك حتى للكائن الروحي المنفصل. لا يمكن أن ينعم بالحرية سوى كائن أبدي لا نهائي، رغم أنه يتجلى في صورة محدودة. «وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ». (يوحنا ٨: ٣٢).

٤- مهما كانت رغبتنا في خلود الروح، لن يتحقق ذلك؛ لأنه لا وجود للروح، بل ثمة وعي أبدي وحسب؛ أي الله. الموت هو توقف التغيرات التي تطرأ على هذا الشكل من الوعي الذي يُعبّر عن نفسه في صورة كياني الإنساني. يتوقف الوعي، ولكن ما وعيناه لا يتغير؛ لأنه خارج نطاق الزمان والمكان. هنا تكمن ضرورة الإيمان بالله. إني لا أؤمن بأني داخل الله، بل أؤمن بأني تجلّ لله، لذا لن أهلك أبداً.

٥- عندما ينتظر أصحاب المرحلتين: الأولى والثانية الخلود، فهم محقّقون فيما يتعلق بوجوده، لكنهم مخطئون في انتظار خلود شخصياتهم المُتخيّلة، التي لا توجد إلا داخل حدود يُعبّر فيها الوعي عن نفسه.

صحّحت اليوم ما يتعلق بشخصية نيكولاي بافلوفيتش^(٨) في رواية «الحاج مراد»، ثم نَحَيْتها عني. إن أُتيح لي الوقت سوف أكتب عملاً مستقلاً عن نيكولاي.

٢٧ فبراير.

سأذهب اليوم إلى بيروجوفو. كتبت كمية كبيرة من الخطابات. بالأمس راجعت بعضاً من مقالاتي عن الحرب. أفكار للتدوين:

١- ثمة فارق رهيب بين فهمي الآن وفهمي في السابق، وهو يتلخص في أن الكيان الروحي؛ أي الله، لا يمكن أن يُحدّد بشيء ولا يمكن أن يكون جزءاً، ولكن الوعي بهذا الكيان الروحي هو الذي يمكنه أن يكون محدوداً.

(٨) نيكولاي الأول: إمبراطور روسيا الخامس عشر.

٢- أشعر بنفسي. تُرى ما طبيعة هذه الأنا وما هي نفسي التي أشعر بها؟ من الواضح أن الأنا الحقيقية هي كيان روحي يشعر بأنه المتخيلة وحدوده، تمامًا كما ينظر الإنسان إلى ظله.

٣- ما أُطلق عليه «جسدي» هو بمثابة وسيط يمكن لعملية الإدراك أن تتم عبره. ولكن ما إن يلحق الهلاك بالجسد، حتى يزول هذا الوسيط.

٧ مارس.

وصلنا أنا وساشا إلى بيروجوفو في خير حال. طبقًا لخطاب ماشا (ابنته)، فقد ساءت حالتها. لا يمكنني ألا آسف عليها. أراجع طوال الوقت مقالتي عن الحرب. يبدو أنني انتهيت منها. ليست جيدة، لكن لا بأس بها. أعمل بوهن شديد. لا أشعر برغبة في الإبداع. كنت سأدون فكرة أو فكرتين لكنني نسيتهما. أتذكر الآتية وحسب؛ لأنني دونتها:

مهما بدت السامسارا^(٩)؛ أي جلبة الحياة كلها، بكل أحداثها مختلفة بالنسبة للشخص الواحد، إلا أنها في حقيقة الأمر واحدة ومتعادلة للناس جميعًا، سواء أكانت حياتهم طويلة ومعقدة أم قصيرة وبسيطة. الجميع يبتهجون ويعيشون ويموتون، وليس للزمن أو الأحداث أي دلالة بالنسبة لهم. أمر وحيد مهم ويؤلف أساس الحياة فعلاً؛ استجلاء الوعي. وددت لو أقول: تنظيف الزجاج الذي ينظر الإنسان عبره إلى العالم، لكن الأمر

(٩) مصطلح باللغة السنسكريتية يعني «الحركة المستمرة»، أو «التدفق المستمر» أو «إعادة الميلاد المتكرر»، ويشير في البوذية إلى مفهوم دورة الميلاد ويترتب على ذلك الانحلال والموت، والتي يشارك فيها جميع البشر في الكون والتي لا يمكن الهرب منها إلا من خلال الاستنارة. بعض المترجمين يترجمون هذا المصطلح: «الوجود الدائري».

بالأحرى هو تطور العين التي ينظر بها الإنسان إلى العالم ويدركه.

٢- قول رائع: الحي يفكر بحيوية؛ أي طالما الإنسان على قيد الحياة، لا يمكنه أن يمنع نفسه عن الانشغال الكامل بهذا العالم. هذا ما يجعل الموت مريعاً عندما يفكر فيه الإنسان وهو مليء بالحياة. عندما يقترب الموت في صورة إصابة أو مرض أو شيخوخة، يتوقف الإنسان عن التفكير فيما هو حي ولا يعود الموت يبدو مريعاً.

٣- الموت نافذة كان الإنسان ينظر من خلالها إلى العالم، ثم أُغْلِقَتْ بعنف، أو هو أجفان مغلقة أو نوم أو انتقال من نافذة لأخرى.

٤- كلما ازدادت أفعال الناس غباوةً ولا أخلاقيةً، ازدادت شعائريتها. أثناء نزعتي التقية جندياً متقاعدًا وتحدثنا عن الحرب. أَقَرَّ بأن الله حَرَّمَ القتل، لكنه يقول: ما العمل؟ ويطرح مثالاً متخيلاً على حالة متطرفة للغاية يتعرض فيها الإنسان للهجوم والإهانة من عدوه:

- ما العمل إن أراد العدو أن ينتهك حرمة شيء مقدس لديك أو أراد أن يستولي عليه؟

- مثل ماذا؟

- راية مقدسة مثلاً.

أدركت حينها كيف يقدسون الرايات والبابا والأساقفة والقيصر والمحكمة والقدّاس. كلما ازدادت المظاهر حماقة، زادت درجة شعائريتها.

حلمت بالآتي: كنت أتحدث مع جروت، عالمًا أنه مات، ورغم

ذلك كنت هادئًا تمامًا، ولم أتعجب من الأمر، وواصلت التحدث معه. أثناء الحديث أردت أن أتذكر رأيًا عن سبنسر^(١٠) أو ربما له، لم يَبْدُ في الحلم أن هناك فارقًا بين الحالتين. كنت أعرف هذا الرأي وقد عبّرت عنه من قبل. بدا لي حديثي مع جروت بالرغم من موته، ورأي سبنسر أو المتعلق به حقيقيًا تمامًا مثلما يبدو لي الواقع الآن متعاقبًا زمنيًا. عندما ينام الإنسان عادة ما يحلم بأمر، وعندما يحاول ترتيبها زمنيًا يجد ذلك أمرًا عبثيًا، لكن ما تعرفه عن نفسك أثناء الحلم أصدق مما تعرفه عن نفسك أثناء اليقظة. تحلم مثلًا بأنك تتسم بضعف تعتبر نفسك خاليًا منه أثناء اليقظة وترى ما تسعى إليه حقًا. كثيرًا ما أرى نفسي مقاتلاً أو حتى غير مخلص لزوجتي، وأشعر بالهلع من جراء ذلك، وكثيرًا ما أرى نفسي أكتب من أجل أن أجلب البهجة لنفسي وحسب.

الحلم الذي راودني اليوم هو الذي جعلني أفكر في ذلك. الأحلام هي لحظات صحوة، نرى فيها حياتنا خارج إطار الزمن، متحدة جميعًا في نقطة واحدة مهشمة زمنيًا؛ أي أننا نرى فيها جوهر حياتنا؛ درجة نموها.

٨ مارس.

لا أريد تفويت الأيام أو عدم تدوين الأفكار. فَوْتُ أمرين مهمين. أعيش على نحو جيد؛ لأنني أتذكر أكثر فأكثر أنني أحيا على نحو سيئ

(١٠) هربرت سبنسر: فيلسوف بريطاني. مؤلف كتاب "الرجل ضد الدولة" الذي قدم فيه رؤية فلسفية متطرفة في ليبراليتها. كان سبنسر، وليس داروين، هو الذي أوجد مصطلح «البقاء للأصلح». رغم أن القول ينسب عادة لداروين. وقد ساهم سبنسر في ترسيخ مفهوم الارتقاء، وأعطى له أبعادًا اجتماعية، فيما عُرف لاحقًا بالداروينية الاجتماعية.

أمام وجه الله. من المؤسف أنني ألاحظ ذلك. لا أريد أن أفوت تدوين يومياتي. سأكتب... قرأت مقالتي. لا بأس بها. فجأةً شعرت بعظمة أخلاقية تكتنفي وشعور بالضيق. لا يمكنني مغالبة هذا الشعور السيئ. عليّ أن أغلبه. ابعثُ نورك فيّ! الساعة الآن الثانية.

٩ مارس.

تغلبت على شعوري السيئ، أو ربما انقضى من تلقاء نفسه. تحسنت حالتي الصحية. تنزهت على متن الجواد. نقلت بعض الاقتباسات وقرأت. لديّ الكثير لأدونه، لكنني لن أفعل ذلك، فقد تأخر الوقت.

١٠ مارس.

حالتي الصحية جيدة. تمشيت. وصل شيرباكوف، ثم وصل إيليا وجور تشاكوف في المساء. وضعني ألكسندر بتروفيتش^(١١) أمام اختبار وتعثرت مجدداً فلم أستطع مغالبة شعوري السيئ نحوه في البداية، لكنني قوّمت نفسي بعد ذلك. كتبت بعض الاقتباسات وصححت الخاتمة. عليّ تدوين الآتي:

١ - ثمة تعريفات كثيرة للحرية، لكنها تبدو لي غير صحيحة. لا يمكن أن ينعم الناس بحرية خارجية إلا عندما يتوقفون عن استخدام العنف. لذا عند الحديث عن الحرية يتوجب أن نوضح ماهية الحرية

(١١) ضابط تم تسريحه من الخدمة بسبب إدمانه الخمر. ذهب إلى تولستوي كي يساعده في تقويم نفسه، لكنه لم يحتمل طريقة العيش الفلاحية المرهقة، فغادر ياسنايا بوليانا، ثم عاد إليها مجدداً. صوّر تولستوي شخصيته في مسرحية "الضوء يسطع في الظلام". الاختبار المقصود هو أن يحب الناس جميعاً دون تفریق.

والظروف التي يعتبر فيها الناس العنف مشروعًا.

٢- هذه قاعدة عامة وليست مفارقة: كلما ازداد الفعل غباءً ولا أخلاقيّةً، ازدادت درجة شعائريته: البابا والأراخنة وأعضاء البرلمان واللاهوتيون وحفلات التتويج والرايات المقدسة والمسارح وحفلات الأوبرا وبيوت البغاء.

٣- رأيت حلمًا كشف لي الكثير؛ خاصة فيما يتعلق بأن الحلم يوحد ما هو محطم في الواقع زمنيًا ومكانيًا وسببيًا. أراني في الحلم أتحدث مع جروت - وهو ميت وحي في الآن ذاته - عن سبنسر وأرغب في أن أقول له ما أعرفه، لكنني نسيت وأحاول تذكره. ثم أتحدث بعدها مع مايفسكي وأراه في حلمي شابًا، وفي الآن ذاته أعرف أنه مات كهلاً.

يحكي لي مايفسكي عن شيء ما، لكنني غارق في أفكاري ولا أسمع ما يقوله؛ أسمع فقط نهاية الحديث الذي مفاده أنهم سمحوا لي بالخروج من مكان ما، وأن بإمكانهم أن يلحقوا بي، وحينها أشعر بالخوف. أسأل: هل يلعب الشطرنج؟ يجب: لا، بل إننا نلعب معًا. أجد نيكولينكا هو سيريوجا، وكذلك أجد فودوفوزوف، لكن شخصيته لا تتبين لي إلا فيما بعد. يقول مايفسكي إنني شاحب. أشعر أن الأمر لا يمكن ألا يكون كذلك؛ لأن ما فعلته كان أمرًا شديد السوء. لقد فعلته ولا أزال أقوم به، وأطلب منه ألا يخبر زوجتي. تصل زوجتي في ذات اللحظة وتكتشف جريمتي. جريمتي هي أنني لم أستطع أن أوقف أمرًا ما مريعًا. نخرج من المكان فأجد جنديًا صغيرًا:

- ماذا تريد؟

- جئت من أجل جثة الراحل الخاصة بسعادتك.

أنظر حولي فأجد في أحد الأركان كومة من الأقمشة تغطي جثمانًا ما.

يتبين لي أنني فعلت أمرًا ما شريرًا؛ لست أنا وحدي، إنما كثيرون، وقد غادرنا جميعًا. أفكر في أن أنصرف أنا أيضًا، لكنهم أحضروني إلى هنا، ثم استيقظت!

لا شخصيات ولا زمان ولا مكان ولا سببية.

٤- عند اليقظة يبدو كل ما كان متعاقبًا كأنه يحدث في لحظة واحدة. هكذا هو الأمر في الحياة؛ تعاقب الزمن والسببية هي أمور نصنعها نحن لأنفسنا، لكنها غير موجودة في حقيقة الأمر.

أشعر بالهلع حينما ألقى ببصري حيثما لا يجب أن أفعل ذلك.

٥- ما إن يوجد الله، حتى يعتمد وجود البشر جميعًا عليه بنفس الدرجة. الاعتراف بوجود الله هو اعتراف بأخوة البشر، وبالتالي اعتراف بالحب. الله ليس محبة، لكن الأخيرة تنبع لا محالة من مفهوم الله.

١٢ مارس.

فَوْتُ يومًا. حالتي الصحية بخير. أراجع طوال الوقت مقالتي عن الحرب ولا أشعر بالرضى. تمشيت. بالأمس جاء أرينسكي «مؤلف موسيقي»، واليوم جاءت أولجا^(١٢) تسألني النصح. أمر مؤسف ولا أعرف بما يجب أن أنصحها. قرأت عن نيكولا ي الأول.

(١٢) زوجة ابنه أندري. جاءت تطلب النصح من تولستوي؛ لأن أندري هجرها.

١٣ مارس.

أنا بصحة جيدة. تنزهت على متن الجواد. أضفت إلى مقالتي عن الحرب. تبدو الآن أفضل. كنت سأدوّن شيئاً لكنني نسيتُه.

١٤ مارس.

أنا بصحة جيدة. وصل بولانجي وفارينكا. راجعت بعضاً من مقالتي عن الحرب وقصة «الإلهي والبشري». خرجت للتنزه. يجب تدوين الآتي: الوعي الإلهي الأسمى يقتضي وجود أرواح واعية، تعمل بدورها على وجود جسد واعٍ «الإيحاء الذاتي». عليّ أن أوضح الفكرة تفصيلاً فيما بعد.

١٥ مارس.

بصحة جيدة. في أوقات المساء أشعر بوهن شديد. لا أعمل. تنزهت على متن الجواد. أنا هنا بصحبة ساشا (ابنه) ويوليا إيفانوفنا^(١٣) وحسب. وصلني خطاب من تانيا. كتبت في مقالتي عن الحرب. لم أنتهِ منها بعد، لكنها تبدو الآن أفضل. عليّ أن أدوّن شيئاً ما، لكن الوقت قد تأخر. أفكر على نحو جيد.

١٦ مارس.

حالي الصحية شديدة السوء. قلبي ضعيف. اضطراب في ضربات القلب وآلام. تنزهت. أشعر بالبرد. كتبت في مقالتي عن الحرب. قاربت

(١٣) فنانة شابة كانت تعيش في ذلك الوقت في منزل تولستوي وتساعدته في عمله.

على الانتهاء منها. أقرأ في كتاب عن مان دي بيران. كتاب مشوق للغاية.

١٧ مارس.

أكتب طوال الوقت في مقالتي عن الحرب. يبدو أنني أنهيتها. تحسنت حالتي الصحية، لكنني لم أتعافَ تمامًا. أشعر بالآلام في الصدر. كتبت خطابات كثيرة وتنزهت على متن الجواد. ثمة فكرة يجب أن أدونها، لكنني سأقوم بذلك فيما بعد.

١٩ مارس.

لم أدوّن يومياتي بالأمس. تمشيت. أشعر بقوة شديدة، ومع ذلك لم أتعافَ بعد. أظن أنني انتهيت من مقالتي عن الحرب. أعطيتها لهم ليعيدوا كتابتها^(١٤). فكرت اليوم في الآتي:

لا يمكن أن تُملَى الأخلاق على أحد، فهي والحياة الصالحة ينبعان من الفهم الديني الميتافيزيقي للحياة. كما هو الحال دائمًا؛ لا يمكن تحقيق أي هدف بالسعي المباشر صوبه، بل إننا نحققه تلقائيًا في طريقنا صوبه. كذلك هو الأمر في الحالة الآتية: وعي المرء باشتراكه فيما هو إلهي يقوده لا محالة إلى حياة أخلاقية وسلوكيات أخلاقية والامتناع عن كل ما هو غير أخلاقي.

قرأتُ عن مان دي بيران ونيكولاي الأول. اتضح لي أن اهتمام نيكولاي الأول كله قد انصب على كشف مدى ندالة أولئك الذين

(١٤) يقصد ما نطلق عليه: يُبيّض العمل، فالمخطوطة الأولى تكون مليئة بالملاحظات والشطب وما إلى ذلك.

تخلوا عن رفاقهم من أجل تحقيق النجاح مثل: روستوفيتسيف وشيبوف وبلودوف^(١٥). لقد أراد أن يقول لنفسه: جميعهم أوغاد!

٢٠ مارس.

لست في تمام الصحة. بالأمس كتبت الجزء الثاني من «الإلهي والبشري». لا بأس به. اليوم راجعت مقالة «عن الحرب» وأضفت لها أيضًا. تحسنت مرة أخرى. بالأمس خرجت على متن الجواد، واليوم تمشيت وأنهكت بشدة. قرأت بعض الخطابات بالإضافة إلى مان دي بيران.

٢١ مارس.

تحسنت حالتي الصحية. تنزهت على متن الجواد. راجعت «عن الحرب» على نحو سيئ. قرأت في ذلك الكتاب عن مان دي بيران. لا أجد وقتًا لتدوين أي أفكار. لا بد أن أضيف الآتي إلى خطاب ناجيفين^(١٦): «ليس من واجب المسيحي أن يدين، بل أن يحب».

٢٢ مارس.

مساء اليوم فكّرت في الآتي:

(١٥) جميعهم كانوا جنرالات في الجيش الإمبراطوري واتخذوا مواقف مختلفة إبان انقلاب الديسمبريين لتتجه نيكولاى الأول عن الحكم. راجع ما كُتب عن الديسمبريين في الأجزاء السابقة.

(١٦) كاتب روسي تعاطف في البداية مع أفكار تولستوي، ثم مال إلى الحركات الرجعية المناصرة للملكية. عاش في تلك الفترة في سويسرا، وأرسل إلى تولستوي خطابين يصف له فيها أحوال المهاجرين الروس هناك من الثوريين والتولستويين، وقد أجاب تولستوي عن خطابه معربًا فيها عن حزنه من تناقضه وانشغاله بإدانة الآخر أكثر من محبته.

١ - لا يعي المرء جوهره الإلهي بداخله إلا عندما يفعل شيئاً ما أو يمتنع عن فعل شيء ما. حاولت أن أستشير هذا الوعي بداخلي دون أن أفعل شيئاً، ولكن بلا جدوى. وعندما أردت أن أفعل شيئاً ما أو أفكر فيه وجدت أن ذلك لم يُجِدني نفعاً أيضاً. ما يساعد المرء في استشارة هذا الوعي بداخله هو تحديداً أن يقوم بما يعتبر أنه واجب عليه، ويؤخر ويقدم بحسب ما يترأى له طبقاً لذلك.

٢ - فكرت - وإن لم يكن بوضوح كافٍ - في أن ظواهر الحياة تنقسم زمنياً إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل لسبب واحد؛ ألا وهو أنني كائن محدود، وليس في مقدوري أن أُوحِّد الماضي والحاضر والمستقبل. لنفس السبب ليس في مقدور الإنسان أن يُوحِّد بين الأجساد الواعية والأرواح والله، رغم أنهم مجتمعون في حياته ويعيشون في آن واحد بداخله.

حلّ الصباح.

٢٩ مارس.

إنه الصباح. أكتب في مقالتي «عن الحرب». راجعت اليوم «الإلهي والبشري». حالتي الصحية ضعيفة. هكذا يجب أن يكون الأمر، فلا بد للحدود أن تنهدم. عليّ تدوين الآتي:

حدث كثيراً، بل ربما يحدث بشكل دائم في تلك الفترة، أن أشعر في داخلي بذلك الكيان الأبدي، وهو أمر جيد. إنها المرة المائة التي أنسى فيها وأتجادل مع ابني سيريوجا.

١- كل محاولات حل مسألة الحرية بكل صعوبتها وتعقيدها تنحو نحو تقديم حل إيجابي، في حين أن حل المسألة يجب أن يتم بشكل سلبي. لا يمكن للناس أن يصلوا إلى الحرية إلا بالتوقف عن استخدام العنف ضد بعضهم وتبريره.

٢- ننسى أننا دائماً وفي كل لحظة نقف على عتبات الموت؛ على عتبات ذلك التغيير الذي يلحق بحياتنا، والذي لم نخبر مثله من قبل ولا يمكننا حتى تصوره.

٣- في لحظات اليقظة تتشكل الأحلام في صورة زمنية متعاقبة. أليست حياتنا كلها بمثابة لحظة صحو تترتب فيها الأحداث في صورة زمنية متعاقبة؟

٤- تصورت بحيوية شديدة ذلك العالم الباطني الغامض، وكيف أن له مالكا واحداً أشعر به في كياني، وهو موجود داخل الناس أجمعين؛ في شقيقتي ماشيا وفي صوفيا، وحتى في هذا العجوز من جماعة المنشقين (جماعة دينية روسية قديمة).

٥- إن كان ثمة خلود، سيرتبط بكيان غير شخصي وحسب. الأنا الحقيقية هي جوهر إلهي خالد ينظر إلى العالم عبر حدود شخصيتي المحدودة. لذا لا يمكن للحدود أن تبقى دائماً؛ ما بداخلها هو ما سيبقى؛ الجوهر الإلهي للروح. بموت الإنسان يفارق هذا الجوهر الشخصية ويبقى كما كان. بعدها يعاود الجوهر الإلهي الظهور داخل شخصية جديدة، ولكن تُرى ما طبيعة تلك الشخصية الجديدة؟ أين؟ كيف؟ الله وحده يعلم هذا.

٦- كم يصيب المرء من سرور وفائدة حينما يتذكر أن الله بداخله!

٧- يزداد خير الحياة بزيادة الوعي: في البداية يكون الوعي بكائن مادي منفصل، ثم روعي منفصل، ثم جوهر إلهي داخل حدود. أنهكت. سأؤجل كتابة هذه الفكرة المهمة جدًا لوقت آخر. فأكمل:

كل ما كان وما سيكون هو كائن بالنسبة لله، حيث يندمج كل شيء في حياته كما يندمج في حياتي ماضي وحاضر ومستقبل. يتلخص سعينا إلى الخير في إدراكنا لما هو إلهي أكثر فأكثر. الله ليس في حاجة إلى ذلك. نحن فقط من في حاجة إلى ذلك؛ لأنه يسدينا خيرًا. إن ماضي ومستقبل العالم كله، لا الإنسان فحسب، يندمجان معًا بالنسبة لله. كما أنني كيان واحد: طفلًا وشابًا وزوجًا وشيخًا، هكذا الآشوريون واليونانيون والفرنسيون واليابانيون وكل ما كان وما سيكون في هذا العالم وكافة العوالم... الجميع مندمجون في كيان واحد بالنسبة لله.

٨- الشيخوخة وهلاك الجسد هما توسيع لحدود الوعي يبعث السرور في القلب. الموت هو تصفية هذه الحدود كاملاً، فالقطرة لا تندمج مع مياه المحيط إلا لتفصل عنه ثانية.

«الجنون وحده ما يمكنه أن يحدّ هذه الاستنتاجات».

٩- كما تبعث زيادة الوعي الجسدي في فترات الطفولة والشباب السرور في قلب صاحبها، كذلك تفعل زيادة الوعي الروحي في فترة الرشد، ويحدث في فترة الشيخوخة - وهذا ما اختبرته بنفسى - أن

يُسر الشيخ، لا بوعيه أنه كائن روحي منفصل، بل بوعيه باتحاده بالكائن الأبدي اللانهائي. إنه سرور دائم. أما إن بدا لي الآن أن السرور الذي اختبرته إبان الشباب بوعيي الجسدي أشد من السرور الذي أختبره الآن كشيخ من وعيي باتحادي بالله، فَمَرَدُّ ذلك إلى ما تضيفه الذاكرة على الماضي من زينة ساحرة. رغم كل ذلك، السرور الذي أشعر به الآن من وعيي بالهيتي أشد من سروري الماضي بوعيي الجسدي.

١٠ - الفكرة الأخيرة: عن التنويم: أريد أن أكتب مقالة عن التنويم؛ عن فائدته وضرورته، وكذلك عن ضرره وإساءة استخدامه وكيف نواجهه. بينما كنت أفكر في الأمر توصلت إلى الآتي:

ترتبط الكائنات جميعاً ببعضها على نحو باطني خفي، كما يرتبط الجذر بالنبات ويبقى خفياً عن الأبصار. لا... تشبيه سيء... كقوة واحدة تحرك آلات عديدة، لذا يؤدي إيقاف آلة واحدة أو زيادة قوة عملها إلى إيقاف بقية الآلات أو زيادة قوة عملها. لا... هذا تشبيه سيء هو الآخر. المسألة هي أننا جميعاً بمثابة تجلٍ لنفس الكائن، لذا كل تجلٍ يستدعي بقية التجليات. كم بدت لي الفكرة جيدة ومهمة، ورغم ذلك فشلت تماماً في كتابتها! أردت أن أقول إن الأفعال التي تنبع من درجات الوعي الثلاثة في أي كائن تستدعي وعياً مشابهاً في بقية الكائنات وبالتالي أفعالاً مشابهة.

لم أستطع التعبير عن الفكرة جيداً. سوف أعود إليها فيما بعد؛ لأنني أشعر أنها حقيقية.

٣١ مارس.

لست في أفضل حال صحيًا، والسبب يعود إلى الكبد. لا أعمل.
لم أكتب شيئًا اليوم. كنت أرتجف. خرجت على متن الجواد. سأواصل
الفكرة التي بدأتها بالأمس:

١ - كما يحدث في الجسد أن يؤدي عمل عضو واحد من قبيل:
طي الأصابع أو حركة اليد أو الساق إلى التأثير على بقية الأعضاء بفعل
التعزيز أو المحاكاة، كذلك يحدث بالضبط في العالم حيث يُعتبر كل
كائن حي بمثابة عضو في جسد العالم، وبالتالي عندما يقوم إنسان، أو
حتى حيوان، بفعل ما، تستجيب بقية الأعضاء جميعًا بفعل المحاكاة أو
التنويم.

لا، فكرة خاطئة تمامًا.

٢ - يُعتبر عالم الكائنات الحية بمثابة جسد واحد. هذا الجسد لا
يمثل الله كاملاً، بل هو أحد تجلياته وحسب. كما أن كوكبنا يمثل جزءًا
من المجموعة الشمسية، التي تمثل بدورها جزءًا من مجموعة أكبر،
كذلك تُعتبر قوة الروح أحد تجليات الله. بهذه الطريقة إذنً يبقى الله
غير مُدرِكٍ دائمًا. لا يدركه سوى العقل الذي لا يقول لصاحبه إنه لا بد
من وجود جوهر لكافة الجواهر، بل يقول بوجود وجود جوهر ليس
له بداية؛ جوهر خارج قانون السببية؛ إنه الجوهر الذي أدرك سماته في
نفسه.

٥ إبريل.

لم أدوّن يومياتي لخمسة أيام. لم أكن مريضًا طوال هذه الفترة، ولم أشعر بالضعف، لكن ليست لديّ رغبة في العمل العقلي. بالإضافة إلى ذلك جاءني زوار: كوني وآخرون. عليّ تدوين الآتي:

١ - من الأمور التي قدمت لي عونًا مستمرًا في حياتي هو العمل على استجلاء قوانين الحياة بشكل متجدد ومن جوانب جديدة، والعمل على فهمها هي والقواعد الأخلاقية التي تنبع من فهم واضح. في الآن ذاته يحدث أيضًا أن تشبك هذه القواعد الأخلاقية بشكل دائم وتتوقف إثر ذلك عن العمل. لكن ما يحدث في النهاية هو أن إدراك ذاتي ككيان روحي أبدي محصور داخل حدود جسدي يبقى فاعلاً دائماً ولا يضعف، بل يستمر في دعمي حتى في أضعف حالاتي، مثل الحالة التي أنا فيها الآن. كثيراً ما أتذكر ذلك وأتقوى به. لكنني بالأمس نسيت ذلك عندما طلب مني فادي (فلاح فقير) بودًا (وحدة وزن روسية) من الدقيق، ورفضتُ.

٢ - فكّرت اليوم في نيكولاي الأول ومدى بربريته وثقته في نفسه وفي مدى فظاعة الوضع الذي يتولى فيه أصحاب قوى روحية متدنية مقاليد الأمور وتوجيه حتى من يتمتعون بقوى روحية سامية. لكن هذا لا يستمر حينما تصل القوة الروحية التي كانوا يوجهونها إلى درجة معينة من السمو تجعلها تتسيد كل شيء.

أريد أن أكتب عن الديسمبريين.

٣ - لا أزال أفكر في تفسير التنويم، ولم أجد بعد تعريفاً واضحاً له.

٤- قرأت اليوم في كتاب سبينوزا الفلسفي عن الأخلاق، وأثار بداخلي الكثير من الأفكار. لا يمكن أن تتأسس الأخلاق إلا على الاعتراف بالهية طبيعة ما نطلق عليها «النفس». ولكن كيف يمكن أن نُعلّم هذه الفكرة لأناس ذوي مستوى متدني؟ بالإيحاء. أريد أن أبين دور الإيحاء في حياة المجتمع.

بدأت في الكتابة في مقالتي «حجر الزاوية»، لكنني لم أستطع أن أكمل.

مات ألكسندرا أندريفنا^(١٧). كم هي بساطة وحُسن الأمر! أنا في حالة جيدة للغاية.

٧ إبريل.

تحسنت قليلاً. بدأت في كتابة خاتمة مقالتي «عن الحرب». اليوم فكّرت في الآتي:

١- يقول النبي: «لم يُحدّثني روح الله طويلاً، لكنني سمعت صوته اليوم وقد دعاني كي أعلن للناس أن...». أما المادي فيقول: «في الآونة الأخيرة كانت معدتي مضطربة ولم تكن لديّ رغبة في التفكير. اليوم برأت معدتي وبدأت في كتابة مقالة». مَنْ المحقّ فيهما؟ كلاهما مُحقّ، لكنّ طرح النبي أعمقّ.

(١٧) قريبته وصديقة الطفولة.

٢- يتحدثون عن اليودايمونيا^(١٨) ويصفونها بأنها «تعليم أخلاقي» يهدف إلى الوصول إلى السعادة. ولكن الهدف القريب من أي تعليم أخلاقي سيكون دائماً تحقيق الخير. هدف الحياة في التعليم المسيحي مثلاً هو تنفيذ إرادة الله، ولكن وسيلة معرفة إرادة الله هي الخير، لا السعادة؛ بمعنى أن الخير هو إرضاء أسمى مساعي الإنسان الروحية.

٢٢ إبريل.

سأكتب الآن ما فكرت فيه ليلاً:

١- إن نظرتَ إلى نفسك كجوهر غير محدود يتجلى داخل حدود معينة، سيكون هدف ومغزى العمل في الحياة هو أمر واحد: أن تحقق مشيئة الله الذي يتجلي فيك. من شأن هذه النظرة إلى الحياة أن تزيل كافة الاهتمام بما يحدث، ليركز الاهتمام كله على ما يجب أن تفعله أنت وحسب، أي أن يتركز الاهتمام كله على الحاضر؛ يتركز في لحظة خارج إطار الزمن.

٢- تلخص الحياة والحرية الحقيقتان في القدرة على العيش في الحاضر وحسب؛ خارج إطار الزمن.

٣- عندما ينظر الإنسان إلى نفسه داخل إطار الزمن، سيجد يقيناً أنه

(١٨) باليونانية: (εὐδαιμονία): هي كلمة يونانية تُترجم عادة إلى السعادة أو الرخاء، واقتراح البعض «الازدهار الإنساني والرفاهية» كترجمة أكثر دقة. اصطلاحياً تتكون الكلمة من «يو» (جيد) و «دايمون» (روح). تُعتبر يودايمونيا مفهوماً مركباً في الأخلاقية الأرسطية والفلسفة السياسية. في أعمال أرسطو، استُخدمت يودايمونيا (بناءً على التقاليد اليونانية القديمة) كمصطلح يشير إلى قمة الخير البشرية، وبالتالي فهي غاية الفلسفة العملية بما في ذلك علم الأخلاق والفلسفة السياسية أن تعتبر (وتختبر أيضاً) ما هي، وكيف يمكن تحقيقها.

غير حر. لن يكون حرًا إلا في الحاضر؛ عندما يسلك خارج إطار الزمن.

٢٩ إبريل.

انشغلت طوال تلك الفترة بكتابة بعض الإضافات لمقالتي «عن الحرب». أنهيتها اليوم وأشعر بالرضى عنها. حالتي الصحية جيدة. يقدم لي وعيي بجوهر حياتي الإلهي ووجودها داخل حدود جسدي عونًا مستمرًا. فكّرت اليوم في فكرة شديدة الأهمية. يبدو لي أحيانًا أن هذه الحقائق ليست إلا هذيانًا فلسفيًا.

١ - تتبع حركة المادة من محدودية فهمي واستيعابي. لا يمكنني استيعاب كل شيء فجأة، وذلك بسبب محدوديتي، لذا أستوعب الأمور تدريجيًا. تتمثل لي هذه التدريجية في حركة المادة في الزمن، تمامًا كما تبدو لي الشواطئ كأنها تتحرك عندما أنظر إليها للوهلة الأولى.

٢ - لا يعرف المرء شيئًا على نحو كامل إلا بخبرة حياته كلها. أعرف نفسي كاملاً، منذ لحظة الولادة وحتى لحظة الموت. أعرف نفسي من حقيقي أنني أنا هو أنا. هذه أسمى، أو بالأحرى أعمق معرفة. النوع الآخر من المعرفة هو الذي نكتسبه من مشاعرنا: أنا أسمع وأرى وألمس. هذه معرفة خارجية. أعرف أن شيئًا ما موجود، لكني لا أعرف كيف يدرك هذا الشيء نفسه بنفس الطريقة التي أدرك بها نفسي. النوع الثالث من المعرفة هو نوع أكثر عمقًا: إنها المعرفة العقلية؛ المعرفة التي أستخرجها من معطيات الحواس أو مما انتقل إليّ بالكلمة من أفكار وتوقعات واستنتاجات الآخرين.

النوع الأول: أشعر بالحزن أو الألم أو الملل أو السرور. هذا أمر لا شك فيه.

النوع الثاني: أشم رائحة زهرة بنفسج. أرى ضوءاً وظلاً... إلخ. قد تخطئ في ذلك.

النوع الثالث: أعرف أن الأرض مستديرة وتدور، وأعرف بوجود دولة اليابان ومدغشقر. كل ما سبق قابل للشك.

أظن أن الحياة كلها تتلخص في تحول النوعين الثاني والثالث من المعرفة إلى الأول، فيشعر الإنسان بكل شيء بداخله مباشرة.

٣- روح الإنسان إلهية لا نهائية أبدية، لكن وعيه محدود. لا يمكنه أن يدرك شيئاً إلا داخل حدود الزمان والمكان، لكن الزمان والمكان لا نهائيان، وبالتالي هو لا نهائي أيضاً. يدرك الله كل شيء، بينما لا يدرك الإنسان شيئاً إلا داخل مجال الزمان والمكان.

٤- لقد كنتُ كياناتٍ عديدةً. كل ما كنتُهُ موجود بداخلي، وهو يشكل أناي. لن تكون حياتي هنا وبعد الموت شيئاً سوى اكتساب أناي محتوى جديداً. مهما كانت درجة زيادة محتوى الأنا، لن أتوقف عن كوني كياناً محدوداً ثانوياً لأن كل شيء غير محدود.

٥- أناي واحدة، في اللحظة الحاضرة والقادمة على السواء، لكنني لا أستطيع أن أدرك أناي في اللحظة القادمة، لذا يبدو لي أن ثمة حركة في قلبي وأناي أتنفس. لو لم ينتقل وعيي إلى أنا جديدة لما كانت هناك حركة في القلب.

٦- لو لم يكن هناك انتقال إلى وعي أنا جديدة، لما تحركت الأرض حول محورها، ولما كان هناك ليل ولا نهار. كل هذا هراء، لكنني لا أستطيع الكف عنه.

٧- تصورت الوعي كثقب صغير داخل كرة. في البداية تمثل حدود هذا الثقب الكائن الجسدي، أما ما يحويه هذا الثقب فيمثل الكائن الروحي، وفي النهاية تصبح الكرة نفسها بما فيها هي النفس. هكذا يعود الوعي الأسمى إلى نفسه. لكن الأمر لا يسير على هذا المنوال. يتمثل الكائن الجسدي في صورة هذه الحدود التي تحد النفس، ثم يُدرك بعد ذلك في ما هو قابع داخل الحدود. بعد ذلك يصبح كل شيء أكثر رقة تدريجيًا، كالزجاج أو الجليد، ولا ينتقل الوعي إلى الخلف، بل إلى الأمام حيث يخلق داخل مجال أسمى.

كل هذا هراء، لكنني لا أستطيع الكف عنه.

٨- إن معضلة وصعوبة وتعدد تعريف الحياة يتلخص في أن الحياة وعي باللحظة الحاضرة وحسب، وفي الآن ذاته حياتي هي حياة العالم كله داخل نطاق المكان والزمان، لكنني لا أستطيع إدراكها كلها فورًا كما يمكن لله أن يفعل، بل أعرفها جزئيًا داخل نطاق الزمان والمكان. أنا نفس الكيان الذي كان في سن الخمسين والثلاثين والعشرين وحتى في العاشرة، ومنذ لحظة الولادة وحتى لحظة الموت. كياني كذلك في الأب والجد وجد الجد وفي كافة الأسلاف. جميعهم بداخلي. كل ما سيحدث معي في الحياة وبعد الموت موجود فعلاً، كل ما في الأمر أنني لم أختبره بعد، لكنني سأختبره. هذا هو منشأ الحركة والمادة والوقت والمكان.

يتحول الأمر مجدداً إلى هذيان بعد أن كنت قد اقتربت من الحقيقة.

٣٠ إبريل.

لا أزال أفكر طوال أوقات الصباح فور أن أستيقظ في هذا الهذيان الفلسفي. فكرت أمس واليوم في الآتي:

١ - إن سعينا المتواصل إلى المستقبل هو دليل على أن الحياة هي بمثابة توسيع للحدود. نعم، الحياة هي توسيع للحدود.

٢ - كل حركة في عالم المادة، بدءاً من حركة القلب وحتى حركة الشعري اليمانية (نجم سماوي)، هي محض وهم ينجم عن عملية توسيع الوعي. بمرور الوقت يزداد المرء انتظاراً ومعرفة وتجربة. أفهم تماماً ما أريد قوله.

٣ - إن أردنا أن ننعم بالخير الناجم عن عملية توسيع الوعي، لا بد أن يكون الوعي محدوداً، وهو كذلك فعلاً داخل مجال الزمان والمكان.

٤ - في البداية يبدو لي أنني كيان مادي أسلم بحدودي، ثم يبدو لي أنني كيان روحي؛ أي على حد قول الماديين: مُؤَلَّف من مادة رقيقة منفصلة. بعد ذلك أدرك أنني لست مادياً ولا روحياً، بل إنني بمثابة عملية عبور حدود أبدية لا نهائية تعد كل شيء ولا شيء في الآن ذاته، تماماً مثل علاقة النيرفانا^(١٩) بالشخصية.

(١٩) النيرفانا هي حالة الخلو من المعاناة. تعتبر الـ (نيرفانا) هي حالة الانطفاء الكامل التي يصل إليها الإنسان بعد فترة طويلة من التأمل العميق، فلا يشعر بالمؤثرات الخارجية المحيطة به على الإطلاق، أي أنه يصبح منفصلاً تماماً بذهنه وجسده عن العالم الخارجي.

٥- عندما يعيش المرء بوعيه الجسدي يصبح أنانيًا ويقاقل من أجل مسراته، أما عندما يعيش بوعي كائن روحي يصبح معتدًا بذاته مختالًا، لكن المرء الذي يعيش بوعي الاتحاد بالألوهية يجد نفسه يفعل ما يفعله الله وما يريده منه؛ تقديم الخير للجميع.

٧ مايو.

١- أول أمس التقيت بعابر سبيل رث الثياب يطلب صدقة. تحدثت معه. لقد كان طالبًا سابقًا بالمعهد التربوي. إنه نيتشوي، رغم أنه لا يدرك ذلك. وكم هو مُقنع! قال:

خدمة الله والقريب وقمع الشهوات تُعبر عن ضيق الأفق وهي بمثابة خرق لقوانين الطبيعة. علينا أن نتبع شهواتنا، فهي ما تمنحنا القوة والعظمة.

من المدهش حقًا كيف أصبحت تعاليم نيتشه عن الأنانية عاقبة ضرورية لمجمل النشاط العلمي والفني والفلسفي الشعبي المتوهم. إننا لا نتعجب ولا تساورنا الشكوك في أنه إن سقطت البذور فوق أرض خصبة، وإن توفر الدفء والرطوبة ولم يظأ أحد المحاصيل، ستنمو النباتات لا محالة. هكذا أيضًا من الممكن أن نحدد بدقة العواقب الروحية التي ستنشأ عن عوامل فكرية وفنية وعلمية معينة.

٢- يتضح لي أكثر فأكثر أنه من الضروري أن أتحدث عن أسباب تثبيط حياة الناس الروحية ووسائل الخلاص من ذلك. إنه نفس الأمر وهو سبب كل ذلك؛ إنه العنف وتبريره العقلي. أما وسيلة التخلص من

ذلك فتتلخص في الدين؛ أن يعي المرء علاقته بالله. أريد أن أعبر عن ذلك في عمل إبداعى: نيكولاى الأول والديسمبريون. أقرأ مواد جيدة كثيرة عن ذلك الموضوع.

٣- حياة الوعي المحدود: ندرك حياتنا وحياة كافة الكائنات المنفصلة بالحركة والمادة داخل نطاق الزمان والمكان. أما حياة الوعي غير المحدود ليس لها لا زمان ولا مكان ولا حركة ولا مادة. حياة كهذه غير مفهومة لنا، لكنها موجودة... إنها موجودة حقاً، أما حياتنا وحياة كافة الكائنات المنفصلة فليست إلا تجلياً لها. لا يمكننا أن نعبر بالكلمات عن هذه الحياة غير المحدودة، وهي غير مفهومة للعقل، لكننا رغم ذلك نعرفها لأنها هي نحن، ونحن هي.

إننا نعرفها بمعزل عن العقل ونتعامل معها خارج مجاله. يمكننا أن نوضح للعقل وجود هذه الحياة غير المحدودة، وأنها تضم بداخلها كل ما هو موجود، تماماً كما يمكننا أن نتذكر كيف توحدت حياتنا الماضية كلها وكذلك نتصور حياة الآخرين. كما نوحّد عددًا محدودًا من الأحداث والكائنات، يوحد الله كل شيء في داخله.

٤- تتمثل لنا حياتنا في توسيع حدود وعينا. في واقع الأمر لا يحدث أي توسع، بل ينجلي وعينا بالحياة. الحياة (الله) غير محدودة ولا نهائية من حيث وجودها، لذا يعتبر وعينا باللا محدودية واللا نهائية هو الحياة التي بداخلنا. أما قانون الحياة فهو الانجلاء المتزايد لهذا الوعي.

صياغة سيئة وغير واضحة.

ساعات حالى الصبحى منذ بضعة أيام. أشعر بالخمول وليست لدى

رغبة في العمل. أرسلت مقالتي عن الحرب منذ وقت طويل والآن أنا في انتظار أن أرى تأثيرها، رغم أنني أعرف أنه لن يكون لها تأثير على الإطلاق، وأني لا يجب أن أنتظره من الأساس.

٨ مايو.

وصلني اليوم خطاب من ملاح من بورت أرثر (بلدة بأستراليا): هل يقبل الله أن تُجبرنا السلطات على القتل أم لا؟

البعض تراودهم تلك الشكوك، وأنا أكتب عن ذلك، لكن البعض الآخر قابع في ظلام دامس. كما يقول كانط: ما إن تعلن الحقيقة عن نفسها بوضوح، حتى تتغلب على كل شيء. متى يحدث ذلك؟ هذه مسألة أخرى. نريد أن يتم ذلك سريعاً، ولكن ألف عام لدى الله كساعة واحدة عندنا. يبدو لي أنه حتى تنتهي الحروب، وأشير بكلمة الحرب إلى كل أنواع العنف كذلك، لا بد من هذه الأحداث التاريخية:

لا بد أن تُهزم أمريكا وإنجلترا من دولٍ تبنت التجنيد الإجباري. نتيجة لذلك ستضطر أمريكا وإنجلترا إلى اللجوء إلى التجنيد الإجباري.

حينها فقط سيعود الناس إلى رشدهم.

١١ مايو.

تحسنت حالتي الصحية. وصل ميخايلوف ونيكولايف، أما الميريجكوفسكيان^(٢٠) فهما في الطريق. لم أكتب شيئاً طوال تلك

(٢٠) ميخايلوف ميريجكوفسكي هو مدرس رسم وبمناوبة ابن روجي لتولستوي. نيكولايف ميريجكوفسكي هو تلميذ لهنري جورج وقد ترجم أعماله إلى الروسية (راجع الأجزاء السابقة).

الفترة. وصلني رجل إنجليزي وبصحبه خطاب إليّ من تشير تكوف. حالتي الروحية جيدة.

١ - إيليا فاسيليفيتش الخادم في حالة معنوية سيئة بسبب العيد والنزهات وما إلى ذلك. قبل أن أتمكن من التراجع، وجدنتي قد أصبت بعدواه وأصبحت في حالة مزاجية سيئة. واحدة من أهم قواعد الحياة هي: لا تتشاءب عندما ترى الآخرين يتشاءبون. لا تخضع لأي إيهاء لم تفحص كُنْهه. لا تسلّم نفسك لأي إيهاء إلا ذلك الذي تدرك أنه يجرك للخير. سلّم نفسك للإيهاء الصادر عن المسيح وماركوس أوريليوس، ولا تسلّم نفسك لإيهاء موباسان... إلخ. لا تنس أنك أيضًا تُوحي للآخرين بأمر عديدة.

٢ - بينما كنت أتنزه بالأمس فكرت في الآتي: حياتي التي أدركها كحياة واحدة دائماً هي أمر لا شك فيه. إن لم يكن ثمة توسيع للوعي - فكلّمة توسيع لا تروق لي - فثمة عملية استجلاء للوعي حيث يكون في البداية معتمًا ثم يستنير. بتحقيق درجة سامية من التوسع والجلاء؛ أي عندما أعي في نفسي كائنات أخرى، أو حتى جميعها، يتلاشى كل شيء ويحل الموت. لكن بموجب هذا الوعي أرى وأعرف وأعيش داخل بشر وكائنات أخرى بهذا الوعي المحدود، وهذه الكائنات بدورها تحدّ وعيي وتتواصل معه. يحدث الأمر ذاته في كافة الكائنات: يستجلون وعيهم ويزيدونه بينما يعيشون، ثم يتم القضاء على هذه الزيادة بالموت. الحياة إذن استجلاء للوجود الحقيقي غير المحدود؛ أي استجلاء للوجود الحي في أشكال لا نهائية من الوعي المحدود، والتي تتمثل لنا في صورة

كائنات مادية متحركة كما هو الحال معنا أيضًا. هذه الأشكال التي تولد وتزول من الوعي هي بمثابة أنفاس الله. حياتنا أنفاس لله. هذا التشبيه ليس دقيقًا بالطبع، لكن تشبيه خلايا الجسد سيكون أدق. كل خلية تعيش وتموت، بينما تخدم الجسد كله. حتى يزداد التشبيه دقة علينا أن نضيف أن كل خلية في جسد الإنسان تدرك أن لها مصدرًا واحدًا، وأظن أن الخلايا في بقية الكائنات لا تدرك ذلك بوضوح.

تنبع التعاليم الأخلاقية لكافة الأديان من هذا الفهم للحياة: الإنسان روح، ابن الله، أخ لكافة الكائنات، مدعو لخدمة كافة الكائنات وخدمة الكيان الكلي. يا للجمال! يتضح ذلك على نحو خاص في النظرة إلى الحياة التي تفرض واجبًا أخلاقيًا لا يقضي بالحرص على حياة كافة الكائنات الحية وحسب، بل بخدمة الحياة بشكل عام. كل حياة هي بمثابة تجلٍّ لله. القضاء على أي حياة يعني تدمير عضو يخدم الله معي ويخدمني أنا شخصيًا.

٢٠ مايو.

انخرطت في الأيام الأخيرة في كتابة مقدمة لمقالة تشيرتكوف^(٢١) وأضفت قليلًا لمقالتي «عن الحرب». قبل ذلك لم أفعل شيئًا ليومين. حالتي الصحية لا بأس بها، رغم أنني أشعر بسرعة اقترابي من العبور (يقصد الموت).

١ - أشعر وأعي أحيانًا بوضوح تام عرضية هذا العالم وتلك الحياة.

(٢١) مقالة بعنوان (عن الثورة - ثورة عنيفة أم تحرر مسيحي؟).

لا تمثل هذه الحياة كل شيء، وفي الآن ذاته ليست لا شيء؛ إنها جزء من الكيان الكلي.

٢- تنزهت على متن الجواد في الطريق المليء بأشجار البتولا الصغيرة التي زُرعت لتوها وأشجار البتولا الأخرى التي تبلغ أربعين عامًا وتصورت بحياة شديدة كيف ستهرم أشجار البتولا الصغيرة بعد مرور أربعين عامًا، وكيف ستحل أشجار بتولا صغيرة محل تلك الموجودة منذ أربعين عامًا. تجعلني هذه الفكرة أخشى تلك الشكوك الغبية، لكنني أقول لنفسني: على أي حال تبدو لي هذه الفكرة كالفكرة التي أثارها سقوط التفاحة عند نيوتن. قلت في نفسي: ماذا يعني أنني أعرف ما سيحدث بعد أربعين عامًا أو خلال دقيقة واحدة أو بعد مرور مائة عام؟ ربما يعني ذلك أن لا شيء بإمكانه أن يحول دون حدوث ذلك. هل يمكنني أن أعرف ماذا سوف يحدث بعد ألف أو مليون عام؟ ماذا يعني ذلك؟ يعني أن لديّ عقلاً يمكنه أن يتنبأ بالمستقبل ويزيل قيود الزمن. الزمان موجود بالنسبة لجسدي وحسب، أما بالنسبة لعقلي تزداد الأمور جلاء تدريجيًا. زيادة جلاء الأمور هي ما أدعوه «الحاضر»، لكنه في الحقيقة ليس كذلك. إنه مجرد نقطة اتصال، وثمة نقطة أقل منه وضوحًا أسميها «الماضي» وأخرى أقل وضوحًا أسميها «المستقبل». الأكثر وضوحًا إذن هو الماضي الأقرب إلى الحاضر، والأقل وضوحًا هو المستقبل، لكنه يزداد وضوحًا كلما اقترب من الحاضر.

إدراك النفس في جسد وأجساد الآخرين هو إدراك النفس في الماضي، أما المستقبل فهو إدراك المرء لكيانه الروحي. إدراك المرء

داخل حدود جسده هو الأكثر وضوحًا، أما وعيه بالكائنات التي تتصل به فهو أقل وضوحًا، أما إدراك النفس في الكائنات التي ندرك وجودها بالعقل وحسب فهو أقل وضوحًا من كل ما سبق. يدرك الكائن الروحي نفسه في كيانه الجسدي بتجربته الداخلية، ويدرك نفسه في الكائنات التي يتصل بها عن طريق حواسه، أما إدراكه لنفسه في بقية الكائنات فيدركه بالتخيل. في كافة تجلياته ثمة أيضًا كائن روحي نسميه «العقل».

٢١ مايو.

أرسلت المقدمة^(٢٢). حالتي الصحية جيدة، لكنني أشعر بالضعف. تحدثت بالأمس مع بريس^(٢٣) عن حرية الإرادة، وبفضله اتضح لي الكثير، أقصد تحديدًا الآتي:

١ - فكرت وقلت: لا حرية في المجال الجسدي بل في الروحي، كما أن في مقدور الإنسان الانتقال من هذا المجال لذاك. فكرت وقلت أيضًا: إن بمقدور الإنسان الانتقال من مجال متدنٍّ إلى آخر أسمى منه والعكس. هذا غير صحيح. لا يمكن للإنسان أن ينتقل طوعًا من مجال إلى آخر، لكنه ينتقل دائمًا من درجة متدنية للوعي إلى أخرى أسمى منها، وفي هذا تلخص الحياة. لا يتم الانتقال طوعًا، بل يتم وفقًا لقوانين الحياة. ينجم وهم حيازة الحرية عن حقيقة أن الانتقال الدائم للإنسان من مرحلة متدنية للوعي إلى أخرى أسمى يجعله يشعر بالحرية أكثر فأكثر. في مرحلة متدنية من الوعي، حينما يدرك الإنسان انفصاله عن الكيان

(٢٢) لمقالة تشير تكوف.

(٢٣) الإنجليزي الذي جاء إلى تولستوي بخطاب من تشير تكوف.

الكلبي وحسب، ويدرك نفسه كائنًا جسديًا، يختبر أكبر قدر من غياب الحرية. بارتفاعه إلى مستوى أسمى يزداد شعوره بحريته أكثر فأكثر. وبإدراكه لنفسه كأحد تجليات الله يشعر أنه حر تمامًا. بانتقاله من كل درجة وعي متدنية إلى درجة أخرى أسمى منها طبقًا لقانون الحياة، يشعر الإنسان أنه يزداد حرية أكثر فأكثر؛ أي تدفعه رغبته المجبولة بداخله على السعي صوب الخير إلى أن يظن أنه حر، وأنه هو من اختار هذه الحرية وهذا الخير. إن طفا إنسان فوق مياه النهر دون أن يلاحظ حرته، ووجد أنه تحرك صوب الضفة التي كان يريد أن يبحر صوبها، من الطبيعي تمامًا أن يظن أن الزورق الذي يبحر على متنه لم يتحرك من تلقاء نفسه صوب الاتجاه الصحيح، بل هو الذي وجَّهه ليقرب من وجهته المنشودة. يمكن لوهمه هذا أن يزول تمامًا إن اقترب من بقعة لم يكن يريد بها. هذا ما يحدث بالضبط مع حركة الحياة التي تجذب الإنسان من درجة وعي أدنى إلى أخرى أسمى، ومن قدر ضئيل من الحرية إلى قدر أكبر، فيظن الإنسان أنه نشاط حر من قبله. تتهدم أركان هذا الوهم ما إن يرتكب الإنسان فعلًا يستثير بداخله درجة متدنية من الوعي، في الوقت الذي كان قد بدأ يشعر فيه بتجليّ درجة سامية من الوعي بداخله. لا يظهر التساؤل عن حرية الإرادة إلا في أوقات الانتقال من درجة متدنية من الوعي إلى أخرى سامية، لكن هذه العملية تحدث طوال الوقت. لا أحد بإمكانه أن يقول أبدًا إن الإنسان يختار طوعًا السيئ بدلًا من الجيد، لكن يُقال عادة أثناء إدانة شخص ما إنه كان بإمكانه أن يختار الجيد بدلًا من السيئ. يعود ذلك إلى أن ثمة عملية انتقال تحدث دائمًا في جميع البشر من درجة

متدنية من الوعي إلى أخرى أسمى، وفي هذا تلخص الحياة، بينما يبدو لنا عندما تندلع حرب بين الوعي المتدني والسامي بداخلنا أننا نحن من نقوم طوعاً بهذا أو ذاك من الأفعال. نشعر أننا أحرار، لكننا لسنا كذلك.

٢- كم هو أمر جيد أن يتيقن المرء من أنه ليس حرّاً، بل أداة في يد الله!

لا مجال للخيلاء أو الرضى عن النفس إذن، ولا حتى لعزو أي شيء جيد إلى لانفس ولا اعتراف بأفضلية شخص عن الآخر، والأهم من كل ذلك أنه لا مجال لإدانة الآخرين.

إن اعترفنا بحرية الإرادة سنواجه خطرين: الخيلاء والكبرياء من جهة، والإدانة وعدم احتمال الآخرين من جانب آخر. إن نفينا حرية الإرادة سنواجه كذلك خطرين: الشعور باللا مبالاة صوب نشاطنا الروحي والجبرية من جانب، والجمود الأخلاقي من جانب آخر. لكن لا يمكن أن تكون الحقيقة مضرّة. الاختيار الأول يُرضي كافة متطلبات الروح. إنهم يخشون الجمود الأخلاقي، ولكن بغض النظر عن حقيقة أن الجهود الأخلاقية كما اختبارها كل إنسان تبدو دائماً عاجزة، ما النشاط الأخلاقي الذي يمكن أن يكون أكثر قوة من الإيمان بالله وأن ينكر المرء إرادته ويسلم نفسه تماماً لإرادة الله؟

إن كان بداخل الإنسان ما يشبه حرية الإرادة والسعي الواعي صوب الخير، فهو أمر واحد؛ ألا وهو الوعي بأن حركة انتقال وعي الإنسان من درجة دنيا إلى أخرى أسمى هي قانون حياة الإنسان وخيره. ولكن الوعي بقانون الحياة لا يتعلق بتدعيم جهود شخصية بعينها، بل هو نتيجة لنشاط

الناس المشترك الذي ينتج بدوره عن قانون الحياة الذي يقضي بانتقال البشرية كلها إلى درجة أسمى من الوعي.

٣- تحدثت أيضًا مع بريجس عن الفردانية وعن إمكانية بقاء الشخصية بعد الموت. يستحيل إنكار إمكانية وجود حياة شخصية بعد الموت. لكن إن بقيت فعلاً بعد الموت فلا بد أنها سوف ترتبط بحياتنا الآنية، كما ترتبط حياتنا الآنية بحياتنا السابقة التي لا نعرف عنها شيئاً.

٢٣ مايو.

أنا بصحة جيدة. عليّ أن أكتب الآتي:

١- عندما يكون الإنسان في مرحلة متدنية يخضع لنفسه وحسب، ولا يخضع للناس ولا لله؛ لا يخضع لقانون الكيان الكلي. في مرحلة أسمى قليلاً يخضع للناس؛ أي يُخضع إرادته للقوانين البشرية، لكنه لا يخضع نفسه لله. في مرحلة أسمى من الأخيرة يخضع لله وقانونه ويُخضع إرادته لمتطلبات الناس.

٢- التواضع أمام الناس خاصية متدنية حينما لا يكون الإنسان خاضعاً لنفسه ولله. التواضع أمام الله خاصية سامية؛ لأن بالخضوع لله يترفع الإنسان عن متطلبات شخصيته والناس.

٢٤ مايو.

لا أكتب شيئاً. حالتي الصحية جيدة. صوفيا مريضة ببعض الآلام العصبية. فكرت في الآتي:

١- لم يتوقف الأمر على أن طوال الفترة الأخيرة لم يضعف بداخلي

الوعي باتحادي بالله، لكنه ازداد قوة كما أنه يساعدني على العيش وعلى أن أقوم بسهولة بما كنتُ أجد صعوبةً في تنفيذه سابقاً. أخشى أن أخطئ، لكن يبدو لي أنني بدأت الانتقال إلى مرحلة جديدة من الوعي؛ ألا وهي الحياة في الله وبالله. أبدأ الآن في الشعور بإمكانية وطبيعة هذه الحالة. صحيح أنني لا أزال أشعر بالتقلقل، لكنني قادر على الثبات. ذلك الوضع يشبه بشدة حينما يبدأ الطفل الذي يحب باستمرار في تعلم السير والحفاظ على توازنه. بمرور الوقت يصبح السير أسهل عليه من الحبو. بدأت أشعر بذلك تحديداً، وهو أمر يسرني جداً. يُقال: ما الهدف من فترة الشيخوخة؟ إنها فترة سيئة. لا تتوقف الحركة صوب الخير، وكلما طالت ازداد الخير ثباتاً و يقيناً.

٢- السمة الرئيسة للحياة في الله هي غياب الاهتمام تماماً بآراء الناس. يصعب عليك أن تعتاد ذلك؛ لأنك تنتقل من الحياة في الله ومن أجله إلى الحياة في الناس ومن أجلهم. ما يشير إلى أنك تحيا من أجل الله هو أنك لا تبالي بأحكام الناس وألا يكون لها تأثير عليك. حمداً لله، لقد بدأت فعلاً في اختبار ذلك، كما يبدأ الطفل في السير لأول مرة.

٣- لا شك أن الناس جميعاً لا بد وأن يمروا بمراحل تطور الوعي الثلاثة. الأولى: عندما تستقبل القوة الإلهية بداخلك ككائن منفصل، حينها لا ترى رابطة تربطك بالجوهر اللا نهائي. الثانية: عندما ترى أن الروح هي أساس حياتك، لكن تظل على قناعتك بانفصالك، وتعتقد أنك كيان منفصل، بروح محصورة داخل جسد. الثالثة: عندما تدرك نفسك كتجلٍّ محدود لله؛ أي أنك وحدك موجود، خارج نطاق الزمان

والمكان. لذا لدينا ثلاثة أنواع من الحياة: الحياة من أجل النفس - الحياة من أجل الناس - الحياة من أجل الله. يؤدي سوء الفهم بشأن ذلك إلى ظهور مجادلات وخلافات وأخطاء وإدانات. في المرحلة الأولى يكون الإنسان كالرضيع، لا يمكنه أن يتذكر الآخرين ويكبح جماح نفسه. أما الإنسان الذي يعيش من أجل الناس، لن يفهم الحجب المتعلقة بضرورة أن يعيش من أجل الله، حتى وإن كانت متطلبات الناس لا تتفق مع العيش من أجل الله. هذا منبع كافة الخلافات والإدانات. عليك بشكل عام أن تساعد أخاك على الارتقاء إلى مستوى أعلى من الوعي، لكن لا تطالبه بالانفاق مع حجب في مستوى لم يصل إليه بعد.

٤- نعم، البشر ليسوا أحرارًا، لكنهم جميعًا يمضون صوب الحرية؛ صوب الوعي الأسمى، ويزداد اقترابهم في هذه الحياة. لذا لا يمكنني من تلقاء نفسي أن أرتفع إلى درجة أسمى من الوعي، ولكن بالتحاقى بدرجة معينة من الوعي يمكنني ويجب عليّ أن -أو بالأحرى لا يمكنني إلا أن- أحث عملية استجلاء الوعي في نفسي والآخرين. بالإضافة إلى الوعي الشخصي ثمة وعي مشترك «الدين - الحكمة» ويمكنني، بل ويجب عليّ، أن أستحثه، ومن شأنه أن يؤثر عليّ وعلى الآخرين. هكذا لا يتم التقدم طوعًا من قبل إنسان بمفرده، بل من قبل الإنسانية جمعاء -وهو بالطبع لا يتم طوعًا- بما فيها كل إنسان منفصل.

أقرأ طوال الوقت عن الديسمبريين ونيكولاى الأول. بدا لي ذلك ضروريًا للغاية.

بالأمس كتبت في «الإلهي والبشري». حالتني الصحية بخير.

١ - عليك بالسعي إلى خير الآخرين حتى تنال خيرك. أفضل طريقة تستطيع بها أن تخدم نفسك - وهي الوحيدة كذلك - هي أن تخدم الناس، فحينها ستنال الخير الأعظم في العالم، ألا وهو حب الناس. إن أردت أن تحقق خير الناس وأن تخدمهم عليك بخدمة الله؛ ألا تجعل خير الناس هو هدفك، بل تحقيق إرادة الله - وإرادة الله هي خير الناس - وبذلك تحقق خيرك وخير الناس. هذا قانون ثابت، تعلمه الحياة للإنسان تدريجيًا.

٢ - لا يمكن للإنسان في المرحلة الدنيا من الوعي الشخصي أن يتحرك صوب تحقيق متطلبات وعي أسمى مشترك. كذلك لا يمكن للإنسان الواقف في مرحلة الوعي المشترك أن يسعى نحو تحقيق متطلبات وعي ديني أسمى. لكن هذا لا يعني أن متطلبات الوعي المشترك أو الديني لا بد أن تبدو غريبة على أولئك الموجودين في مرحلة دنيا كالأطفال والحمقى. لو كان الأمر كذلك، لمضى بعيدًا أولئك الذين يعيشون في مراحل دنيا من الوعي، مستسلمين لغرائزهم، ولصعب عليهم الانتقال إلى مرحلة أسمى من مرحلتهم. هنا تظهر حاجتنا إلى الإيحاء على نحو اجتماعي وديني ليؤتي بنفعه مع أولئك الذين يقفون في مراحل دنيا من الوعي.

٢٨ مايو.

انخرطت طوال الوقت في العمل على «الإلهي والبشري». اضطربت
حالتي الصحية بالأمس. لا يزال وعيي بأني تجلّ لله عاملاً بداخلي. حتى
إن سقطت، أقوم.

١ - من سمات حياة الوعي الأسمى أنه يستحيل فيها أن تمتدح نفسك
وترضى عنها. يمكنك أن تؤنبها وحسب عندما لا تقوم بالأمر الصائب.
أما عندما تقوم بما هو واجب، سيقصر الأمر على أنك لن تشعر بالدناءة،
كعامل يمر سيده عليه ليفحص عمله.

٣٠ مايو.

مرضت أول أمس؛ عاودتني آلام الكبد، لكني اليوم أفضل كثيرًا.
أضفت قليلًا إلى «الإلهي والبشري». يبدو أنه لا بأس بها. بالنسبة لمقالاتي
«حجر الزاوية» أو «عن الدين»، قررت أن أستبعد ما كتبت فيه بالفعل وأن
أبدأ مجددًا. بالأمس فكرت في ذلك، ولكن للأسف لم أدوّن ما كتبت
وبالتالي فقدت الأفكار أهميتها. فكرت في الآتي:

١ - لا أهمية لكافة الأبحاث العلمية التي تفتقد أساسًا دينيًا. لا
يكون عقل الإنسان مثمرًا إلا عندما يستند إلى ما يقدمه الدين. عندما
تحدد الأديان للناس أهدافًا معقولة، توجه سلوكياتهم طبقًا لأهمية تلك
الأهداف. أكثر الأفعال روعة ولطفًا وذكاءً يمكن أن يبدو مضرًا وغبيًا إن
لم يكن في مكانه الصحيح. الدين وحده هو الذي يحدد المكان الصحيح.
هو ما يرشدنا إلى من يجب علينا أن نكرس حياتنا من أجله. الدين وحده

هو الذي يمكنه أن يُقيّم الأفعال؛ لأنه يقوم بذلك طبقاً لقيمتها الداخلية.

عبرت عن الفكرة على نحو سيئ، لكن لا رغبة لي في الكتابة.

٢- بالأمس قرأت في كتابي: «الزمن والأبدية» - «السؤال الأبدى»^(٢٤). كلاهما جيد. تدور أفكارهما عن الزمن وفلسفة الروح.

٢ يونيو.

بالأمس كتبت بعض الخطابات، ولا أشعر بالرغبة في مواصلة أي عمل. ودّعت بريجز. إنه رفيق ذكي. جاء جييجيدي (كاتب روسي). مضت زيارته عبثاً. تحسنت حالتي الصحية قليلاً. الحرب وتجنيد الجنود الإلزامي يعذباني. فكّرت في الآتي:

١- الإنسان البالغ الذي يفتقر إلى منظور ديني للعالم، وليس لديه إيمان هو إنسان كسيح روحياً وأخلاقياً. ربما يفعل ما يفعله الإنسان الطبيعي، ويمكنه أن يعيش بفضل أدوات زائفة من قبيل: اللهو والفن والشهوة والطموح والشره والفضول والعلم. إنه كالكسيح، دائماً تحت سلطان الجميع، يمكنك أن تفعل معه ما تشاء. هذا هو وضع الإنجليجيتسيا^(٢٥) الروسية والأوروبية والأمريكية. هذه الطبقة الكسيحة لا تؤمن بشيء، ولا يمكنها فعل شيء سوى بعض الهراء، لكنها تدرك جيداً أن عليها أن تواصل العيش. لا يمكنها أن تعيش إلا على عمل الآخرين. لكن ليس بإمكانها أن تُجبر أحداً على إطعامها وتدعيمها إلا إن

(٢٤) كتابان للصحفي الإنجليزي: تشارلز ألن كلارك.

(٢٥) طبقة الإنجليجيتسيا هي باختصار طبقة المثقفين التي تلعب دوراً مباشراً في تشكيل وتوجيه الفكر الاجتماعي والثقافي والسياسي.

كان بلا دين هو الآخر، بالتالي تُوجَّه كافة قواها إما لتحريف إيمان الناس وإما لحرمانهم منه من الأساس. أول المشغولين بذلك هم رجال الدين، يليهم المتخصصون بالعلم والأدب والفن.

٢- لنعرف ماذا علينا أن نفعل وما الذي علينا ألا نفعله، وترتيب قيامنا بهذه الأمور؛ درجة أهمية كل منها، علينا أن ندرك وظيفتنا. إن أدرك الإنسان أن وظيفته مثلاً هي الزراعة ورعاية الأرض، سيقوم بعمله في الأرض قبل أن يقوم بأي شيء آخر؛ سيحراث الأرض ويلقي البذور وما إلى ذلك، ولن يؤدي أي عمل آخر إلا إن لم يَعُق عمله الرئيس. علاوة على ذلك، أثناء انشغاله بعمله سيسترشد بالأكثر أهمية وضرورة لنجاح عمله. سيحراث أرضه في الربيع ويُلقي بذاره، ولن يشغل حينها بجمع السماد أو البناء... إلخ. هكذا يتضح لنا أن الإنسان لن يكون بإمكانه القيام بأي نشاط إن لم يدرك وظيفته. هكذا هو الأمر مع الأنشطة المختلفة التي يختار الإنسان القيام بها في حياته. ينطبق ذلك على حياة كل إنسان. إن أراد أن يعيش حياة عقلانية ويعرف أكثر الأمور أهمية فيها وترتيب القيام بها ويختار من بين الأفعال المتعددة وكيف يتصرف عندما يلوح أمامه في نفس الوقت احتياجاً آخر ملحاً، وكيف يحل مشكلة المتطلبات المتناقضة التي تمتلئ بها حياة الجميع، من الضروري أن يدرك أولاً وظيفته الإنسانية قبل أن يهتم بمعرفة وظيفته الخاصة مثل: مزارع - نجار - كاتب. هذا النوع من الإدراك هو ما يطلق عليه الناس عادة: «إيمان - دين».

يبدو أن بإمكانني البدء بما كتبه الآن.

٣- الزمان يُشكل حدًّا يحجب عنا توسعنا ونموننا، وبالتالي يمنحنا وهمًا بالنشاط الذاتي والحرية. بقدر ما أُوسَّع مجال وعيي أتمكن من أعيه... نعم، أعي وعيي، ويبدو لي أنني أفعل ذلك بنفسني بسبب انكشاف وعيي لي.

٤ يونيو.

لم أكتب لعدة أيام. صحتي ليست بخير. لا يتوقف شعوري بالمعاناة من الحرب واستدعاء قوات الاحتياط. حاولت بالأمس أن أكتب ذكرياتي لكنني لم أستطع. فكَّرت في الآتي:

١- الزمان والمكان حدَّان يحيطان بالإنسان من الجانبين، (أأقول من الجانبين؟)، ويجعلانه كائنًا منفصلاً. يمنحنا الزمان مفهوماً عن نمو الأشياء ونموننا نحن شخصياً، أما المكان فيمنحنا مفهوماً عن تنوع وتعدد الأشياء.

يمنحنا المكان تصوراً عن انفصالنا المادي، بمعزل عن النمو، بينما يمنحنا الزمان تصوراً عن النمو والانفصال المادي المدمر.

لم أستطع التعبير مجدداً على نحو جيد. هراء، رغم أن الفكرة بدت لي واضحة وسليمة.

٢- الحرب نتاج الاستبداد. لولا الاستبداد لما قامت حرب. ربما تقاتل الناس، ولكن لم يكن بالإمكان أبداً أن تنشب الحروب لولا الاستبداد. الاستبداد يُنتج الحرب، وتعود الحرب لتدعمه. أولئك الذين يريدون مناضلة الحرب عليهم بمناضلة الاستبداد.

٥ يونيو.

يدهشني أنني بخير صحيحاً ورغم ذلك ليست لدي رغبة في الكتابة، ولا أستطيع القيام بذلك. بالأمس كتبت خطاباً سيئاً حاداً لماشا، والآن أشعر بالأسف. بدأت كتابة بعض الذكريات لكنني لم أنجح. أفكر طوال الوقت في المكان والزمان. بالأمس فكّرت في الآتي:

١ - ما يحجب عني وحدثني مع الكيان الكلي هي عدم قدرتي على إدراك نفسي إلا بصورة مادية داخل إطار المكان، متحرّكاً داخل إطار الزمان.

اليوم أفكر في التعبير عن الفكرة على النحو الآتي:

٢ - أعني جيداً أنني لا أتجزأ من الكيان الكلي، ورغم ذلك أشعر أنني منفصل عنه.

لم أستطع التعبير عن الفكرة مجدداً.

٦ يونيو.

بالأمس كتبت كثيراً في مقالتي «حجر الزاوية» ومرضت قليلاً.

بالأمس كتب سوفورين (صحفي روسي) في الصحيفة: تتساقط طيور مالك الحزين من على أشجار البلوط. سخرت بدرجة أو بأخرى من جهله وتبين لي في النهاية أنني أنا الجاهل. كان لذلك تأثير جيد عليّ. كم يحلو الصمت وكم يسهل ذلك!

زوجات الجنود التعيسات المهجورات يتجولن هنا وهناك بلا

هدف. أقرأ الصحف، ويبدو كما لو أن كل هذه المعارك والمعايير الموضوعية أصبحت شديدة الصلابة حتى إن مقاومتها لم تعد مجدية. وأحياناً أفكر في أنني أخطأت بكتابتي هذه المقالة، فهي لم تفعل شيئاً سوى إثارة العداء. لكنني أنظر حينها إلى وجوه الناس وزوجات الجنود وآسف أنني لم أكتب سوى القليل وبضعف.

كما لو أن وعيي بالحياة كمشاركة في الألوهية قد انجلى لي. لا أريد أن أترك نفسي للضعف. أجدد وعيي. رغم ذلك أظن أن كل استجلاء لجانب من الحقيقة أقوم به لنفسي يترك أثره. علاوة على ذلك أريد أن أحيأ بوعي باتحادي بالكيان الكلي غير المحدود.

لا أزال أفكر طوال الوقت في المكان والزمان. وصلت إلى الآتي:

١ - المادة داخل إطار المكان هي ما تحدني وتفصلني عن الجميع. سواء وعيت نفسي كبير الحجم مقارنة ببرغوث، أو وعيت نفسي ضئيلاً مقارنة بجبل، فما أسميه نفسي ليست إلا كياناً لا متناهي الضلالة يعي حدوده بالمادة. الحركة في الزمان، أي علاقة حركة ما أدعوه «نفسي» بحركة كافة الكائنات الأخرى هي ما تربطني بكل ما هو موجود.

كل ذلك مكتوب بشكل سيئ وغير واضح.

٨ يونيو.

فوتُ يوماً. ساءت حالتي الصحية بسبب الكبد مجدداً. لا أستطيع التفكير، لكنني في حالة جيدة روحياً. لم أستطع أن أفكر بشتات. عندما تعاودني قواي سأكتب عن الآتي تحديداً:

لا أستطيع إدراك كياني الأبدي اللانهائي إلا في صورة مادة تتحرك،
مقيّدًا بالمادة التي تتحرك خارج كياني.

٩ يونيو.

أنا في حالة ضعف روحي، وهو أمر جيد. لا أزال أدرك نفسي
الحقيقية والحمد لله. ذهبت بالأمس إلى تولا. لا أكتب شيئًا. جاءني
الكثير من الزوار. أفكار للتدوين:

١ - تمشيت بالصباح وصليت، وشعرت بوضوح جلي بإمكانية
الحياة دون انتظار مكافأة (فلم يحدث أبدًا أن خشيت العقاب)، بل أن
يحيا المرء ليقوم بعمله وحسب. الأمر كدور الخلية في الجسد. إنها لا
تنتظر مكافأة على أفعالها ولا تبغي شيئًا سوى القيام بعملها. أرى في ذلك
تفسيرًا لكل شيء؛ البداية والنهاية. هذا هو إنكار الذات الضروري من
أجل عيش حياة صالحة. يُسهّل هذا المبدأ الموجه للحياة الأمر كثيرًا
حيث يحطم العنف الذي تفرضه العقائد المختلفة على النفس. مثال:
يطلب الكثيرون مني مالا: ضحايا الحرائق والمتسولون ومجالس العمال
والذين تم استدعاؤهم للتجنيد. أنهكت ولا أستطيع الوفاء بمتطلبات
الجميع. سأتعذب إن استرشدت بالقاعدة التي مفادها أنني يجب أن
أساعد... إلخ. لكن ما إن أعني أنني أعيش من أجل أن أقوم بعملتي وحسب
كخلية في الجسد، حتى يعاودني هدوئي وأقوم بسرور بما يناسب عملي،
لا أكثر ولا أقل، ومن دون انزعاج.

٢ - انتظار المكافأة في المستقبل يماثل أن يحيا المرء على نحو سيئ
الآن وكله أمل. المكافأة ليست مكافأة، بل هي السرور، وهو موجود

دائمًا. عِش به. عندما تحيا بوعيك الحقيقي؛ أي عندما تحيا خارج نطاق الزمان، في اللحظة الآنية دائمًا، تكون حرًا في تلك اللحظة تحديدًا. حينها سيصبح كل شيء على ما يرام إلى الأبد.

١٠ يونيو.

اليوم أشعر بمزيد من الحيوية. فكّرت صباحًا على نحو جيد. بالأمس قرأت في «الكلمة الحرة» مقتطفًا رائعًا من خطاب بوبوف^(٢٦). لم أكتب شيئًا. تنزهت في الغابات على متن الجواد، وفكّرت على نحو رائع. أفكار للتدوين:

١ - الوعي الكامن بداخلنا؛ بل جوهر الحياة اللا زماني واللا مكاني الذي نعيه، ثابت وغير جسدي، لا زماني ولا مكاني. إنه وحده الموجود دائمًا، وحياتنا تكمن في زيادة وعينا به قوة وامتلاء تدريجيًا. معرفتنا هي التي تزداد لأنه ثابت، تحجبه عنا حدود تخفُّ تدريجيًا. الأمر يشبه سحابة كثيفة مظلمة يصلنا عبرها ضوء الشمس بصعوبة، ثم تتحرك السحابة فينكشف لنا ضوء الشمس أكثر فأكثر، حتى تنكشف الشمس نفسها تمامًا. هكذا هو الأمر في حياتنا. هذا منشأ كل حركة في الحياة. يبدو لنا أننا نتحرك، لكن في الحقيقة ما يتحرك هو ما يحجب عنا جوهرنا الحقيقي.

٢ - يبدو أن لا وجود للزمن بالنسبة للحياة الحقيقية، بل إنه موجود من أجل تلك الأفعال التي نرتكبها تحت غطاء «السحابة» التي

(٢٦) معلم ومترجم ومعاون لتولستوي في عمله، كان يحيا في ذلك الوقت بصحبة تشيرتكوف بآنجلترا.

تحجب عنا حياتنا الحقيقية. أما تلك الأفعال، فعليها أن تتسق مع الزمن والمستقبل والتصورات المكانية المادية. جميع هذه الأفعال إلزامية، لكننا نبدو لأنفسنا أحرارًا وحسب. جميع هذه الأفعال بدءًا من ضربات القلب وانتهاءً بالاكتشافات العلمية أو الأعمال الإبداعية، إلزامية وتؤدي إلى ترقيق السحابة أو الحدود التي تحجب الحياة عنا. تتمثل الحرية في إدراك ألوهيتنا المتجلية في الحاضر؛ خارج نطاق الزمن.

٣- الحياة الحقيقية في الحاضر وحسب؛ خارج نطاق الزمن. عرفت ذلك منذ زمن بعيد، لكني لم أفهم الأمر كاملاً إلا الآن. يمكننا دائماً أن نتذكر ذلك في كل لحظة من لحظات الحياة، وننقل حياتنا إلى اللحظة الحاضرة؛ إلى مجال وعي الله. ما إن تقوم بذلك حتى يزول تماماً كل ما بإمكانه أن يكدر صفوك؛ ذكريات الماضي والندم وترقب المستقبل أو خشيته، وتجد نفسك قد تحليت بالهدوء والصلابة والسرور. هذا ما أختبره الآن. لا تظن أن هذا يدمر طاقة الحياة ويقودك صوب صلاة نسكية ذكية ولا تُقصر نظرك على طرف أنفك. على النقيض من ذلك، ما سبق يمنحك طاقة لا تُقارن بمثيلتها في الظروف العادية، ويُكسبك شعوراً بالاطمئنان والحرية والطيبة.

٤- عندما تتذكر أنك تحيا في الحاضر الآن وحسب؛ خارج الزمن، يستحيل أن تحزن أو تشعر بالكراهية. لا يمكنك حينها إلا أن تبتهج وتحب. عونك يا سيدي! عونك يا مَنْ أحاول إدراكه لأدرك نفسي دائماً، وإن استحال حدوث ذلك دائماً، فبقدر ما يمكنني.

٥- أطبّق هذا على حياتي الآن وعلى وعكات شيخوختي. أصبحت

هذه الوعكات بمثابة نعم. لديَّ مصدران للسرور في شيخوختي: جميع مباهج هذه الحياة من التفاعل مع العالم والطبيعة والحيوانات، والناس قبل كل ذلك والعمل والتفكير الإيجابي والسلبي واستيعاب أفكار الغير. المصدر الآخر هي بهجة الوعي باقتراب عبوري إلى شكل جديد من أشكال الحياة، ويتمثل ذلك في وعكاتي الصحية.

١١ يونيو.

بالأمس دَوَّنت يومياتي وكتبت بضعة خطابات وحسب. تحسنت حالتي الصحية لكنني لا أزال في حالة وهن فكري. تنزهت على متن الجواد. أتذكر طوال الوقت لا أعرف كيف أعبر عن الأمر بإيجاز ووضوح... أتذكر طوال الوقت حياتي الحقيقية وكيف أنها في الحاضر وحسب. يمضي الأمر على نحو جيد جدًّا. يلزم المرء أن يتذكر ذلك، وسرعان ما يتوقف كل ما يزعجه ويكدره ويحزنه؛ فيجد نفسه مسرورًا. ساشا^(٢٧) تسير بلا قلق. لست مالك هذه الحياة، فليحدث إذن ما يحدث. أغضب بسبب أختومسكي (صحفي وشاعر)؛ لأنه يكتب بحماقة، ومن الواضح أنه لا يدرك ذلك. من الواضح أنني مجددًا لا أعيش في الحاضر.

١ - من شأن الوعي بالحياة الحقيقية وحده أن يحسم ثلاث مسائل غير محسومة: الجبرية والحتمية - حرية الإرادة - الأنانية. تتلخص مسألة الجبرية في الآتي: إن كان كل شيء مقدَّرًا سلفًا، فليس لديَّ ما أفعله أو أعيش لأجله. الإجابة: كل شيء مقدَّر عدا تلك الحياة التي

(٢٧) رحلة سير قامت بها ساشا بحصبة أبنائها.

تتجلى في وعيك، فهي ما تحدد كل شيء. «الفكرة غير واضحة لكنها هكذا». تتلخص إشكالية حرية الإرادة في الآتي: كيف أكون حرًا بينما كل شيء مُقدَّر داخل نطاق الزمن؟ الإجابة: كل شيء مُقدَّر داخل نطاق الزمن لكنك أنت نفسك تتمتع بالحرية عندما تعيش في الحاضر؛ خارج نطاق الزمن. تتلخص مسألة الأنانية في أنها سيئة ولا أخلاقية، تضر بالحياة المشتركة، في الوقت الذي تعتبر فيه الأنانية أساس كل نشاط مهما حاولنا تجاهل هذه الحقيقة. الإجابة: إدراك «أناك» لا بد أن يكون محرِّكًا لكل شيء، ولكن إدراك أنك الحقيقية المتحدة بالله، لا أنك المخادعة، من شأنه أن يُنهي شخصيتك وحدودك التي أحاطت بك. لا يقتصر الأمر على أن إدراك أنك الإلهية ليس فيه شيء غير أخلاقي ولا يضرّك، بل إنه الفعل الأخلاقي الوحيد، وهو الذي يؤدي إلى الخير الحقيقي لكل الناس.

١٣ يونيو.

لا أزال في حالة من الوهن الفكري والضعف الصحي بسبب الكبد. بالأمس راجعت كتاب بوشين^(٢٨). أضفت إضافات بسيطة. سيئة! تنزهت على متن الجواد. تعاملت بشكل سيئ مع الضابط^(٢٩). لم أنس^(٣٠)، لكنني لم أستطع أن أتعامل معه بشكل مختلف. سأذهب إليه الآن. عليّ أن أدوّن أمرين: عن الله وعن إرساليتنا كبشر. أخشي أني اليوم

(٢٨) الجزء الأول الذي كتبه بوشين بيريوكوف عن حياة تولستوي.

(٢٩) أحد الضباط جاء لزيارة تولستوي في ياسنايا وكان من معارضي الحرب.

(٣٠) ربما يقصد أنه لم ينس أن يعيش في الحاضر، أو أنه يسلك أمام وجه الله وحسب.

لست في حالة مزاجية جيدة وربما يجعلني ذلك أكتب بشكل سيئ. ثمة فكرة أخرى جيدة فكرتُ فيها، لكنني نسيتهَا. ودَّعت أندريوشا (ابنه). من المدهش أنني لا أعرف لماذا أحبه! إن أحببت نفسي بأن السبب هو أنه مخلص أو أمين سأكون كاذبًا. كثيرًا ما يكون غير مخلص، وهو يبدو الآن كذلك، لكنني أشعر بالراحة والسرور معه وأحبه... لماذا؟

١- فكرت فيما يتعلق بالله، أن إلهنا - ناهيكم عن إله الكنيسة المثلث الأقانيم - الخالق أو إله الربوبيين قد تم تجسيمه على نحو مريع، نحن من ابتكرناه بسبب ضعفنا. الله هو الكائن الذي لا يمكنني فهمه، لا ذاك الذي يمكنني فهمه، والذي وجوده لا مفر منه بالنسبة لي، رغم أنني لا أستطيع معرفة شيء عنه سوى أنه موجود. إنه الكيان الموجود بداخلي إلى الأبد، غير المدرك. إنني أعني كيانًا خارج نطاق الزمان والمكان والسببية، لكن ليس لدي أي حق في أن أسميه «الله»، أي أن الله وجوهه خارج نطاق المادة والزمان والمكان والسببية. إنه الجوهر الأسمى الذي أنتمي إليه وحسب، لكن لا بد أن أساس هذا الجوهر مختلف تمامًا عني ولا يمكن إدراكه على الإطلاق. يُقال: «هذا أمر مريع؛ لأنك ستشعر بوحدة». نعم، هذا أمر مريع فعلاً إن عودت نفسك على فكرة أن لديك معينًا ووسيطًا. لكن هذا يماثل أن تستظل داخل كوخ بسيط من خطر قنبلة، أو الأسوأ من ذلك أن تحتمي من البرق تحت شجرة ضخمة^(٣١). لا وجود لله الذي أتصور أنني يمكنني أن أسأله شيئًا والذي يعتني بي ويكافئني أو يعاقبني، وفي الآن ذاته لست كائنًا ظهر في الوجود عرضًا

(٣١) لأن هذا يعرضك للصعق بسهولة.

بحسب رغبة كائن ما، بل إنني عضو في كيان الله. صحيح أنني لا أدركه، لكن انتمائي إليه معروف لي. ليس ذلك وحسب، بل إن اتحادي به يشكل قاعدة راسخة لحياتي.

كتبت على نحو سيئ. ربما سأعود إلى الفكرة في وقت لاحق.

٢- يقول باسكال في أحد المواضع إن المسيحي يماثل رجلاً في وضع مظلّم قاتم يكشف فجأة أصله الملكي. أما أنا كنت لأقول: الإنسان الذي توصل إلى وعيه بحياته الحقيقية يشبه إنساناً أُخرج من عزلته القروية إلى مدينة ضخمة حيث وجد كافة ملذات وإغواءات الحياة الغنية، وعاش بلا هدف حياة لهو تبذير لبعض الوقت ثم وصلته أخبار من السلطة التي أرسلته إلى المدينة مفادها أنه لم يُرسل إلى المدينة كي يلهو، بل كي يكون ممثلاً لهذه السلطة في المدينة وينفذ المهمة الموكلة إليه.

أهم ما في الأمر هو أن تسترجع إلى ذاكرتك، ثم تتذكر دائماً أنك لست سائحاً كسولاً ينشد المتعة، بل رسولاً من قبل سلطة عليا أوكلت إليك مهمة محددة.

شعرتُ بالضعف ولم أرغب في تدوين شيء، وبالتالي كتبت الفكرة على نحو سيئ، ولكن في المساء كنت في حالة جيدة، حيث شعرت بصفاء الذهن والقوة.

١٥ يونيو.

بالأمس لم أكتب سوى خطاب لمود. لا أزال في حالة معنوية سيئة لكنني أتحمّلها بسهولة، وكثيراً عندما أشعر بالحاجة إلى ذلك، أنذكر

إني موفد من قبل سلطة عليا. الحمد لله القريب الذي يحيا بداخلي.
كتبت لتوي خطابًا لمولوستفوا^(٣٢). دَوَّنت فكرتين؛ إحداهما خرقاء
والأخرى مهمة:

١ - الخرقاء - الرشوة: يحاولون القضاء على الرشوة، ويعتبرونها
عارًا، ويعتبرون أن الخزي يكتنف أولئك الذين يمتلكون أراضي،
وأولئك الذين يقرضون بالربا ويستغلون الخدمات العاملة لديهم
ويقاتلون ويذهبون إلى بيوت الدعارة. لماذا تُعتبر الرشوة أسوأ من كافة
تلك الأفعال السابقة؟ بالطبع ليست كذلك. الحكومة هي من تنظر إلى
الأمر على هذا النحو لأن الرشوة غير مربحة لها. كم هو خطأ تقييماتنا
لما هو صالح ولما هو شرير! نفس الأمر فيما يتعلق بالتعليم والتنوير.
يَسمون مَنْ لا يعرف نظرية داروين أو ماركس بالجهل، بينما مَنْ لا يعرف
كيف ومتى نزرع بذور القمح ولا يمكنه تمييز أنواع الأشجار عن بعضها
يصفونه بأنه شديد اللطف.

٢ - المهمة - شوبنهاور غير محق في قوله إننا نتعاطف مع صنوف
المعاناة الجسدية؛ لأننا متحدون. إن وحدتنا ليست جسدية، بل روحية.
كتب ناجيفين (كاتب روسي) عن سبب شعورنا بالشفقة على مقتل
الجنود والأسر الشاردة والمرضى المهملين. رغم كل شيء هذا ما يجب
أن يكون، وكل هذا للخير.

(٣٢) يليزافيتا مولوستفوا: ابنة تاجر ثري من معارف تولستوي. أرسلت إلى تولستوي خطابًا
تشكو فيه من عدم رضاها عن حياتها، وأجابها تولستوي بخطاب يوضح فيه كيف يجب أن
يسلك الأغنياء بحسب ضمائرهم.

نعم، هذا ما يجب أن يكون، وكل هذا للخير، وشعورنا بالأسف على مَنْ يعانون هو محض وهم. ليس ذلك تحد للوحدة بل هو نوع من أنواع التبعر الواعي. لا تعود معاناتنا إلى القتل من الجنود، بل إلى مَنْ يجروننا إلى هذه المجزرة. لا تعود معاناتنا إلى الأسرة الشاردة، بل إلى أولئك الذين شردوهم. لا تعود معاناتنا إلى المرضى المهملين، بل إلى الذين أمرضوهم وامتنعوا عن خدمتهم.

لقد اختبرت هذا الشعور حينما سجنوا بعض النشطاء السياسيين. انفجرت في البكاء وأخذ يجور يجوريتش^(٣٣) السجين يواسيني ويقول لي: إن السجن ليس بهذه الصعوبة التي أتصورها. أدركت حينها شعوري بوضوح وقلت له إني لا أشعر بالأسف عليه بل على أولئك الذين وضعوهم في هذا الموقف. الأمر دائماً هكذا: الذي يعاني أفضل حالاً من جالب هذه المعاناة».

١٨ يونيو.

صحتي ليست في أفضل حال. لا أكتب شيئاً. فكّرت في نفسي:

١- ألا أخدع نفسي بامتداح الفقر؟ رأيت ذلك في خطابي إلى مولوستوفوا. أرى ذلك في ساشا. إني آسف عليها. آسف عليهم، وأخشى ألا تكون لديهم عربة ووسائل نظافة وجياد ليمتطوها. ثمة تفسير ومبرر واحد؛ أني لا أحب الفقر، ولا يمكنني أن أحبه، خاصة عندما يصيب الآخرين، لكنني في نفس الوقت لا أحب أيضاً، بل أكره

(٣٣) يجور يجوروفيتش لازاريف: فلاح من سامارا وكان عضواً في حزب "الإرادة الشعبية" وتم القبض عليه وحُكم عليه بثلاث سنوات في سيبيريا.

بشدة، ملامح الشراء: ملكية الأراضي - البنوك - الفوائد، وليس بإمكانني إلا أن أكرهها. لقد اقترب مني الشيطان بخبث حتى إنني أرى بوضوح أمامي كافة الحرمانات التي يتسبب فيها الفقر ولا أرى تلك المظالم التي يُخلصنا منها. حُجِبَ كل ذلك، والغالبية تُقر به. إن طُرِحَ عليّ السؤال مباشرة، مهما تألمت بسبب ذلك سأختار الفقر. يجب أن نطرح المسألة بشكل مباشر ونحلها بنفس المباشرة.

٢- الموت والشيخوخة لا يبعثان الهلع أو الضيق في نفس ذاك الذي بعد أن أسس علاقته بالله وعاش بها أدرك جيدًا أن ما يشكل جوهره لا يموت، بل يتغير وحسب. مَنْ يعرف ذلك لا يهرم ويموت بيسر وحسب، بل إنه يؤمن به أيضًا ويعايشه حتى إن الشيخوخة والموت يجدانه يعمل دائمًا. كل إنسان يعرف أنه سيموت بيسر إن عرف لمن يعيش وما الهدف من حياته، وأنه بموته يحقق المهمة الموكلة إليه. هكذا يموت بيسر من يفجر نفسه أو يُقتل في ساحة المعركة. لا بد أن هذا ما حدث مع الشهداء وما زال، فبموتهم يخدمون قضيتهم وحياتهم بأكملها، بل وحياة العالم كله. ما أريد قوله هو أن هؤلاء الشهداء سعداء إلى حد أنهم يُحسدون، ولكن في الحقيقة ليس هناك ما يُحسدون من أجله؛ لأنه في مقدور الإنسان تحمل هذه الشهادة عبر الشيخوخة والموت، وأن يموت شاعرًا في لحظاته الأخيرة بالنعمة والمحبة والهدوء.

٢٠ يونيو.

تحسنت حالتي الصحية، لكنني غير قادر على العمل بثبات، ولا أشعر بالرغبة في ذلك من الأساس. علاوة على ذلك يأتيني كثير من الزوار: آل

سوخوتين وتانيا. أفكر في شيء ما وأنساه، لكن ثمة ما أتذكره:

١ - عندما تكون الأنانية جسدية فأنت في أسوأ حالاتك، وهي أكثر ما يجلب الضرر لصاحبها وللآخرين. أما إن كانت وعيًا بأنك الأسمى فإنها تشكل أسمى حالاتك والخير الأقصى لك وللآخرين. إن ركزت اهتمامك على نفسك الجسدية ستجد نفسك في مواجهة مصاعب وبلايا لا تُقهر، ولكن يلزمك فقط أن تولي عنايتك بنفسك الروحية، وحينها ستجد كل شيء يسيرًا، وتجد خيرك كله.

٢ - كلما طالَّت حياتك، قلَّ الزمان والمكان المتاحان لك. يدرك الجميع ذلك فيما يتعلق بالزمان، لكن مَنْ يدرك ذلك فيما يتعلق بالمكان هم أقل عددًا. لم أدرك ذلك إلا الآن. يبدو كل شيء لي أقل فأقل، حتى إن العالم يبدو لي مزدحمًا.

٣ - تستمر المجادلات بسبب أن المتجادلين لا يودون العودة إلى ذلك الوضع الذي يمكنهم فيه الخروج بنتائج. إن فعلوا ذلك، إما أنهم سيرون أن المواقف التي قبلوها كبديهييات ليست كذلك وإما أن طرفًا منهما أو كليهما يستنتجان استنتاجات غير سليمة من قواعد سليمة.

٤ - يسعى الإنسان دومًا إلى الخروج من إطار حدوده. يحاول فعل ذلك بطريقة مادية؛ عبر اكتساب المزيد من الأشياء المادية أو الممتلكات أو المعرفة أو السيطرة على قوى الطبيعة أو الاتحاد عبر الزواج وتكوين الأسرة أو بالسلطة، لكن كل ذلك لا يحرره من أسر حدوده. دائمًا يجد أن شيئًا يتحقق على حساب شيء آخر؛ إنه ييسط الشوال الذي يجلس عليه وحسب. كلما بسطه من جانب، انقبض من الجانب الآخر.

٥- لدى الإنسان وسيلة واحدة يتمكن بها من توسيع حدوده: أن يندمج ويتحد بكائنات أخرى، وهو لا يمكنه أن يقوم بذلك إلا عندما يدرك جوهره الروحي. عندما يدرك أنه كائن روحي سيندمج لا محالة مع بقية الكائنات بالحب.

صياغة سيئة للفكرة.

٦- ما قيمة حياة الإنسان؟ لماذا قُتل الناس فعل محرم؟ ألن يموتوا على أي حال؟ تتأسس قيمة الحياة على حقيقة أن كل إنسان هو شخص متفرد، لم يسبق له مثيل أبداً، كما أن لديه مهمة خاصة به. كل كائن هو بمثابة عضو خاص ولازم لكيان الله.

٧- العائش في الحاضر؛ خارج نطاق الزمن، حر دائماً، لكن عندما نتأمل فعله دائماً داخل نطاق الزمن يتمثل لنا وكأنه نتيجة لفعل سالف. كل فعل قد سبقه فعل آخر وكذلك كل حالة، ولا تقتصر تلك الإحالة إلى فعل واحد، بل إلى عدد لا نهائي من الأفعال والحالات، لذا يمكن عزو كل فعل إلى فعل أو حالة آخرين أو إلى مجموعة كاملة من الأفعال قد نتج عنها. الإنسان حر لكنه لا يبدو كذلك. الأمر على النقيض تماماً مما تفترضه الجبرية من أن الإنسان غير حر لكنه يبدو حرّاً. كان ليشنبرج على حق تماماً حينما قال: «تقولون إن الإنسان ليس حرّاً لأنكم تعرفون يقيناً أن لكل فعل سبب، أما أنا فأقول لكم إن فكرة أن لكل فعل سببه الخاص ليست صحيحة، لذا أنا أعرف يقيناً أن الإنسان حر».

٢٢ يونيو.

بالأمس وصلت إلى بيروجوفو. أخي في حالة سيئة جسديًا وروحيًا على السواء. صحيح أن الوضع صعب جدًا: سكتة دماغية - التواء الفم - تساقط اللعاب من فمه - آلام متنوعة، لكن ما يزيد الوضع سوءًا هو أنه لا يريد التسليم لحالته. في مثل هذه الحالات ثمة اختاران لا غير: المقاومة بما تجلبه من غضب وزيادة للمعاناة وهذا ما يحدث معه، أو النقيض من ذلك؛ الانصياع والاتضاع وتقليل المعاناة حتى تزول تمامًا. ففكرت في الآتي:

١ - الحياة هي عملية استنارة الوعي حتى يصل إلى حده الأقصى. كما يقول لاو تسو: «كلما نما ما هو ضئيل ولين ازداد قوة، وكلما نما ما هو قوي وعظيم ازداد ضعفًا». يضعف الإنسان جسديًا منذ لحظة ولادته ويقوى روحيًا. في الظروف الطبيعية، إن استبعدنا الاستثناءات، يزداد الإنسان قوة روحيًا بقدر ما يضعف جسديًا. عندما يدرك الإنسان ذلك يسهل عليه قبول ما يلحق به من ضعف جسدي. يتحول كل ضعف جسدي يلحق به إلى قوة روحية. أما إن لم يدرك الإنسان ذلك يصبح الأمر مريعًا بالنسبة له، لذا عليه أن يدرك ذلك.

قرأت بالأمس في جريدة «الأنباء الروسية» رأيًا عن مقالتي المنشورة في إنجلترا، وقد أبهجنى ذلك جدًّا؛ أبهج غروري، وهذا أمر سيئ.

٢٤ يونيو.

وصلني خطاب من تشيرتكوف وآخر من رجل إنجليزي^(٣٤) بخصوص مقالتي «عن الحرب». أخشى أن تكون المقالة قد جلبت سخطاً بسبب أنها لا تتوافق مع فكر الله. لقد تملقتُ كبريائي بدهاء وفي الآن ذاته جعلتني واعياً بخطئي. يمكن قول كل شيء بمحبة بعون من الله، لكنني لم أستطع فعل ذلك. لا أزال أتذكر كل شيء وأعيش حالة من الوعي السامي. ماشا هنا. إنها أقرب إليّ من أي وقت مضى دون أن نحتاج حتى إلى التحدث معاً.

٢٧ يونيو.

اضطربت معدتي بالأمس وكذلك الكبد. أشعر بالوهن والنعاس، وحالتي المعنوية سيئة بشكل عام. قبضت على نفسي بالأمس متلبساً أتذمر من إيليا فاسيليفيتش (الخادم). أمر مُخْزٍ. بقية الأمور بخير. أتذكر دائماً مَنْ أنا. في هذه الفترة فكرت في ثلاثة أمور؛ أمرين واضحين، والآخر لم ينجل بعد. حاولت بالأمس أن أكتب في «حجر الزاوية» ولكن بلا جدوى. أفكار:

- ١- يخضع الملايين لنيكولاي الأول ويرسل الآلاف منهم إلى الحرب ويتساءل هو نفسه متعجباً: كيف يمكن لكل هؤلاء أن يطيعوه؟
- ٢- طرحت على نفسي سؤالاً: الوقت مجرد حد يحيط بي، وهو

(٣٤) أرسل رجل إنجليزي خطاباً غاضباً من تولستوي متهماً إياه أن آراءه عن الوطنية تهين بطولات رجال الجيش العظيم.

يمثل عدم إمكانية أن أرى كل شيء فجأة، أو إمكانية أن أرى شيئاً في مكان واحد. ماذا يعني إذن أنني أوسع الحدود أو أستجلي الوعي. هل ثمة حركة تتم أثناء عملية التوسيع والاستجلاء تتضمن بداخلها مفهوم الزمن؟ أجيب عن ذلك بالآتي: لا تتضمن عملية توسيع الحدود أو استجلاء الوعي أي حركة، بل تعبر عن حالة انفصالي في الحاضر؛ أي خارج نطاق الزمن، وهي الحالة التي تُوحّد أناي.

٣- فكرت في عملية الانتقال من الوثنية إلى المسيحية.

٢٨ يونيو.

كأنني عقلي قد استيقظ من سباته الليلة! كل ما بدا بالأمس معتمًا وغير ضروري أصبح واضحًا ممتعًا. لديّ الليلة أربعة أفكار أريد تدوينها، لكنني سأواصل أولاً ما بدأته بالأمس:

ما كتبه بالأمس غير واضح. حالات التعاقب: الزمن مجدداً. أريد أن أقول إن الزمن ينشأ عن الذاكرة. الذاكرة هي تجلي لوحدي بالكيان الكلي، كما هو الأمر مع العقل. الفارق أن الذاكرة تتعلق بالماضي بينما يتعلق العقل بالمستقبل. عليّ أن أقول إنني كيان يدرك نفسه منفصلاً عن الكيان الكلي. تتشكل عملية انفصالي بطريقة مختلفة عن حركة الأشياء المحيطة بي والتي أدرك حركتها بنفسي. وجود أشياء مختلفة متحركة حولي هو شرط ضروري لانفصالي. لو كانت ثمة حركة واحدة للمادة كلها لما كان هناك انفصال، ولو كان هناك شيء لا تختلف حركته عن حركتي لما كان هناك انفصال أيضاً، ولاندمج كل شيء في كيان واحد.

الآن أدرك نفسي كياناً منفصلاً، وفي الآن ذاته متحدًا بالكيان الكلي.
إن حُرمت من الذاكرة والعقل لكنت مجرد كيان منفصل لا تربطه
أي رابطة بكل ما حوله. لكن الذاكرة تربط بين النفس وكافة الحالات
المختلفة وكافة تجليات الأنا المختلفة، وأدرك بالعقل مدى ارتباطي
بكافة الكائنات الأخرى.

تعثرت... لا أستطيع مواصلة الكتابة، لكنني لن أتخلص مما كتبت.
٢- مؤلم هو الانتقال من حياة وثنية تمامًا إلى الاعتراف بالمتطلبات
المسيحية. ولكن ما باليد حيلة. إنها ولادة، وأي ولادة لا بد أن تكون
مؤلمة.

٣- الإنسان في كل لحظة آنية هو كائن منفصل مختلف. يعمل
الأبدي الذي يعيش بداخله على توحيد كل تلك الحالات. لا يمكن
للإنسان ألا يرى نفسه: طفلًا - شابًا - شيخًا - كهلاً يحتضر، ولا يمكنه
ألا يرى مستويات تطوره الدنيا والمتوسطة والسامية، لذا تتمثل له هذه
الحالات كأنها متعاقبة. من هذا ينشأ لدينا مفهوم الزمن. يتأسس هذا
التعاقب على أن تبدو لنا الدرجة الأسمى جديدة ومختلفة. لا يمكن أن
تلحق درجة متدنية بأخرى سامية؛ لأن الأخيرة تتضمن بداخلها الأولى.
صياغة سيئة لكنني لن أنبذها.

٤- أريد أن أضيف الآتي إلى خطابي إلى تشيرتكوف عن النشاط
الثوري:

ثمة دوافع كثيرة مختلفة ومختلطة تدفع الشباب إلى النشاط الثوري.

ثمة -وهي النسبة الغالبة- خاسرون لم يعد لديهم أي عمل بعد أن التحقوا بالحركة الثورية ووصلوا إلى تلك المرحلة التي بإمكانهم فيها أن يحتقروا غالبية الناس. هناك أيضًا مَنْ يريدون خدمة الإنسانية بالإضافة إلى رغبتهم في فرض رأيهم، وهم يؤمنون أن هذا هو الطريق الأصح لخدمة الناس. ثمة نوع ثالث يشكل نسبة ضئيلة جدًا منهم، وهم مَنْ تخلوا فعلاً عن أعمالهم رغبة في خدمة القريب بإخلاص فعلاً، وهم يكرسون لهذه الخدمة كافة قواهم وحتى حياتهم. ولكن أيًا كان الدافع الذي يدفعهم إلى العمل الثوري، فإنهم يستسلمون جميعًا لهذا النشاط غير المجدي لسبب واحد؛ أنهم يسترشدون بشعور من التسلية والمغامرة.

٥- استرجعت إلى ذاكرتي السلوك العسكري إبان حكم نيكولاي الأول «ملاحظات روزين»^(٣٥) وتذكرت حق القنانة وما شعرت به تجاه الإنسان والحيوان من غياب كامل لشعور الأخوة. هذا هو الأمر الرئيس الذي أريد أن أكتب عنه بخصوص نيكولاي الأول والديسمبريين.

٦- فكرت في حالة الروح مع الوعي السامي. عندما تكون في هذه الحالة، تندمج بالإرادة العليا. تهدف هذه الإرادة إلى الخير؛ تنوير الناس. لذا يستحيل في هذه الحالة أن تظل ساكنًا. على النقيض من ذلك، يدفعك كل شيء إلى النشاط، ولكن صوب الآخرين لا صوب نفسك. في هذه الحالة تجد نفسك تستغل تلقائيًا كل المواقف لتخدم فيها الله والناس. كم تشعر حينها بالاطمئنان! كم يصعب إرضاء النفس، وكم تسهل خدمة

(٣٥) أندريه يفجينيفيتش روزين: أحد المشاركين في حركة الديسمبريين ضد نيكولاي الأول، وقد كتب ملاحظاته عن تلك الفترة.

الله والناس! لا تبحث عن هذه الخدمة، بل استغل كل المواقف التي تقع فيها وحسب. إن بحثت عنها فهذه دلالة على أنك لا تستغل المواقف التي تحيط بنا طوال الوقت وفي كل مكان.

٧- الخلاص الكامل من الرغبة في نيل مديح الناس أمر غير ممكن. يستحيل على الإنسان ألا يبتهج بمديح الناس وحبهم. عليه فقط ألا يسعى إلى ذلك وألا يفعل شيئاً من أجل أن ينالهما.

٢ يوليو.

فكرت كثيراً في الحركة والمادة والزمان والمكان. سأحاول الشرح مجدداً:

١- إنني أعني نفسي كياناً منفصلاً عن كافة الكائنات الأخرى. يتأسس هذا الانفصال من جانب على فكرة أن يتمثل لي الكيان الكلي في صورة جوهر لا نهائي، وأن أدرك نفسي جزءاً منه، ومن جانب آخر يبدو لي أن هذا الكيان الكلي يتحرك حركة لا نهائية، وأن حركتي تشكل جزءاً من حركته، وأني أدرك فيها نفسي وحركتي وحياتي. لو لم تكن لدينا حواس خارجية لما كانت لدينا ذاكرة ولا كانت مادة في نطاق المكان ولا حركة في نطاق الزمان.

تمنحنا حواسنا الخارجية مفهوماً عن المادة في نطاق المكان، والذاكرة؛ الحركة في نطاق الزمان.

٢- في وقت ما كانت الأناركية شيء لا يمكن تصوره. انخرط الشعب حينها في الخضوع للسلطة وعبادتها، وكانت الحكومات على

ثقة تامة فيما تفعله ولم تفكر أبداً في تأكيد سلطتها ولم تفعل شيئاً من أجل ذلك. لم يعد الشعب يرغب في تلك العبادة الآن، ولا يتوقف الأمر على عدم رغبته في الخضوع، بل إنه ينشد الحرية الآن. ولم تعد الحكومات تقوم بما تراه ضرورياً من أجل رخاء الناس، بل انشغلت تماماً بفكرة البقاء في السلطة. تشعر الشعوب بذلك، ولا تتحمل تلك السلطة، وتنشد الحرية... الحرية الكاملة. على المرء أن يتخلص من بعض الحمولة الثقيلة حتى يستطيع طرحها كاملاً. حان الوقت الآن لطرحها كاملاً.

٣- هل يمكننا أن نتصور حياة عقلانية في دولة يتبرك رئيسها بالأيقونات بشكل شعائري، ويُقبَّلها ويجبر غيره على تقبيلها؟

٣ يوليو.

غير قادر طوال الوقت على الكتابة والتفكير. وصلني بالأمس خطاب من يفجيني إيفانوفيتش وآخر من تشيرتكوف بشأن المقدمة وبعض الملاحظات التي كتبت له عنها. كنت شديد السرور. فكرت في الآتي:

١- الحياة هي وعي متزايد بجوهر المرء الروحي اللا زماني واللا مكاني.

٢- إنني أدرك نفسي جزءاً من كيان آخر. هذا الجزء منفصل عن بقية الأجزاء داخل نطاق المكان. علاوةً على ذلك لا أستطيع إدراك هذا الجزء إلا في الحاضر؛ أي خارج نطاق الزمان. كافة الحالات الأخرى لهذا الجزء منفصلة عني بالزمان. إن لم يستطع هذا الجزء الذي أعني فيه

نفسى أن يتصل بالعالم المادي ولم يستطع أن يدرك حالاته، لما عرفت شيئاً عن العالم. لكن هذا الجزء الذي يمثل نفسى لديه أعضاء وحواس محددة يمكنه عن طريقها أن يتعامل مع العالم الخارجى في حدود معينة، وعلاوةً على ذلك لديه سمة الذاكرة، يمكنه بها أن يدرك حالاته السابقة إلى حد معين؛ لحظة ولادته. لذا يشعر الإنسان في كل لحظة من لحظات حياته أنه على تواصل بحالاته السالفة والعالم المادي. يكشف له العقل عن ذلك.

تعثرت مجدداً! لا أستطيع الاستمرار.

٣- بدأ نيكولاى الأول وكاترينا حكمهما وتعجبا من سهولة الحكم، وكيف أن بإمكانهما أن يصبحا قياصرة عظماء دون بذل أدنى جهد!

٧ يوليو.

تحسنت حالتي الصحية. راجعت المقدمة. ذهبت إلى بوليجين بالأمس وجاء سيمونوفيتش. إنه يروق لي. اليوم جاءني الأعمى^(٣٦) وبوتورلين.

١- أدركت بوضوح الآتي: ما هي النتائج التي يمكن للإنسان أن يصل إليها من أي شيء مهما كان؟ ناهيك عن حياته الشخصية، ما النتائج التي يمكن أن تظهر إثر نشاط عالم لا نهائى الزمان والمكان؟ هل يمكن أن نكتب على مياه متدفقة؟ أيمن تحريك الخرز على غرز رتق مستدير؟ لا معنى لكل ذلك. هل هو إرضاء الشهوات؟ نعم، ولكن بغض

(٣٦) ياكوف إيفانوفيتش روزوف: فلاح أعمى على علاقة بتولستوي.

النظر عن أن كل شيء يمر وكل شيء ثانوي الأهمية، ولكن أيضًا كل هذا لا يمكنه أن يرضي الإنسان. يريد الإنسان أن يفعل شيئًا حقيقيًا، يريد ألا يكتب على المياه. ولكن ما هو؟ هل يعيش من أجل نفسه وشهواته؟ لا، غباوة. من أجل الأسرة إذن؟ من أجل المجتمع؟ من أجل شعبه؟ من أجل الإنسانية؟ كلما ابتعدت عن نفسك، ازداد الأمر برودة، والأغرب أنه يزداد سوءًا ولا أخلاقية. من أجل نفسي قد أسرق إنسانًا، وقد أقتل. من أجل الأسرة قد أسلب، وأقتل من أجل الوطن، أما من أجل الإنسانية فلا حدود للأمر؛ كل شيء ممكن.

ما العمل إذن؟ لا شيء؟ لا، افعل كل ما تشاء؛ كل ما جُبل بداخلك، لكن لا تفعله من أجل الخير، فلا وجود للخير والشر، بل افعل ذلك لأن هذا ما يريده الله. لا تفعل الخير، بل ما شرّعه الله لك. هذا وحده ما يمكنه أن يرضيك. هذا وحده هو الضروري والمهم والمُبْهَج.

١٢ يوليو.

طوال الوقت لا أجد في نفسي رغبة في الكتابة، وأفكر قليلًا. بالإضافة إلى ذلك يأتيني زوار. أشعر اليوم أن ذهني أكثر صفاءً. راجعت المقدمة. يبدو أنني أكتب على نحو جيد عن الحرية^(٣٧). فكرت بالأمس واليوم، وخاصة اليوم، عن فكرة أن الحياة حلم.

١ - حياتنا تشبه حلمًا. مثلما يرتبط الحلم بالحياة الحقيقية واليقظة والحياة بعد اليقظة، كذلك ترتبط حياتنا الحقيقية بالحياة بعد اليقظة؛ الموت.

(٣٧) في مقدمته لمقالة تشير تكوف.

كل ما يشكل مادة الأحلام نجمعه من حياتنا السالفة، كذلك
نجمع مادة حياتنا الحالية من حياة أخرى تسبقها؛ مما يفتن لُبَّنَا وما يشير
اشمئزازنا.

تجري الحياة في الحلم خارج نطاق الزمن والمكان والحدود
الشخصية. يمكنك أن تتعامل في الحلم مع شخص ميت كما تتعامل مع
حي، رغم أنك تعرف أنه ميت. كذلك هو الأمر فيما يتعلق بالمكان: في
موسكو - في قرية... إلخ، وكذلك فيما يتعلق بالزمان: في الماضي كما
في الحاضر.

الحياة في الوقت الحاضر، في حالة اليقظة، دائماً داخل نطاق
المكان والزمان والشخصيات المختلفة. هذه ليست ميزة جيدة، بل على
العكس؛ إنها سمة للمحدودية والضعف. هكذا تشير لنا الحياة في الحلم
إلى الحال الذي يجب أن تكون عليه حياتنا الحقيقية؛ حياتنا بعد الموت،
من حيث ألا ترتبط بالمكان والزمان. إنها تلك الحياة التي بإمكانني أن
أكون فيها كل شيء، في كل زمان ومكان.

الموت هو الصحوة. أنا الآن في حياتي كالنائم. يبدو لي أنني أمر
بمواقف وأحداث مختلفة، لكن كل هذا ليس إلا نتاجاً لخيالي. يبدو
لي أن ثمة زماناً ومكاناً، لكن في الحقيقة لا وجود لهما... ثمة صحوة
وحسب. في لحظة الاستيقاظ؛ لحظة الموت: سأدرك أن حياتي ليست
زمنية.

ما الحياة إذن؟ وما معنى جهودنا التي نبذلها كي نعيش بشكل أو
بآخر؟ ما الذي علينا أن نفعله. أول شيء: علينا أن نعرف أن حياتنا ليست

في نطاق الزمان والمكان، بل خارجهما. عندما يدرك المرء ذلك سيعيش تلقائياً بما هو خارج نطاق الزمان والمكان؛ أي بالعقل والحب؛ بما يوحد الناس. يُوحّد العقل الناس بإرشادهم إلى الوحدة. أما الحب فيجذبهم صوب الوحدة بالكيان الكلي.

ولكن يُقال إن كان الموت صحوة، أو بالأحرى الصحوة هي الموت، فلا بد إذن أن الإنسان بعد أن ينام لن يستيقظ إلا من حقيقة إدراكه أنه نائم، كما يحدث معنا في الأحلام.

عندما يعي الإنسان أنه في هذه الحياة كالنائم، لا يمكنه أن يوقظ نفسه من الحياة؛ أي لا يمكنه أن يموت، تماماً كما يحدث في الكوابيس حينما لا يستطيع الإنسان أن يستيقظ، وإن كان بالإمكان مقارنة ذلك بالانتحار، لكن يمكن للإنسان -مثلما هو الحال في الحلم- أن يفهم أنه نائم ويواصل النوم. عمل الإنسان الرئيس هو أن يدرك أن كل ما هو زمني ومكاني هو حلم، وأن ما هو حقيقي في ذلك الحلم هو ما خارج نطاق الزمان والمكان وحسب؛ العقل والحب.

١٧ يوليو.

أكتب قليلاً. أفكر في فكرة ما وأعمل قليلاً على المقدمة. ذهبت إلى بير وجوفو وعدت. سيريوجا غير هادئ، لا يزال يقاوم. الأمر مؤلم له وللآخرين. في الطريق رأيت طوق جواد جديد مربوط بالحذاء وفكرت مجدداً في الكتابة عن مجتمع ريفي من النازحين^(٣٨). أردت أن أكتب

(٣٨) فكرة رواية عن النازحين من قراهم، كانت تراود تولستوي منذ عام ١٨٧٧، ولم تكتمل.

في الجزء الثاني من رواية نيكليودوف (يقصد البعث). يتناول هذا الجزء عمله وشعوره بالإنهاك واستيقاظ العجرفة بداخله وإغواء النساء وسقوطه في الخطية. أفكار:

كم يصعب أن يحدد الإنسان كافة علاقاته بظروف الحياة المختلفة والأشياء والحيوانات، وخاصة البشر! العلاقة التي يمكن أن تقيّمها مع واحد لا تصلح مع الآخر. كم يصعب على المرء أن يحدد الدائرة الصحيحة التي تحيط بكل ما حوله! على الإنسان أن يحددها من المركز، وهكذا هو الأمر في علاقاته التي يؤسسها بالعالم. جد المركز وحينها ستتمكن من إقامة علاقة بين كل جزء يحيط بك وبين المركز، وستكون حينها كافة العلاقات صحيحة. هكذا يجب أن تقيم علاقتك بالله أولاً ثم تتأسس علاقاتك بكل العالم من حولك؛ وخاصة مع الناس.

٢- فكرت ليلاً في الأخلاق. طبقاً لأرنولد الخير هو جوهر كل شيء، جوهر الله، وهو الذي يقودنا صوب الصلاح. ينتج كل شيء عن ذلك، في الوقت الذي يرغب فيه الماديون البؤساء أن يؤسسوا الأخلاق على لا شيء.

٣- بالإضافة إلى التحسين الفوري لأحوال العمال تسعى الاشتراكية إلى إقامة هيئات معينة من أجل تنظيم الاقتصاد المستقبلي والمجتمعات الإنسانية. بالإضافة إلى الصراع من أجل تحسين أحوال العمال تقدم الاشتراكية تصوراً لكل شيء في المستقبل، دون أن يكون له أي أساس في الحاضر. الخطأ الرئيس في تفهم الناس للاشتراكية هو أنهم يخلطون بين مفهومي: الصراع من أجل القضاء على استغلال رأس المال -

التقدم المُتخَيَّل صوب تحقيق المجتمع الاشتراكي. المفهوم الأول مفيد وطبيعي، أما الثاني فمستحيل ورائع في الآن ذاته.

١٨ يوليو.

مرضت بالأمس ولم أتناول غدائي. «أنهكت» كما يقول الألمان. اليوم أنا بخير. أنا جالس الآن في غرفتي، أستمع من على بعد إلى الحديث المتواصل، وأعرف أن هذا الحديث يبدأ من الصباح الباكر، وسيستمر حتى وقت متأخر بالمساء. دار نفس الحديث بالأمس وأول أمس وهو مستمر دائماً، وسيبقى كذلك ما دام المتحدث ليست لديه رغبة في العمل. بيت القصيد أن كل شيء قد قيل فعلاً، ولا يوجد ما يُقال. الوسيلة الوحيدة التي بإمكانها أن تجعل الحوار يستمر هو أن تملأه بأمر شريرة عن بعض الأشخاص الغائبين، أو أن تجادل الحاضرين بضغينة. التبطل كارثة مفرعة. جُبل البشر على الرغبة في العمل، وكي يتمموا هذا العمل استعبد بعضهم الآخرين وحرّروا أنفسهم من ضرورة العمل، وقد أدّى ذلك إلى معاناة الفريقين. لا يُعاني الفريق الأول من فرط الملل والثثرة وحسب، بل وكذلك من ضمور العضلات والقلب وفقد عادة العمل الشاق والخرافة والجبن وغياب المروءة ومختلف أنواع الأمراض.

هذه هي صنوف المعاناة التي جلبها المتبطلون لأنفسهم، ولكن كم من المسرات يحرمون أنفسهم منها! يحرمون أنفسهم من العمل وسط الطبيعة والتواصل مع رفاق العمل ومتعة الراحة وتناول الطعام بعد العناء والجوع، والتعامل مع الحيوانات والوعي بفائدة عملها... لقد أفسدت

حياتي بهذه البطالة المفزعة. كم أود أن أحذر الآخرين من هذه البطالة!
كم أريد أن أكتب جزءاً ثانياً من نيخليودوف (بطل رواية البعث)!
أفكار للتدوين:

١- من المستحيل أن ندرس الأحلام ونلاحظها بالقدر الكاف.
لا شيء يمكنه أن يكشف أسرار الحياة الروحية بقدر الأحلام. تبدو لنا
العلوم الميكروسكوبية والتليسكوبية والكيميائية والفيزيائية والبكتيرية
واضحة ودقيقة تماماً. كذلك تظهر لنا في الأحلام أفكار مختلفة تبدو
لنا بعد أن نستيقظ كحماقات مريعة. كما يحدث أحياناً في الأحلام أن
يبدو لك كأنك تناقش أفكارك في الحلم بطريقة نقدية وترى أنها محض
حماقة، كذلك هو الأمر عندما تستيقظ؛ فأنت لا تحتاج إلى التعمق في
التفكير كي تكتشف أن كل هذه الاكتشافات العلمية التي تنال مديحاً
كبيراً ليست إلا محض حماقات، وأنا لم نكتشف شيئاً حقيقياً، بل هي
مجرد تسلية للعقل، وأن ما يهم فعلاً هو أن سلوكيات الناس صوب
متطلبات ضمائرهم المعروفة لهم تمثل قمة الجنون.

٢- عامل الناس بجانبك الروحي الإلهي؛ أي بالعقل والحب؛
الحب العاقل، والعقل المحب، وستجذبهم إليك وتنجذب إليهم. أما إن
عاملتهم بجانبك الجسدي الشخصي، ستفصل عنهم لا محالة وستندلع
الصراعات وتبدأ المعاناة.

٣- ننسى دائماً أننا لسنا واقفين في حالة ثبات، بل نتقدم؛ كل منا يتقدم
بمفرده في العمر، كما نتقدم جميعاً بمرور القرون. تبدو هذه الضلالة
قوية للغاية في فترة الطفولة. يحب الأطفال أن يبقى كل شيء على حاله،

ولا يصدقون هذه الحركة التي يشاركون في سيرها بأنفسهم. لكن مع مرور الوقت تتسارع هذه الحركة كحجر يسقط من بقعة عالية، ويدرك الشيوخ هذه الحركة السريعة بوضوح. إن أردنا أن نحيا حياة سليمة علينا أن نتذكر دائماً أننا لسنا في حالة ثبات، بل حركة، ولا نتمسك بشيء سنتركه في طريقنا لا محالة.

٢١ يوليو.

حالي الصحية متماسكة. برودة ومطر. كنت منشغلاً طوال الوقت في مراجعة المقدمة حتى انتهيت منها اليوم. أفكار للتدوين:

١ - في الحلم يبدو غير المعقول طبيعياً تماماً، كذلك هو الأمر في الحياة.

٢ - يُقال: حياتنا لغز. لا ألغاز في المسائل العقلانية، أما المسائل غير العقلانية، فكلها ألغاز.

٢٢ يوليو.

لديّ عمل جديد ضخم ضروري ومهم. لا أريد حتى أن أتحدث عنه هنا^(٣٩). أردت أن أبدأ فيه اليوم لكنني لم أستطع. لم أجد لديّ رغبة. أنهيت المقدمة. طوال الوقت لا أشعر برغبة أو قدرة على العمل. حالي الصحية متماسكة.

(٣٩) الإشارة إلى مقالة أراد أن يكتبها بعنوان "حياة جديدة"، لكنه لم يتمكن من إنهاؤها إلا في عام ١٩٠٥ وخرجت بعنوان "نهاية قرن".

٢٣ يوليو.

كل شيء بخير. لا أكتب، لكنني أفكر على نحو جيد. كلما أقدم على كتابة ما أفكر فيه أقول لنفسي: فلتؤجل الأمر اليوم. أريد أن أحاول الكتابة.

٢٤ يوليو.

بدأت بالأمس، ثم تركت العمل ثانية. لم أستطع. أفكر طوال الوقت. مساء اليوم فكرت جيداً في العمل. سافرت بالأمس لزيارة ضحايا الحريق في... نسيت.. آه، سافرت إلى جورودنا^(٤٠). ذاكرتي تضعف بشدة. أشعر بالضيق... إنه إحسان مزيف. الأمور بخير في المنزل. حسناً... إنه خير لم يكلفني أي مجهود. اليوم أفكر طوال الوقت في إنهاء مقالة «حجر الزاوية». أشعر أنه يتوجب عليّ ذلك. إنه وعيي المباشر بالواجب المفروض عليّ بأن أقول ما لا يعرفونه وفي أي المواضيع ضلوا. سأحاول القيام بذلك بأبسط الطرق وأكثرها اختصاراً. أفكار:

١ - كلما ازداد الناس انفصالاً، بدا الاستبداد والعنف أكثر إمكاناً، بل وضرورة. ما دام الناس يعيشون الآن حياة واحدة، يبدو لهم الاستبداد مضرّاً وغير ضروري ومُهْلِك. تنمو للفراشات أجنحة، ويضيق المكان عليها في الشرنقة، فهي بحاجة لمد جناحيها والخروج من خادرة اليرقانة.

٢ - العالم لا نهائي مكانياً وزمانياً، لكنني لا أستطيع إدراكه بهذه الطريقة في كليته؛ يمكنني أن أدركه جزئياً من ناحية الزمان والمكان. هذا

(٤٠) قرية تبعد ١٢ فرست (مقياس روسي للطول يساوي ٦٦, ٠ ميل) عن ياسنايا بوليانا.

بسبب انفصالي عن الكيان الكلي. لست منفصلاً، لكن وعيي محدود. إن تصورت نفسي كياناً ينمو باستمرار، وبدا لي كل ما حولي ينمو كذلك باستمرار ويتغير، وبدا لي ذلك أيضاً مع مشاعري ومخيلتي وعقلي، فهذا لا يعني أن كل شيء يتغير فعلاً. لا يقتصر النمو على النباتات والحيوانات، لكنه يشمل أيضاً كوكب الأرض والشمس. هذا لا يعني أيضاً أن الشمس تتغير وتنمو، لكن الأمر يعود إلى عدم قدرتي على رؤية شيء ثابت وإدراكه، بل يمكنني أن أرى وأدرك أجزاء في إطار الزمان والمكان وحسب. بالنسبة لله أنا طفل وشيخ، وأنا والديّ ووالديهما... إلى ما لا نهاية، وأطفالي وأحفادي وأحفاد أحفادي... إلى ما لا نهاية. كل هؤلاء بكل ظروفهم وحياتهم موجودون دائماً، والله يدركهم. لا يقتصر الأمر على هذه الحيات المذكورة، لكن حياة كوكب الأرض ذاته وكل ما كان موجوداً قبله، والشمس وما سبقها ونهاية كوكب الأرض وانطفاء الشمس... إلخ، جميعها موجودة بالنسبة لله. يدرك الله كل ذلك دون قيود الزمان والمكان. أما أنا فلا أستطيع. الأمر بالنسبة لي كالاتي: إن أردت أن أدرك شيئين خارج نطاق الزمان، أحتاج إلى تصورهما في نطاق المكان، وإن أردت أن أدرك شيئين خارج نطاق المكان، أحتاج إلى الزمان.

الأنا الدنيوية التي نُسَمِّيها إنساناً ليست إذن سوى وعي محدود بالعالم داخل إطار الزمان والمكان.

٢٩ يوليو.

في نفس الحال؛ لا أكتب تقريباً. عملت قليلاً على مقالة «حجر

الزاوية». لكن يبدو أنني أفكر على نحو جيد ومثمر. في اليومين الأخيرين كنت في حالة مزاجية مدهشة وغريبة؛ كنت دمثًا حزينا متواضعا خاضعا عاطفيا. حسنا...

يزورني الكثيرون. منذ أربعة أيام فكرت في تسجيل أسماء من يزورني. جاءني فلاح أصيب بحادث في منجم جيل. أرسلته إلى جولدنبلات^(٤١). جاءني كذلك زوجة أحد الجنود تطلب أن يعود زوجها. كتبت عريضة من أجلها. جاءني بعض الصبية العاملين بالسكك الحديدية. أعطيتهم بعض الكتيبات. جاءني كذلك سيدة من تيفليس تحدثني عن التربية الدينية. قلت لها ما أظنه صحيحا بخصوص هذا الأمر. لم يقل عدد الزوار أيضا في يومي الاثنين والثلاثاء. أفكار للتدوين:

١- يتمثل لي كل شيء في حالة نمو وتوسع دائمين، لكن هذا محض وهم؛ فالنمو والتوسع اللانهائيين غير ممكنين. بالنسبة للانهائي ليس ثمة أكبر أو أصغر. كل ما يبدو لي في حالة نمو وتوسع وحركة ليس إلا دائرة مفرغة؛ ثعبان يعض ذيله.

٢- مهم جدا لمقالة «حياة جديدة». الخطأ الرئيس الذي يسقط فيه من يقاومون الشر هو أنهم يريدون مقاومته خارجيا. لا يجب لإعادة بناء العالم أن تتم خارجيا، بل داخليا. لذا يجب توجيه كافة طاقتنا صوب العمل الداخلي.

٣- فكرة أهم: الزمن هو عدم القدرة على رؤية نفسك كاملا على

(٤١) محامي بتولا على علاقة بتولستوي.

نحو فوري، أو هي القدرة على رؤية النفس كاملة بشكل تدريجي. أنا الآن، وأنا منذ لحظة سالفة مختلفان. لا تمكّني رؤيتهما وإدراكهما معاً في الوقت نفسه، لذا أراهما داخل نطاق الزمن. بفضل الزمن أرى نفسي وأدركها كاملة في كافة لحظات الماضي. الزمن هو إمكانية رؤية وإدراك شيئين في مكان واحد. أنا في الماضي وأنا في الحاضر مختلفان. نقول إن الإنسان يتمتع بالذاكرة. ليس ثمة ذاكرة، بل ثمة «أنا» محدودة هي التي تدرك مجموعات مختلفة من الآن، تتجلى واحدة تلو الأخرى داخل إطار الزمان. إن سأل أحدهم: كيف يمكن أن يدرك المرء نفسه طفلاً وشاباً وشيخاً خارج إطار الزمن؟ سأجيب: ثمة أنا واحدة تتضمن بداخلها طفلاً وشاباً وشيخاً، وشيئاً آخر كان موجوداً قبل الطفل.

المكان هو عدم القدرة على رؤية وإدراك النفس وحسب بمعزل عن بقية الكائنات، أو هو القدرة على رؤية وإدراك أشياء كثيرة في نفس الوقت. أشعر وأدرك نفسي وحدودها والكائنات المختلفة التي تتكون منها في وقت واحد.

٤ - يقول أحد الماديين:

الافتتاحية المعزوفة على الأرغن تنتج عنه، وهو مصدرها. كذلك الأمر مع آلات النفخ والإيقاع. إن أفسدت آلة إيقاع واحدة سيفسد كل شيء، وكذلك الأمر مع أي آلة أخرى. ما الأدلة الأخرى على أن الأرغن هو الذي ألف افتتاحية دير فريشوتز^(٤٢)؟

(٤٢) أوبرا ألمانية مع حوار منطوق في ثلاثة أعمال لكارل ماريافون ويبر مع فرقة فريدريك كيند.

ولماذا تحديدًا افتتاحية دير فريشوتز؟

لأن ثمة عددًا لا نهائيًا من آلات الأرغن أنتجت مختلف أنواع التراكيب الصوتية. زالت التراكيب الصوتية الخرقاء التي أنتجتها آلات أرغن، وبقيت افتتاحية دير فريشوتز وحدها. أنت تنسب أهمية لا ضرورة لها للمؤلف، في حين أن في غيابه كل شيء واضح وبسيط.

٣١ يوليو.

لا أعمل طوال الوقت. كتبت بعض الخطابات غير المهمة. لدي اضطراب في المعدة. خرجت على متن الجواد. شعرت بالحزن والكآبة، رغم أنني لست في حالة سيئة. أفكار:

إن كنت لا تحب شخصًا ما، حاول أن تسترجعه في ذاكرتك وترى فيه كل شيء جيد؛ والأهم أن تبذل جهدًا وتضحى من أجل خيره، وستنقذ نفسك من الضغينة.

٢- تجمع الذكريات مختلف أنواع الأنا التي ظهرت إبان حياة الشخص بحب الذات؛ توحدتها في أنا واحدة لتعود وتوحدتها ببقية الكائنات بحب العالم والله.

٢ أغسطس.

طوال الوقت لا أشعر بالرغبة في الكتابة. قررت بالأمس أن أكتب عن معنى الدين من البداية دون أن أجري أي إصلاحات أو تصحيحات. فكرت جيدًا في ذلك. مضى كافة أبنائي لتوديع أندريوشا^(٤٣) وأولجا.

(٤٣) ذهب أندريوشا ابن تولستوي إلى الحرب. أولجا هي زوجته.

أثارت الحرب اضطراباً روحياً ضخماً. دوّنت أفكار عامة وأخرى تتعلق بمقالاتي عن الدين:

١- أستمع إلى الموسيقى وأطرح على نفسي سؤالاً: لماذا تُعرف هذه المجموعة المتعاقبة من الأصوات المحددة مسبقاً بهذه السرعة تحديداً؟ ظننت أن ذلك يعود إلى أن الفنان يكشف في فن الموسيقى والشعر الستار عن المستقبل، ويوضح ماذا يجب أن يكون. ونحن نتفق معه؛ لأننا نرى من خلاله ماذا يجب أن يكون أو ماذا في المستقبل تحديداً. هكذا هو الأمر أيضاً في أي درجة سامية؛ في الموعظة الأخلاقية أو النبوءة.

٢- تصورت حالة البهجة والسرور التي تنعم بها المرأة الجميلة التي تدرك أنها محبوبة في اللحظة التي تستمع إلى موسيقى رائعة وتعرف وتشعر أنهم ينظرون إليها.

٣- سوف أكتب في المقالة مباشرة.

لا تتوقف الحياة أبداً في مكان واحد، ولا تتوقف أبداً عن الحركة؛ تظل تتحرك وتتحرك في دوائر، كما لو أنها تعيد كافة الكائنات عبر تدميرهم إلى حالة اللا وجود السالفة التي كانوا فيها. في الحقيقة تشكل هذه الدوائر بظهورها وزوالها دوائر أخرى جديدة أكبر منها، تظهر وتزول فتشكل بدورها دوائر أخرى أكبر منها... وهكذا إلى ما لا نهاية، إلى أعلى وإلى أسفل.

نعرف ذلك قبل كل شيء آخر وعلى نحو أوضح من أي شيء آخر، وبلا أدنى شك في حياتنا التي تبدأ بالولادة وتستمر في زيادة قوتها حتى

نصل إلى نقطة الموت؛ نقطة غير متحركة، ثم يبدأ الضعف ولا ينهيه شيء سوى الموت. ما يميز الولادة والموت عن الظهور من العدم والفناء هو أنه بالرغم من أن الحياة تبدو كما لو أنها تعود إلى أصلها، لكنها تنتهي على نحو يختلف عن بدايتها. كان هناك طفل، وعند الموت أصبح شيخًا.

لا تمضي عملية الحياة إذن دون هدف، فتظهر وتزول ببساطة، لكن من الواضح أنها تهدف إلى أن تجعل الطفل شابًا ثم زوجًا فشيخًا. ما نراه إلى أعلى أو إلى الأمام، نراه كذلك إلى أسفل أو إلى الخلف في حياة عدد لا نهائي من الخلايا التي تشكل الجسد، حيث تظهر وتموت. يتشكل جسدنا من أجزاء هذه الدائرة الكبيرة التي تتمها الأرض، والشمس التي تظهر في الوجود وتهرم هي الأخرى وتموت. كل ما نراه ونعرفه ينتمي إلى قانون الحياة هذا: الولادة والموت. لا نرى ذلك في الأجسام الميكروسكوبية؛ لأن هذه العملية تتم بسرعة شديدة، ولا نراها في الأجساد التليسكوبية؛ لأنها تتم ببطء شديد. ندرك هذه العملية فينا وحسب. لسبب ما يحتاج الإنسان إلى هذه الحركة؛ من طفل إلى شيخ، ويتعين عليه أن يقوم في تلك الفترة بالمهمة الموكلة إليه. لو كان هدف الحياة هو أن ينتقل الناس من مرحلة الطفولة إلى الشيخوخة وحسب، لما مات الناس ببلوغهم الشيخوخة. لو كان هدف الحياة هو خدمة الناس لبعضهم لما تطلب الأمر الموت مطلقًا.

الحياة الإنسانية هي نمو الحياة والخدمة على السواء.

لا يتعلق قانون الولادة والنمو بالجانب الجسدي من الحياة وحسب،

لكنه يتعلق كذلك بالجانب الروحي. تنشأ الحياة الروحية وتنمو وتصل إلى ذروتها في نهاية العمر، لا في منتصفه.

١٠ أغسطس.

لم أدون يومياتي منذ فترة طويلة. مرضت لأربعة أيام. لا أعمل طوال الوقت، لكنني أفكر جيداً. وصلت تانيا بالأمس من بيروجوفو، وكما هي العادة يجد الموت الناس غير مستعدين، ويجبر الجميع على توجيه عناية واهتمام أكبر إلى فهم الحياة والموت. عليّ تدوين الآتي:

١ - هراء: تجذبنا الخرافات والنبوءات بإمكانية أن نجد طاقة تعيننا خارج ذاتنا، فظهور بشير فالٍ من شأنه أن يجعلنا نسلك بحيوية شديدة، وبالتالي نسلك على نحو أفضل.

٢ - وعي المرء بالله الذي في داخله لا يسمح له بالهمود؛ بل يسعى صوب التجليات والاختلاط بكل ما هو إلهي وتنوير الصراع والعمل اللاإلهيين.

٣ - مهم جداً لمقالة «حياة جديدة»: لم يكن هناك مفر من العنف والسلطة والاستبداد في غياب الاتصالات. وسائل الاتصال كالطرق والبخار والطاقة الكهربائية تجعل منه غير ضروري. إنه مستمر بقوة القصور الذاتي وحسب.

٤ - يتحدثون عن إرادة الله بمعنى هدف الله. لا يمكن أن يكون ثمة هدف لدى الله. كل شيء لديه متحقق. لذا لا يمكن أن يكون لنشاطه سوى هدف وحيد: الحب.

٥- يعود السبب الرئيس لانقسام الناس والخلافات بينهم إلى أن فريقاً منهم يعتبر الحياة هدفاً للملاحظة، والآخر يعتبرها هدفاً للإدراك. استخراج النتائج من الملاحظات هو عمل العلم، أما استخراج النتائج من عملية الإدراك فهو عمل الدين والتعاليم المتعلقة بالسلوك.

٦- كلما ساءت أحوال الحياة يزداد الخوف من الموت، والعكس صحيح. عندما تكون حياة المرء شديدة السوء يكون الخوف من الموت مريعاً، أما مع الحياة الصالحة تماماً فلا يوجد خوف على الإطلاق. يمكننا قياس مدى صلاح الحياة بقدر الخوف من الموت. لا أتحدث عن أولئك الذين يقولون إنهم لا يخشون الموت؛ لأنهم لا يستطيعوا حتى التفكير فيه.

٧- ثمة أساس صلب لخرافة الجزاء الحسن بالجنة والعقاب بالجحيم بعد الموت. عليك فقط باستبدال عدم الخوف من الموت بالجنة، والهلع بالجحيم وستكون على حق. يبدو إذن أن ملاحظة ثورو صحيحة بشأن أنه حتى الخرافات تتضمن بداخلها جزءاً من الحقيقة أكبر مما في العلوم الصارمة.

١٥ أغسطس - بيروجوفو^(٤٤).

أنا هنا منذ ثلاثة أيام. مرضت قليلاً، وساءت حالتي بالأمس تماماً: حمى والأسوأ من ذلك: حرقه شديدة في المعدة. شعرت بكآبة شديدة هنا لدى سيريوجا. إنه يعاني بضراوة، جسدياً ومعنوياً على السواء، ولا يريد التسليم. لا يمكنني فعل أو قول أي شيء مفيد له. في اليوم الأول

(٤٤) لزيارة أخيه المريض.

ترجمت قليلاً. لم أفعل شيئاً بالأمس، أما اليوم خطرت على ذهني فجأة فكرة جيدة أبدأ بها مقالتي عن الدين، وكتبت فعلاً فصلاً ونصفاً. فجأة انجلى ما في ذهني وأدركت أن اعتلال صحتي كان هو السبب، وكان سبب غبائي.

عليّ أن أستقر على العنوان. يمكن أن يكون «السبب الوحيد لكل شيء» أو «أصبح النور ظلاماً» أو «في غياب الله».

عليّ أن أدون الآتي:

١ - يخلق الناس لأنفسهم رموزاً للعظمة: قياصرة وجنرالات وشعراء. كل هذا محض كذب. بإمكان أي شخص أن يرى أن لا شيء هناك سوى قيصرٍ عارٍ.

وماذا عن الحكماء والأنبياء؟ صحيح أنهم يبدون لنا أفيد من الآخرين، لكن الأمر لا يقتصر على أنهم ليسوا عظماء، بل هم ليسوا أعظم بمقدار شعرة واحدة من الآخرين. كل حكمتهم وقداستهم ونبوتهم لا شيء إن قُورنت بالحكمة والقداسة الكاملتين. هم ليسوا أكبر قدراً من الآخرين. لا عظمة لدى الناس، بل ثمة وفاء أو عدم وفاء بما عُهد إليهم من عمل، بقدر يزيد أو يقل. وهذا أمر حسن. الوضع هكذا أفضل. لا تبحث عن العظمة، بل عن الواجب.

٢ - من الضروري أن نتحلى بموقف حازم تجاه القياصرة والأغنياء وأقوياء العالم. ثمة فريق ينحني أمامهم، وفريق آخر يتحلى بلا مبالاة مصطنعة ويشعر بالألم الذي مرده عدم رغبتهم في التقليل من مكانتهم. أما العلاقة الحقيقية بهذه الفئات يجب أن تكون محض شعور بالاشمئزاز

كعلاقتنا بالقتلة واللصوص، ولا يرققها سوى حبنا الإنساني الشامل الذي يجعلنا نشعر بالمحبة صوب القاتل والسجين.

١٧ أغسطس - بيروجوفو.

حالتي اليوم أفضل كثيرًا؛ إني أتعافى. أفكر في الذهاب إلى سيريوجا. جلست بالأمس وسط الهواء الطلق وتنزهت. فكرت لتوي في أن عليَّ أن أنحّي عني فكرة مفارقة أعمالي. عليَّ أن أكتب كل ما ينجلي في ذهني بغض النظر عن الشكل الذي ستتخذه الفكرة:

الحكمة - الدين - الفلسفة.

أعمال إبداعية: البعث - الديسمبريون ونيكولاي الأول - تعديلات واضحة على أعمال إبداعية سابقة.

ذكريات.

عليَّ أن أبدأ دون إبطاء بما أتذكره من الذكريات؛ أي بتلك الأزمنة والظروف والمشاعر التي أستعيدها إلى ذاكرتي بحيوية وتبدو جديدة بالتسجيل. قد يكون ذلك جيدًا جدًا. لا أعرف ما إن كنت سأصيب نجاحًا فيه أم لا.

أفكار:

١ - تدنيس المقدسات الذي يمكن أن يصدمني بشدة ليس من النوع المقصود، بل العفوي. لا يصدمني إلقاء أيقونة مقدسة في سلة القمامة أو استخدام ورق الإنجيل بدلًا من ورق اللف أو أي نوع آخر من الورق رغم أن ذلك يضايقني بالطبع، ولكن ما يصدمني حقًا هو عندما يمزح

الناس ويلعبون ويسلون أنفسهم بالسفسطة عن الأخلاق والخير والحب والعقل والله مثل جيروم جيروم^(٤٥) الذي أقرأ له الآن، والكثيرين من الكتّاب العلميين والصحفيين والمبدعين، عن عمد وعن غير عمد على السواء.

٢- بينما كنت أتنزه استعدت إلى ذاكرتي حالتي الروحية إبان فترة الشباب؛ خاصة بعدما أنهيت خدمتي العسكرية. لا أزال قادرًا على تذكر هذه الفترة بحيوية؛ بل إنني أتذكر حتى قبل ذلك وكيف كنت أسعى صوب تحسين ذاتي. لم أعرف باسم من أقوم بهذا السعي، لكنني عرفت وشعرت أن ثمة كيانًا ما من الضروري أن أسعى إلى ذلك باسمه. ولكن بعدما أديت خدمتي العسكرية تحررت تمامًا من كافة الأغلال الروحية؛ أي أنني أصبحت عبدًا لما هو حيواني بداخلي بشكل كامل. ثمة شيء واحد كان بإمكانني أن أستمّر في التضحية من أجله بشهواتي الحيوانية أو حتى حياة حيوان؛ إنها الحرب أو المبارزة التي كنت أهيئ نفسي لها دائمًا... كان هذا هو الشيء الوحيد. ظل الأمر هكذا حتى بلغت الخمسين. كم أود أن أنقذ الناس من ذلك!

٣- مهم جدًا: تكشف لنا لانهائية المادة، سواء في الزمان أو المكان، عن بطلان العالم المادي. مفهوم اللا نهائية الذي يتباهى به أصحاب العقول الصغيرة ويروونه دلالة على عظمة الطبيعة الإنسانية، ليس إلا دليلًا على أن مادة هذا العالم المادي نفسها التي نفكر فيها، ليست في

(٤٥) جيروم كلابكا جيروم: كاتب إنجليزي مسرحي، وروائي وفكاهي. وُلد في ولسال، بمنطقة ميدلاندز الغربية، بإنجلترا.

الحقيقة سوى محض تناقض مريع. إن كان العالم المادي قد بدأ منذ ملايين السنين، وثمة ملايين أخرى من الأعوام قبل هذه البداية، وملايين أخرى قبلها... إلى ما لا نهاية، سيكون على العقل أن يحدد بداية كل ظاهرة، ولن يكون بإمكانه أن يستمر هكذا إلى ما لا نهاية، ولا يمكن أن تكون ثمة نهاية للأمر (هدف) في الآن ذاته، بينما يتوجب على العقل أن يحدد الهدف من كل ظاهرة، ولن يتكون أي شيء مادي من أجزاء، وبهذا يكون كل شيء قابلاً للقسمه بلا نهاية، ولن تتمكن من إيجاد أي حدود؛ لأنها كبيرة بشكل لا نهائي. ينطبق ذلك على الشمس وكوكبة هرقل ومجرة درب التبانة، والنجوم التي خلفها... بلا بداية أو نهاية. إن كان العالم المادي على هذه الصورة فعلاً، من الواضح أن لا شيء فيه صغير أو كبير، لا طويل أو قصير... كل شيء فيه بمثابة لا شيء، سيتضح أن عالمنا المادي الذي يبدو لنا على هذه الصورة، لا يمكنه أن يكون هكذا فعلاً، وأنه يمثل تناقضاً لا مفر منه، وبالتالي يستحيل أن يكون على هذه الصورة التي يبدو لنا عليها فعلاً.

لكن إن لم يكن العالم على هذه الصورة التي يبدو لنا عليها، ولم يكن هناك عالم حقيقي، فما حقيقة ما هو موجود فعلاً؟ ما طبيعة ما يتأسس عليه عالمنا المادي غير الحقيقي؟ إنه وعينا العقلي. وعينا هو الأمر الوحيد الذي لا نشك فيه مطلقاً ولا يعرب عن أي تناقضات. وعينا وحده هو ما يكشف لنا عن تناقضات العالم المادي بما يتسم به من مكان وزمان لا نهائيين. علاوةً على ذلك، يعتمد وجود هذا العالم الذي يبدو لنا على هذا الوعي وحسب. إن العالم المادي بما يتضمنه من جسدي

وحواسي الخمس هو نتاج لوعيي. لو لم يكن هناك وعي لما كان العالم. أزل الوعي وسيزول العالم. صحيح أن بظهوره يظهر العالم هو الآخر، لكن هذا لا يثبت أبداً كما يظن الكثيرون أنه يمكن في غياب الوعي أن يوجد العالم بالطريقة التي نعرفه بها الآن. في كل مرة يرتفع القمر فوق البحر نراه من بعيد كأنه يخرج من قلب المياه وينير صفحة المياه بضوئه الجلي، ثم ينطفئ ثانية خلف السحب، ولكن كل هذه المشاهد المختلفة تعود في الحقيقة إلى حدث واحد، وليس لدينا الحق في القول أن القمر يخرج من قلب المياه وأن المياه تستنير ثم تنطفئ.

لا... مقارنة غير مناسبة.

عليّ هنا أن أوضح أن العالم يتألف من اتصال بعض المعارف المختلفة وأوهام متفرقة بخصوص المادة في نطاق الزمان والمكان.

١٨ أغسطس - بيروجوفو.

ذهبت إلى سيريوجا كثيراً. الحال كما هو. لا تزال الحالة المادية تبتلعه كاملاً: المرض والمعاناة والممتلكات، بدرجة تزيد أو تقل، وعدم الشعور بالرضى والنظرة الكئيبة. أمر مؤسف ومؤلم. قد أكون أسوأ حالاً منه، لكن الأمر فعلاً مؤسف ومؤلم. أفكار:

١ - ما العالم؟ ما لم يستطع الملاحظون الإجابة عنه، يمكن للراكنين إلى الوعي أن يجيبوا عنه. العالم هو كيان روحي مثلي، على اتصال بي، يفصلني عن الآخرين وعن نفسي. لا يمكنني أن أدرك انفصالي أو انفصالهم إلا في صورة حركة المادة. لذا العالم المادي، المادة المتحركة، ليست إلا

صورة لانفصالي وانفصال كافة الكائنات عن بعضها. لا يمكنني أن أدرك الكائنات الأخرى والعالم إلا بالوعي... بالوعي وحده. يخبرني الوعي أن كل إنسان هو كائن منفصل مثلي، وكذلك كل كائن حي. يخبرني الوعي أن ما أظن أنه غير حي كالأرض التي أحيا عليها، والنجوم والشمس هي أيضًا كائنات منفصلة مثلي. أدرك أن الأرض جرم متحرك لأنني أدرك حركة جسدي. الوجود الحقيقي إذن هو الوجود الروحي وحسب، والمعرفة الحقيقية هي المعرفة الروحية وحسب.

١٩ أغسطس - بيروجوفو.

يبدو أن حالتي قد تحسنت اليوم. نمْتُ دون آلام أو حرقه معدة. بالأمس قال سيرجي فاسيليفيتش^(٤٦): إن سيريوجا يخشى الموت ليلاً. سأذهب إليه الآن. أقرأ كتابًا لتين^(٤٧) ويروق لي جدًا.

- ١ - يصف بلايا الأناركية في الفترة الممتدة من ١٧٨٠ - ١٧٩٠. لا يمكننا أن نقول إنهم تسببوا في بلايا أفضع من التي سببتها الحرب اليابانية الجارية الآن، والتي حدثت إبان نظام الحكم الأكثر أرثوذكسية!
- ٢ - جدال مع كوليا^(٤٨). سأكتب عنه فيما بعد.

ليس ثمة نعمة مادية أكبر أو أصغر. ثمة تعويض في كل شيء؛ فحتى الفلاح الذي يكتفي بالخبز والكفاس (مشروب روسي مخمر) يمكن أن

(٤٦) زوج ماريا ابنة سيريوجا شقيق تولستوي.

(٤٧) إيبوليت أدولف تين: هو فيلسوف ومؤرخ وناقد أدبي وفني فرنسي. الكتاب المقصود (أصول فرنسا المعاصرة).

(٤٨) حفيد شقيقة تولستوي.

تستولي عليه النجاسة، ويصبح أسوأ حالاً من هؤلاء السادة بشهواتهم ونزواتهم ومعاناتهم العصبية الحقيقية. كما يستحيل أن نرفع مستوى المياه في بقعة واحدة من البركة، يستحيل أن ينال أحدهم قدرًا أكبر أو أصغر من النعم.

إن كان الأمر هكذا، فلم نسعى إلى مساعدة الناس؟ حالتهم جيدة إذن كحالتني.

الحقيقة هي أنني سأشعر بالسوء إن كنت من بين أولئك الذين ينعمون بفائض من الخيرات المادية، أو إن ظننت أنني بخداعي لهم أو التمسك بما لديّ سأزيد خيري. أنا في حال سيئة ولا يسعني ألا أسعى للتخلص من هذه الحالة. علاوة على ذلك، إن أدركت أن مغزى حياتي في الحب؛ الانتقال من الاهتمام بحياتي إلى الاهتمام بمصالح الآخرين، سأساعد الآخر؛ لأن هذه هي رغبته، وهي ليست رغبة ضارة. إن أراد الطعام والراحة، سأساعده، مثلما أساعد الطفل الذي انكسرت لعبته. إن عملي في الحياة هو أن أخدم الله وأحقق إرادته؛ توحيد الناس. عدم المساواة المادية تقف عائقًا أمام تحقيق الوحدة، كذلك هو توهم أن بإمكاننا أن نزيد خيرنا بوسائل مادية. لذا سوف أقضي على هذه اللامساواة وهذا الوهم المضر الذي يحول دون تحقيق وحدة الناس. هذه هي إجابتي، وهي تؤدي إلى الافتراض الأساسي الذي مفاده أن الخير لا يمكن أن يتحدد بما هو مادي أو بالعواقب المادية. إنه يتحدد بمدى تحقيق المهمة الموكلة للإنسان؛ إرادة الله.

٢٠ أغسطس - بيروجوفو.

حالي اليوم أفضل كثيرًا. واصلتني بالأمس بعض الخطابات. صوفيا

لا تتوقع عودتي، رغم ذلك أريد أن أعود غداً بمشيئة الله. وصلني خطاب لطيف من تشير تكوف عن المقدمة، وآخر كذلك من لوسي مالوري^(٤٩). أقرأ طوال الوقت في كتاب تين. إنه شديد الأهمية بالنسبة لي.

أثناء قراءتي لتاريخ الثورة الفرنسية انضح لي تمامًا أن أسس الثورة التي يهاجمها تين عن غير حق صحيحة تمامًا، ولا بد من نشرها، وأن الإنسان المُتخيل - على حد تعبيره - أو مثال الإنسان أوقع بكثير من الفرنسي في مكان وزمان محددين، وأن الاسترشاد بهذا النموذج بهدف تنظيم أمور الحياة أكثر عملية بكثير من الاسترشاد بأفكارنا عن سمات هذا الفرنسي أو ذاك. لكن الخطأ الوحيد كان افتراض أن بالإمكان نشر تلك المبادئ بنفس الطريقة التي انتشرت بها الانتهاكات التي كانت موجودة قبلها؛ بالعنف. كان بالإمكان أن تكون الجمعية التأسيسية على حق تمامًا إن أذاعت نفس المبادئ، وتحديدًا: ليس من حق أحد أن يمتلك إنسانًا آخر أو يمتلك أراضي أو يجمع الضرائب أو يعدم شخصًا آخر أو يحرمه من حريته، وأن من الآن فصاعدًا لا يمكن لأي حكومة أن تؤيد هذه المبادئ القديمة وحسب. لا أعرف ما الذي كان يمكن أن ينتج عن ذلك، ولا أحد يعرف ما الذي كان يمكن أن يجري الآن لو تم إعلان ذلك، لكن الأمر الوحيد الذي لا شك فيه هو أن ما حدث في الثورة الفرنسية لم يكن ليحدث لو تم إعلان ذلك. لا يمكن للأفراد أن يقتلوا ويذبحوا ويسلبوا واحدًا على ألف من العدد الذي قتلته وسلبته الحكومات؛ أولئك

(٤٩) محررة الجريدة الأمريكية: World's Advance Thought وكتبت داعمة لمقالة تولستوي الأخيرة.

البشر الذي على قناعة بأن لديهم الحق في القتل والسلب. ربما لم يكن المجتمع الفرنسي مهيمًا حينها لهذه الثورة، وربما لا يزال غير مهيمًا حتى الآن، ولكن لا شك أن هذه الثورة كان لا بد لها أن تندلع، وأن جاهزية البشرية تزداد أكثر فأكثر لها، وأن زمنًا سوف يأتي ستكون البشرية فيه مهياة تمامًا لها.

٢٢ أغسطس - ياسنايا بوليانا.

بالأمس عدت من بيروجوفو. سيريوجا يحتضر. لم يكن في حاجة إليّ. ينكشف غطاؤه الأخير الذي يحجب عنه جوهر روحه في هذه الحياة. الأمور بخير في المنزل، وكذلك حالتي الروحية. عليّ تدوين أمر واحد، وهو الأكثر أهمية وبعثًا للسرور:

اتضح لي تمامًا أن الحياة هي استنارة ونزع الحجب التي تغطي الكائن. الكائن ثابت، ولكن كل ما حوله ينجلي وتُنزع عنه الحجب؛ فيدرك أمور جديدة طوال الوقت، ويبدو له كأنه يتحرك وأن حياته في هذه الحركة. إن كان الكائن واحدًا فحسب، لما بدت له الاستنارة حركة، بل أدركها كما هي: استنارة. لكنه ليس كيانًا واحدًا. إنه يستنير وسط كائنات مختلفة تنال استنارتها، وهذه الدرجات المختلفة من الاستنارة هي ما تمنحه مفهوم الحركة داخل نطاق الزمان، وهي حركة مرتبطة بالكائن الذي يستنير وحسب. تجري الملاحظات التنويرية التي يمكنني أن أصل إليها في حركة دائرية... دوائر... دوائر، وتزداد الاستنارة تدريجيًا.

ألمتني معدتي ولا أستطيع مواصلة الكتابة، كما أن الأمر ليس بهذه الصورة.

يمكننا أن نقارن ذلك بالحرارة والضوء المحصورين داخل الثلج؛ أو بشكل عام أشياء مختلفة الكثافة تذوب بفعل الحرارة. أنا واحد من جسيمات الحرارة والضوء هذه، وكلما تذوب قشرة الثلج، أرى المزيد والمزيد من جزيئات الحرارة التي تذيب جسيمات ذات كثافة مختلفة. أعرف جيداً ما الذي يحدث في الناس. أعرف أن هذا يحدث في الحيوانات، وأظن أنه يحدث في النباتات، وكذلك فيما هو بعيد عني جداً. نتيجة هذا البعد لا أستطيع أن أرى عملية الذوبان هذه، وبالتالي أظن أن هذه الجسيمات غير حية؛ أقصد الكواكب والنجوم والذرات. يحدث التنوير على مستوى الأجزاء المنفصلة؛ أي الشخصيات، وكذلك يحدث على مستوى الأجزاء المتحدة؛ في خلايا جسد الإنسان مثلاً، وفي الكائنات الحية المنفصلة، وفي الكوكب كله بكل ما فيه من حيوانات ونباتات.

صياغة سيئة للفكرة.

٢٦ أغسطس (بيروجوفو).

مات سير يوجا. مات بهدوء دون وعي؛ دون وعي بالموت. هذا سر. يستحيل القول ما إن كان هذا أفضل أم أسوأ له. لم يكن من الملائم له أن يصل إلى شعور ديني فعال. ربما لا أزال أخدع نفسي، ولكن يبدو لي العكس. كانت حالته جيدة بشكل عام. لقد انكشف له شيء جديد أفضل، وكذلك حدث لي. إن درجة هذا التنوير شديدة الأهمية والقيمة، لكن لا يهم في أي درجة يقف الإنسان وسط هذه الدائرة اللانهائية.

منذ يومين وأنا أعمل على «دورة قراءات». الأمور تنجلي لكن لا تزال صعبة.

١- يتحدثون عن فظائع الأناركية والإرهاب. هل يمكن مقارنة هذه الفظائع بفظائع الحرب اليابانية؟

٢- خرجت على متن الجواد، وفكرت في مدى استعدادي للموت وفي ذلك العمل الضخم الذي أقوم به وبإمكاني القيام به. تصورت بحيوية شديدة كيف يستحيل على المرء أن يكون مستعدًا للموت، ويموت بهدوء إن عزا إلى نفسه أي أهمية، ولم يعتبر نفسه حتى أهم من الناس، بل مساويًا لهم وحسب. أكبر قدر من التواضع وأكثره إخلاصًا هو الشيء الوحيد القادر على منح صاحبه الراحة عند الموت. يعود ذلك إلى أنك بينما تفكر في الموت، تفكر في الله الذي بحسب إرادته جئت إلى هذا العالم وإليه تمضي. إن فكرت فيه لن يسعك إلا أن تشعر بمدى ضآلتك وعدم أهميتك. إن اعتبرت نفسك مهمًا وعظيمًا، فهذا يعني أنك لا تفكر في الله الذي يستحيل ألا تفكر فيه أثناء الموت؛ لأنك ماضٍ إليه. عليك أن تشعر بصغرك أمام الناس وأمام نفسك حتى تتمكن من دخول بيت الله. أنكر نفسك وستتحده به. كلما زاد إنكارك لنفسك، ازداد اقتربك منه.

٢٧ أغسطس (بيروجوفو).

كنت بحالة صحية جيدة تمامًا. غضبت بسبب الغداء. أمر مُخزٍ. يزداد الموت إدهاشًا لي أكثر فأكثر. ذهبت إلى المقابر، ثم حملوا الجثمان إلى الكنيسة. جريشا^(٥٠) بخير وهادئ. أشعر بالخمول. بالأمس ترجمت بعض الكتابات لأجل «دورة قراءات». استيقظت اليوم مبكرًا ودوّنت الآتي:

(٥٠) ابن سيرجي شقيق تولستوي الذي توفي لتوه.

١- عن التنوير: بمرور الوقت أزداد تنويرًا وتعبيرًا عن نفسي. الأمر ذاته يحدث لبعض الناس: أزداد تنويرًا فأعبر عن كافة أسلافي. العالم كله من وجهة نظري يزداد تنويرًا باستمراره في العيش، ويعبر عن العالم الماضي. ما هذا الخط؟ إنه يعني أن عملية التنوير السالفة تمضي إلى الأمام في خط مستقيم. يبدو لي الخط مستقيمًا؛ لأنه لا نهائي الحجم، وربما يستدير حتى تنغلق الدائرة، أو ربما هو خط مستقيم لا نهائي بالنسبة لي، وبالتالي لا معنى له، لكنه ليس كذلك بالنسبة للعقل الكلي. بالنسبة لي، ما يشكل محاور كل هذه الأشكال الدائرية هي أشكال دائرية أخرى ذات محاور أكبر... إلى ما لا نهاية. لا يمكنني فهم كل شيء، ويجب أن يكون الأمر هكذا. لكنني أعرف الاتجاه والحركة، والأهم من ذلك أعرف أن أناي الحقيقية ليست لا نهائية أو لا معنى لها، لكنها جوهر قائم ثابت، وحركتي المستمرة التي تبدو لي ليست سوى عملية تنوير، وهي مغزى الحياة. هذا أمر مهم وضروري.

كتبت الفكرة بشكل سيئ، لكنها مفهومة لي ولأولئك الذين التحقوا بنفس تيار أفكارى.

٢- عن العظمة الدنيوية؛ الأمر الذي كتبت عنه سابقًا، لكنه يبدو لي اليوم واضحًا بشدة: إن رغب الإنسان في الوصول إلى فهم هادئ وعقلاني للحياة والموت، لا مفر أمامه من فهم مساواته بالجميع؛ ليس فقط بالبشر، بل وكذلك بالحيوانات. لا يكفي حتى أن يدرك مساواته، بل عليه أن يشعر بضالته. بإمكان هذا الفهم وحسب أن يصل بالإنسان إلى حياة عقلانية هادئة وعدم شعور بالخوف أمام الموت. أنت جزء لا

متناهي الصغر من كيان أكبر، ولم تكن لتصبح شيئاً من الأساس لو لم تكن لديك مهمة محددة. هذا وحده ما يمنح حياتك معنى ومغزى. ما عليك فعله هو أن تستخدم الأداة التي مُنحت لك - مثل الجميع - من أجل تحقيق المهمة الموكلة إليك؛ فلتتلم فأسك وتترك منجلك. كل الأفعال متساوية، وليس بإمكانك أن تقوم بما هو أكثر مما أُعطي لك. لا تستطيع ولن تفعل. ينحصر عملك في القيام بذلك طواعية. يمكنك أيضاً أن تعادي الله وتعذب نفسك، وستحقق إرادته في كل الأحوال. في أفضل الأحوال يمكنك ألا تقاومه وألا تهتم به. لذا ما من شيء مهم وعظيم ليس بإمكان الإنسان القيام به. إن نَسَبَ إلى نفسه العظمة والاستثنائية، سيحوّل نفسه إلى مسخ وسيهلك، ولن ينعم بحياة هادئة وواضحة وموت بلا هلع. فلتطبق ذلك على نفسي: لقد وُهِبت الحاجة إلى التفكير والتعبير عن أفكارى، والكتابة ومحاولة صنع اتساق بين حياتي وأفكاري؛ الأمر الذي أقوم به بشكل سيئ جداً. لذا، بغضّ النظر عن أهمية أفكارى لي وللآخرين وحتى للبكتيريا، فلها ذات الأهمية التي لنمو حبوب الجاودار، وهي ليست أكثر أهمية من العناية بقط. أشعر إذن أنني ما إن أنسب إلى نفسي أهمية أكبر من التفاح وشجر القيقب وثماره حتى أحرم نفسي من الهدوء وفرحة الحياة والإذعان للموت.

١ سبتمبر.

إنه اليوم الثالث الذي يستمر فيه ألم معدتي. انشغلت طوال تلك الفترة بالترجمة والقراءة من أجل كتاب «دورة قراءات»، وكتبت المقدمة. العمل يتقدم لكنه هائل الحجم.

عليّ تدوين الآتي:

١ - بقدر ما ينكشف جوهر الحياة؛ بقدر ما يدرك الإنسان طبيعته اللا زمانية واللا مكانية، تتهدم وتتقلص طبيعته المادية؛ تتهدم الحدود التي تفصله عن بقية الكائنات: «لَأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» (تكوين ٣: ١٩).

٢ - ليس البشر وحدهم مَن يتحلون بالطيبة عندما يهرمون، بل كذلك الحيوانات. هل تفعل النباتات ذلك أيضًا؟ نحن لا نعرف ماذا تفعل تحديدًا، لكن ما تُظهره عندما تهرم يشي بذلك؛ فهي تُسْقِط الثمار والحبوب وتخدم الآخرين وتكف عن الصراع (تبدأ في التحلل) وتتنازل عن مكانها لنباتات أخرى.

٣ - من الأسباب التي تجعل المرأة تتمتع بقدر من العقلانية أقل مما لدى الرجل، خاصة في صباها قبل الزواج، هو أن الرجل في تلك المرحلة لا يصحح لها سلوكها ولا يدينها، بل يمتدحها وحسب. (هراء).

٤ - يُقال إن الموت يُشبه النوم، لكن هذا غير صحيح. متى ننام لا ندرك أننا نيام، لذا تشبيه الموت بالنوم لن يوضح شيئًا. نحن ندرك أننا مستيقظون وحسب، وبالتالي يمكننا تشبيه النوم باليقظة. لحظة الولادة هي لحظة النوم. ثمة تطابق كامل بين الموت واليقظة. نستيقظ عندما ننعم بـقسط وافر من النوم أو عندما نشعر بالإرهاك من الحياة، أو ربما بفعل أسباب خارجية (مثلما يمكن أن نموت من صنوف المعاناة). كما يضعف النوم بالاقتراب من لحظة الاستيقاظ، وتزورنا الأحلام، هكذا تضعف الحياة ويزداد إدراكنا تدريجيًا لعبثية الحياة من حولنا. أحيانًا

يصل الأمر - مثلما هو الحال معي الآن، ومثلما يحدث في الكوابيس - إلى الشعور بالهلع من الحياة والرغبة في الاستيقاظ.

٥ - يعتبرون داروين فيلسوفًا وحكيماً استطاع اكتشاف قانون هام، في الوقت الذي لم يفعل فيه شيئاً أكثر من أنه بدلاً من أن يسأل: «ما الهدف من...؟» قال: «لماذا؟» يقولون: نعم هذا الحيوان بفرو دافئ حتى يستطيع العيش في الشمال، بينما هو يقول: هذا الحيوان ينعم بفرو دافئ؛ لأنه يعيش في الشمال! فقد ماتت الحيوانات التي لا تتمتع بفرو دافئ. ولكننا لن نصل إلى شيء بتحويل سؤال: «ما الهدف من...؟» إلى «لماذا؟» ما الهدف من عيش الكلب والظبي في الشمال؟ أيعود ذلك إلى أن كافة الحيوانات الأخرى قد ماتت؟ ولكن لماذا ذهبت تلك الحيوانات إلى الشمال من الأساس أو ظهرت هناك؟ ما الهدف من وجود الحيوانات من الأساس؟

معدتي تؤلمني. لم أضغ الفكرة على نحو جيد.

١٥ سبتمبر.

لم أدون يومياتي منذ أسبوعين. انشغلت طوال تلك الفترة بجمع الاقتباسات التي سأستخدمها في «دورة قراءات». جمعت في تلك الفترة من الاقتباسات ما يكفي لعام كامل، بل وربما لعام آخر. لا أقرأ الصحف لكنني أقرأ لأميل وكارليل^(٥١) ومازيني^(٥٢)، وأشعر أن حالتي المعنوية جيدة جداً. حالتي الصحية لا بأس بها. بالنسبة لحالتي الروحية، أريد أن

(٥١) كاتب إسكتلندي وناقد ساخر ومؤرخ.

(٥٢) جوزيبي مازيني: وطني إيطالي وفيلسوف وسياسي وماسوني إيطالي لقب بروح إيطاليا.

أمتدح نفسي، لكنني أخشى ذلك. سأقول على أي حال إنني مسرور للغاية.
عليّ تدوين الكثير:

١ - يُشكّل المكان والزمان أساس محدودية وجودنا. وجودنا محدود، ويشكل المكان عدم قدرتنا على الإحاطة بكل شيء. إننا لا نعرف مما هو موجود سوى ما تكشفه لنا حواسنا الخمس. بالعقل يمكننا أن نُوحّد كل ما هو موجود، وهو لا يدرك وجود شيء سوى ما تدركه حواسنا الخمسة. وجودنا محدود والزمان هو عدم إمكانية رؤية وإدراك وجودنا ووجود العالم بأكمله؛ فنحن لا ندرك وجودنا ووجود العالم إلا داخل إطار التعاقب. يُوحّد وجودنا الروحي بالذاكرة كل هذه الحالات المتعاقبة بعد أن يدركها جميعاً، من الطفولة وحتى الشيخوخة، لتصبح جميعها كياناً واحداً، ألا وهو أنفسنا.

لولا العقل والذاكرة لكانت حياتنا عبارة عن حالة واحدة من وجودنا.

٢ - أمر غريب: كثيراً أجد نفسي منجذباً لأناس لا أخلاقيين، وربما قساة، لكن واطدو العزم (فيرا - أندريوشا وآخرون)^(٥٣) أكثر من انجذابي للبراليين الذين يخدمون الناس والمجتمع. وجدت تفسيراً لذلك. لا لوم على أولئك الذين لا يدركون معنى الحياة الحقيقي إن استمروا في عماهم، فهم ليسوا كالبوم، بل كالجراة. الشيء الوحيد الجيد الذي بإمكانهم فعله هو ألا يكذبوا وينافقوا، ويتظاهروا بأنهم يشبهون الإنسان الحقيقي أو يقوموا بنشاط يشبه النشاط الديني لكنه ليس كذلك. لكنني أشعر بالنفور الشديد عندما يكون الناس مرثيين أو يسلكون من أجل

(٥٣) فيرا ألكسندرا كوزمينسكايا: هي قريبة زوجته، أما أندريوشا فهو ابنه.

الناس لا من أجل الله، أو ينشدون تبرير أنفسهم دائماً.

٣- التنويم أو الإيحاء هو شرط ضروري للحياة الاجتماعية، لكنه بلية إن استُخدم من أجل الشر. علاوةً على ذلك فهو يُثلم مشاعر الناس ويفسدهم ويوقف حركتهم صوب النور والخير. لقد جلب بلية مفرعة أخرى في زماننا؛ أفضل الناس في مجتمعنا قد أدركوا أن المعلمين الدينيين الكذبة يستخدمون الإيحاء بهدف الإضرار بالناس، ومن ثم كَوَّنوا في أنفسهم حائط صد مصطنع ضد أي نوع من أنواع الإيحاء الديني، رغم ضرورته الدائمة. فلننظر الآن إلى كل أولئك الصالحين الذين يخشون الآن بشكل مباشر كلمات ومفاهيم من قبيل: الله - الدين ويُنحّونها عنهم نهائياً رغم أن الدين والإيحاء الديني بمثابة شرطين ضروريين حتى يعيش الناس حياة عاقلة.

٤- يحب الناس مناصرة كل ما هو قديم؛ خاصة في الدين، بينما يتدفق كل شيء ويجري في حركة مستمرة، بما فيه أساس الحياة؛ الدين. الدين الذي تخلف عن زمنه، لم يعد ديناً؛ إنه ليس سوى عائق أمام وصول الناس للدين الحقيقي الذي يلائم متطلباتهم.

٥- قلت لنفسي إن الموت يشبه النوم: تشعر بالإرهاك ثم تنام. ثمة تشابه فعلاً، لكن الموت يشبه اليقظة أكثر مما يشبه النوم. في النوم أعرف اللحظتين: النوم - رغم أنني لا أعيه - واليقظة التي أعيها. وفي الموت أعرف لحظة اليقظة - رغم أنني لا أعيها - ولحظة الاحتضار التي أعيها.

هذا يعني أن الموت هو نوم لا ريب فيه، ويقظة محتملة. ما يؤكد على أنه نوم هو أنه يحدث بعدما يُنْهَك المرء، وما يؤكد على أنه يقظة

هو أنه يحدث عندما يتم خرق الهدوء والرفاهية، أي مع المعاناة، وهو لا ينتج عن الإنهاك، بل على العكس من ذلك؛ إنه راحة كاملة واستعداد لعمل الحياة.

كل هذا غير واضح، وعليَّ أن أعيد التفكير فيه.

٦- كيف يتصور الكلب أو الذئب العالم؟ إنه لا يتصوره إنساناً فاحم الشعر، أو أقرع، أو أبيض أو بأي طريقة بصرية محددة؛ إنما يتعرف على كل شيء من رائحته ويعرف ما إن كان مذاق هذا الشيء أو ذاك مرّاً أو حامضاً أو حلواً. بالنسبة للكلب فإن صورة الإنسان أيضاً ليست سوى رائحته. أما كيف يبدو العالم بالنسبة للذئابة فيصعب التكهن بذلك بأي شكل.

٧- ثمة حكاية لهانز كريستيان أندرسون عن حبة بازلاء، وكيف ظنت العالم كله أخضر اللون؛ لأن القرنه^(٥٤) لونها أخضر، ثم تحول لون القرنه إلى الأصفر فظنت العالم كله أصفر اللون، وهنا سوف أكمل أنا الحكاية وأقول: بعد ذلك انفجرت القرنه فانتهى العالم بالنسبة للحبة. وسقطت الحبة ونمت في الأرض.

٨- حدث أكثر من مرة خلال تلك الفترة أن اكتنفتني شعور بالسرور والعرفان لما انكشف لي.

٩- يقول كارليل إن الإلحاد يؤدي لا محالة إلى العبودية. من لا يعترف بسلطان الله سيُعترف بسلطان إنسان ما لا محالة.

(٥٤) غلاف حبة البازلاء.

أبدأ الآن التدوين في دفتر جديد، وأواصل ما بدأت في ١٥ سبتمبر:

١٠ - في الشيوخة تموت المواهب والقدرات تدريجيًا، وكذلك الحواس الخارجية التي نتصل من خلالها بالعالم: الرؤية - السمع - التذوق، ولكن في الآن ذاته تظهر لدينا حواس جديدة، ليست خارجية، بل داخلية، نتصل من خلالها بالعالم الروحي. إننا نُكافأ بفائض ضخم منها. إنني أختبر ذلك الآن، وأنا مسرور كما أشعر بالعرفان أيضًا.

١١ - أمر غريب: وصلت إلى تلك القناة - أو بالأحرى عدت إليها - التي مفادها أن كل دراسة موضوعية هي محض عجب وخداع، بل إن محاولة الوصول إلى المجهول هو جريمة. لا ينكشف للإنسان سوى عالمه الذاتي، ودراسة هذا العالم هي الأمر الوحيد المثمر. إن دراسة العالم الداخلي هي دراسة حواسك، وبالتالي دراسة العالم الخارجي - أي العلوم الطبيعية - لا تكون مثمرة إلا عندما تشكل الانطباعات مادتها. ما إن تنحو الدراسة صوب ما هو غير مرئي وغير محسوس، حتى تبدأ المعرفة الكاذبة.

١٢ - كن صادقًا ومتواضعًا وصالحًا، وستنال الحرية والهدوء والسرور.

١٣ - الله هو قانون ينشد الصدق والتواضع والفضيلة، وتحقيقه يمنح صاحبه الحرية والراحة والحياة.

٢٢ سبتمبر.

لم أدوّن يومياتي لأسبوع. حالتي الصحية جيدة. أنا في حالة نعاس

ذهني. بدأت أكتب في «نور في الظلام»^(٥٥) لكن ليست لديَّ رغبة في الاستمرار. أدت بعض العمل المتعلق بالمفكرة. يجب أن أنقل سيرهم^(٥٦). قرأت في كتاب كانط. مفهومه عن الله والخلود؛ (الحياة الأخرى) مدهش من حيث درجة فشله في الإقناع. رغم ذلك يقول إنه لن ينزع عن إحدى كفتي الميزان رغبته الشخصية في إثبات الخلود. لكن الفكرة الرئيسة عن الإرادة خارج نطاق الزمان والشيء في حد ذاته صحيحة تمامًا ومعروفة لكافة المتدينين؛ مثلاً نراها عند البراهمة والفارق الوحيد أن هذا المفهوم لديهم أكثر بساطة ووضوحًا. تبقى خدمة كبيرة أخرى قد قام بها؛ مفهوم الطبيعة الشرطية للزمان. هذا أمر عظيم حقًا. سيشعر المرء بالتأخر الشديد لو لم يفهم ذلك بفضل كانط.

صوفيا في موسكو الآن. الطقس رائع. عليّ تدوين الآتي:

١ - يعود الخوف من الموت، أو بالأحرى الارتباك الشديد منه إلى أننا نظن الزمان والمكان حقيقيين؛ نكسو الوهم بإطار واقعي. نظن الزمان حقيقياً؛ لأننا غير قادرين على إدراك أنفسنا خارج إطاره. نسأل أنفسنا: ماذا سوف يحدث بعد الموت؟ لكن السؤال نفسه متناقض: «ماذا سوف يحدث» تعني شيئاً سيحدث داخل إطار الزمان، في الوقت الذي ستزول فيه من الأساس الحياة داخل إطار الزمان. ثمة شيء واحد مؤكد: لن تعود ثمة حياة داخل إطار الزمان. من المؤكد أيضًا أن فكرة الحياة داخل إطار الزمان ستنتهي بالموت لا يمكنها أن تثبت أن كل حياة أخرى

(٥٥) اسم آخر لمقالة «حجر الزاوية».

(٥٦) سير الشخصيات التي يقتبس كلماتها في كتاب «دورة قراءات».

لا بد لها من نهاية. إن أردنا أن نثبت صحة ذلك علينا أن نجد دليلاً على أن لا حياة إلا داخل إطار الزمان، وبالطبع لا دليل على ذلك، بل إن لدينا وعي بالعكس.

٢- إن كانت ثمة حياة خارج إطار الزمان، فما الهدف إذن من تجليها داخل إطار الزمان والمكان؟ لأننا لا نستطيع أن نحيا إلا داخل إطار الزمان والمكان؛ في حالة انفصال النفس عن الكيان الكلي؛ نتحرك ونسعى صوب توسيع حدودنا ونسعى صوب التنوير. لو لم تكن ثمة أجزاء منفصلة، لما كانت هناك حركة، ولما كانت حياة.

٣- لولا محدوديتنا بالزمان والمكان لما كنا ولما نعمت حياتنا بالخير القائم على توسيعنا لحدودنا والتنوير. علينا إذن ألا نشكو من محدوديتنا، بل نبتهج بها ونشعر بالعرفان صوبها.

٤- الموت هو توقف الوجود الزمني. إن كان الوجود الزمني لا يعبر عن الحياة بمجملها، بل هو أحد أشكال الحياة وحسب، فإما أن الموت يُوحِّدنا إذن بالكيان الكلي وإمّا أنه يقودنا صوب شكل جديد من أشكال الحياة.

٥- لا يمكننا أن نتصور الحياة بعد الموت، كما لا يمكننا أن نستعد إلى ذاكرتنا حياتنا قبل أن نولد، وبالتالي لا يمكننا تصور الحياة خارج إطار الزمان، ولا يمكننا تذكر إلا ما هو زمني. إن كان لنا وجود حقيقي، فهو خارج إطار الزمان.

٦- النوم والأحلام هما مثال للحياة خارج إطار الزمان والمكان. نرى في أحلامنا الموتى والشيوخ شباباً، ونكون في موسكو وقازان

في الآن ذاته، ونتحدث مع فلان وعلان في نفس الوقت دون أن يحول
التحدث مع أحدهما التحدث مع الآخر.

٧- الدين: فلسفة مفهومة للجميع. الفلسفة: دين يحتاج إلى إثبات
صحته لذا فهي معقدة وممنهجة.

٨- كم أردت أن أكتب تعليمًا شفهيًا^(٥٧) مفهومًا ومقنعًا للأخلاق
- ولكن دون أسئلة وأجوبة - موجه للجميع، وخاصة الأطفال؟ حينها
يمكن أن أقول لنفسي: «مغفورة لك خطاياك»^(٥٨).

٨ أكتوبر.

لم أدوّن شيئًا منذ أكثر من أسبوعين. أنا منهمك جدًا في العمل في
«دورة قراءات»، والعمل يتقدم فيها، ولكن لا يزال أمامي الكثير. دوّنت
فكرة بدت لي مهمة. حالتي الصحية جيدة بشكل عام، لكنني لا أزال أشعر
بالألم في الجزء الأيمن من أمعائي. ربما ليس هناك شيء، وربما ثمة أمر
خطير سيؤدي إلى موتي. أفكر في الموت دون أي ضيق. الساعة الآن
الواحدة صباحًا. لن أدوّن شيئًا. تصعب عليّ الكتابة الآن رغم أنني أظن
أن لدي الكثير من الأفكار الهامة لأدونها.

٢٢ أكتوبر.

لم أدوّن يوميّاتي منذ دهر! انشغلت طوال هذه الفترة بـ«دورة
قراءات». عملت كثيرًا وأنجزت الكثير. ولكن كلما عملت الكثير،

(٥٧) كتاب يحتوي على المبادئ الرئيسة للديانة المسيحية في صورة سؤال وجواب.

(٥٨) استشهاد بقول المسيح للمرأة الخاطئة لتي أعلنت عن توبتها في لوقا ٧: ٤٨.

لاح أمامي المزيد من العمل الذي بإمكانه أن يجعل الكتاب أفضل. لا أعرف أين يمكنني أن أتوقف. يسرني أن أدرك أن ما يحركني في هذا العمل هو حماستي للعمل نفسه وحسب. ساعدني إيفان إيفانوفيتش في العمل، وصديق جديد دمث جدًا فيدوروف، بالإضافة إلى أبريكوسوف اللطيف. ثمة حدث مهم اليوم:

١ - حدث معي مجددًا ما تكرر قبل ذلك كثيرًا؛ خطرت على ذهني فكرة تبدو غريبة ومتناقضة، ثم تأتيني تلك المرة من منظور مختلف مرة ثانية وثالثة، وأبدأ التفكير في الأفكار والأمور المرتبطة بها، وفجأة أقنع بأنها ليست فقط فكرة غير متناقضة وغير عرضية، بل إنها من أكثر الأفكار أهمية التي من شأنها أن تفتح لي أفقًا جديدًا مهمًا في الحياة. هذا ما حدث لي مع فكرة واجب الإنسان في السعي صوب الكمال. اعتدت أن أتفاعل معها سابقًا بحذر؛ لأنها تبدو للبعض حقيقة بديهية، وللبعض الآخر أمرًا غير محبب هزليًا يستدعي السخرية، سيحاربونه بقوة. ثم وصلت إلى قناعة مفادها أن هذه الفكرة تزيل كافة الشكوك، وأنها تعبر عن معنى الحياة الوحيد والواضح والمناسب لنا. أما عن السؤال: لماذا من الضروري إذن من أجل مصدر الحياة، أو الله، أو ببساطة لنا نحن شخصيًا أن نسعى صوب الكمال، فهذا ما لا أعرفه وما لا أستطيع أن أعرفه. يمكنني أن أخمن وحسب أنه أمر ضروري من أجل أن ينعم الفرد والمجموع على السواء بالخير الأعظم، فلا شيء بإمكانه أن يدفع إلى تحقيق الخير للفرد والمجموع على السواء مثل سعي المرء صوب الكمال. ولكن إن كنت لا أعرف الهدف من ذلك، لكنني أعرف دون شك

أن هذا هو قانون ومغزى حياتنا. أدرك ذلك بفضل ثلاث حجج مقنعة جدًا:

حياتنا بأكملها هي سعي صوب خيرنا؛ تحسين أوضاعنا، والسعي صوب الكمال يؤدي بلا شك إلى تحسين أوضاعنا، وهو أمر لا يمكن عزوه إلى العقل، بل هو سمة مفطور عليها الإنسان. يسعى كل إنسان صوب ذلك، عن وعي ومن دون وعي على السواء.

إنه النشاط الوحيد من بين كافة الأنشطة الإنسانية الذي لا يمكنه أن يتوقف أبدًا، والذي بإمكانه أن يستمر بكامل حريته حتى وسط المصاعب والأمراض والمعاناة، وحتى الموت.

يتلاشى من أمام الإنسان الذي يضع هذا هدفًا أمام عينه كل ما نطلق عليه "شر" أو بالأحرى يتحول إلى خير. إنه يستقبل الاضطهادات والإساءات والحاجة والمعاناة الجسدية والأمراض التي تصيبه وتصيب القرابين منه وموت الأصدقاء وموته هو شخصيًا كأمر واجب الحدوث، ليس هذا وحسب، بل إنه يشعر أنه أمر ضروري من أجل سعيه صوب الكمال.

إن مثل الوزنات^(٥٩) يؤكد على الأمر ذاته. الحياة هي توسيع لحدود الروح، ولا يتعلق خير المرء بسمات روحه، بل بالقدر الذي استطاع أن يوسع به المرء حدود روحه ويسعى بها صوب الكمال. لماذا؟ لا أحد يعرف ولا أحد يستطيع أن يعرف ذلك. لكننا نشعر جميعًا بذلك.

(٥٩) راجع إنجيل متى ٢٥: ١٤ - ٣٠.

٢- دلل بوريدان^(٦٠) على عدم وجود حرية إرادة بحماره المُتخيل الذي سيموت جوعاً، واقفاً في المنتصف بين حزمتين من التبن؛ لأنه لم يَحْزُ دافعاً للبدء في أحدهما دون الآخر. سيكون الإنسان في نفس الموقف عندما يصمت صوت احتياجاته وشهواته. لا يمكن أبداً للإنسان أن يسترشد بهذه الحجة التي تحاول تحديد أي الأفعال بإمكانه أن يحقق نفعاً أكبر له؛ لأن بالإمكان تصور عدد لا نهائي من العواقب المحتملة والمتناقضة لكل فعل. إن لم يسترشد الإنسان برغبته في إرضاء احتياجاته أو شهواته لن يمكننا أن نفسر فعله الذي يمكن أن يبدو متناقضاً دائماً. السبيل الوحيد للخروج من هذه الإشكالية هو الشعور بالإنصاف.

٣- كل معرفة مكتسبة لا تنتمي إلى مَنْ اكتسبها وحسب، بل إلى كل مَنْ في حاجة إليها. مَنْ يقومون بأعمالهم في كنف الظلام هم الذين يناقضون ذلك.

٤- الحياة بمعنى الوعي الداخلي لحياة كل فرد منفصل، والحرية بمعنى إمكانية الإنسان أن يختار ويقوم بأفعال بإرادته هما نفس الشيء تقريباً: لا حياة إلا في الحاضر، والحاضر خارج إطار الزمن. الحرية هي إمكانية القيام بأفعال خارج نطاق الزمان.

٥- الموت هو توقف هذا الوعي بالحياة الذي أختبره الآن. أرى توقف هذا الوعي في المحتضرين، أما عما سيفعلونه بكل ما وعوه؛ فهذا

(٦٠) جان بوريدان: كاهن فرنسي نثر بذور ثورة كوبرنيكوس في أوروبا. وقد طور مفهوم قوة الدفع، الذي كان الخطوة الأولى نحو مفهوم القصور الذاتي المعاصر، والذي شكل تطوراً هاماً في تاريخ علوم العصور الوسطى.

ما لا أعرفه وما لا أستطيع أن أعرفه.

٦- تتمثل لنا حياتنا في توسيع حدود الوعي وزيادته. لكن هذا يتمثل لنا؛ لأننا نعيش داخل إطار الزمان. بالنسبة لمن يعيشون خارج إطاره، ليس ثمة زيادة أو توسيع أو حركة، ولا يمكن أن تكون.

٧- حتى إن كان ما يصيبه الإنسان الفاضل غير الأناني من أفراح ومآسٍ هو ما يصيبه الإنسان الأناني المحب لذاته - رغم أن الأمر ليس كذلك؛ فالإنسان الفاضل سيصيب دائماً المزيد من المسرات والقليل من المآسي - إلا أن الفاضل سيكون رابحاً دائماً لأنه سيختبر هذا الخير الداخلي الذي تمنحه حياته الصالحة إياه، وهو الأمر الذي يُحرم منه غير الفاضل.

٨- إن أراد الإنسان أن يعيش حرّاً، عليه أن يعيش في الحاضر دائماً. ولكن يستحيل على المرء أن يعيش في الحاضر وحسب، فالعيش مشروط كذلك بالماضي والمستقبل. هذا صحيح، لكنه كذلك فيما يتعلق بالنشاط الموجه للآخرين وحسب. أفضل وأقدس حياة للمرء هي التي يوجّه فيها كل نشاطه الدنيوي المُشترط بالماضي والمستقبل إلى خدمة الناس، أما نشاطه الروحي فيوجهه صوب خدمة الله وحسب، فروحه تحيا في الحاضر.

صياغة سيئة لكن الفكرة صحيحة وحقيقية.

٩- الثواب والعقاب بعد الموت في الأبدية في مكان غير موجود مثل الجحيم ليس إلا تعبيراً عن أنهما خارج نطاق الزمان؛ في وعينا اللا زمني، وخارج نطاق المكان؛ فيما يتعلق بوجودنا الروحي.

١٠ - علينا بالتسليم بالسر الذي يحيط بنا والاعتراف بعد قدرتنا على الإحاطة به، ومعرفة أين يجب أن نتوقف عن طرحنا للأسئلة والإجابة عليها.

١١ - عدم الإجابة مطلقًا على الأسئلة الميتافيزيقية أمر خاطئ تمامًا كالإجابة عنها جميعًا.

١٢ - يمكننا أن نعرف عن حياتنا ومغزاها وإرساليتنا بقدر ما نحتاج لتحقيق خيرنا.

١٣ - نحن لا نتوقف عن حب الناس لأنهم أشرار، بل إننا نراهم أشرارًا لأننا قد توقفنا عن حبهم.

١٤ - المكان هو إمكانية أن تتصور جسمًا ما؛ جسمك الخاص قبل أي جسم آخر، كشيء مادي، بينما هو ليس إلا حدًا يفصلك عن كل شيء آخر.
صياغة سيئة.

١٥ - لدى الإنسان وعي صلب بأنه كان موجودًا دائمًا، أو بمعنى آخر لم يأت وقت أبدًا لم يكن فيه موجودًا. لا يمكن أن يتلاشى أبدًا هذا الوعي؛ الوعي بالوعي.

١٦ - بامتداد الحياة؛ خاصة الصالحة، يضعف معنى الزمن وكذلك الاهتمام بالسؤال: ماذا سوف يحدث؟ كلما هرمت ازدادت سرعة مرور الزمن؛ قل مقدار الوقت، ولم يعد يهتمك السؤال المتعلق بما سيحدث بعد الموت. سيقبل اهتمامك بـ «سوف» ويزداد بـ «الآن».

١٧- في الشيخوخة، كما هو الأمر في الأحلام، تختلط الشخصوس والأماكن والأزمنة ببعضها: يصبح الأشقاء أبناء، ويختلط الأصدقاء ببعضهم. كذلك هو الأمر مع الأماكن والأزمنة، ويتحد كل شيء في كيان واحد مع الموت. كيف سيكون هذا الكيان الواحد؟

١٨- كشفت الثورة الفرنسية الكبيرة عن حقائق لا شك فيها، لكنها ما إن لجأت إلى العنف حتى تحولت جميعها إلى أكاذيب.

١٩- إن آمنت بالخلود، لا تفكر في الزمن. الخلود داخل إطار الزمن يعني حياة أبدية لا نهاية لها، وهذا أمر لا معنى له.

٢٠- بغض النظر عن طبيعة الخلود، لكنه مختلف عن الأبدية حيث إنه خارج إطار الزمان.

٢١- يتساءلون: لماذا يموت الأطفال والشباب الذين لم يعيشوا إلّا قليلاً؟ ولماذا تتصورون أنهم عاشوا قليلاً؟ هذا قياس زمني سيئ، بينما الحياة لا تُقاس بالزمن. إن هذا يماثل أن تقول: ما سبب قصر هذه الحكمة أو هذه القصيدة أو هذه المسرحية أو هذه المقطوعة الموسيقية؟ لماذا انتهوا منها سريعاً ولم يمدوها إلى أقصى قدر ممكن؟ لكن عظمة العمل الفني أو الحكمة أو القصيدة لا ترتبط بطولها، وهكذا هو الأمر مع الحياة. إننا لا نعرف قدر النمو الداخلي الذي حققته تلك الروح في هذه الفترة القصيرة، وحجم تأثيرها على الآخرين. لا يمكن أبداً أن نقيس الحياة الروحية بمقياس مادي.

٢٢- لا يمكننا أن نفهم الحياة إلا كحركة صوب الخير داخل إطار الزمن. أما بالنسبة لله، فهي ببساطة حياة؛ حياة الخير.

٢٣- الله بمثابة (س)، ولكن بالرغم من أننا لا نعرف قيمة (س) بالتحديد، لكن من المستحيل أن نحل أي معادلة على الإطلاق من دونها. الحياة هي بمثابة حل هذه المعادلة.

٢٤- كلما ألتقي بأناس لا يشعرون بالرضى، يدينون كل شيء، أود لو أقول للواحد منهم: فكّر... لا يمكن أن يكون الهدف من حياتك هو أن تدرك عبثيتها وتدينها وتغضب ثم تموت. لا يمكن أن يكون الأمر كذلك. فكّر. ليس من الضروري أن تغضب وتدين، بل أن تكافح من أجل أن تصلح هذا الشر الذي تراه.

٥ نوفمبر.

لم أدوّن يومياتي منذ ٢٢ أكتوبر. انشغلت طوال تلك الفترة بـ «دورة قراءات». أشك في قيمتها، أو بالأحرى أميل إلى الظن أنها سيئة. كتبت قليلاً في «حجر الزاوية» لكن ما يهم هو ما يتطور؛ قانون الله. أريد أن أبدأ على هذا النحو:

لا يعيش الناس على نحو شرير لمجرد عدم وعيهم بموقفهم الحقيقي في العالم وحسب، لكنهم يتصورون العالم أيضاً بصورة مختلفة تماماً عن حقيقته. يظن الناس أنهم يعيشون جسدياً في هذا العالم، بينما هم لا يعيشون فيه، بل يمرون به وحسب. يعيش الناس روحياً خارج نطاق الزمان والمكان. ليست الحياة في هذا العالم سوى تنفيذ لمهمة محددة وحسب.

مشغول طوال الوقت بكتاب «دورة قراءات» وأخشى أن أبدد ما تبقى لي من قواي عبثاً. ثمة أمور أخرى قد تكون أهم. لكن الله هو خير من يعرفني، ويعرف أكثر ما أنا في حاجة إليه. حالتي الروحية جيدة جداً. بمرور الوقت ازداد اغتراباً عن هذه الحياة، وتزداد قوة فهمي لها، ويرق كل ما يفصلني عما بعد الموت. عليّ تدوين الآتي:

١ - آه لو أتذكر حالة اللا حياة التي جئت منها، وإليها أمضي! كيف لا أقدر حينها كل هذه الخيرات التي تمتلئ بها هذه الحياة حق تقديرها! إنسان يغرق... يغرق دائماً، ولم يختبر حالة أخرى سوى الغرق، وفي المرة الأخيرة التي تمكن فيها من الوصول إلى السطح لثانية شعر بعدم الرضى عن حالته. تذكّر دائماً كل ما يهددك، ليس ذلك وحسب، بل سمات عيشك: الدمار والمعاناة وموت الأقارب وموتك، وستقدّر كل ساعة تكون فيها حرّاً من كل ذلك، وستصبح بهجتك بالحياة هي شعورك الطبيعي.

٢ - عندما نشعر بالأسف ونعاني، فذلك لا يعود إلى أن الألم الذي يشعر به من يعاني، بل لأن ذاك من تسبب في هذا الألم يخرق رباط الوحدة الذي يجب أن يكون بين الناس. عندما يعذب فاعل شر إنساناً آخر، فإننا نقول بسبب سوء فهمنا وما يبدو لنا أننا أسفون على من يعاني، لكن في الحقيقة يعود شعورنا بالأسف إلى العمل اللا أخلاقي الذي تم؛ إلى المسيء.

عندما يندفع المجنون ويضرب الحارس بشكل مؤلم، لا نشفق على الحارس، بل على المجنون. في هذا الموقف يبدو لنا بوضوح أن الذي يعاني فعلاً هو مَنْ يرتكب الشر وبالتالي هو مَنْ يقاسي منه. عندما يعذبون شهيداً من أجل الحق، لا نشفق عليه، ويتضح لنا أن الشهيد قد نال خيراً لا شراً، ونشعر بالسخط على معذبيه بدافع من سوء الفهم لا أكثر، في الوقت الذي كان يتوجب علينا فيه أن نشعر بالشفقة عليهم.

ما في الأمر هو أن الإنسان لا يمكنه أن يصنع شراً إلا بنفسه. مرد ذلك إلى أن الإنسان مُؤمّن دائماً من الشر الخارجي الذي يلحق به، وذلك لأن خيره في هذه الحياة هو مزيج من الخير الروحي والجسدي، والجميع يصيبون نفس القدر باختلاف شكل المزج، ولا يمكن لأحد أن يزيد أو يقلل من هذا القدر.

يمكننا أن نشبّه الخير الروحي والمادي بالميزان. ويمكننا تشبيه نظرة الإنسان إلى العالم - بغض النظر عن درجة سموها - بنقطة الارتكاز التي يستند إليها منتصف الميزان. الخير الروحي على إحدى الكفتين، وعلى الكفة الأخرى الخير المادي. كلما حُرِم الإنسان من الخيرات المادية مثل: الكفاية المادية - السلطة - المجد - القوة - الصحة - الأصدقاء، وهبطت كفة الخيرات المادية، عادلتها كفة الخيرات الروحية وارتفعت: التسليم لإرادة الله - العلاقات الخيرة مع الأصدقاء - التواضع - الخضوع - التسامح - جدية التفكير - عدم الخوف من الموت. تحدد رؤية الإنسان للعالم مدى ارتفاع أو انخفاض كفتي الميزان. تعتمد درجة حساسية الإنسان - سواء كانت كبيرة أم صغيرة - على طول ذراعي

الميزان، لكن قانون تعويض الإنسان على خسارته خيرات مادية بخيرات روحية يبقى كما هو دون تغيير. لذا لا يمكن للإنسان أن يختبر شرًا مطلقًا. ربما يتعرض لشر مادي، لكنه يُعوّض بالخير الروحي دائمًا في الكفة الأخرى من الميزان. لا يمكن أيضًا للإنسان أن يكون أكثر سعادة أو تعاسة من إنسان آخر، مثلما لا يمكن للمياه في بقعة ما من البحيرة أن تزداد أو تقل عن منسوب بقية المواضع في البحيرة. لذا لا يمكن للإنسان أن يصيب آخر بشر، ونحن نخطئ عندما نظن أن أحدهم يرتكب شرًا في حق إنسان آخر. ما نراه فعلًا هو أن ثمة شرًا يحدث، لكننا نخطئ في تحديد هوية من يصيبه هذا الشر فعلًا. لا يمكن للإنسان أن يرتكب شرًا إلا في حق نفسه، وهذا ما يحدث عندما يرغب إنسان أو مجموعة ما في الإضرار بالآخرين.

يتحدد خير وشر الإنسان بقدر ما يحققه من كمال وبقدر اقترابه من الله. يمكننا أن نشبه هذا الاقتراب أيضًا بارتفاع أو انخفاض كفتي الميزان. من يريد أن يصنع شرًا ماديًا بإنسان آخر من أجل أن يصل إلى أهدافه عليه أن يخفض كفة الخيرات المادية لهذا الشخص، ولكن تحقيق ذلك سيؤدي تلقائيًا إلى ارتفاع كفة الخيرات الروحية لهذا الشخص، وبهذا لن يؤذيه، بل سيؤدي نفسه؛ لأن رؤيته إلى العالم ستهبط إلى القاع.

في حقيقة الأمر لا يمكن لكل المؤمنين بصلاح الله إلا أن يصدقوا بأنه لا شر في العالم، وبشكل خاص أن لا أحد يمكنه أن يلحق بالآخر شرًا. لم يكن من الممكن أن أو من بالله أو أعيش في عالم يمكن فيه

لنيرون أو كاترينا أو نيكولاى الغبي أن يتسبب في تعاسة البشر^(٦١). لا يمكن أن يكون الأمر كذلك. إن كان كذلك، فلا وجود للعقل أو الله.

ولكن يُقال: نرى أناسًا لا يكتسبون أي خير روحي نتيجة معاناتهم المادية، بل على النقيض من ذلك؛ تؤدي معاناتهم المادية إلى المزيد من الغضب وفقدانهم آخر ما لديهم من خيرات روحية. أظن أن هذا غير حقيقي، وأن الأمر يبدو لنا كذلك وحسب؛ لأننا لا نعرف ماذا يحدث في أرواح هؤلاء الناس؛ لا نعرف ما الذي سبق تلك التعاسة في أرواحهم، ولا يمكننا تخيل تلك العتمة التي كانت تعيش فيها تلك الروح. مهما قال الإنسان المبتلى بالتعاسة، كل شر مادي يمنحه المزيد من الهدوء والثقة والقدرة على التعامل بعقلانية صوب الموت الحتمي.

٣- ليلة أول أمس اختبرت شعورًا كئيبيًا بعد أن أدركت بُعدي عن الله واتصالي المشوش به. إنه ليس في حاجة إليّ، لكنني لا أستطيع العيش من دونه. مهما كانت علاقتي به غبية وضعيفة وصيبانية، لكنني في حاجة إليه... إني في حاجة إليه من أجل الوصول إلى درجة أو عمق معينين من الوعي.

يُقال: يمكن للإنسان أن يتدبر أمره من دون الله. يمكن ذلك فعلاً لمن لم يرقّ بعد إلى مستوى الشعور بالحاجة للتواصل معه. هكذا عشت نصف حياتي، وهو ما يحدث معي الآن حينما أعيش حياة حيوانية. يعرف

(٦١) نيرون هو إمبراطور روماني تسبب في حرق روما وكانت لديه رغبات جامحة في تعذيب معارضيه، أما كاترينا فهي إمبراطورة روسيا. امتدَّ عصرُها من ١٧٦٢ حتى ١٧٩٦. نيكولاى الأول إمبراطور روسيا إبان حركة الديسمبريين.

كل منا متى ينعم بصحة جيدة، وكذلك يعرف من لديه القدرة على التفكير متى يكون في حالة روحية صحية. يستحيل عليه في هذه اللحظات التي يكون فيها معافى روحياً أن يتدبر أمره من دون الله.

٢٤ نوفمبر.

في حالة من التردد والضعف بشأن ما أكتبه. بدأت العمل في «حجر الزاوية» لكنني كتبت على نحو سيئ. عليّ أن أكتب ثلاثة أعمال هي الأكثر ضرورة الآن بالنسبة لي: حجر الزاوية - نظام الدولة - اعتراف إيمان. إن تبقى لي ما يكفي من الوقت والقوة سأدون ذكرياتي دون ترتيب، بل كما تتراءى لي. بدأت أذكر أمور بحيوية شديدة، لكنني لا أعرف ما إن كنت سأتمكن من كتابتها بهذه الحيوية أم لا. أفكار للتدوين:

١ - فكرة قديمة: مهما بدا ذلك غريباً، لكن لا شك أن المسيحية تتجلى وتتقدم فيما يدعونها «هرطقات» وحسب. يمكن أن تكون الهرطقات غير مسيحية وخاطئة، ولكن لا شك في أن التعاليم التي قبلتها الدولة والمستقرة مثل: الكاثوليكية - الأرثوذكسية - اللوثرية لم تكن مسيحية.

٢ - من بين أكثر الأوهام اعتياداً: الشعور بالأسف على الضحية، لا على الظالم، وعدم الشعور بالرضى عن العالم عندما لا نشعر بالرضى عن أنفسنا، والخوف من المستقبل عندما نخشى الماضي. أشعر بالنعاس لذا لا تتسم الصياغة بالوضوح الكافي.

٣ - حلمت بأنني استيقظت في الخامسة، ونظرت إلى الساعة فإذا هي

الخامسة. كل هذا كان حلمًا، لكنني بعدها استيقظت فعلاً ونظرت إلى الساعة فوجدتها الخامسة حقًا. هذا يعني أنني عندما استيقظت ورأيت الساعة قد وصلت إلى الخامسة، تصورت أنني حلمت بأنني استيقظت في الخامسة. لا زمن في الأحلام، وذلك يعود لغياب حركة كائنات أخرى مرئية، فهذه الحركة هي ما تشكل الزمن.

صياغة غير واضحة تمامًا.

١ ديسمبر.

أنهيت العمل على «دورة قراءات»، وبدأت في «مَن أنا؟». أنا في حالة روحية جيدة جدًا. أتقدم أكثر فأكثر. لا يمكنني التوقف عن شكر الله على ما منحني إياه... أشكر الله... الله... الله... لا أخشى هذا الاسم والمفهوم. عليّ تدوين الآتي:

وصل النظام القائم إلى مرحلة أصبحت فيها أساساته متناقضة تمامًا مع وعي المجتمع إلى حد لم يعد فيه قادرًا على تبرير نفسه إن ترك هذه الأساسات كما هي. كما يستحيل على المرء أن يصلح حوائط منزل أساساته عميقة، ويتوجب عليه في هذه الحالة أن يعيد البناء بدءًا بهذه الأساسات العميقة، كذلك يستحيل إصلاح نظام يتضمن مثل هذا الثراء المجنون والوفرة المفزعة لدى فريق، بينما تغرق الجموع في فقر وعوز... يستحيل إصلاح نظام يعتمد على حق ملكية الأرض وضرائب الدولة واستيلائها على الأراضي والنزعة الوطنية والعسكرية، ويسيطر عليه دين كاذب ويدعمه بقوة... يستحيل إصلاح كل ذلك بالدساتير والاقتراع العام وتوفير معاشات للعمال وفصل الدولة عن الكنيسة وما شابه ذلك.

٧ ديسمبر.

لا أعمل. أشعر بالسرور. أشعر على نحو خاص بالطبيعة المؤقتة لخدمتي هنا على الأرض. بدأت في كتابة «عرض الإيمان» وأقوم ببعض العمل من أجل «دورة قراءات».

١١ ديسمبر.

سأستطيع العمل. آلام في المعدة ولا أستطيع العمل. توقفت عن العمل في «عرض الإيمان» وانخرطت لمدة يومين في ترجمة باسكال^(٦٢). رائع جدًا. أنهيت قراءة سبينوزا ونقل المقتطفات. سبينوزا يهودي، ويشكل حبه لله أساس كل شيء عنده، لكنه شاب ولا يتمتع بالصدق الكافي، أو بالأحرى إنه شاب لذلك لديه بعض التصنع وإخلاصه غير كامل، ليس كباسكال الذي يكتب بدماء قلبه.

بدأ الضعف يصيب وعيي بقصر الحياة واقترابي من الموت. يا للأسف! لكنني آمل أن يجد في الأمور شيء. عليّ تدوين الآتي:

١ - يقول الناس إنهم يريدون خدمة الإنسانية وتطويرها بنشاطهم، كما لو أن بإمكانهم أن يعرفوا وسط هذه العملية اللامتناهية التعقيد من سعي الإنسانية صوب الكمال ما يمكنه أن يحفز هذه السعى وما بإمكانه أن يعيقه. على الإنسان أن يفعل أمرًا واحدًا وحسب ليتجنب الخطأ ويعمل فعلاً على تحفيز هذا المسعى المشترك صوب الكمال؛ أن يسعى صوب كمال ذاته، يحاول أن يكون كاملاً كأبيه السماوي.

(٦٢) ترجمة مقتطفات من كتاب Pensées لباسكال من أجل الاستشهاد بها في «دائرة القراءة».

٢- لا أتذكر ما إن كنت قد كتبت هذا سابقاً أم لا. خطرت على ذهني فكرة أن كل ما نسميه «الحياة» هي عملية يقظة؛ أي انتقال من وعي لآخر. قيل الكثير عن ذلك. النوم هو نموذج للحياة اللا زمانية واللا مكانية. حياتنا الحالية داخل إطار الزمان والمكان هي مجرد وضع استثنائي. المكان والزمان شرطان للنوم، يشحبان عندما يستيقظ المرء. ما أشعر به الآن من اقتراب للموت يشبه اليقظة كثيراً. تصبح الأحلام أكثر عقلانية ووضوحاً تدريجياً حتى تأتينا حالة اليقظة الحقيقية، أو ربما حتى نغمس في نوم آخر أسمى من الأول.

٣- تنزهت مع إيليوشكا (حفيدة) وبعدها استمعت إلى حكاياته السيئة حاولت أن أحكي له حكايات دينية عن الوعي باقتراب الموت وفهم الحياة. لم يفهم وارتبت في أن هذا الوعي المثمر باقتراب الموت ربما يكون مجرد سمة من سمات الشيخوخة.

٤- نسبت الكنيسة إلى نفسها مفهوم «العصمة الخارجية»؛ لتنال القوة. هذا ما يدمرها الآن. لم يعد بإمكانها بعد أن عزت إلى نفسها هذه العصمة من الخطأ أن تتوب، لذا تحمل على عاتقها كافة خطاياها: الإعدام - الخداع - الكذب، وحتى تخفي كل ذلك تنغمس في خطايا أفظع وتتعثر فيها.

٥- من مظاهر سوء الفهم الشائعة في عالمنا الأخلاقي هو أن نظن الأسباب نتائج، والنتائج أسباباً. من الشائع جداً أن نرى أناساً مخلصين حقاً لا يشعرون بالرضى عن العالم حينما لا يشعرون بالرضى عن أنفسهم، أو يشفقون على ضحية قساوات الناس، في الوقت الذي

يكون هؤلاء الذي يقومون بالأفعال القاسية هم حقاً الذين يستحقون الشفقة. وأحياناً يظن الناس أنهم يخشون المستقبل، في الوقت الذي تكون خشيتهم وعدم رضاهم الحقيقيين عن الماضي. ثمة أمثلة أخرى كثيرة على هذا الخداع.

٦- قيل ذلك كثيراً، لكنه يعكس دائماً التناقض المباشر بين الإيمان الحقيقي والهرطقات من جانب وبين أحكام غالبية الناس من جهة أخرى. يمكننا أن نجد الشعور الديني الحقيقي في كل مكان، إلا حينما يتحد العنف الذي تمارس الدولة والكنيسة معاً.

٧- تعد العلوم الطبية وممارساتها، جنباً إلى جنب مع السُّكْر والنزعة العسكرية والترف وقمع العمال، من أفظع كوارث زماننا، وهي تنبع من نفس المصدر الذي تنبع منه كافة الكوارث؛ غياب الدين، بمعنى إدراك المرء لوضعه في هذا العالم. إن أساس الفهم العاقل (الديني) للحياة هو تذكر الموت. لا أقصد تذكره وحسب، بل فهم طبيعة الحياة القصيرة والعابرة. لكن العلوم الطبية محصورة بالنظر إلى الحياة وحسب والبحث عن وسائل إطالتها. تستوعب الحشود هذه النظرة. ينتهي الأمر بفشل العلوم الطبيعية في إطالة الحياة، بل تصل إلى إفساد الحياة بعد أن تقضي على إمكانية الفهم العقلاني لها، ناهيك عن الفظائع الأخلاقية للخوف من العدوى وحماقات نظريات البكتيريا المعدية.

٨- الفارق بين الناس الذي يعيشون علاقات جسدية ضئيل جداً؛ يكاد ينمحي، أما بين الذين يعيشون علاقات روحية فضخم جداً، لا يمكن قياسه تقريباً.

٩- تتناسب عظمة الخيرات الأرضية التي ينالها المرء مع الشرور التي ارتكبها ولا يزال يرتكبها. مثال على ذلك: نيرون - كاترينا- أورلوف (٦٣).

١٠- يمكن أن تتحول أي معاناة إلى قوة روحية لا تُقهر؛ لأن للمعاناة حدود، أما القوة الروحية فلا حدود لها.

١١- كثيرًا ما أشعر بالهلع من هذه الثقة البالغة التي ينكر بها أولئك الذين يعتبرون أنفسهم مسيحيين وصية عدم مقاومة الشر بالعنف، رغم أن في غياب هذه الوصية تنهار المسيحية تمامًا، كآلة انتزعوا منها محركها الذي يجمع كل أجزائها معًا. إن وصية عدم مقاومة الشر بالعنف ليست إلا تطبيقًا لوصية «لا تقتل». إن سمحنا باستخدام العنف في الدفاع عن النفس ضد العنف الموجه ضدها، لن يمكننا أن نُحرّم القتل. «هذا يريد أن يقتلني أو يقتل إنسانًا آخر». «إنه ينوي أن يقتلني أو يقتل آخر. علينا أن نوقفه، وليست هناك وسيلة لإيقافه سوى العنف». إن أقررنا بذلك سنقرر بالقتل. إن كافة وصايا المسيحية ليست إلا تطبيقًا لوصية الحياة؛ «لا تقتل» مثل: لا تغضب - لا تزن - لا تقسم - لا تقاوم - أحبوا أعداءكم.

عدت مجددًا إلى الصلاة لله ومناشدته، ولكن ليس في الأوقات العادية، بل في منتصف النهار والليل، وكان لهذا أثر عظيم عليّ. أعلم

(٦٣) كان الكونت غريغوري غريغوريفيتش أورلوف هو المفضل لدى كاترين إمبراطورة روسيا. قاد الانقلاب الذي أطاح بزواج كاترين بيتر الثالث من روسيا، وقام بتثبيت كاترين كإمبراطورة. لعدة سنوات، كان حاكمًا مشتركًا معها تقريبًا، لكن خياناته المتكررة وعداء مستشاري كاترين الآخرين أدّى إلى سقوطه من السلطة.

إنني أدور مع الأرض، لا في قبة السماء مع النجوم، ورغم ذلك أسجل حركات النجوم. أعرف أن الله ليس شخصية، لكني شخصية، وكما هو الأمر مع الفلك كذلك مع الله، حتى أتجنب الخطأ وأصل إلى اكتشافات. أنا بخير تمامًا.

١٢ ديسمبر.

سأت حالتني الروحية قليلًا لعدم استطاعتي أن أعتاد على فكرة أن نشاطي قد انتهى. عليّ التصالح مع هذه الحقيقة، ليس ذلك وحسب؛ بل عليّ أن أُسر بذلك أيضًا. هذا يعني أن الله لم يعد يريد. عليّ تدوين بعض الأفكار، ولكن الساعة الآن الواحدة. سأدونها غداً.

٢٢ ديسمبر.

لا أزال حيًا، لكنني فوّتُ أيامًا كثيرة. كتبت قليلًا في «حاجتنا الوحيدة»، ولم تكن البداية سيئة، لكن لا أشعر برغبة في الاستمرار. كتبت أيضًا بضعة خطابات. أخشى أن أكون قد ضايقت مولوستفوفاً^(٦٤). أعمل على «دورة قراءات» واقتبست من سبينوزا. عليّ أن أدوّن الكثير، خاصة عن الحالة المبهجة والقوية والصفية والمُحبّة التي أجد نفسي فيها الآن. السؤال هو: ما منبع هذه الحالة؟ كيف أصل إلى هذه الحالة بالرغم من حياتي الدنيئة.

١ - لا يجيب الله سوى مَنْ يحدثه سرًّا. يستحيل أن تحكي لآخر عن علاقتك بالله. ما أن يُباح السر، حتى تتوقف العلاقة.

(٦٤) راجع حاشية رقم ٣٢.

٢- ثمة أناس يستغلون الدين من أجل غطرستهم ومصلحتهم الشخصية وجبهم للسلطة، وثمة آخريـن يستغلونه من أجل اللهو والتسلية. كلاهما مريع!

٣- تعود هذه الأهمية التي تُعزى في أيامنا إلى الشباب والنساء إلى أن الشيوخ لا يعرفون ما هو صالح وما هو شرير. يظن الشباب والنساء بطيـشهم واندفاعهم أنهم يعرفون ذلك، ويصدقهم الشيوخ مبهجين.

٤- ثمة طريقتان ليحيا الناس في وئام: الخضوع لشخص أو لمجموعة من المديرين خوفاً من العنف، أو التوافق الطوعي للناس دون استبعاد المديرين حين الضرورة، ولكن دون أن يكون لديهم حق استخدام العنف.

٥- عليك بالعيش في الحاضر عندما تصل إلى الشيوخة وتخفت حدة الشهوات ويتحرر الحب الطبيعي صوب الجميع وينجلي لك معنى الحياة التي لا يمكن للموت أن يغلبها.

٦- اتضح الآتي لي الآن بينما كنت أتنزه، وأخشى ألا يبدو بهذا الوضوح عندما أكتبه:

لو لم تحدني حدود المكان، لما كانت المادة، ولكنت كل شيء، ولما كانت حياة.

أنا حركة وتوسع ونمو. لو لم تكن ثمة حدود لأناي لما كانت المادة، وبالتالي لم تكن ثمة حركة. حينها كنت لأشكل كل شيء، ولم يكن ليصبح لديّ مكان أصل إليه. لو لم تكن ثمة حدود لحركتي لما

كانت لديّ وجهة أصل إليها. لو لم تكن ثمة حدود للمادة، لكنت كل شيء، ولما كانت هناك حركة.

لم أنجح في صياغة الفكرة مع أنها كانت واضحة في ذهني.

٧- الحياة التي أعياها هي عبور جوهر الروحي (الإلهي) غير المحدود بحدود المادة.

٨- إن كانت المادة التي يمر بها الجوهر الإلهي غير محدودة، لكان الجوهر الإلهي في الجميع ولما كانت هناك مادة ولا حركة؛ أي لكانت النيرفانا. إن لم يكن الجوهر الإلهي يمر بالمادة، لما كانت أيضًا مادة ولا حركة.

٩- المجانين أكثر إقناعًا من غيرهم. بشكل عام، كلما ازدادت غباءً، ازدادت إقناعًا. يبدو الأمر كما لو أن الحياة قضت بآلا يخضع الناس لقناعة عقلية إلا بالعقل وحسب، لا بالتنويم. لا تنويم في القناعات العقلية: ثمة رزانة وبساطة دائمين.

١٠- الشيخوخة هي عهد الحرية والعقلانية والوضوح والحب.

١١- أدركت بوضوح غير عاديّ، وشعرت بكامل روحي بتفاهة وبؤس ولا عقلانية الحياة الجسدية، ويقينية تلك الحياة الروحية التي تنكشف فيها، ويقينية إنني جزء من كيان الله.

١٢- آه لو أتمكن من أن أكشف للناس بوضوح ما أفهمه وأشعر به الآن بجلاء، وأوضح لهم حاجتنا الوحيدة، لكل فرد منا ولحياتنا المشتركة على السواء!

١٣- يُبدّد الليبراليون والثوريون مواهبهم الروحية الثمينة عبثاً. يشبهون أناساً ذهبوا صوب النهر، وبدلاً من أن يُشيدوا جسراً ليعبروه ألقوا بكل ما لديهم على صفحة المياه، آملين أن يرصفوا النهر بهذه الطريقة، إلا أن المياه تحمل كل شيء وتمضي به بعيداً.

١٤- الحياة بمثابة سقوط من بقعة مرتفعة بسرعة متزايدة. علينا أن ندرك ذلك حتى نعيش بذكاء، ولا نندهش من سقوطنا ونلوح بأيدينا لنمسك بأي شيء فندمره تماماً.

١٥- الجرائم التي يرتكبها النظام الحاكم أسوأ وأقسى بدرجة لا تُضاهى من كافة الجرائم التي يرتكبها الأفراد. الأمر الرئيس هنا هو أنهم يدركون أنهم مجرمون، بل ويفتخرون ويتشرفون بجرائمهم.

١٦- ليست الدولة سوى نتاج لعنف الغزو وحسب. كافة نظريات العقد الاجتماعي وما إلى ذلك هي مجرد تبرير لما حدث بالفعل. تريعي فعلاً قراءة كل هذه الأكاذيب المعقدة عن حق الدولة.

٣١ ديسمبر.

طوال تلك الفترة استولى عليّ ضعف ما يبدو أنه القلب. لا أمانع الرحيل (الموت) مطلقاً. لا تحركني سوى قوى القصور الذاتي لحياتي وفكري، كما لو أنني توقفت فجأة أثناء ركضي بسرعة شديدة، فشعرت بصعوبة الوضع وبالألم. حاولت أن أكتب في «حاجتنا الوحيدة»، لكن اختلطت عليّ الأفكار ولم أكتب شيئاً. حاولت أن أستمّر في استرجاع ذكرياتي، لكن الأمر مضى على نحو سيئ أيضاً. في هذه الفترة نُشر خطابي

إلى نيكولاي الثاني^(٦٥). نشره تشير تكوف بموجب موافقتي التي وصلته عبر دوشان. شعرت بالضيق. لو اتُّخذت ضدي أي إجراءات قاسية لكان ذلك أفضل، لكنني بهذا أرى أنني تعاملت مع نيكولاي الثاني ونيكولاي ميخايلوفيتش^(٦٦) بشكل غير لائق. أكثر ما يشعرنني بالضيق هو أنني طوال الأيام الأخيرة كنت في حالة مزاجية كئيبة؛ ليست شريرة ولا هو شعور بعدم الرضى، بل هي حالة مزاجية كئيبة بسبب حالة جسدي. استرجعت إلى ذاكرتي كالعادة كل ما يجب أن أتذكره في تلك الظروف من قبيل أن ذلك الظرف هو بمثابة دعوة لي كي أبذل جهدي من أجل السلوك بشكل أفضل، وأني إن فعلت ذلك سيفكر الناس فيّ على نحو سيئ، وهذا أمر جيد.

عليّ تدوين الآتي:

١ - عملية انهيار حدود الجسد: حركة مبهجة. لا بد أن تكون كذلك. الحياة موت. إن أحببت الحياة، أَحَبَّ الموت. إن أحببت الحب الجسدي، فلتُحَبَّ إنجاب الأطفال. كما يجذبك الحب الجسدي صوب الأطفال كذلك تجذبك الحياة صوب الموت. الموت ثمرة الحياة. كيف لا تحب الموت وتخشاه؟ كم من الشرور تسبب فيها التعليم الكنسي

(٦٥) أنهاه في ١٦ يناير ١٩٠٢ وتحدث فيه عن الأوضاع الكارثية التي يعيش فيها الشعب الروسي وعن طريقة التغلب على هذه المشاكل. نُشر بالإنجليزية في ٣ يناير ١٩٠٥، وبالروسية في ديسمبر ١٩٠٤.

(٦٦) أحد كبار الأمراء، وهو مؤرخ ومؤلف كتب تاريخية عديدة. تعرف على تولستوي في ١٩٠١. سلم خطاب تولستوي إلى القيصر بشكل شخصي، وربما شعر تولستوي بالضيق من نشر خطاب شخصي علناً.

الزائف الذي بمقتضاه أصبح الهدف من الحياة هو الموت، وأصبح النشاط الذي يستخدم قوة الحياة شرًّا وعقابًا على الخطية! يُطلق هذا التعليم على العمل والخطية والموت شرًّا. العمل ليس هو الاستغلال الأمثل للحياة، بل إنه الوحيد أيضًا، والخطية هي الوعي بخطئك، والموت هو تحقيق أهدافك.... كل هذا يطلقون عليه شرًّا!

٢- كتبت سابقًا أن الحياة هي مرور الجوهر الروحي غير المحدود «الإلهي» عبر المادة المحدودة. التعبير الأدق هو الآتي: الحياة هي الوعي بالجوهر الروحي داخل حدود. تتمثل لنا هذه الحدود عبر المادة والحركة، لذا تتمثل لنا الحياة بمرور الوعي الروحي عبر المادة.

٣- كم يسهل تجنب المجادلات! إنها لا تجري إلا بسبب رغبة المرء في أن يكون محقًا ولا يعترف بأخطائه أمام الناس. كم يسهل قول: ربما أكون مخطئًا! لا يجب أن يقتصر الأمر على قول ذلك، بل يجب التفكير فيه فعلاً. لا تُحسم القضايا بالمجادلات، بل بتحقيق المرء مع ذاته واعتراضه على نفسه بكامل قوته. إن ظهرت معارضة جيدة في الجدل، لا تجادل، بل فكّر في هذه الاعتراضات وتمعّن فيها مليًا بمفردك. بهذا سيكون الأمر سهلًا، وقد أكون مخطئًا.

٤- أحزنني وآلمني استسلام حامية بورث آرثر^(٦٧). إنها الوطنية. لقد تربيت على عاطفة الوطنية ولم أتححر من أنايتي الشخصية والأسرية وحتى الأرستقراطية... لم أتححر من أسر عاطفة الوطنية. كل أنواع

(٦٧) استسلمت الحامية الروسية المرباطة في بلدة بورث آرثر التي يبلغ أفرادها ١٥٠٠٠ رجل للقوات اليابانية بعد حصار دام لسته أشهر.

الأنانية السالفة لا تزال تعيش بداخلي، لكن بداخلي أيضًا وعي بالقانون الإلهي، وهو ما يكبح جماح أنانيتي، وبهذا يمكنني ألا أصير خادمًا لها. ستضمحل هذه الأنانية تدريجيًا.

٥- الضمير هو تأثير وعي الجوهر الإلهي الأبدي على الوعي الجسدي الزمني. لن يظهر الضمير إلا عندما يستيقظ هذا الوعي، وستضيع كل محاولاتنا للوصول إليه عبثًا.

٦- كتبت سابقاً أن نشاط الجوهر الروحي الأبدي المحدود بحدود حياتنا يتجلى في الحركة التي من شأنها أن تدمر المادة المنفصلة. حركة القلب والمعدة والرئتين والعضلات، جميعها بمثابة هدم للكيان المنفصل. يبدأ هذا الهدم منذ الولادة وينتهي بالموت. الحياة هي عملية الهدم السالف ذكرها.

سيحل العام الجديد بعد ساعتين. لا يمكنني تحمل كل هذا القدر من السعادة! ذهبْتُ إلى ماريا ألكسندروفنا^(٦٨). إنها تختبر نفس الشعور. كم يسهل أن يعيش الناس جميعًا هكذا! آه لو استطعنا أن ندعم هذه الحالة قليلاً!



(٦٨) صديقة لتولستوي ومعاونة له في عمله، وكانت تعيش في أوفسيانينكوفو على بعد ٥ فرست من ياسنايا بوليانا.

١ يناير.

عدد هائل من الزوّار، وقد أنهكوني. لكنني سعيد بأن هذه الزيارات المزعجة، مثلها مثل الخطاب^(٦٩) لا تثير ضيقاً بداخلي، بل تحثني على العمل الداخلي؛ أن أسلك بأفضل طريقة ممكنة صوب ما يزعجني. فكّرت في الآتي:

١ - نتكهن بالسعادة ونبحث عنها ونشدها؛ تلك الظروف التي نشعر فيها أننا بخير، بينما قد يملكنا هذا الشعور من محاولتنا التغلب على ما لا يُشعرنا بأننا بخير. هكذا نصل إلى النقيض تماماً لما كنا نظنه؛ ما نسميه «السعادة» مثل الصحة والثروة والمجد والجمال، ليس إلا تراخيًا وكسلًا، يُضعِف من طاقتنا ويستبعد، أو على الأقل لا يستدعي بداخلنا الحاجة إلى بذل جهودنا، بينما هذه الجهود هي التي تمنحنا خيرنا الحقيقي. العكس كذلك صحيح: ما نعتبره تعاستنا هو ما يحفزنا على بذل هذه الجهود، ونتيجة لذلك تأسّرنا ضلالة مريضة مفادها أن الأشكال الخارجية للحياة الاجتماعية تُشكل خيرنا، وبالتالي علينا أن نهتم بتنظيمها. أريد التحدث

(٦٩) يشير إلى خطابه إلى نيكولاي الثاني الذي نُشر علناً.

عن هذه المفارقة: كلما تحسنت أطر الحياة الاجتماعية، زادت عقول وسمات الناس دناءة، ولنا في أمريكا قبل تحرير الزوج مثال على ذلك. عندما نشد ما نطلق عليها: شروط الحياة السعيدة: مثل الثروة والمجد والصحة والجمال والجاذبية، فهذا يماثل أن نستدفيء عند الموقد بدلاً من العمل الصحي في الهواء الطلق.

٢- الاهتمام بتنظيم الأطر الخارجية لحياتنا الاجتماعية دون نشدان الكمال الداخلي يشبه أن نحاول تشييد بناء دون جبر، ونعتمد على طريقة جديدة في البناء بالحجر وحده. مهما وضعنا مثل هذا الحجر، لن يقينا تقلبات الجو وسيخرب كل شيء.

٣- لا بد أن تكون عملية الهدم التدريجي لحدود المادة والحركة المرتبط بها جوهرنا الروحي مبهجة حينما نعيها، وهذا ما أختبره الآن.

٤- الحياة هي رحيل على متن جواد من مكان لا أذكره لا آخر لا أعرفه سيتوجب عليّ فيه أن أهبط من على متن جوادي. التشبيه الأفضل: رحيل على متن سفينة لا أذكر متى صعدت إلى متنها أو متى يجب أن أهبط من على متنها أو متى يأمرني القبطان بذلك أو متى نصل إلى الميناء القادم.

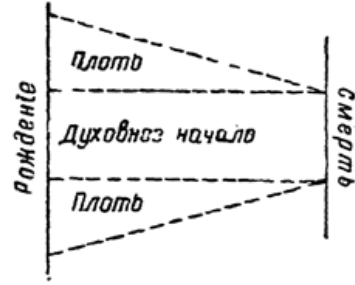
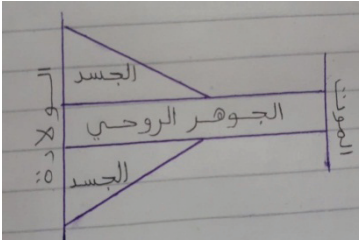
تذكر أنه قد يتم إنزالك في أي دقيقة بينما أنت في طريقك، وأنه سيتوجب عليك في أي لحظة أن تهبط إلى مرساك الأخير، حينما تبلغ ٧٠ أو ٨٠ أو ٩٠ أو ١٠٠ عام، وأن عليك ألا تسيء السلوك أثناء الرحلة وتنصاع لأوامر القبطان. في البداية ستشعر بالسرور والحيوية، وتنسى أنك في وسط المياه، ثم تفهم وضعك تدريجياً وتعتاد عليه حتى تصل إلى مرساك، وتعتاد على رفاقك وتحبهم وتثق في القبطان الذي يقول لك

بالحقيقة إنك ستكون في وضع جيد في المكان الذي سيوصلك إليه،
كما كان أمرُك معه في السفينة.

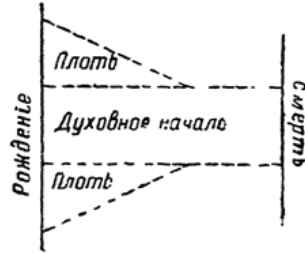
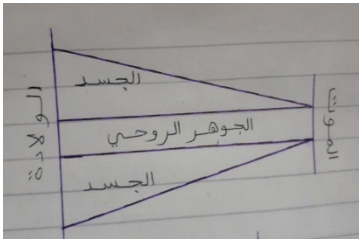
٢ يناير.

تحسنت حالتي الصحية. قل عدد الضيوف. يملأ السرور قلبي. بينما
كنت أتنزه اليوم فكَّرت في الآتي:

١- تتمثل الحياة في تحرير الجوهر الروحي من حجب الجسد على
النحو الآتي^(٧٠):



ويمكن كذلك أن يكون على النحو الآتي:



(٧٠) أُرُفقت الرسم الأصلي بيد تولستوي وبجانبه رسم بخط اليد لترجمة الكلمات الروسية وإيضاح الفكرة.

كلما ازداد قدر الجسد قلت إمكانية التواصل والاندماج بالآخرين. ننحو الحياة المنفصلة إذن صوب التحرر من أسر الجسد، بينما ننحو حياة المجموع صوب الاتحاد والتحرر كذلك من أسر الجسد كمجموع. كما في الحياة الشخصية المنفصلة المُحرَّرة من أسر الجسد يبدو لنا الجسد والحركة وحسب، كذلك في حياة المجموع يبدو لنا هذا التحرر وحسب. إن حياة الإنسان؛ حياتي أنا شخصياً، هي بمثابة عملية تحرر مستمرة من أسر الجسد، بغض النظر عما سأصل إليه في نهاية حياتي. ثمة تحرر أيضاً لحياة الإنسانية جمعاء من قيود المادة والزمن. تبدو لي مادية متحركة؛ داخل إطار الزمان والمكان، أما بالنسبة للكائن غير المنفصل مثلي؛ بالنسبة لجوهر الحياة: لله، هي خارج أسر المادة ولا تتحرك. حقيقة أن كل شيء يتكون من أجزاء منفصلة يؤدي إلى وجود حياة بالنسبة لكل هذه الكائنات المنفصلة المادية والمتحركة، كما أنها تشكل جزءاً من الحياة الإلهية.

صياغة غير واضحة وسيئة، فشلت في التعبير عما أفكر فيه.

٢٠ يناير.

لم أدون يومياتي منذ فترة طويلة. الغريب أنني طوال تلك الفترة كنت أناضل حالتي المعنوية السيئة الكثيرة الفاترة. لم أفعل شيئاً سوى كتابة ملاحظة على برقيتي وعلى الأحداث^(٧١). كل هذا لا يثير اهتمامي إلا قليلاً. حالتي الصحية جيدة. عليّ تدوين الآتي:

(٧١) أرسلت إحدى المجلات الأمريكية برقية لتولستوي تسأله عن رأيه في الاضطرابات الخاصة بلجنة الزيمستفو، وأجاب تولستوي عن برقيتهم.

١- نعيش من أجل أن نتمتع بهبة الحياة وحسب. ينحصر معنى الحياة الملائم لنا في أن نحظى بإمكانية المشاركة في الحياة الإلهية وحسب، ولا بد أن يجعلنا هذا سعداء. إن كنا تعساء، فهذا يعني أمرًا واحدًا؛ أننا نفعل ما لا يجب أن نفعله، أو أننا لا نفعل ما يجب علينا فعله. بهذا يتضح أن الخير ليس مجرد نتيجة لتنفيذ واجبنا، بل إن من واجبنا أن نعلم بهذا الخير.

٢- الموسيقى هي بمثابة كتابة اختزالية^(٧٢) للمشاعر. معنى ذلك أن سرعة أو بطء تعاقب الأصوات وعلوها وقوتها أثناء الحديث يلعب دورًا في إكمال المعنى المقصود من الكلمات، مشيرًا إلى تلك المشاعر الكامنة بين كلماتنا. أما الموسيقى فتتناول هذا التعبير عن المشاعر الكامنة من دون كلمات وتوحيدها، فتُثار لدينا مشاعر دون أن يكون لدينا مشير حقيقي لها. هذا منبع قوة تأثير الموسيقى، ولذا يؤدي مزج الموسيقى بالكلمات إلى إضعاف الموسيقى؛ لأن هذا يكون بمثابة عودة إلى الخلف، مثل كتابة أحرف عادية بدلًا من الكتابة الاختزالية.

٣- بفضل الشيخوخة واستيقاظي أكثر من مرة ليلاً بسبب ضعف المثانة وامتلائها، أرى أحلامًا كثيرة شيقة ومهمة وواضحة، ولا أتوقف عن التفكير في النوم والأحلام.

بخصوص ذك فُكرت في الآتي:

١- تكتسي الأحلام بأحاسيسي، ويحدث ذلك في اللحظات

(٧٢) ستينوجرافي أو الكتابة الاختزالية أسلوب رمزي في الكتابة، الغرض منه الإيجاز وزيادة سرعة الكتابة، بالمقارنة مع طريقة الكتابة الاعتيادية. ويُسمى أيضًا «الاختزال».

الممتدة بين اليقظة والنوم، وتكتسي الأحلام بنماذج الذكريات التي جمعتها سابقاً في حالات كنت مهياً فيها لفعل ذلك. إن بدت لي هذه الأحاسيس كما لو أنها ذكريات، فهذا يعود إلى أنني في حياتي السابقة جمعت هذه النماذج والذكريات، أو جمعتها من مكان ما خارج إطار تلك الحياة، لذا أشعر من اللحظة الأولى أنني أحب شيئاً ما ولا أحب شيئاً آخر.

صياغة غير واضحة، ولكن ثمة فكرة ما فعلاً.

٢- النوم يشبه الحياة، ففيه درجات عديدة من اليقظة. تظن أنك استيقظت في حين أنك قد انتقلت من درجة كاملة من النسيان إلى درجة أقل كملاً. يشبه النوم الحياة أيضاً في أنك أثناء النوم تشعر بضيق يعذبك وتبذل جهداً كبيراً كي تستيقظ، ثم تستيقظ فعلاً على واقع أكبر. استيقظت بهذه الطريقة أكثر من مرة في حياتي. أظن أنه من الضروري لي الآن أن أنعم باليقظة الأخيرة في حياتي؛ الموت.

٤- وُهب للإنسان بفضل حركة وعيه أن يتواصل مع كافة تجليات بقية الكائنات: الناس - الحيوانات - النباتات. ليس ثمة حركة بالنسبة لله، فكل شيء موجود دون أن يصيبه تغير، أما بالنسبة للإنسان، فهذه الحركة وإمكانية التغير تسديه خيراً.

صياغة غير واضحة تماماً، لكنني كتبتها هكذا ولا أنذكر شيئاً آخر.

٥- تتجلى الحياة في المادة بالحركة التي تهدم أركان المادة نفسها.

(هراء).

٦- يسهل علينا الآن إدراك خداع الكنيسة ونحن خارجها، لكننا لا نرى هذا الخداع المدعو «العلم»؛ لأننا لا نزال بداخله.

٧- أدرك الناس جميعًا منذ زمن بعيد أن أكثر ما تحتاجه الحياة الدينية هو الوعي بأننا لا نقف، ولا نتحرك وحسب، بل نطير إلى أعلى أو إلى أسفل - كما نشاء - بسرعة مريعة. تختلف علاقتك بالحياة تمامًا بحسب إدراكك وتذكرك لذلك من عدمه. ما إن ينسى الناس ذلك، حتى يُلوّحون بأيديهم محاولين التمسك بشيء ما أثناء طيرانهم، ويستحيل عليهم ذلك فتتمزق أيادهم.

٨- من الضروري أن نتذكر أننا لسنا في مكان ما، بل إننا على متن سفينة ضخمة في عباب البحر، وأن لدى القبطان سجلًا لا نعرفه يحدد موعد ومكان رسونا. ما دمنا لم نرُسْ بعد، فلا شيء أماننا سوى أن نطيع قانون السفينة؛ أن نحاول أن نسلك بحب وتوافق مع رفاقنا في هذا العالم طوال تلك المدة المحددة لنا للحياة هنا.

٩- التقدم الاجتماعي الحقيقي هو زيادة وحدة الناس أكثر فأكثر. ليتحقق ذلك يلزم توفر ثلاثة شروط:

أ - قوة من شأنها أن تدفع الناس صوب هذه الوحدة، تمامًا كما يجب أن يتوفر عمال بناء حتى يشيدون المبنى بالأحجار المتوفرة. هذه القوة أعلى من إرادة الناس. يقتصر عمل الناس على عدم إعاقة قوة الحب وحسب.

ب - يلزم ألا يتمتع الناس بسمات تُبعدهم عن بعضهم، كالعيوب والشهوات وحب الذات، تمامًا مثلما يتطلب تشييد بناية ما من

الحجر أن تنسجم قطع الأحجار مع بعضها حتى يكون شكلها سليماً.

ج - يلزم أن يدرك الناس ضرورة ونعمة هذه الوحدة، وأن يتمسك هؤلاء الواعون بذلك كالبحير والأسمنت الذي يمسك الأحجار ببعضها.

الشرط الأول إذَنْ هو القوة الفطرية. الثاني: سعي المرء صوب الكمال. الثالث: الدين.

١٠ - لستُ إلا وعي؛ كيان روحي، لكن بإمكانني أن أدرك نفسي في صورة جسد وحركة. (صياغة غير واضحة).

٢٩ يناير.

فَوْتُ أكثر من أسبوع. أكتب في "حاجتنا الوحيدة"، ولكنني أكتب فيها على نحو سيئ، إما لأنني مزجت بين بدايتين مختلفتين، أو لأنني ببساطة لست في حالة مزاجية جيدة. كان بوشا هنا طوال تلك الفترة. أحبه جداً. رحلتُ ساشا إلى بطرسبرج. صوفيا في موسكو. سيريوجا هنا وأشعر بالضيق في وجوده. لم أستطع مغالبة نفسي بعد رغم رغبتني في ذلك. سعيد بأنني لم أستمّر في الجدال فور أن بدأ، رغم أنه لم يكن شديد الحدة. وصلني اليوم خطاب جاليا الثاني، ولم يكن جيداً^(٧٣). ثمة انفعال وغياب للعمل الديني الداخلي الحقيقي. يستحيل كذلك إثبات الأمر

(٧٣) جاليا هي زوجة تشيرتكوف وقد أرسلت خطابين لتولستوي تعرب فيها عن أسفها على رده على المجلة الأمريكية بشأن الاضطرابات الخاصة بنشاطات لجنة الزيمستفو.

بالجدال، لذا هذا إجراء غير ضروري. وصلني صباح اليوم عبر ليديرلي (صديق لتولستوي) خطاب من اثنين من البحارة رفضا أداء الخدمة العسكرية. إنهما الآن في السجن بكرونشات. أريد أن أكتب لهما لأن ولرئيسهما. بحثت عن اسم القائد لكنني لم أجده. غيَّرت رأيي بخصوص الكتابة لهما الآن. في الصباح وصلني شخص لطيف يُدعى كيباني^(٧٤) من طرف ناكاشيدزي، حكى لي قصص رائعة عما يحدث في القوقاز: في جورجيا وإيميرتيا وكاخيتيا. قرر الناس هناك أن يتحرروا من الحكومة وينظموا شؤونهم بأنفسهم. كتب دوشان ملاحظات عن ذلك. عليَّ أن أكتب عن ذلك. هذا أمر عظيم. أشعر الآن بمشاعر مختلفة؛ خزي وحزن وكآبة وضيق، بينما أشعر اليوم بأن لا شيء يهم.

على أي حال عليَّ أن أدوّن الكثير:

١ - استمعت إلى مناقشات وجدالات وحجج سياسية وذهبت إلى غرفة أخرى حيث وجدتهم يغنون على أنغام الجيتار، وشعرت بوضوح بقداسة المرح. المرح والسرور إحدى وسائل تحقيق إرادة الله.

٢ - في الفترة الأخيرة شعرت كيف انحدرت روحياً بعد هذا السمو الروحي والأخلاقي الذي وصلت إليه بفضل تعاملتي مع أحكم وأفضل الناس الذين انخرطت في قراءة أفكارهم بهدف الاقتباس منها لكتاب «دورة قراءات». لا شك أن المجتمع الذي يحيط بالإنسان سواء من الغائبين أو الحاضرين، يدفعه صوب السمو أو التدني الروحي.

(٧٤) جورجني تم نفيه إلى سيبيريا لنشاطه الثوري، وقد أخبر تولستوي عن المعارضة المتنامية للحكومة بجورجيا، وكيف اتخذت شكل المقاومة السلبية.

٣- تعودنا على الثثرة عن الخير العام حتى لم نعد نتعجب من إنسان لا يقوم بأي عمل مباشر من أجل تحقيق الخير العام ولا يفكر حتى في أي فكرة جديدة بخصوص الأمر ويرى أنه إن التزم الجميع برأيه سيتحقق الخير للجميع. في واقع الأمر لا يمكن لأي شخص أن يعرف تحديدًا ما هو صالح للخير العام، ويقول بثقة إن هذا ضروري للجميع. هذه سمة خاصة بعصرنا. يكشف أفلاطون وسولون (مُشرّع يوناني) وكونفوشيوس، وسان سيمون وفورييه (اشتراكيان فرنسيان)، وروبرت أوين (اشتراكي انجليزي) عن مُثل وقوانين جديدة بينما يعمل الناس من أجل أنفسهم وأسرهم ومجتمعاتهم ويعرضون آراءهم عن المصالح المباشرة، ولكن ما معنى كل هذه النقاشات والمقالات حول أمور مزعجة ومعروفة فعلاً؟

٤- تكشف لي الحياة عن نفسي، وفي هذا الكشف تلخص الحياة. إن حياتي كلها بمثابة سلوك واحد، وهو سلوك مكتمل. كل ما في الأمر إنني لا أعرفه. أهذا يعني أن الإنسان غير حر؟ لماذا؟ أنا أصنع نفسي، وما أصنعه هو ما يريده الله. أما إن انحرفت عن إرادة الله من أجل نفسي، فأني أحرم نفسي من الخير، ولكن بالنسبة لله ومسار الحياة العام يعتبر هذا أمر تافه، حتى إنه لا ينتج أي فارق تقريبًا. إرادة الله بمثابة أسطوانة، وإرادتي على حدودها سواء أدت بي إلى الخير أو الشر، لكنها في كل الأحوال لا يمكنها أن تنفصل عن إرادة الله. القتل الآن فعل شرير، وهو كذلك لمن يرتكبه، ولكن عاقبته: توبة - أسف - صدمة، ومن شأن كل ذلك أن يؤدي إلى فعل حسن، تمامًا كأفعال التضحية بالذات والحب.

١ فبراير.

أكتب طوال الوقت في «حاجتنا الوحيدة». إما أنني أتقدم فيها على نحو سيئ، أو أنني لا أتقدم على الإطلاق، وسأواصل مرحلة «أنها لا تستحق». يتضح لي أكثر فأكثر حماقة وعبث الاهتمامات السياسية. لم تمضِ الأمور بخير مع سيريوجا^(٧٥). لم أكن طيباً معه، وأعاني الآن بسبب ذلك. ذهب ليوفا^(٧٦) إلى القيصر وأنا سعيد بذلك. من الغريب أن أقول إن هذا قد حرّني تماماً من الرغبة في التأثير على القيصر. أخبار مدهشة من جوريا عن كيف أبطل الناس هناك عمل الحكومة وحرروا أنفسهم، وفي الآن ذاته أصبحوا يعيشون حياة أفضل وأكثر حرية. عليّ أن أدوّن أمراً مهماً جداً، ولا أعرف هل سأستطيع ذلك أم لا. في اليومين الأخيرين كتبت بعض ذكرياتي. عليّ تدوين الآتي:

١ - إن حياتي وكل حياة أخرى في حد ذاتها هي وعي واعتراف بأن النفس هي جزء من الكيان الروحي لذا فهي كيان غير محدود ولا نهائي. حقيقة أنني جزء من الكيان الكلي أدركها عن طريق الحدود التي تفصلني عنه، ولا يمكنني تصور هذه الحدود إلا في صورة مادية. تتمثل هذه الحدود في جسدي وكل ما حولي. أنا جزء إذن من الكيان الروحي

(٧٥) حدثت المشكلة بسبب خلافهم في الرأي حول الحراك الليبرالي في هذه الفترة حيث رأى تولستوي أن حراك الليبراليين من أجل إقرار ملكية دستورية لن يزيل شيئاً من الظلم الواقع على كاهل الشعب. أدى هذا الخلاف إلى رحيل سيريوجا عن ياسنايا، ثم كتب له أبوه بعد ذلك خطاب يبيدي فيه ندمه على سوء معاملته

(٧٦) ذهب ليوفا (ابنه) إلى القيصر ليحاول إقناعه بعودة عمل مجالس الزيمستفو، ولكن القيصر رفض.

الكلي، وبالتالي أنا كيان لا نهائي وغير محدود، وأدرك ذلك بالتغيير والحركة الطارئین على حدودي وخارجها؛ أي بالحركة التي تُوحِّدني بكل شيء وتُشكِّل أساس حياتي.

المادة غير موجودة من تلقاء نفسها، بل هي ما يفصلني عن الكيان الكلي، وبالتالي تشكل كياناً لا نهائي وغير محدود. كذلك لا تظهر الحركة الطارئة على حدودي وخارجها من تلقاء نفسها، بل هي ما تُوحِّدني بالكيان الكلي الذي أنا منفصل عنه. وكما أن وجود المادة مرتبط بانفصالي عن الكيان الكلي، وإن لم أكن لما كانت المادة، كذلك يرتبط وجود الحركة بحقيقة أنني جزء من الكيان الروحي الذي أعيه في داخلي، وأني منفصل عن الكيان الكلي وأسعى صوب الاتحاد به، لذا إن لم أكن منفصلاً عن الكيان الكلي، لما كانت الحركة. لذا تتمثل لي نفسي في صورة مادة وحركة، وتفصلني هذه الحركة عن حركة المادة الكلية.

في حقيقة الأمر كل ما يتحرك ويبدو لي متحركاً موجوداً وكان موجوداً دائماً وسيظل موجوداً، وسيظل في حركته صوب اتجاه ما. إن حياتي بأكملها، من الميلاد وحتى الموت، موجودة فعلاً، بغض النظر عن إمكانية أن أكون في بدايتها أو منتصفها، وكل ما سيكون هو موجود فعلاً بلا شك، وكذلك كل ما كان هو موجود فعلاً. الأمر كذلك مع المجتمع الإنساني وكوكب الأرض والنظام الشمسي. كل ما في الأمر أنني لا أستطيع رؤية كل شيء؛ لأنني منفصل عن الكيان الكلي. إنني لا أرى سوى ما ينكشف لي بقدر قواي. إنني أعيش منتقلاً من حالة لأخرى وأرى قلب الحياة إن جاز التعبير. علاوة على ذلك أشعر ببهجة خلق الحياة.

ليس ثمة أي تناقض في حقيقة إن كل ما يشكل حياتي موجود فعلاً، وفي الآن ذاته أخلق حياتي. كل شيء موجود بالنسبة للعقل الأسمى، لكنه ليس كذلك بالنسبة لي، وإني أشعر ببهجة عظيمة لخلق حياتي داخل تلك الحدود التي لا أستطيع الخروج منها. إن قبلنا مفهوم الله، وهو مفهوم ضروري في هذا المجال حتى تتسق الأفكار، فهو من خلق حياتنا من حيث كوننا أجزاء منفصلة نبعت عن جوهره.

٢- الحركة هي صراع الكيان الروحي المنفصل مع الموت؛ مع ما ندعوه «القصور الذاتي». تُشكّل المادة حدود الكيان الروحي. لو لم يكن ثمة كيان روحي منفصل، لما كانت المادة ولا الحركة. إن وجود مادة وحركة، يستلزم بالضرورة وجود كيان روحي منفصل. لقد تهت وأنهكت. النقطة الأولى تبدو سليمة ومفهومة.

١٨ فبراير.

مر دهر منذ أن كتبت آخر مرة؛ بالتحديد منذ ١٨ يومًا. كنت واهناً ذهنيًا طوال تلك الفترة، بسبب آلام الكبد. اليوم أشعر بانتعاش. طوال تلك الفترة كنت أكتب في «حاجتنا الوحيدة»، وكل ما كتبته سيئ. يبدو أن الأمر لن ينتهي أبدًا. لا تروق لي «دورة قراءات». حمل سترخوف على عاتقه العمل^(٧٧)، وأنا سعيد جدًا بذلك. عليّ أن أدوّن بعض الأفكار، وإن لم تكن كثيرة، لكنها تبدو مهمة. حلّ المساء وأخشى ألا أستطيع ذلك.

(٧٧) يشير إلى تولى سترخوف مراجعة بروفة الطباعة من الكتاب.

١- أينما كانت الحياة، ومهما كانت فأنا موجود. الحياة هي أنا. لا حياة من دوني. هذا أمر مهم جدًّا، فهو يجيب عن سؤال: هل تنتهي الحياة بالموت؟ إن كانت الحياة تزول بزوال الأنا؛ بزوال الوعي، لقلت وأدركت أن الأنا تزول. لكن الحياة تستمر، لذا لا بد أن تستمر الأنا. لا حياة من دون أنا. عندما أرى إنسانًا يحتضر، ولا أعود قادرًا على رؤية مظاهر وعيه، فهذا لا يثبت أن ما وعاه هذا الشخص قد زال.

٢- لو لم تكن الأنا منفصلة عن الكيان الكلي، لما كانت مادة ولا حركة.

٣- يشترط وجود المادة الحركة، ولا حركة إلا في وجود المادة.

٤- تبدو لنا الحياة عبثية عندما نطن الأنا المتوهمة حقيقية.

٥- يتمثل الوعي في كل موقف في صورة سبب ومادة وحركة.

٦- كانت العرافة (التكهن) في الماضي بمثابة رغبة في اتخاذ القرار بحسب إرادة الله. لا تنكشف هذه الإرادة بالطبع بإسالة دماء أضحيات حيوانية، بل بالفهم الديني للحياة وما يُنتجه من سلوك. هذا يعني أن دافع التكهن في حد ذاته أمر مشروع، ولكن ما هو غير مشروع هي طريقته.

٧- لا شيء يتحرك. تبدو لنا الأشياء وكأنها تتحرك لأننا لا نستطيع رؤية كل شيء.

٢٤ فبراير.

بدأت الكتابة في «كورني فاسيليف»^(٧٨). سيئة. أشعر بالضعف

(٧٨) إحدى حكايات تولستوي التي ضمها إلى كتاب "دورة قراءات".

طوال الوقت. عملت على «دورة قراءات». أريد أن أكتب عن الحياة.

١ - أنا وعي قابع داخل حدود. تتمثل لي هذه الحدود في صورة مادة متحركة. يمثل جسدي حدود المادة، فهو جزء من المادة المتحركة التي أدرك نفسي فيها. أما حياتي فتشكل حدود الحركة، فهي جزء من حركة المادة التي أدرك فيها نفسي.

لو وُهب لي وعي كلي، لما كانت مادة ولا حركة. وإن لم يكن هناك وعي على الإطلاق لما كانت كذلك مادة ولا حركة.

٢٨ فبراير.

كتبت في قصة «أليوشا»^(٧٩). سيئة جدًا، لذا نحيتها بعيدًا. راجعت باسكال ولا مينز^(٨٠). أنهيت «كورني فاسيليف». لا بأس بها.

١ - يمكن أن يضحى الإنسان بخيرات حياته الدنيوية من أجل الحياة الأبدية. كل تضحية خارج هذا الإطار ليست تضحية؛ إما أنها تشبهها أو محض خطأ غير محسوب.

٢ - يعيش معظم الناس كما لو أنهم يترجعون صوب هاوية. إنهم يعرفون أن ثمة هاوية من خلفهم قد يسقطون فيها في أي لحظة، لكنهم لا ينظرون صوبها ويتسلون بما يرونه.

٦ مارس.

أشعر بسعادة شديدة. أنهيت تصحيح باسكال ولا مينز. راجعت

(٧٩) قصة لم تُنشر إلا بعد موته بعنوان (أليوشا القدر).

(٨٠) كتب تولستوي سيرتين مختصرتين لباسكال ولا مينز ضمهما إلى دائرة القراءة.

«حاجتنا الوحيدة». يبدو أنني لن أضيف إليها شيئاً. ماشا وكوليا هنا. كتبت بعض الخطابات التافهة. عليّ أن أسجل هذه الأفكار المهمة:

١ - كم يضحكني أولئك الذين يبحثون عن اللا نهائية بتليسكوباتهم وميكروسكوباتهم بقدر أو بآخر! يشبه ذلك إنساناً يبحث عن أصدقائه في منزل أخبروه سابقاً أن لا أحد قد عاش فيه مطلقاً ولا يمكن لأحد أن يعيش فيه من الأساس. اللا نهائية هي إشارة لحقيقة أنه عندما يقارب الإنسان في دراسته موضوع اللا نهائية بنفس طريقة مقاربتة لدراسة النجوم والميكروبات، فلا بد وأن يكون مخطئاً، ولن يصل بدراسته إلى شيء.

٢ - فكرت في الآتي: في مدارسنا الابتدائية والثانوية يُدرّسون الآتي:

- اللغات القديمة - قواعد اللغة، (لا نفع لها بتاتاً).
- الأدب الروسي محصوراً في دراسات المعاصرين كيبيلينسكي ودوبرولوبوف^(٨١) ونحن الخطاة. كل الأدب العالمي العظيم يُحجب عنهم.
- التاريخ بمعنى وصف الحياة الدنيئة لمختلف الأوغاد من الملوك والأباطرة والديكتاتوريين والقادة العسكريين؛ أي تحريف الحقيقة.
- ويُكَلَّل كل ما سبق بدراسة عقائد وأساطير غبية عبثية يسمونها بوقاحة «قانون الله».

(٨١) من أشهر النقاد الروس.

هذا ما يُدرّسونه في المدارس الابتدائية والثانوية، بينما ينكرون كل ما هو عقلي وضروري. أما في المعاهد المتخصصة مثل المعاهد التقنية والطبية، فيُدْرَسون العلوم المادية؛ العلوم المحدودة ضيقة الأفق التي تحاول تفسير كل شيء سوى دراسة أي فهم عقلائي للحياة.

أمر مريع حقاً!

٣- يدرك الإنسان نفسه كائنًا، لن أقول: أبدئيًا كلي الوجود، لكن سأقول: كائنًا خارج إطار الزمان والمكان. لا يمكنه أن يقول إنه كان موجودًا دائمًا وسيظل إلى الأبد، ولا يمكنه أن يقول إنه يعيش في كل مكان وكيان، لكنه لا يستطيع أن يتصور زمانًا لم يكن موجودًا فيه، ولا مكانًا لم يكن فيه. أردت أن أقول ذلك لكنه غير صحيح؛ أو بالأحرى يمكنني أن أقول إنه كان في مكان واحد وحسب بجسده. هكذا يدرك الإنسان نفسه كائنًا أبدئيًا لا نهائيًا، جزءًا من كيان كلي، منفصلًا عن بقية الكائنات المادية المتحركة. حياة الإنسان بأكملها ليست سوى انتقال من وعيه بانفصاله إلى وعيه بأبديته ولا نهائيته ولا ماديته وسكونه، أو خروجه عن إطار الزمان والمكان.

في البداية؛ في مرحلة الطفولة، يدرك الإنسان نفسه ككيان منفصل وحسب. ثم يبدأ وعيه في التوسع فيدرك حياة الكائنات الأخرى ويحبها، ويستمر توسع وعيه أكثر فأكثر حتى يعي نفسه كيانًا روحيًا أبدئيًا لا نهائي بدرجة كاملة ويتحد تمامًا بهذا الوعي. تتحقق هذه الدرجة الكاملة من الاتحاد بالموت.

الموت بالنسبة للوعي الجسدي للكائن المنفصل أمر مريع، أما

للكائن الروحي الإلهي فهو أمر يبعث على السرور.

٤ - يجب أن يتأسس التعليم الديني الحقيقي على إرشاد الناس إلى
أفضلية الوعي الروحي الأبدي على الجسدي الزمني، وعلى تعليم الناس
استغلال ما هو زمني وجسدي لتحقيق أهداف روحية. آه لو كنت قادرًا
على فعل ذلك!

٩ مارس.

كتبت في مقالة ”مَنْ أنا“. ليست جيدة ولا سيئة. أشعر أنني بخير
تمامًا. تزداد قدرتي على التذكر وأعود نفسي على العيش من أجل الله.
الأمير ليس صعبًا، بل هي مسألة تعود. أظن أن ذلك ممكن للشباب. أريد
الآن أن أدوّن الآتي:

١ - الحياة في هذا العالم هي حركة حتمية لا تتوقف، وهي تشبه
جوادًا يجر مركبة. يمثل الجواد جوهر الروحي، والعجلة هي حالة
انفصالي التي تنتج المادة، والعجلة الأخرى هي الحركة. لا مفر من
الحركة والنشاط. ينحصر عملي في الإذعان لهذه الحركة وعدم بذل
جهود زائفة، بل اختيار أفضل اتجاه للعجلة. على الجهود أن تكون
سلبية؛ بمعنى عدم الاستسلام لشهواتي.

أهم ما أريد قوله هو أنني شعرت بقوة بأنه ليس عليّ أن أبذل جهدًا
من أجل أي عمل، بل عليّ تركيز جهودي في اختيار ما يقع داخل حدود
إرادة الله. حينها سيبدو كل شيء سهلًا وحسنًا.

كانت الأفكار واضحة بداخلي، لكنني لم أستطع كتابتها بهذا الوضوح.

٢- لنعش هذه الحياة المنفصلة المؤقتة طبقاً لقانون شامل أبدي.

٣- كم هو خطر أن يعيش المرء من أجل مديح الناس! إن عاش المرء من أجل نفسه وإرضاء أنانيته، يمكنه أن يرتكب أفعالاً سيئة كثيرة، لكن إن عاش من أجل مديح الناس سيرتكب أفعالاً مريعة، أسوأ ألف مرة من كافة الأفعال التي يمكنه أن يرتكبها من أجل نفسه.

١٨ مارس.

منذ خمسة أيام وأنا أشعر بالوهن والنعاس، وأناضل كآبتي. حسناً... عليّ ببذل جهود داخلية. استرجعت إلى ذاكرتي بالأمس شعوري بعدم المحبة صوب شخص ما وأدنتني وأمسكتني بينما أشعل هذه الضغينة بنفسني. عليّ بأمر من الاثنين: إما ألا أفكر إطلاقاً في من لا أحبهم، وهذا أمر طبيعي، وإما أن يقتصر تفكيري على الطيب الذي بداخلهم، وأجد أمام كل شر بداخلهم شراً أكبر بداخلي. ستكون شروري دائماً أعظم من شروورهم، وإن اختلفت طبيعتها.

بالأمس راجعت «حاجتنا الوحيدة»، وتعثرت قرابة نهايتها. عليّ أن أجعلها أفضل، ولن يكون ذلك صعباً؛ لأنها بالفعل شديدة السوء.

كم يصعب على المرء حينما يكون في حالة روحية ضعيفة ألا يبالي بآراء الآخرين! اختبرت ذلك بالأمس. لقد سقطت من ذلك السمو حيث كانت الأمور تتعلق بالله وحسب إلى صخب الناس والانشغال به. ثمة ما هو أدنى حيث يمكن أن أسقط إلى حضيض شهواتي الجسدية.

يحزنني أنني لا أكتب ولا أشعر بالرغبة في الكتابة، ولكن ما العمل؟

إن مرضت ومت لن أكتب بطبيعة الحال ولن يحزنني ذلك. هكذا يجب أن يكون الأمر الآن. يكفي أن أسلك بحسب ما يرضي الله!

عليّ تدوين الآتي:

قال تورجينيف شيئاً جيداً: هاملت ودون كيخوته، وضم إليهم في النهاية هوراتيو^(٨٢). لكنني أظن أن الشخصيتين الرئيسيتين هما دون كيخوته وهوراتيو، وسانشو بانثا^(٨٣) ودوشينكا^(٨٤). يشكل أغلب الرجال الشائئ الأول، بينما تشكل أغلب النساء الشائئ الثاني. إن كافة أبنائي يشبهون دون كيخوته ولكن دون إنكار للذات، بينما تشبه بناتي هوراتيو، مستعدات دائماً لإنكار ذواتهن^(٨٥).

٢٠ مارس.

لا أزال في حالة صحية سيئة. لم أكتب شيئاً منذ ثلاثة أيام سوى بعض الخطابات. لم أخرج اليوم. أناضل اهتمامي بمديح الناس. وصلتني بعض الخطابات التي توبخني^(٨٦)، ولم أستطع مغالبة شعوري السيئ.

(٨٢) صديق لهاملت في مسرحية شكسبير.

(٨٣) رفيق دون كيخوته في رحلته.

(٨٤) بطل قصة تشيخوف القصيرة "دوشينكا".

(٨٥) في خطبة ألقاها تورجينيف في ١٨٦٠ اعتبر أن شخصية هاملت ودون كيخوته يمثلان نزعتين رئيسيتين متناقضتين في طبائع البشر: الأولى تحليلية أنانية وغير مؤمنة، والأخيرة تؤمن بشيء ما أبدي لا يتزعزع؛ تؤمن بالحقيقة. أشار أيضاً إلى هوراتيو في مسرحية هاملت كأفضل تعبير عن التلميذ من حيث الأمانة والإخلاص.

(٨٦) يشير إلى توبخ جاليا زوجة تشير تكوف. راجع حاشية ٧٣.

أفكار للتدوين:

في البداية تأتي مرحلة الطفولة، كشيء تُلقِي به إلى أعلى، فيتوقف قليلاً قبل السقوط. في البداية ترى السقوط، ثم تفرح به - وهذه هي مرحلة الشباب - ثم يزداد السقوط سرعة فتشعر بالدهشة، وتزداد السرعة أكثر فأكثر فتبأس، ثم تدرك أن الأمر يقتصر على وجود هذه الحركة المسرعة، تقل أو تزيد إلى ما لا نهاية.

٢٢ مارس.

كأنني استيقظت اليوم! عملت على نحو جيد جداً على «حاجتنا الوحيدة» ويبدو أنني أنهيتها. أريد أن أعمل كثيراً. عليّ تسجيل أمر واحد: لقد أدركت وقررت أن الحياة الجيدة تتطلب أمرين:

١ - علاوة على مطالب الجسد، على الإنسان أن يسترشد في حياته بأمر واحد؛ ألا وهي إرادة الله، بمعزل عن آراء الناس، حتى وإن مارس بعض الجنون خفية.

٢ - على المرء أن يحب الناس جميعاً بغض النظر عن حبهم له، والأهم ألا يقتصر حبه لهم في الأفعال والعلاقات، بل كذلك في الأفكار والتصورات عن الناس. على المرء أن يفكر في الناس دائماً باحترام وحب، وألا يسمح لنفسه بالتفكير فيهم بشكل شرير. لقد قلت: «ألا يقتصر»، ولكن الأمر ليس كذلك، فأكثر ما يهم هو أن يُعوّد المرء نفسه دائماً على التفكير في الناس بحب، وحينها لا بد أنه سيعاملهم بحب.

ترددت طوال هذه الفترة، كنت أفكر فيما إن كان من الممكن أن يحب المرء الآخرين دون أن يهتم بمدى حبهم وحبهم له، لكنني أدركت

اليوم أن هذا ليس فقط ممكناً، بل هو واجب.

إنني أختبر الآن شعور الحب للجميع وللكيان الكلي، وأنا بخير تماماً. أخشى أن يكون ذلك في معظمه عائد إلى حالتي الجسدية، لكنها نعمة عظيمة في كل الأحوال. لا تنزعها مني يا سيدي! تعال وحلّ في!

٣٠ مارس.

في الأيام الأخيرة اعتلّ قلبي، وبسبب ذلك لم أعمل شيئاً، رغم أنني أريد بشدة أن أعمل على: خيلتشييتسكي وإليوشين وفيلكا والفتاة البائسة^(٨٧) وتعاليم الإيمان. فكرت على نحو جيد في الموت. لا أزال أتشبث بالحياة أمام وجه الله. كتبت خطاباً عن العربة المقلوبة^(٨٨)، وصححت في بروفة «دورة قراءات». أفكار:

١ - أكثر ما أحتاجه هو أن أقهر اهتمامي بمديح الناس وشعوري السيئ صوبهم.

يتطلب الأمر الأول أن أستغل كل فرصة إدانة وسوء فهم لي في ألا أحزن منها أو أحفظها في قلبي. يتطلب الأمر الثاني شيئاً في غاية الأهمية؛ ألا أسمح لنفسني بالتفكير بالسوء في الآخرين. اليوم تعرضت لاختيار

(٨٧) كتب تولستوي مقالة عن الكاتب التشيكي من القرن الخامس عشر: خيلتشييتسكي مؤلف كتاب «شبكة الإيمان»، ونوى أن يكتب قصة عن نفس موضوع القصة التي كتبها إليوشين بن خيلتشييتسكي لكنه لم يكتبها ولا كتب بقية المشروعات المذكورة.

(٨٨) يشير إلى خطاب أرسله إليه أحد الفلاحين يسأله: إلى متى ستظل طبقة الفلاحين المسحوقة تجر عربة مقلوبة. نُشرت إجابة تولستوي على هذا الخطاب في إنجلترا بعنوان (كيف يمكن للطبقة العاملة أن تحرر نفسها؟) ثم تغير العنوان إلى «الحرية الحقيقية».

يتعلق بليونفا^(٨٩)، كما تعرضت لاختبار يتعلق بالأمر الثاني: خطاب عن أعماله^(٩٠).

٢- أصحاب النزعة السلافية على حق تمامًا في قولهم إن الشعب الروسي يتحاشى السلطة ويتجنبها تمامًا. إنه مستعد لعرضها على أناس أشرار بدلاً من أن يتلوّث بها. أظن أنه إن كان يفعل ذلك حقًا فهو محق. أي وضع أفضل من أن تجد نفسك مجبرًا على اللجوء إلى العنف. عندما تجد نفسك محكومًا من قبل طاغية، فهذا بإمكانه أن يدعم حياتك الأخلاقية أكثر من أن تجد نفسك في موضع مساند أو شريك لهذه السلطة.

لا يشكل هذا الوعي سمة من سمات أنصار النزعة السلافية فقط، بل الناس جميعًا. أظن أن إمكانية الاستبداد مؤسسة على ذلك تحديدًا. أظن كذلك أن لا أخلاقية ولا مبالاة الأوروبيين والأمريكيين في مختلف الدول الدستورية تعود تحديدًا إلى مشاركتهم في الحكومة.

٤- أنا كائن منفصل عن الكيان الكلي. أعني انفصالي هذا بالمادة والحركة. أعني حدود انفصالي كمادة متحركة. جزء من هذه الحدود تشكله المادة التي أدرك فيها نفسي، والجزء الآخر هي الحركة التي أدرك فيها نفسي أيضًا؛ المشاعر والذكريات.

(٨٩) زار أحد الصحفيين تولستوي وأخبره أن ابنه ليونفا ينوي إصدار صحيفة تُنشد بتعاليم تولستوي.

(٩٠) خطاب يتضمن شكوى من ارتفاع أسعار كتب تولستوي بالنسبة للفقراء.

٣ إبريل.

لم يكن قلبي على ما يرام. مع مرور الوقت يزداد الموت بساطة وألفة لي. رغم سوء حالتي الصحية قمت بشيء ما؛ أقصد تحديدًا أنني كتبت مقدمة لا بأس بها لكتاب «شبكة الإيمان»، واقتبست منه، وكتبت مقدمة لكتاب: «تعاليم الرسل الاثني عشر»^(٩١). ليست جيدة لكنها ملائمة. كتبت كذلك في خطابي عن العربة المقلوبة.

١ - أفكر طوال الوقت في: كيف يمكن للمرء أن يتعود على العيش بمعزل تمامًا عن آراء الناس؟ وإن كان ذلك بالطبع لا يشمل دراسة ما يحتاج الناس إليه، بحيث تمكنه هذه الدراسة من خدمتهم. أفكر كذلك في: كيف يمكنه العيش دون أن يرغب مطلقًا في أن يحبوه، بل يهتم بالله وحسب وتنفيذ شريعته في الحياة. أظن، بل وأشعر كذلك، أن هذا أمر يمكن تحقيقه. في ظل هذه الوحدة والحياة مع الله وحسب، تفقد القوة المحفزة للسعي صوب الكبرياء ومديح الناس تأثيرها ويكتسب المرء هدوءًا عظيمًا ودائمًا ووعيًا صلبًا بصواب الطريق. على المرء أن يُعوّد نفسه على ذلك بأي ثمن. أعتقد أننا يمكن أن نُعوّد الأطفال على ذلك.

٢ - يتضمن لوقا ١٧: ٧ - ١٠^(٩٢) مَثَلًا مدهشًا. لم أفهم مغزاه العظيم

(٩١) كتاب قديم ترجمه تولستوي في ١٨٨٣، ثم أعيد نشره بهذه المقدمة الجديدة في ١٩٠٥.
(٩٢) «وَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ عَبْدٌ يَحْرُثُ أَوْ يَرْعَى، يَقُولُ لَهُ إِذَا دَخَلَ مِنَ الْحَقْلِ: تَقَدَّمْ سَرِيعًا وَاتَكَيَّ. بَلْ أَلَا يَقُولُ لَهُ: أَعِدِدْ مَا أَتَعَشَّى بِهِ، وَتَمَنِّطْ وَاخْدُمْنِي حَتَّى أَكُلَ وَأَشْرَبَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ أَنْتَ؟ فَهَلْ لِذَلِكَ الْعَبْدِ فَضْلٌ لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ؟ لَا أَظُنُّ. كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّا عِبِيدُ بَطَّالُونَ، لِأَنَّا إِنَّمَا عَمَلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا».

كاملاً إلا منذ أيام قليلة. جميعنا نود أن نقوم بمآثر عظيمة حتى يمدحنا الناس، وإن لم يمدحونا نرغب في مكافأة تقديراً للمآثرنا. كل هذا محض ضلالة مريضة ومضرة إلى أقصى حد. أفضل شيء يمكن للإنسان فعله هو أن ينفذ واجبه وحسب. بتحقيقه لذلك لا يذنب في شيء، لكنه لا يقوم أيضاً بأي مآثرة. إن ضلالتنا التي توهمنا بأننا نقوم بمآثر تنبع من حقيقة أننا نعيش من أجل مديح الناس لا من أجل الله. فلتعيش من أجل الله وحسب، وستدرك أن ذلك لا يمكن أن يعد مآثرة على الإطلاق. يعود هذا الفهم الخاطئ إلى مقارنة أنفسنا بالآخرين. ساعد الآخرين إن استطعت، ولكن لا تقارن نفسك بهم. قارن نفسك بما يجب أن تكونه وما تستطيع أن تكونه. يمكنك أن تسير فوق جسر، ويمكنك ألا تسقط من أعلى، ولا شيء أكثر من ذلك، فالجسر مُعد من الأساس كي تعبر عليه. يمكنك ألا تغوص في قلب المياه، ولكن لا يمكنك الطيران فوقها. وإن سرت ولم تتعثر، فلا يوجد ما يدعو للفخر في ذلك. فلترضَ بوجود الجسر ولتسر فوقه. حاول أن تسير بأفضل صورة ممكنة. هذا ما عليك وحسب. كم هي أهمية فهم ذلك! التعليم الأخلاقي بأكمله يتلخص في ذلك.

٣- اتضح لي كذلك أنه لا يمكن أن تكون ثمة حركة بالنسبة لله، حياتي الحقيقية والجوهر الذي أعيه في داخلي، لذا لا يمكن أن يكون ثمة هدف، ولا يمكن أن يكون ثمة قريب وبعيد، كبير وصغير، حسن وسيئ. أما بالنسبة لحياتنا؛ حياة الكائن المنفصل، فلا مفر من وجود حركة وهدف، قريب وبعيد، حسن وسيئ، وعلى الإنسان أن يعيش بمقتضى هذا الوهم كما يتوهم حركة الشمس، لكن عليه في الآن ذاته أن يدرك أن

حياته لا تتحرك، وأن وهم الحركة بأكمله هو أمر مُدبّر لخيره وحسب.

صياغة شديدة السوء.

٤ - كلما عشت تبين لي أكثر أن ما أسميه «العالم» و«نفسي» وأقصد «العالم المادي - نفسي المادية» هو احتمال من وسط عدد لا نهائي من احتمالات العوالم والكائنات. لكل كائن منفصل وجوده الذي يميزه عن وجود العالم بأكمله. ليس ثمة عالم مادي موضوعي، بل ثمة شروط للحياة.

٥ - هدف الإنسان هو الخير، ورغم اختلاف الخير لكنه يلائم الطفل والشاب والزوج والشيخ.

٦ - الخير ملائم دائماً للإنسان. ما إن يخرق شيء ما الخير المادي حتى يزداد الروحي.

نعسان تماماً، لذا أكتب بطريقة سيئة.

٧ - إن النشاط الذهني الذكوري الساعي خلف المال، وخاصة المتعلق بالكتابة، ليس إلا دعارة كاملة. هذا القول ليس مجرد تشبيه، بل يعبر عن تماثل تام.

٦ إبريل.

لم أكتب شيئاً أمس واليوم. حاولت بالأمس أن أكتب في «العصا الخضراء»^(٩٣) ولكن بلا جدوى. لا يمكنني أن أجمع بين الحقيقة كاملة بقدر فهمي لها وبساطة العرض. عليّ تدوين الآتي:

(٩٣) اسم آخر لمقالة (من أنا؟).

١- الاعتراف بالله والإيمان به يعني الاعتراف بوجود ما لا تدركه حواسنا لكنه حقيقي تمامًا. الغريب في الأمر أن ذاك الذي لا يريد الاعتراف به وبحقيقة كيانه الروحي يجد نفسه مضطراً للاعتراف بهذا الشعور غير الملائم الذي ينسبونه إلى المادية؛ واقعية لا نهائية المادة زمانياً ومكانياً، الأمر الذي لا معنى له من هذا المنظور.

٢- نترك أنفسنا بجرأة ليد الأطباء ليخدرونا ويجروا علينا عملياتهم. لماذا نخشى إذن لحظة الموت حينما يجري علينا الله أو الطبيعة نفس العملية ويُخدِّرنا؟

٣- نحن في حاجة ماسة لنُنحي أنفسنا عن الرغبة في المكافأة ونيل مديح وموافقة الغير. إننا لا نستطيع نيل أي مقابل لكافة الأفعال الصالحة التي يمكننا القيام بها، وذلك لأننا قد نلنا المقابل مسبقاً ولم يعد هناك معنى للتعامل معها بأكبر قدر من الحماسة.

٤- للإنسان وعيان: وعيه بمحدوديته ووجوده داخل حدود «الأنا»، ووعيه بأناه غير المحدودة. لا يمكن أن تكون ثمة معاناة وهموم للأنا غير المحدودة، ولا يمكن إلا أن تنعم بخير دائم. لا أقصد هنا ذلك الخير المتقد الذي يمنح صاحبه إشباعاً مؤقتاً لرغباته، بل أقصد الخير المعادل الهادئ؛ خير الوعي بالذات، والوعي بالخير نفسه. يمكن أن يستمر الإنسان في الانتقال - بدرجة أو بأخرى - من وعيه بـ «أنا» إلى وعيه بأننا أخرى. مَنْ يحيا بأناه الروحية وحسب؛ القديس، لا يعرف التعاسة، أما مَنْ يحيا بأناه المحدودة وحسب، فلا يمكنه إلا أن يعاني. جميعنا يعيش في المنتصف بين الاثنين، نتحرر مع الوقت أكثر فأكثر من المحدودة

ونقترب من الروحية غير المحدودة.

١٦ إبريل.

ألمني قلبي طوال تلك الفترة. لم ألحظ الأمر في البداية، لكنني الآن أشعر بانقباضه واضطراب ضرباته. الأمر جيد وجدي. لم أستطع العمل بسبب ذلك. أريد العمل بشدة على «عرض الإيمان» و«هنري جورج»^(٩٤) الذي قرأته في طبعة نيكولايف وسُررت بقراءته مجددًا.

في الفترة الأخيرة مرت عليَّ لحظات من الفهم الواضح للحياة لم أمر بها أبدًا من قبل. الأمر يبدو كمعادلة معقدة تم تبسيطها إلى أبسط صورة وحل ممكنين.

عليَّ أن أدوّن الكثير:

١ - عن المكافأة (الثواب): يبدو لك العيش من أجل الله لا الناس صعبًا؛ لأنك لا ترى مكافأة لك على حياتك الصالحة. هكذا يبدو لك الأمر، لكن هذا غير حقيقي. الله الذي بداخلك (ضميرك) يكافؤك.

٢ - يعود شر العلم الرئيس إلى أنه يصرف انتباه الناس عن المسائل الرئيسة، واعدًا إياهم بحل شيء ما.

٢١ إبريل - مساءً.

تحسنت حالة قلبي خلال تلك الفترة. بدأت الكتابة في «المدافعون

(٩٤) عالم اقتصادي سياسي وصحفي أمريكي جرى ذكره مرارًا في الأجزاء السابقة، والإشارة هنا إلى مجموعة من خطبه المختارة بتحرير س. د. نيكولايف.

عن الشعب»^(٩٥). لا بأس بها. بدأت الكتابة أيضًا في «هنري جورج»^(٩٦). ذهبت بالأمس إلى بيوتر أوسيوف (فلاح من ياسنابا) بصحبة بوتورلين، وقد وبّخني بقسوة على ما قلته بخصوص شراء الأرض^(٩٧). آلمني الأمر لكنه أفادني. شعرت بحجم الفائدة التي تعود على المرء من التويخ القاس، خاصة عندما يكون المرء غير مستحق له، وشعرت كذلك بحجم الضرر والضعف اللذين يعودان على المرء من المديح، خاصة عندما يكون غير مستحق له، والمرء دائمًا غير مستحق للمديح. عليّ أن أدوّن الآتي:

١ - العلم مراوغ تمامًا كالكنيسة. إن قلت لهم إن الحديث عن الداروينية أو الأنماط الجرامية^(٩٨) أو ما شابه مجرد هراء وكذب، سيحببونك قائلين: «هذا ليس علمًا، لكنني أتحدث عن العلم الحقيقي». وهو يقصد بذلك ما ينكره شخص آخر ولا يعتبره جزءًا من العلم.

٢ - إنها المرة الأولى التي أفهم فيها المعنى الكامل لوصية: «فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ»^(٩٩). إنها تعني ما أريد الوصول إليه الآن، وما أحاول أن أعوّد نفسي عليه بصعوبة؛ أقصد تحديدًا العيش من أجل الله وخدمته هو وحسب؛ أن أسلك أمام الله

(٩٥) الاسم المبدئي لمقالة "خطية عظيمة".

(٩٦) في البداية بدأ تولستوي بكتب مقالة عن هنري جورج، ثم تحول بها الأمر إلى جزء من مقالة "خطية عظيمة".

(٩٧) كان اللوم في الحقيقة يعود لابنة تولستوي ألكسندرا؛ فهي من اشترت قطعة أرض.

(٩٨) الإشارة إلى نظرية الطبيب الإيطالي تشيزري لومبروزو.

(٩٩) تثنية ٦: ٥، وأشار إليها المسيح كذلك على أنها الوصية العظمى.

وأنفذ إرادته وحده، بغض النظر عما يريده المرء لنفسه أو يريده الناس له. هذا أمر ممكن... ممكن.

٣- يعيش الإنسان في الفترات الأولى من عمره من أجل نفسه وحسب، ثم يعيش من أجل نيل مديح الناس، وهم مثله، يعيشون من أجل أنفسهم. بعدها يبدأ في الحياة من أجل نفسه ومن أجل الناس ومن أجل مجموعة معينة من الناس تتمتع بأهمية أكبر من غيرها بالنسبة له، ثم يعيش من أجل نفسه ومديح الناس والله. عليه أن يعيش من أجل الله وحسب. حينها ستكون أموره على ما يرام، وسينال كذلك مديح الناس. على المرء أن يعود نفسه على ذلك.

٤- كلما ساءت حالة المرء الجسدية، تحسنت حالته الروحية. لذا لا يمكن أن يكون المرء في حالة سيئة أبدًا. حاولت لمدة طويلة أن أبحث عن تشبيه مناسب لتلك الفكرة. التشبيه الأبسط هو كفتا الميزان. كلما ازداد ثقل كفة المادة؛ ساءت الحالة المادية المتعلقة بمديح الناس، ارتفعت كفة الروح.

٥- يزداد تفكيري في الذاكرة والذكريات، ويتضح لي أكثر فأكثر أهمية وضرورة هذه السمة. أنال انطباعًا ما. إنه ليس في الحاضر، بل ينحصر وجوده في الذكريات. عندما أستعيده إلى ذاكرتي وأناقشه، أوحّده ببقية الانطباعات والأفكار.

يحضرني شعور بالسرور أو الغضب. لا وجود في الحاضر لهذا السرور أو ذاك الغضب، لكن الشعور يبدأ في التأثير عليّ عن طريق الذكريات. أنسى الكثير وسط هذا العدد الهائل من الانطباعات التي

أنالها، لكنها تترك أثرًا في حالتها الروحية. إنها تشكل وجودي الروحي.

٦- إن شك أحد في أن الحياة كيان روحي، وأن الجسد هو مجرد شرط ضروري لها وحسب، فليفكر في طبيعة أناه. لا وجود للجسد والوعي به في الحاضر، بل ثمة وجود لما يوحد كل هذه الذكريات معًا وحسب. لقد وُهبنا كل هذه الذكريات عن مشاعر الجسد، لكن الكيان الذي أُسميه «نفسى» ليس هو جسدي بأي حال من الأحوال. على النقيض؛ بالرغم من أن الجسد هو ما يمنحنا الذكريات، لكنه في الآن ذاته يخرق الوعي الروحي.

صياغة سيئة للفكرة، لكن الفكرة شديدة الأهمية والضرورة.

٧- المادة حد يحصر بداخله الجوهر الروحي الذي لا ينقسم. تعبر الحركة عن وحدة الكيان الروحي وعدم قابليته للانقسام.

لو لم تكن ثمة مادة، لما كان بالإمكان أن يوجد كيان روحي منفصل. بتعبير آخر: يتمثل الكيان الروحي المنفصل في صورة مادية. لو لم تكن ثمة حركة وكيان منفصل، لما كانت هناك وحدة بالكيان الكلي. بتعبير آخر: تتمثل وحدة الكيان المنفصل بالكيان الكلي في الحركة.

لو يكن ثمة كيان روحي لا يتجزأ محصور داخل حدود لما كانت حياة. الحياة هي الوحدة في الانفصال أو الانفصال في الوحدة.

٨- وحده الاعتراف بحقيقة العالم الروحي ووهم المادة والحركة من شأنه أن يفك خيوط لغز اللانهاية. المادة والحركة، المكان والزمان محض وهم.

٩- يستحيل إدراك الانفصال في غياب حركة المادة.

١٠- حد المادة هي المادة التي أظنها نفسي، وحد الحركة هي الحركة التي أظنها أنا.

١١- نتقل من الوعي الحيواني المخادع إلى الوعي الروحي الحقيقي، وعندما يتم هذا الانتقال يبدو لنا أننا نحن من حققنا بأنفسنا هذه النقلة وأنا أحرار. لكن هذا ما يبدو لنا وحسب؛ لأنه كان بالإمكان أن نظل في درجة الوعي الحيواني.

١٢- ستظل الحركة في حد ذاتها محض وهم. نحن ندرك درجة معينة من الحركة وحسب، فلا تناسبنا الحركة الأسرع أو الأبطأ. هل أنحرك إذن في العربة التي تتحرك للخلف بنفس سرعتها؟

لا وجود للحركة. ليست الحركة سوى علاقة بين الكائنات المنفصلة.

١٣- المادة تُفَرَّق وتُوحَّد، وكذلك الحركة. ليس ثمة انفصال دون مادة أو حركة. نحن لا ندرك المادة إلا بالحركة، ولا ندرك الحركة إلا بالمادة.

٤ مايو.

بدأت لي فترة انقطاعي عن كتابة اليوميات قصيرة رغم مرور ثلاثة أسابيع. لا... مر أسبوعان فقط. لم أكتب يومياتي ولم أكتب خطابات كذلك. شعرت أنني في حالة جيدة جداً، لكنني اليوم لست كذلك؛ أشعر بالضعف والإنهاك والخمود. في تلك الفترة أنهيت مقالة «خطية

عظيمة». كتبت كذلك قصة عن الصلاة^(١٠٠). بدت لي جيدة، وصليت أثناء كتابتها، لكنها لا تروق لي الآن. أفكار للتدوين:

١ - حدث أحد الرياضيين نابليون عن الله قائلاً: «لم أشعر أبداً بحاجة إلى هذه الفرضية». لو كنت أنا لقلت: «لم أستطع أبداً أن أفعل شيئاً حسناً بعيداً عن هذه الفرضية».

٢ - يبدو أنني دَوَّنت هذا سابقاً، لكنني ليس بإمكانني التوقف عن تكراره: إن حياتي بأكملها، من لحظة الولادة وحتى الموت، كانت موجودة، وهي موجودة وستظل موجودة. كل ما في الأمر هو أنه ليس بإمكانني رؤيتها كلها. لست قادراً على تغييرها. يستمر الوهم المادي وفقاً لقوانين مادية، بينما يستمر ما هو روحي وفقاً لقوانين روحية. يقتصر الأمر على أنني أنتقل من مجال لآخر، وفي هذا الانتقال مما هو جسدي متوهم إلى ما هو روحي حقيقي يبدو لي أنني حر. إنني لا أنعم بالحرية، لكنني لديّ ما هو أفضل منها - ففيما سأحتاجها على أي حال؟ - لديّ الخير الأبدي. في هذا يتلخص مغزى الحياة بلا شك. لقد وُهِبت خيراً لا يمكن أن يزول أبداً.

٣ - الحركة هي بمثابة فصل النفس عن النفس، أما المادة فهي فصل النفس عن الكيان الكلي. هذه العبارة إما أنها شديدة العمق وإمّا أنها الغباء. الحركة لازمة من أجل أن تنفصل النفس عن النفس، ومنها ينشأ الزمن. أما فصل النفس عن الكيان الكلي فيتطلب المادة، ومنها ينشأ مفهوم المكان.

(١٠٠) ضمها إلى كتابه (دورة قراءات).

٤- أنا - من حيث إني كيان منفصل - كيان يتضمن بداخله كائنات أخرى، وحركة تتضمن بداخلها حركات أخرى. علاوة على ذلك أنا نفسي مُتَضَمِّن داخل كيان وحركة آخرين.

صياغة سيئة، لذلك سأكتب ما دَوَّنته فعلاً.

٥- يحتاج الكيان الحيواني في الإنسان إلى سعادة خارجية، أما العاقل الروحاني فيحتاج إلى تكثيف الوعي بداخله وحسب.

٦- حلمت بإنسان يُحدثني عما جرى بيننا سابقاً، وعندما استعدت إلى ذاكرتي تلك الأحداث وجدته يحكي عنها بدقة. الأمر مماثل لما يحدث لي أثناء اليقظة حينما أستعيد شيئاً إلى ذاكرتي. الذكرى التي أستعيدها في الواقع ليست أصدق من مثيلتها التي أستعيدها في الحلم. أثق أن هذا قد حدث فعلاً، والدليل الوحيد على ذلك هو تذكري له وحسب. إن قال الآخرون إن هذا قد حدث فعلاً، فذلك يعبر عن ذكرياتهم وحسب. لذكرياتهم نفس القيمة التي لأولئك الذين أتحدث معهم في الحلم بالضبط. بالتالي يستحيل إنكار أن الحياة مجرد نوم، والموت هو اليقظة منه. يحدث كثيراً عندما تحل الشيخوخة وتقرب النهاية أن تزداد عبثية هذه الحياة وضوحاً أكثر فأكثر.

٧- قال سودكوفوي: إنه يتصور تقدم البشرية الأخلاقي في صورة ألا يقتصر شعور كل إنسان بحياة أقربائه فحسب، بل يشعر بحياة الناس جميعاً، وأن الناس سيختبرون سعادة الجميع. أما أنا فأرى أن هذا موجود حقاً، وأني أستطيع أن أعيش بهذا الوعي، وأنا أعيش به فعلاً.

صياغة غير واضحة رغم أن الفكرة كانت واضحة في ذهني.

لم أدون يومياتي منذ أكثر من أسبوعين. حالتي الصحية لا تزال سيئة؛ حرقه دائمة في المعدة وآلام في الكبد. لكنني أعيش بشكل لا بأس به. توقفت فكرة ضرورة العيش أمام وجه الله وحسب عن تأثيرها القوي، لكنني آمل أن أكون قد شقت طريقها فعلاً وأصبح جزء منها داخل نشاطي اللا واعي في صورة أفكار. انخرطت طوال تلك الفترة في تصحيح «خطية عظيمة» ولم أنهيها بعد. صوفيا مريضة. اليوم أصابتها نوبة شديدة من الألم. عليّ أن أدون الآتي:

١ - يوقف الوعي عمل الزمن؛ يوقف الوهم.

بالأمس وصلتنا أخبار هزيمة الأسطول الروسي^(١٠١). صُغِقت من هذا النبأ لسبب محدد. اتضح لي أن الأمر لم يكن بالإمكان أن يجري على نحو مختلف. رغم أننا مسيحيون سيئون، لكن من المستحيل أن نخفي حقيقة التعارض بين الإيمان المسيحي والحرب. في الفترة الأخيرة؛ في الثلاثين عام الأخيرة على وجه التحديد، ازداد الوعي بهذا التناقض، لذا كان من الضروري أن ينهزم شعب مسيحي في الحرب أمام شعب غير مسيحي، مثله الأعلى هو الوطنية والبطولة الحربية. إن كانت الشعوب المسيحية حتى الآن قد انتصرت على شعوب غير متحضرة، فالسبب يعود إلى تقدمهم التقني العسكري على بقية الشعوب مثل الهند والصين والشعوب الأفريقية وشعب خيوه (خوارزم) ووسط آسيا. لكن إن تمتع الطرفان بتقدم تقني عسكري مكافئ، فلا بد من انتصار الشعوب غير

(١٠١) في ١٤ مايو حطم اليابانيون أسطولين روسيين بالقرب من جزيرة تسوشيما.

المسيحية على المسيحية، وهذا ما حدث في حرب اليابان وروسيا. في العقود الأخيرة لم يتوقف الأمر على وصول اليابانيين إلى نفس مستوى الأوروبيين والأمريكيين، بل قد تخطتها في المستوى التقني. كشف تقدم اليابانيين في كافة المجالات المادية وليس في الحرب فقط عن مدى رخص التقدم في هذه المجالات المادية التي يدعونها «الحضارة». محاسنها، بل وتجاوزها لا يكلف شيئاً. ما هو مهم وقيم فعلاً وصعب هي الحياة الصالحة والطهر والأخوة البشرية والحب، وهذه هي القيم التي تعلمنا المسيحية إياها وقد احتقرناها. هذا درس لنا.

لا أقول ذلك كي أواسي نفسي على هزيمة اليابانيين لنا، فالخزي والعار حاضران، وذلك لا يعود لهزيمة اليابانيين لنا، بل لأننا أخذنا على عاتقنا تنفيذ شيء لم نستطع تنفيذه جيداً، وهو شيء سيء في حد ذاته.

٢٤ مايو.

سيصل تشير تكوف اليوم. انشغلت طوال تلك الفترة بمراجعة «خطية عظيمة» وإضافة بعض الملحقات لها. يبدو أنني انتهيت منها، ولكن الحادث الأخير المتعلق بهزيمة الأسطول يستدعي في بعض الأفكار التي أود أن أكتب عنها.

في الفترة الأخيرة بدأت فكرة موقفنا في الحياة تنكشف لي ولغيري على نحو واضح. أحياناً تبدو واضحة وفي أحيان أخرى يكتنفها الغمام. حالتي الصحية لا بأس بها. أزداد ضعفاً وتحرراً. عليّ أن أدوّن الكثير:

١- تُوحّد مخيلتي بين شقيقتي ماشينكا الراهبة وعمتي بيلاجيا

إيلينيتشنا نصف الراهبة^(١٠٢). هكذا هو الأمر، فالكيان الروحي واحد في الجميع، ولكن هنا، ومع الاختلاف البسيط في الشكل تبدو الوحدة أوضح.

٢- الفارق بين ظلم ملكية الأرض وملكية أدوات الإنتاج هو أن الأول يتضمن بداخله لا محالة التسلط على من يحيون على هذه الأرض، بينما تؤدي ملكية أدوات الإنتاج إلى التسلط على أولئك الخاضعين لهذه السلطة وحسب.

٣- «لا وجود للشمس من دون عيني، ولا وجود للعالم من دوني». هذا غير صحيح. لو لم توجد الشمس لما وُجدت الحيوانات وأعينها، لكن العالم ليس شرطاً ضرورياً لوجود الوعي؛ وجود الأنا. في ثمة شيء أساس في وعيي بأنني يستحيل في غيابه أن يوجد شيء. يمكنني أن أفترض إمكانية زوال هذا العالم الذي أعرفه، لكنني لا أستطيع افتراض زوال كياني.

٤- البعض يُعلم الآخرين كيف يعيشون، ويحاولون إقناعهم بذلك. ينتج كل ذلك عن سوء فهم. يستحيل على الإنسان أن يجعل الآخر يتشرب شيئاً ما تماماً، والأصعب أن يجبر نفسه على الرغبة في شيء أو فهم شيء أو حبه أو فعله.

لا يستطيع الإنسان أن يفعل شيئاً لنفسه بنفسه. إنه يتغير وينتقل من مرحلة الوعي الحيواني إلى الروحي، وتبدو له هذه التغيرات من صنعه

(١٠٢) يسميها تولستوي (نصف راهبة)؛ لأنها عاشت أعوامها الأخيرة في دير.

هو شخصيًا، ولكن الأمر ليس كذلك. يخضع الإنسان هو الآخر لقانون ثابت في المجال الجسدي والروحي على السواء. الفارق الوحيد هو أنه يعاني في المجال الجسدي ، بينما يختبر خيرًا دائمًا في المجال الروحي . تكشف صنوف المعاناة التي يمر بها في المجال الجسدي - وهي حتمية في حالات النمو والأمراض والشيخوخة - عن أمر واحد فحسب؛ أن الخير مُقدَّر للإنسان، لذا لا يمكن للإنسان أن يؤثر على نفسه. يمكن للآخرين وحسب أن يؤثروا عليه، وكذلك يمكنه أن يؤثر على الآخرين في المجال الروحي. يتلخص التأثير في المجال الروحي في العمل على اتحاد النفس بالكيان الكلي. إن أردت أن تؤثر على شخص آخر، عليك فقط بمساعدته على الخروج من إطار وحدته والاتحاد بكامل العالم الروحي، في الماضي والحاضر والمستقبل. الاتحاد بالمستقبل هو المِثال الذي نسعى إليه. على المرء أن يعزز نفسه بهذه الوحدة.

٥- يتحدثون عن احتيال الفلاحين وكذبهم وسرقاتهم. هذا أمر مريع... مريع حقًّا لأننا نحن من سرقنا الفلاحين ولا نزال نسرقهم، ونحن المذنبون في ذلك. أي استقامة وصدق نطلبهما من إنسان صوب من سرقوه وأسرّوه؟

٦- يقول كارليل إن نشاط الإنسان وعمله في طريق سعيه صوب الكمال ضروري كضرورة الطين للخزّاف. لا ينحصر النشاط في العمل وحسب، بل في ظهور الوعي الروحي كذلك.

لم أستطع صياغة الفكرة جيدًا، مع أنها كانت واضحة في ذهني قبلاً.

٧- عندما يهرم المرء يتحسر على مسرات الشباب: المرح -
الصدّاقة - الحب، ولكن ليس من الضروري أن يُحرم منها الشيخ.
يمكنك عندما تشيخ أن تعيش هذه المسرات مع الشباب؛ تنقلها إليهم
وتحبهم وترشدهم.

٨- الخير هو مغزى الحياة الوحيد. تنقسم الحياة ليتمكن كل كائن
منفصل من اختبار الخير والسرور به. لا يختبر الكائن العاقل خيراً إلا
عندما يكون خيراً للجميع.
صياغة سيئة لكن الفكرة صحيحة.

٩- كم نجهل حياة الشعب العامل! إننا لا ندرك كم يقدمون من
ضحايا من أجل القيام بالعمل. فكرت في ذلك بينما أراقبهم وهم يحفرون
بحثاً عن سيميون فلاديميروف^(١٠٣) الذي وارته الرمال. يمكنني كذلك
أن أرى التضحية والسرور بها متمثلة في ألكسي جيدكوف وجيراسيم
(فلاحان من ياسنايا). أمر مذهش حقاً! عليّ أن أوضح ذلك للناس.

١٠- كلما انشغل المرء بنفسه وروحه قل انشغاله بالعالم الخارجي
وجلب الخير لنفسه، والعكس صحيح.

١١- الحياة هي توسيع وتعميق للوعي الروحي. كل ما نعتبره شراً
يدعم ذلك.

١٢- باقتراب الموت يزول الانفصال، لذا يتوقف الوعي والحركة
والجسد.

(١٠٣) فلاح من ياسنايا، ودرس في مدرسة تولستوي بياسنايا. مات تحت الأنقاض أثناء عمله
بالحفرة في منجم قريب من ياسنايا.

١٣ - تحسين الذات سعيًا صوب الكمال هو الحياة نفسها: توسيع الوعي. إنني أعني ذلك بسرور، ويستحيل إيقافه أو الإسراع منه.

١٤ - مهم جدًا: من المفيد أن يمارس المرء نوعًا ما من الصلاة. في الصلاة تُتاح لنا الفرصة لاكتشاف مَنْ لا نحبهم؛ فنخوض في أرواحهم ونفكر فيهم بحب. لديّ قائمة طويلة بذلك، ولدى الجميع كذلك. هذا أمر مفيد جدًا. هذه ليست فكرتي، ولم يكن بإمكانني أن أختلقها، إنما وصلتني من موضع مجهول، ويمكنني -بل ويجب عليّ- أن أستفيد منها، وكذلك هو الأمر مع مَنْ سأوصلها إليهم.

١٥ - أريد بشدة أن أضْمَنَ قصتي «إيليوشين» اعترافي وإدراكي لما يتعلق بالفلاحين، لكنني لن أنجح في ذلك.

١٦ - يبدو لي أن ثمة يومًا وآخر: صباحًا ومساءً وليلاً، وثمة عامًا وآخر: ربيعًا - صيفًا - خريفًا - شتاءً، وثمة العم ميخائيل فوكانوف وتاراس الأب وبيوتر الابن وابنه، وكل هذا يبدو لي لأنني منفصل ولا يمكنني إدراك كل شيء فورًا، في حين أن كل ذلك موجود في كيان واحد وحسب.

هذا نوع من الجنون!

١٧ - تقترب بعض الأقدام من الباب. أسأل:

- مَنْ هناك؟

- أنا.

- مَنْ أنت؟

- إنه أنا!

يشوب الصوت اندهاش من سؤالي. إنه صبي فلاح، وهو يدرك تمامًا أن أناه هي الوحيدة في هذا العالم؛ إنها تلك الأنا الموجودة في الجميع، وذلك يجعلني أتساءل عن طبيعة النافذة التي أنظر إلى الأمور من خلالها.

١٨ - أردت أن أقول إنه لا يمكن لشيء مهم وضروري أن يتحقق من دون إنكار ذات. لكن هذا غير حقيقي. علينا أن نقول إنه لا يمكن لشيء حقيقي أن يحدث من دون استعداد المرء للتضحية بحياته كلها: فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الْإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا. (مرقس: ٨: ٣٥).

١٩ - لا يمكننا أن نقول عن أي شيء إنه سبب شيء آخر. ثمة سلسلة لا نهائية من الأسباب المختلفة والمنفصلة وغير المُفسَّرة.

٦ يونيو.

رحل تشيرتكوف أول أمس. تعاملت معه على نحو أفضل مما توقعت. دار حوار عسير مع فلان (شخصية غير معروفة). كان اختباراً عسيراً. لم أحتمله. اختصرت «خطية عظيمة» وأزلت منها أجزاء كثيرة. أشعر بالأسف. وصل بوشا اللطيف. حالة صوفيا الصحية سيئة. أردت أن أصف حالتها هكذا «مرية»، لكنني خشيت أن تقرأ ذلك. سأترك هذه الكلمة هكذا لأن حالتها فعلاً مرية. وصل اليوم أحد تلاميذ ماليفاني^(١٠٤)،

(١٠٤) صانع عجل غير متعلم، أرسلوه إلى مستشفى المجانين بسبب نشره لتعاليم عدم مقاومة الشر بالعرف والعصيان المدني ورفض الخدمة العسكرية.

وهو صالح جدًا. لا أشعر بالرغبة في لقاء دولجوروكوف^(١٠٥) الذي سيصل قريبًا.

بالأمس جاء حشد كبير من الضيوف: شيوخ وشباب وأزواج وزوجات وبنات وأطفال، واتضح لي أنهم جميعًا بمثابة نوافذ مفتوحة أنظر من خلالها إلى الله. جميعهم على السواء بمثابة نوافذ مفتوحة عندما تُزاح الستائر التي تحجبها. إن أدركت ذلك كيف يمكنني أن أغضب منهم وأتوقع منهم أن يتمتعوا بفهم واحد؟!

بدأت السباحة منذ أربعة أيام. أمعائي لا تعمل مطلقًا. حسنًا... كثيرًا ما أدرك مباشرة أن هذا أمر حسن. عليّ تدوين الآتي:

١ - أشعر أنني بدأت أن أقترب من أن أكون إنسانًا ، وإن كنت لا أزال فظًا أحتاج إلى التهذيب. هذا لا يثبت أن حياتي قد بدأت تسير سيرًا حسنًا. إنما ذلك يعني أنني عرفت لماذا يحدث الأمر على هذا النحو. ليكن... يكفي أن يحدث ذلك من أجل أن أجرب سعادة الإحساس بالسعي صوب الكمال.

٢ - الإنسان الكامل - كما يجب أن يكون - هو إنسان متدين، فالإنسان في غياب الدين كالحيوان، لديه إمكانية أن يصبح إنسانًا وحسب. لدينا أطفال عاديون، ولدينا أطفال تبلغ سنهم خمسين عامًا.

٣ - أنظر كثيرًا إلى الحياة من موقع الراصد، كما لو أنني لا أشارك فيها تمامًا. لا أرى الصواب إلا من هذه النظرة وحسب.

(١٠٥) الأمير بيوتر دولجوروكوف، وهو أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الدستوري.

٤- كلما هرمت، انجلت لي ذكرياتي على نحو أوضح. المدهش هو أنني لا أتذكر منها سوى المفرح والطيب، ولا يقل سروري بها - إن لم يزد - عن سروري بالحادث نفسه. ماذا يعني ذلك؟ يعني أن لا شيء يمر، وأن شيئاً لن يحدث في المستقبل، بل إن كل شيء كائن فعلاً. كلما انفتحت لك الحياة زادت قدرتك على تمييز ما هو صالح وحقيقي مما هو شرير وزائف.

٥- عدد هائل من الزوار، وجميعهم يتحلى بالأناقة ويأكل ويشرب ويطلب هذا وذاك. يهرع الخدم هنا وهناك وينفذون الأوامر، بينما أزداد عذاباً وتزداد صعوبة مشاركتي في ذلك أكثر فأكثر دون مناقشة.

٦- ثمة تشابه بين الكنيسة والعلم في كل شيء، فأتباع الفريقين لا يشبتون أو يوضحون شيئاً ولا يحاولون سبر أغوار الخلاف، بل يتحدثون دائماً بيقينية ولا يستمعون، بل يغضبون.

٧- بالنظر إلى مختلف ظواهر العالم، خاصة إلى نشاط وحياة الناس، أرى كيف نتحرر جميعاً من الانفصال تدريجياً وتتوسع حدودنا بغض النظر عن الدرجات المختلفة التي نوجد فيها. في هذا يتلخص معنى الحياة. فلنتذكر دوماً ذلك، وحينها لن نغضب أو نستاء.

٨- البعض يضاهونني بروسو. أنا مدين لروسو بالكثير وأحبه، ولكن ثمة اختلاف كبير بيننا. يتلخص الاختلاف في أن روسو ينكر أي شكل من أشكال الحضارة بوجه عام، بينما أنا أنكر الحضارة المسيحية الزائفة وحسب. المقصود بالحضارة: نمو الإنسانية. النمو ضروري، ويستحيل أن نصفه بأنه جيد أو سيئ. إنه أمر موجود وفيه الحياة، تماماً

كنمو الشجرة. ولكن سنصف الفرع أو قوى الحياة التي تنمو في الفروع بأنها غير سليمة ومضرة إن ابتلعت كافة قوة النمو. هذا ما يحدث في حضارتنا الزائفة.

٩- إن سار الناس فوق مرج جميل ودهسوا ما فيه سأشعر بالأسف، لكنني لن أغلي غضبًا، ولكن إن حفروا فيه أو زرعوا فيه الأفسنتين^(١٠٦) أو أفسدوه بأي شكل ونمت فيه تلك الأعشاب، وكان كل ذلك بذريعة خير الناس وحبهم، بينما الدافع في الحقيقة هو الجشع والسعي خلف مديح الناس وأهداف أخرى مختلفة تمامًا، فلن يسعني إلا أنا أغلي غضبًا. أعرف أن هذا أمر سيئ، لكنني لا أستطيع إلا أن أغلي غضبًا من هؤلاء الليبراليين الراضين عن أنفسهم رغم فعلهم لما سبق.

١٠- تنشد الكمال، والحياة تُضعف جسدك وشهواتك، وهذا يساعدك في مسعاك. هذا ما يجعل الإنسان يرغب دائمًا - دون وعي منه - في المضي إلى الأمام والخروج من إطار الجسد والحركة؛ من حالة الانفصال. اجعل محور حياتك هو توسيع مجالها الروحي، وستصبح الأمراض والشيخوخة وكافة صنوف الشقاء، بل والموت نفسه خيرًا لك.

١١- يبدو لك أنك تضعف وتهرم وتحتضر، بينما أنت تزداد قوة وتنمو وتولد من جديد.

١٢- لا يمكنك إقناع شخص، بل بوسعك فقط أن تساعد على اللحاق بركب الحياة الروحية الشاملة؛ الاتحاد بالله.

(١٠٦) كحول بنكهة البانسون يستخرج من بعض الأعشاب.

١٣- أنت بمثابة جهاز إرسال ينقل قوة الله وحسب. ينحصر عملك في الحفاظ على أداتك؛ روحك.

١٤- أنا أداة يستخدمها الله. إن خيرى الحقيقي هو أن أشارك في عمله، ولا يمكنني فعل ذلك إلا بالحفاظ على نظام وطهارة وحدة وسلامة الأداة التي وُهِبَت ليها.

١٥- عدم الانشغال بنفسك والانشغال بعمل خارجي تظن أنك في حاجة إليه يشبه أن تحاول قطع شيء ما بفأس ثلثة. ستفسد فأسك وكذلك ما تحاول قطعه بلا جدوى.

عندما تنعم بالوحدة والهدوء؛ عندما تكون على تواصل بالله الذي بداخلك، ستسمو إلى تلك الدرجة التي كنت فيها والتي بإمكانك الوصول إليها ثانية. مع الناس ستجد نفسك تنحدر. لقد اختبرت ذلك مع تشير تكوف. كم هو قريب مني! ولكن عندما لا أكون بمفردي أجد واحد بالمائة من ذاتي وحسب. يجب أن يختبر الجميع ذلك.

١٢ يونيو.

كنت في حالة معنوية شديدة السوء، وحاولت الاستفادة منها. كتبت قصة «التوت»^(١٠٧) في يومين. لا بأس بها. جاء ميشا حالاً وحظينا بحديث جيد. من المحتمل جداً أن تستيقظ الحياة بداخله. لا بد وأن تتقد بداخل الجميع.

أزداد ألماً أكثر فأكثر من الرخاء الذي أعيش فيه والفقر المدقع من

(١٠٧) نُشِرت وسط كتاب (دورة قراءات).

حولي. عليّ تدوين الآتي:

١ - لا يمكن للإنسان ألا يكون محققاً عندما يؤكد ذاته وأناه الإلهية، ولكن يصبح الأمر مريعاً حقاً عندما يؤكد على أناه الحيوانية أو كبريائه أو حبه لذاته أو استثنائية أناه وكله ثقة في صوابه الذي يرتبط في الحقيقة بأناه الإلهية لا بما سبق. هذا هو أساس الثقة العمياء في النفس.

٢ - ما الهدف من ذلك؟ لا أعرف، ولكن ما أعرفه يقيناً هو أنني مفطور على السعي صوب الخير وتحديده والوصول إليه بما وُهب من أدوات. عندما كنت طفلاً كنت أصرخ وأبكي وأداهن حتى أنال مرادي، وعندما أصبحت شاباً وزوجاً لجأت إلى المصالحة والنضال والكدح، ولم أدرك أن خيرني في خدمة الله وحسب إلا حينما أصبحت شيخاً. هكذا هو الأمر. يمكننا أن نعرف ذلك نظرياً، وهذه وظيفة تعاليم الدين. أكتب موشكاً على النوم من فرط النعاس. أشعر بالضعف الشديد. أردت أن أكتب في «برج سلوام»^(١٠٨) و«العصا الخضراء» ولكن بلا جدوى.

١٨ يونيو.

أشعر أنني في حالة جسدية شديدة السوء منذ أكثر من أسبوع: اضطراب في المعدة والأمعاء. لم أكتب سوى مقدمة مقالة «خطية عظيمة» وبعض الخطابات التافهة. عليّ أن أكتب الكثير مما يبدو لي مهماً.

(١٠٨) يشير العنوان إلى حادث مدون في لوقا ١٣: ٤ - ٥: أَوَّلِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْبَرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتْلَهُمْ، أَتَظُنُّونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ؟ كَلَّا! أَقُولُ لَكُمْ: بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ يَهْلِكُونَ.

١- لـ «برج سلوام»: هزيمة الأسطول الروسي لم تكن هزيمة للدولة الروسية، بل لكافة الحضارة المسيحية الزائفة. أشعر وأعي وأفهم ذلك بوضوح تام. كم سيكون من الجيد لو استطعت أن أعبر عن ذلك بوضوح وقوة!

بدأت هذه الهزيمة منذ فترة طويلة: في الحرب المالية، في الصراع من أجل النجاح فيما يدعونه النشاط العلمي والفني الذي هزم فيه اليهود غير المسيحيين كافة المسيحيين في كافة الدول، وجلبوا لأنفسهم بذلك كراهية وحقد الجميع. هذا ما حدث الآن في المجال العسكري، وكشفت قوة اليابان المفرطة صورة ما يجب ألا يسعى صوبه المسيحيون، وهو الأمر الذي لم ينجحوا فيه أبدًا، وسيهزمون فيه دائمًا من قبل غير المسيحيين؛ سيهزمون في مجال تلك المعرفة البطالة التي يدعونها علمًا؛ تلك الألعاب المسلية ووسائل العنف. يحقق التاريخ تعاليم المسيحية بطريقة سلبية؛ بأن يكشف للناس عما لا يجب أن يفعلوه أو يبددوا فيه قواهم.

٢- الحركة الدينية صوب الضوء المتزايد؛ صوب الحقيقة والخير هي نتيجة لكافة أنشطة البشر المعقدة: الاقتصادية والسياسية والفنية والعلمية. ثمة عمل معقد وضخم يجري من أجل اتخاذ خطوة صغيرة صوب الوعي الديني وحسب. يشبه ذلك العمل المعقد الذي تقوم به عجلات وعتلات من أجل تحريك أوزان ثقيلة، حيث يعمل كل ما سبق لآلاف الساجن^(١٠٩) لتحريك تلك الأوزان بوصة واحدة.

(١٠٩) وحدة روسية قديمة لقياس الطول تساوي ١٣٣٦, ٢ مترًا.

٣- أحياناً يرغب المرء في الموت، ويتزايد ذلك مع الوقت. هذا أمر سيئ. الرغبة في الموت هي نوع من أنواع التمرد على الله. لا يجب أن يطلب المرء الموت أبداً، فربما تكون حياته كلها لازمة للحظة معينة وحسب، ثم يحرم الإنسان نفسه منها.

٤- قرأت بعضاً من مذكرات المنشق ميرونيكي^(١١٠). إنه إنسان شديد الذكاء والتدين. ثمة مقارنات رائعة وفهم جيد جداً واستخدام بارع لنصوص الإنجيل. لكنني لاحظت بعد ذلك مدى خطورة التحدث عن المواضيع الدينية بشكل رمزي استعاري حينما تبدو النصوص لامعة لكنها في الحقيقة غير واضحة.

تتطلب الموضوعات الدينية دقة أكبر من تلك التي نجدها في الرياضيات.

٥- أمر مهم وضروري ومبهم جداً: أربكتني طويلاً فكرة الرغبة في حب الناس والكائنات، وحتى أولئك الذين سيأتون في المستقبل، وهي رغبة قوية وطبيعية وتبدو جيدة وتمنح صاحبها مسرات كثيرة بريئة وبالتالي بدت لي أمراً جيداً، في الوقت الذي أدرك فيه أن أسمى حالات الإنسان الروحية هي التي يعيش فيها من أجل الله وحسب ولا يبالي بمديح الناس، بل ويحتقره. انكشف لي تفسير هذا التناقض. إن كافة الكائنات والبشر الأحياء الآن، وفي المستقبل، هم تجليات الله؛ هذا هو الله في إحدى حالاته التي ثلاثمني. عندما ينشد المرء إذن حب الناس والكائنات المعاصرين والمستقبليين، فذلك أمر لا يتعارض مع الرغبة

(١١٠) ألكسي ديميترييفيتش ميرونيكي: أحد المنشقين القدامى عن الكنيسة الروسية.

في خدمة الله وتنفيذ شريعته، بل يوافقها. ما يهم في الأمر هو أن تنشُد الحب الروحي لا الجسدي.

٦- ثمة نوعان من الوعي: الحيواني الخاص بانفصال الكائن عن غيره، والروحي الذي يوحد الكائن بغيره. الإنسان ليس حرًّا في ظل الوعي الأول، أما في الثاني فلا يمكن أن يُطرح من الأساس سؤال عن الحرية. ولكن يستحيل القول بأن الإنسان غير حر في الحالة الأولى، لأنني إن قلت إنه غير حر في ظل الوعي الحيواني حيث يشعر كل كائن بانفصاله، فماذا يمكنني أن أسمى تلك الحالات التي لا يشعر فيها المرء بانفصاله مثل ما يحدث مع الجنين في رحم أمه؟ كذلك إن قلت إن الإنسان الذي يحيا وعيًا روحيًا هو إنسان حر تمامًا، لا يمكنني ألا أعترف بدرجة معينة من الحرية لدى الكائن الذي يحيا بوعيه الحيواني ويشعر بانفصاله. من الواضح إذن أن ثمة درجات من الحرية. إن تحرينا الدقة سنقول: يستحيل أن تكون ثمة حرية كاملة في الإنسان الذي يحيا بوعيه الروحي.

الحرية، كالحياة، موجودة بدرجة أو بأخرى. وكما تمضي الحياة صوب الزيادة والتوسع، كذلك تمضي الحرية.

٢٩ يونيو.

منذ أكثر من أسبوع وحالة معدتي سيئة. لم أفعل شيئًا تقريبًا. ليوفا هنا. أشعر بالأسف عليه بكل كياني، لكنني غير قادر على مساعدته. ربما يجب أن يمضي الأمر هكذا، وهو سعيد بعماء! اليوم كتبت قليلًا في «برج سلوام». كلما رأيت بوشا، ازدادت حبًا وتقديرًا له. ساشا تزداد

خشونة. إما أن تُثلّها دنيئة وإمّا أنها ليست لديها مُثل على الإطلاق. حالة صوفيا الصحية غير واضحة. ربما ليست هناك خطورة. علاقتي بها الآن جيدة جدًّا.

عليّ تدوين بعض الأفكار، وخصوصًا الآتية:

١ - كتبت سابقًا أن الزمن هو الحياة نفسها. حلمت بتلك الفكرة، أو جاءتني في حالة بين اليقظة والنوم كما يحدث لي دائمًا، وبدأت لي شديدة الأهمية والعمق. إن جوهر الفكرة هو أن العالم أو الكيان الكلي غير متحرك ولا زمني، لكنه ينكشف لي تدريجيًّا، أنا الكائن المنفصل؛ تنكشف الحجب التي تخفيه عني، ويتسع وعيي ويتحرر، وفي هذا معنى حياتي.

أعرف أنني لم أوضح الأمر كفاية لكنني لا أريد التخلص من هذه السطور.

٢ - خاص ببرج سلوام: لا يمكن أن يتم تغيير نظام حكم الدولة إلا عندما تتأسس سلطة مركزية جديدة، أو عندما يُشكل الناس بأنفسهم كيانات لا يعودوا بعدها في حاجة إلى سلطة الحكومة. يمكن أن تندلع تمردات خارج هذين الاحتمالين، لكنها لن تؤدي إلى أي تغيير في نظام الحكم.

٣ - يقول توكفيل^(١١١) إن الثورة الكبرى قد اندلعت في فرنسا، لا في أي مكان آخر، بسبب أن أحوال الشعوب في كل مكان آخر كانت

(١١١) مؤرخ ومنظر سياسي فرنسي.

أسوأ وأقسى، خاصة أن الدمار الجزئي الذي حاق بمؤسسات العصور الوسطى جعل الناس في فرنسا يكونون كراهية لما تبقى منها أكثر مائة مرة من غيرهم. هذا صحيح فعلاً. لهذا السبب تحديداً لا بد أن الثورة الجديدة القادمة الخاصة بتحرير الأرض سوف تندلع في روسيا تحديداً؛ وذلك لأن وضع الناس في كل مكان آخر فيما يتعلق بالأرض أسوأ من مثيله في روسيا.

٤- ما أجمل أن يكون المرء مريضاً! أثناء المرض يميز المرء بوضوح بين المهم وغير المهم في الحياة. وفي هذا كل الحكمة. اختبرت ذلك في الأيام الأخيرة.

٥- يستحيل أن يرغب المرء في الموت؛ لأن هذه الرغبة تتضمن مفهوماً مستقبلياً زمنياً، بينما الحياة الحقيقية لا زمنية.

٦- على مدار حياتي التقيت بثلاثة أنواع من الحياة الزوجية:

علاقة زوجية لا يمكن خرقها أبداً، وسواء كان الزواج سعيداً أم تعيشاً، على صاحبه أن يتحمل، كما لو كان يتحمل جسده دون أي نوبات يأس أو غضب أو علاقات غرامية أخرى.

تناغم الأرواح والعواطف، والحب الشعري، مثلما نجد في آلام فرتر^(١١٢) ومعاناة الحب.

إن لم يحب القرين قرينه ينفصل عنه ويتخذ قريناً جديداً له.

٧- سيكون من الجيد لو كتبت عن علاقة الأطفال الذين لم يفسدوا

(١١٢) رواية رسائلية من تأليف الأديب الألماني جوته وهي أول رواياته.

بعد بفكرة النباتية، وكيف يتمتعون بإدراك قوي بعدم جواز القتل.

٨- الثورة الوحيدة المفيدة هي التي تدمر نظامًا قديمًا حينما تكون قد أسست آخر جديدًا بالفعل. أبناء جورجيا مثال على ذلك^(١١٣). على المرء ألا يحاول تنظيف الضمادة أو إزالتها تمامًا، بل يستبدلها بضمادة أخرى نظيفة.

٩- زيادة الحرية تعني تنوير الوعي.

١٠- الحرية هي التخلص من الأوهام وخداع الذات.

١١- كما كان الفرنسيون مدعويين لإصلاح العالم في عام ١٧٩٠، كذلك الروس مدعوون للأمر ذاته في ١٩٠٥.

٣ يوليو.

تحسنت حالتي قليلًا. راجعت مقدمة «خطية عظيمة». لا أعمل. فكّرت اليوم بحيوية في الآتي: ما إن تتيقن من أن إنتاج الحب بداخلك هو العمل الرئيس في حياتك، حتى تجد دائمًا ما تعمله، ولن تندم على أنك لا تكتب.

إنني أربغ الآن في المرض والألم وانخفاض الروح المعنوية؛ ففي هذه الأوقات أختبر نفسي وأتغلب عليها.

١- تقول بافلا نيكولافنا ككثيرين غيرها إنها لا تحب المبادئ؛ لأنه يستحيل على المرء أن يعيشها حقًا. يفصح ذلك عن عدم قدرة على التفكير السليم. المبادئ هي الحقائق التي نعيها وهي الخير، والحياة

(١١٣) راجع يوميات ٢٩ يناير من العام نفسه.

بأكملها بمثابة اقتراب منها، فكيف يمكننا أن نعيش من دونها؟
٢- الإنسان الذي يعيش بوعيه الروحي لا يمكن ألا يكون حرًا. إنه يعيش في الله، لكن الإنسان لا يصل بإرادته إلى هذا الوعي الروحي.
٥ يوليو.

إن حياتنا بأكملها بمثابة تجلٍّ للوعي...
بدأت أسجل أفكاري، لكنني أشعر بالضعف لذا سوف أؤجلها لمرة أخرى. أعاني طوال الوقت من آلام المعدة، وعدت للتوقف عن العمل صباحًا.

لا أزال أرغب في كتابة نصيحة للمعاصرين، لكن ليست لديّ القوة الكافية. من الواضح أن الأمر غير ضروري، والأكثر أهمية هو ما لديّ فعلاً. أفكار للتدوين:

أخذت الحضارة تسير وتسير حتى وصلت إلى طريق مغلق. لم يعد هناك طريق لتسلكه. تعهد الجميع بأن يصل بنا العلم والحضارة إلى الهدف المنشود، ولكن من الواضح أنه لم يعد هناك طريق لتسلكه.

٣١ يوليو.

لم أدوّن يومياتي منذ ٢٨ يومًا. لم أتخيل أن المدة طالت إلى هذا الحد. كنت بصحة جيدة طوال تلك الفترة، لكنني كنت ضعيفًا روحياً: كتبت قليلاً. أتقدم ببطء في «نهاية عصر»^(١١٤). يبدو أنني حظيت في تلك الفترة بأفكار قليلة، وربما تكون مهمة. سأدوّنهما الآن. طوال تلك الفترة

(١١٤) مقالة نُشرت أولاً في إنجلترا، ثم نُشرت منها نسخة منقحة في روسيا.

شعرت بكسل شديد وضعف وساءت حالتي المزاجية، ولكن حمداً لله لم يظهر من ذلك سوى القليل.

١ - اندلعت ثورة سلبية في روسيا.

٢ - في أوقات الصراع، كما هو الحال الآن في روسيا^(١١٥)، يلزم أولاً أن يضبط المرء نفسه عن دعم هذا الطرف أو ذاك، وعليه كذلك أن يبحث عن وسيلة لإجراء تسوية بينهما.

٣ - جلبت الإنترنت شراً للشعب أكثر مرة مما جلبته له من خير.

٤ - لا يمكن للثورة الآن أن تكرر ما حدث منذ مائة عام. لم ينجح الثوار في أعوام ١٨٣٠^(١١٦) - ١٨٤٨^(١١٧)؛ لأنه لم تكن لديهم مثل، وقد ألهموا بقايا ثورة عظيمة. هذا ما تفعله الثورة الروسية الآن، فليست لديهم أي مثل اقتصادية أو غير ذلك.

٥ - الثورة الوحيدة المثمرة هي تلك التي لا يمكن إيقافها.

٦ - يتجلى الكائن المنفصل في هذا العالم داخل حدود الزمان والمكان المختلفة. في هذه التجليات يمكننا أن نجد ما ندعوها «الحياة»،

(١١٥) اندلعت ثورة في روسيا في عام ١٩٠٥ شملت الإرهاب والإضرابات العمالية واضطرابات فلاحية وعصيان عسكري، وقُمت بعنف شديد.

(١١٦) عصيان متمرد مسلح ضد حكم الإمبراطورية الروسية في بولندا. انضم إلى الضباط تبعاً الكثير من شرائح المجتمع البولندي كما امتدت الثورة بعدها إلى مناطق في ليتوانيا وروسيا وأوكرانيا.

(١١٧) سلسلة من الاضطرابات السياسية في جميع أنحاء القارة الأوروبية. وعدت من أكثر الموجات الثورية انتشاراً في تاريخ أوروبا. بدأت الموجة الثورية بالثورة الفرنسية في فبراير، سرعان ما امتدت إلى بقية أوروبا.

وهي ما ندركها في أنفسنا ونراقبها في بقية الكائنات. أعايش تجليّ الخاص، وأرى كاملاً تجليات الكائنات الأخرى التي تحدّها حدودها أكثر مما تحدني حدودي؛ كائنات ذات أعمار أقل من الإنسان كالكلب والحشرات. أرى أحياناً أيضاً بداية تجلي بعض النباتات، أو أعرفها مما يُثقل لي عنها، وثمة ما لا أعرف شيئاً عن بداياته ولا أرى نهاية له، كالكوكب والنجوم.

٧- إن وجود مجتمع عاقل أخلاقي يتطلب بالضرورة خضوع النساء لتأثير الرجال. الأمر في مجتمعنا على النقيض من ذلك، فالرجال هم الخاضعون لتأثير النساء.

٨- تجد النساء لذة في التباهي بأكتافهن ومؤخراتهن أكبر من التباهي بالمبادئ والقناعات الفكرية بفارق هائل.

٩- ينكشف العالم للكائن بفضل الزمن وحده، بينما يعي الحياة بفضل حركتها. أفهم ذلك على النحو الآتي: ينكشف الجوهر الروحي لكل كائن منفصل تدريجياً. هذا الكشف هو الحياة التي نعيها عن طريق حركتها.

١٠- يعود خطأ النشاط الحالي للثورة الروسية إلى رغبتهم في تأسيس نظام جديد للحكم للشعب الروسي، بينما وصل الشعب إلى مرحلة يظن فيها أنه ليس في حاجة إلى أي نظام جديد.

١١- كم من الحسن أن أبدو شريراً وأحمق ودينياً، وأن أدرك ذلك في نفسي فعلاً! بفضل ذلك وحسب يمكنني -في بعض الأحيان وليس دائماً للأسف- أن أسلك بلطف وتسامح وأحتمل شر وغباوة ودناءة الآخرين.

١٢- تعاني من أن الناس غير متدينين، ولا يفهمون المتطلبات الدينية، وتحزن عليهم وتشعر بخيبة الأمل. عليك أن تفهم أن قابلية تأسيس علاقة دينية بالحياة - وهي الآن قابلية إنسانية سامية- لا يمكن أن تنقلها للآخرين بالفكر أو بممارسة أي تأثير روحي عليهم طالما هي ليست لديهم فعلاً. كما يستحيل عليك أن تعلم الكلب أن يغلق قفل الباب أو الجواد ألا يطأ العشب أو أقواماً بدائية أن ينظموا منازلهم ويعدوا طعامهم حتى تتطور قدراتهم العقلية، كذلك يستحيل أن تُعلِّم الناس -وأغلب الناس كذلك الآن- أن يعيشوا بفهم كامل لمعنى حياتهم؛ مسترشدين بالوعي الديني. الذين بدأوا فعلاً في التطور يشكلون واحد على ألف من الناس، وهم مستقلون تماماً عن نمط الحياة السائد والرفاهية المادية والتعليم السائد، بل إن أغلبهم فقراء وغير متعلمين. تتزايد أعدادهم تدريجياً، ويعتمد تغيير النظام الاجتماعي السائد على زيادة أعدادهم هم وحدهم.

١٣- لا شيء بإمكانه أن يدفعك صوب الصلاح بقدر وعيك بحب الناس لك. تدفعك فرحتك بأنك محبوب صوب الصلاح، وبالتالي تقوم بما يستدعي الحب في الآخرين، ويدفعك ذلك كي تسلك بلطف، لتوقظ الحب في قلوبهم.

١٤- كم كان من الممكن أن تصبح الحياة جيدة وسهلة لو لم يكن هناك ما يثير القلق أو الاضطراب أو التجارب!

١٥- كافة التغيرات التي تطرأ على حياة الناس، وكل ما هو مهم يحدث لأسباب روحية في الأساس. هذا لا يعني أن هذه التغيرات لا

تحدث عشوائياً وحسب، بل إنه أيضاً يعني العكس تماماً، حيث يكشف لنا عن أنها مقصودة، فالتغيرات الروحية الخارجة عن سلطان الإنسان هي ما تشكل الحياة.

١٦ - لقد أودت الحضارة المسيحية الزائفة بالشعوب المسيحية إلى هذا الطريق المغلق، يتضح أن لا مخرج منه على الإطلاق، وبالتالي عليهم بالتراجع، ولا أقصد التراجع الكامل عن الطريق بأكمله، بل عن ذلك الجزء الذي أفضى إلى هذا الطريق المغلق وحسب.

١٧ - نجلس هنا في الفناء، نتناول عشرات الأطباق والمثلجات، والخدم والفضة من حولنا، ويأتينا الفقراء بينما نواصل تناول المثلجات بهدوء. أمر مذهل!

١٨ - يستعر في داخلي صراع بين النور والظلمة، بين الخير والشر، ويبدو لي أنني أناضل. هذا ما كتبته سابقاً، لكنني في الواقع أرى الأمر على النحو الآتي: ينكشف لي جوهر الحياة، وتُكشف الحجب التي كانت تخفيه عني، بينما أظن أنني أنا من أتقدم. يحدث أن تسير وتظن تماماً أن الضفة تتحرك، أما هنا فالعكس؛ تتحرك الضفة بينما تظن أنك أنت الذي تتقدم.

١٩ - يشير لنا الوعي الديني إلى الخير الروحي أكثر فأكثر، لذا يزداد سعي الإنسان تدريجياً صوبه.

٢٠ - الفارق بين القواعد والقوانين هو أن الأولى تتحدد بواسطتنا بينما نعترف ونقر بالثانية. هكذا هي قوانين المسيحية.

٢١- يجب على الثورة الروسية أن تهدم أركان النظام القائم، ولكن ليس بالعنف، بل بطريقة إيجابية؛ بالعصيان.

٢٢- لا يمكن للمرء أن يتحدث بصراحة تامة إلا مع الله، فهو الوحيد الذي يمكننا أن نقول له كل شيء.

٢٣- حسنًا أن يصدق الآخرون وتقترب من الله. هذا إذلال من نوع جيد!

٢٤- لا يمكن للاستنتاجات الفكرية أن تحت الوعي الديني على العمل داخل أحدهم، ولكن توضيح الوعي الديني بالكلمة من شأنه أن يوضح لنا حاجتنا إلى الخير، وهذا ما أريده. يلزم فيما بعد عندما يولد الوعي الديني داخل إنسان ما أن يجد عونًا في طريقه. من شأن تعزيز وعيه الديني أن يعزز الوعي الديني العام.

٢٥- تعتبر الاشتراكية بلا شك أحد تطبيقات المسيحية، لكنها تطبيق غير سليم؛ لأنه غير كامل.

٢٦- يتأسس الوعي الديني على توقف الإنسان على النظر إلى نفسه كقيصر أو تاجر أو زوج، وأن يدرك نفسه كنقطة رياضية داخل نطاق الزمان والمكان، ينحصر معناها في تلك المرحلة وحسب؛ في الوعي غير المادي، ولها هدف واحد: أن تقوم بما يتوجب عليها القيام به.

صياغة سيئة جدًا لكن الفكرة شديدة الأهمية. سأعود إليها لاحقًا. أشعر طوال الوقت بالضعف الروحي.

١ أغسطس.

لم أفعل شيئاً. سأنام.

١٠ أغسطس.

كنت في بيروجوفو. شعرت بالضعف ليومين أو ثلاثة، ولكن بعد اليوم الثالث بدأت أعمل، وأنهيت تقريباً «نهاية عصر». نعمت جداً بوحدي مع ماشا. عدت في السابع من الشهر، وكنت بحالة جيدة. أخطأت بالأمس حينما غضبت بسبب أعمالي وما يتعلق بطباعتها^(١١٨). أنا المعلوم كاملاً بالطبع. لا أعرف ما إن كان ذلك حسناً أم سيئاً، ولكن بعد أن أرتكب هذه الخطية دائماً أشعر بألم تمزق علاقة الحب، تماماً كألم جرح. سألت نفسي: ماذا يعني هذا الألم؟ ولم أستطع أن أجد إجابة أخرى سوى أن جوهر كياني ينكشف لي بمرور الزمن. كنت أظنه أفضل مما هو حقيقة.

غريب ما أشعر به الآن في تلك اللحظات الجيدة التي يبدو لي فيها أنني أفهم هدف الحياة بمزيد من الوضوح حتى إنني أشعر بالخوف. عليّ أن أحاول التعبير عنها. أفكار للتدوين:

١- الفارق بين الرجل والمرأة هو أن شهوات الرجل دائمة، لكن بإمكانه قمعها، أما شهوة المرأة فمؤقتة لكنها لا تستطيع قمعها.

٢- كم هي حماقة جليلة أن نحاول القضاء على العنف بالعنف!

(١١٨) عارضت صوفيا نشر أعماله من دون مقابل في بعض الصحف.

١١ أغسطس.

عملت بكّد. حالتي الروحية جيدة. يمكن أن تصبح قصة الطفل الزائف جيدة حقًا.

٢٧ أغسطس.

انخرطت طوال الوقت في الكتابة في «نهاية عصر». يبدو أنها جيدة. أنهيتها تقريبًا. دائمًا «تقريبًا»! صدرت بالفعل «حاجتنا الوحيدة» و«خطية عظيمة»، ويبدو أن الأخيرة تواجه عائقًا ما، لكنها تدفعه وربما تحطمه. قرأت لتوي نقدًا كتبه أمريكي عن المقالة. من الواضح أن المقالة تسير عكس التيار، وهو أمر مؤلم بالطبع. هكذا هو الأمر أيضًا في روسيا: إما أن تصمت وإما أن تسخطهم وتؤلمهم. حسنًا.

كم انجلى لي الآن بوضوح تاريخ علاقتي بأوروبا!

١ - سرور بحقيقة أنني إنسان ليست له أهمية ويعرف كل هؤلاء العظماء.

٢ - سرور بتقديرهم لي ومقارنتي بعظمائهم.

٣ - فرحة بتقديرهم لي أكثر من ذويهم.

٤ - بدأت أفهم حقيقة مَنْ يقدرونهم.

٥ - أدركت أنهم لا يفهموني تقريبًا.

٦ - أدركت أنهم لا يفهموني على الإطلاق.

٧ - أدركت أنهم لا يفهمون شيئًا من الأساس، وأن هؤلاء مَنْ كنت

أَقْدَرُ إعجابهم بي ليسوا إلا أغبياء وهمجًا.

وصلني اليوم نقد مؤسف لمقال «خطية عظيمة»، واستطلاع من محرر جريدة Echo عن الحكم بالإعدام، وهل هو ضروري ومبرر أم لا. اسم المحرر *Sauvage*.

أستيقظ صباحًا وأسأل نفسي: ما المُقَدَّر لي؟ وأجيب: لا شيء عدا الموت. لا أبغي شيئًا. كل شيء حسن. ما العمل؟ وكيف يتوجب عليّ أن أسلك؟ عليّ أن أملاً ما تبقى لي من حياتي بالأفعال المتوافقة مع من أرسلني. كم يسهل الأمر! كم سأنعم بالهدوء إن فعلت ذلك! كم سأنعم بالحرية والسرور!

أفكار:

١- من الأكثر حرية: المنغولي العبد لجانكيز خان أم عبد الإمبراطور الصيني الذي يمكن للإمبراطور أن ينتزع منه أملاكه وزوجته وأطفاله وحياته، أم البلجيكي أم الأمريكي الذي يبدو كأنه يحكم نفسه عن طريق الانتخابات؟

٢- أفضل الأوضاع هو عندما لا تعود ترغب شيئًا. ومتى تنعم بالخير؟ عندما تعمل على تحقيق إرادة من أرسلك.

٣- ثمة خير واحد؛ العمل. لذا ثمة صلاة واحدة؛ الشكر على الموقف الذي أنت فيه.

أكتب ناعسًا، لذا تبدو الأفكار الجيدة سيئة وغير واضحة وغير دقيقة.

٤- كل شيء خيّر. تكشف لنا كافة البلايا عن الإلهي والخالد والمكتفي ذاتيًا الذي يشكّلنا. إن البلية الرئيسة بالنسبة للناس هي الموت، بينما يكشف لنا الموت عن أنا الحقيقة الحقيقية بشكل كامل.

٥- نرى المستقبل على امتداد الخط المرئي لنا من الماضي. يرى الطفل ما يمتد من ماضيه أمام ناظره لأشهر تصل إلى عام، ويرى الزوج ما يمتد أمام ناظره لعقد، بينما يرى الشيخ ما يمتد لناظره ويصل إلى نصف قرن، وقرابة النهاية يمكنه أن يرى ما يتجاوز حدود الحياة، وهذا ما أراه الآن.

٦- يخشى الناس عادةً من حدوث أمر بعينه، ولكن لا شيء يحدث على نحو خاص مع الإنسان خارج حدود ضيقة... لا يمكن. يرغب الناس عادةً أيضًا في اختبار شعور ما عظيم على نحو خاص، ولكن ليس بإمكان الناس أن يشعروا بشيء ما على نحو خاص. أسمى شعور هو الملائم للإنسان؛ أي وعيه بإخلاصه لإرادة الله.

٧- في الطفولة يبغون كل شيء، وإبان فترة الشباب والزواج يبغون شيئًا ما بعينه، أما في الشيخوخة فلا يبغون شيئًا.

٨- الحياة عملية موت مستمرة. أن تعيش حسنًا يعني أن تموت حسنًا. حاول إذن أن تموت حسنًا.

٩- أعظم وأهم مآثرة حدثت في بداية القرن في الشرق الأقصى هي مآثرة الصينيين الذين تحملوا كل المظالم والقساوات والفظائع التي ارتكبت في حقهم. إنهم مسيحيون، بينما نحن -الشعوب البيضاء- وثنيون همجيون. عليّ أن أكتب عن ذلك.

١٠ - ما يحدث في روسيا يشبه الآتي: أدرك بواب بأحد بيوت القمار أن صاحب البيت يسرق الزوار، ورأى كيف تنتقل النقود من جيوب الزوار إلى جيب صاحب البيت. أعجبه ذلك وقرر أن يفعل الأمر ذاته، ولكن بأبسط صورة: عرف أن رجلاً ما لديه نقود، فمد يده خلسة إلى جيبه، ولكن جار الرجل لاحظ السرقة وضرب البواب. تساءل البواب متعجباً لماذا ينجح الآخرين في ذلك بينما يفشل هو!

حكاية غبية.

١١ - ما نطلق عليها «حركة حياتنا» ليست سوى نزع الحجب التي تُخفي عنا جزءاً من الحياة وحسب. يشبه الأمر تلك الأغراض التي كانت غارقة في الماء، ثم تنكشف لنا تدريجياً مع حركة المياه. يبدو لنا أننا من نفعل ذلك بأنفسنا؛ لأن خيرنا في التحرر من الضباب، ونحن نرغب بالطبع في ذلك.

٩ سبتمبر.

وصلتني أخبار سيئة من ماشا. أشفق عليها جداً ولا يمكنني مغالبة هذا الألم^(١١٩). انشغلت طوال الوقت بالكتابة في «نهاية عصر» ونادراً ما شعرت بالرضى عن شيء كتبت. يبدو أن لا بأس بها. كان بالإمكان أن تكون أفضل من ذلك، بل وتوجب ذلك، ولكن لا بأس بها على أي حال. أشعر بالوحدة وأنشد الحب. بالطبع هذا أمر خاطئ. الأمور على خير حال كما هي الآن. لا تزال فكرة الحياة ومغزاها واضحة لي، بينما

(١١٩) مرت ماشا ابنته بفترة حمل صعبة انتهت بولادة طفل ميت.

أشعر بالضيق من هذه الحياة القاسية المجردة من المعنى. أتاني يهودي اليوم، وهو مراسل من جريدة روس. في نهاية الحوار، ونتيجة لخلافي معه في الرأي قال: «أعتبر إذن مقتل بلفني^(١٢٠) أمرًا سيئًا؟»، قلت له: «أشعر بالأسف لأنني أتحدث معك»، وتركته بغضب، أي أنني سلكت على نحو سيئ.

عليّ تدوين الآتي:

- ١- بداخلي جوهران: روحي وجسدي، وهما يتصارعان. ينتصر الروحي تدريجيًا. أدرك هذا الصراع الجاري بداخلي وأسميه «الحياة».
- ٢- أيمكنني أن أصارع؟ أيمكنني أن أقول لنفسني: لا أريد أن أفعل هذا وأفعل ذلك؟ لا، والسبب يعود إلى أن كل ذلك يحدث في اللحظة الحاضرة الجارية. كل ما يمكن لي هو أن يزداد وعيي بخير انتصاري الروحي واستجلاء هذا الخير تحديدًا. لكنني لست مسؤولاً عن حركة الوعي.

صياغة غير واضحة وسيئة.

- ٣- لماذا يفهم البعض الحياة على نحو ديني، والبعض الآخر لا؟ هناك فارق كبير بين الناس. الدينيون هم الأرستقراطية الروحية الحقيقية، وعددهم قليل جدًا.

- ٤- في بعض اللحظات السيئة لا أشعر بالله وأشك فيه. حدث

(١٢٠) وزير الداخلية الروسي، واغتيل في ١٥ يوليو ١٩٠٤ بقبلة ألقاها اشتراكي ثوري يُدعى بجور سرجيفيتش سازونوف، ويبدو من السياق أن اليهودي لم يكن مقتنعًا بجدوى اللا عنف.

ذلك مساء الأمس. دائماً ما يكون ثمة خلاص واحد حقيقي من ذلك؛ أن أتوقف عن التفكير في الله، وأفكر في شريعته وحسب وأنفذها؛ أن أحب الجميع، لا أن أحب نفسي. حينها تنتهي الشكوك وأحيا فعلاً.

٥ - تحققت الثورات دائماً طبقاً لقانون الشعب الأبدي والواحد والشامل.

٦ - قانون الله واحد للناس جميعاً: قانون موت الجسد وقيامة الروح. في هذا نجد الحياة دائماً.

١٩ سبتمبر.

أنهيت «نهاية عصر» تماماً^(١٢١)، ونادراً ما شعرت بالرضى عما كتبت. ستنال هذه المقالة أقل قدر من الفهم من وسط كل ما كتبت، لكنها سوف تترك أثراً في وعي الناس.

فقدت ماشا طفلها ثانية، بينما تانيا لا تزال في فترة حملها. أشفق على كليهما بشدة. كنت بصحة جيدة طوال الوقت وكنت أعمل في فترات الصباح بكد. أريد أن أستبدل بقصة «القيصر والنايك»^(١٢٢) قصة أخرى بكتاب «دورة قراءات». إنها لا تروق لي إطلاقاً، ملفقة تماماً. أفكار للتدوين:

١ - ثمة قانون واحد للبشر جميعاً: موت الجسد وقيامة الروح.

٢ - إن كافة الثورات هي تجليات واضحة؛ إنها بمثابة قفزات وارتفاع

(١٢١) رغم ذلك لن ينهيها حقاً إلا في نهاية العام.

(١٢٢) اسم آخر لقصة (ثلاثة أسئلة).

بدرجات مختلفة لتحقيق قانون البشر الأسمى والأوحد.

٣- نتعثر في الإجابة عن السؤال المتعلق بالحياة الأخرى، ولكن السؤال نفسه غير سليم، مُصاغ بطريقة زائفة. ليس ثمة حياة مستقبلية، فالحياة والمستقبل كلمتان متناقضتان. الحياة في الحاضر وحسب. إنها تبدو لنا فقط كأنها كانت وستكون. علينا ألا نجيب عن سؤال عن المستقبل، بل نجيب عن: كيف يجب أن نعيش الآن في الحاضر؟

٤- يستحيل القول: لن أخضع للناس وسلطتهم. لا يمكننا ألا نمثل للناس إلا حينما نخضع لله.

٥- لا يشعر الإنسان بالاطمئنان إلا حينما يعيش وفقاً للقانون الأسمى الملائم له، مهما كان.

٦- أظن أحياناً أنني ليس لدي الحق في التحدث عن الله. لا يمكنني أن أعرف شيئاً عنه. تأكيدَه هو تأكيد ما لا تمكن معرفته. أعرف شريعته، وأستخدم كلمة ومفهوم «الله» كما أستخدم كلمة «جاذبية» - «نور»... إلخ. لا أستطيع التفكير بوضوح الآن في المساء. أقرأ في كتاب كانط. جيد جداً.

٢٠ سبتمبر.

عملت في الصباح على «نهاية عصر». أنا راضٍ عن كل شيء فيها. ثمة حنين في قلبي لم يستولِ عليّ كاملاً بعد، لكن لا يسعني إلا أن أشعر به. يأتي نادرًا، بل يبدو أنني لم أشعر بمثله أبدًا من قبل. عليّ تدوين أمر واحد شديد الأهمية:

١- فكرت وتحدثت وكتبت مرارًا عن ذلك، لكنني اليوم أشعر بذلك بحيوية شديدة: عندما تشعر بالحزن والضيق والخزي، عليك أن تفكر وحسب أنك في حاجة إلى التغلب على كل ذلك، وسيمر كل شيء، بل إنك أحيانًا سوف تشعر بالسرور.

٢١ سبتمبر.

تكتنفي كآبة. فكّرت اليوم أن مرد هذا إلى أن أحدًا لا يحبني، وبدأت أُحصى مَنْ لا يحبونني. ولكن ما الذي يمكن أن يدفعهم إلى حبي؟ لا شيء. إن أحبني البعض فهذا شأنهم، وبالفعل مَنْ يحبونني هم أكثر مما أستحق.

ثم فكرت ليلًا في نفسي. أنا إنسان شرير فاسد بدرجة استثنائية.

١- في شخصي كافة العيوب، وبأسوأ درجة: حسد - أنانية - بخل - مجون - كبرياء - حب للذات - فخر - وضعينة. لا... لا ضعينة بداخلي، ولكن ثمة غضب وكذب ونفاق. كل شيء... كل شيء بداخلي وعلى نحو أسوأ مما في غالبية الناس. لكن خلاصي الوحيد هو أنني أعرف ذلك جيدًا وأناضله... طوال حياتي أناضل، ولهذا يدعونني «عالم نفسي».

٢- فكّرت مجددًا في الزمن. العالم، الكيان الكلي، الله موجود خارج إطار الزمان والمكان، لكنني كيان روحي منفصل يُشكّل جزءًا من الله. لا يمكنني أن أرى العالم (الكيان الكلي - الله) إلا داخل إطار المكان عبر المادة، وداخل إطار الزمان عبر الحركة.

٢٢ سبتمبر.

أنهيت «نهاية عصر». لم تعد ماشا في خطر. وصلني خطاب روهي رقيق. وصلني حالاً - صباحاً - خطاب من ابن مثقف لفلاح يتضمن تقريباً حقوقاً لي، بذريعة مديح لمقالتي «خطية عظيمة» مفاده أنني أنا شخصياً لم أتنازل عن أرضي. استأثرت بدرجة مريضة، وتبين أن هذا للصالح. أدركت نسياني أنني لا أعيش من أجل أن يكون للناس رأي حسن بشأنني، بل أعيش من أجل الله وحده. حينها شعرت بالراحة، بل والسرور الشديد. نعم، عليّ ألا أنسى أبداً مدى أهمية الحياة.

٢٧ سبتمبر.

كنت في حالة مزاجية سيئة كثيفة. فكّرت في هذا الوقت في أنه من الجيد للإنسان أن يعاني، ليس فقط جسدياً، بل روحياً أيضاً. إن عاش المرء مع الناس جميعاً في حالة اتساق وتفاهم وحب، فكيف سيكون الموت إذن؟ أنهيت «نهاية عصر» تماماً وأجهز نفسي لعمل جديد. لا أعرف هل سأعمل على «التعليم» أم المسرحية^(١٢٣)؟ أفكار للتدوين:

١ - أليس وهمًا سيئاً أن يظن المرء أن زوجته لا بد أن تكون غير ذلك؟ إن احتمالية تحقيق ذلك ضئيلة جداً، تماماً كاحتمالية أن يصبح العامل الذي استأجرته للعمل لديّ، أو صاحب العمل الذي أعمل لديه موسيقياً (غباوة). في الوقت نفسه نكون على ثقة تامة من ذلك إبان فترة

(١٢٣) يقصد بالتعليم مقالة نوى كتابتها عن كيفية تربية الأطفال، لكنه لم يكتبها، ويشير بالمسرحية إلى «الضوء يسقط في الظلام».

الشباب، حتى إننا نحزن ونستاء من زوجاتنا عندما لا يصبحن أصدقاء لنا، حتى وإن كن رائعات.

٢- تذكرت كيف كان أساس توجهي إلى المسيحية هو وعيي بأخوة البشر والهلح من الحياة اللا أخوية التي وجدت نفسي فيها. عليّ أن أجد وقتاً لأحكي فيه عن ذلك قبل الموت. كان هذا الشعور واحداً من أقوى المشاعر التي اختبرتها طوال عمري.

يقول بوهمه (١٢٤):

مَنْ يَرِ الوقت

مثلما الخلود

والخلود مثلما الوقت

يُصْبِحُ متحرراً

قبل كل شيء من المجادلة (١٢٥)

ليس علينا أن نفهم الزمن كالأبدية، والأبدية كالزمن، بل أن نفهم أنه لا وجود للزمن، وأن ما نسميه «زمان» هو عملية رؤية روحية مستمرة وفهم للذات في الحياة.

أنا... أناي الحقيقية، واقفة، تزداد جلاء، وكذلك بقية الكائنات، أمام باصريّ الروحيين. ما أسميه «الإرادة الحرة» هي وعيي بروحانيتي وثباتي.

(١٢٤) يعقوب بوهمه: فيلسوف ومتصوف ألماني.

(١٢٥) بالألمانية في الأصل.

صياغة غير واضحة.

١٢ أكتوبر.

لم أدون يومياتي منذ ستة أيام، كما أنني أعاني صحياناً من آلام الكبد منذ أربعة أيام. لم أكتب شيئاً. يجذب فيودور كوزميتش^(١٢٦) انتباهي أكثر فأكثر. قرأت عن بافل^(١٢٧). يا له من موضوع! رائع! قرأت كذلك في كتاب جيرتسين^(١٢٨) «من الضفة الأخرى» وأعجبني أيضاً. على المرء أن يكتب عنه حتى يتمكن المعاصرون من فهمه. لقد غاصت طبقة الإنجليجيتسيا لدينا بشدة حتى لم يعد بإمكانها أن تفهمه. إنه ينتظر قراءً مستقبليين كي يفهموه، وهو يحلق بأفكاره فوق رؤوس معاصرنا؛ كي يصل بها إلى قرائه المستقبليين الذين سوف يتمكنون من فهمه.

أفكار للتدوين:

١ - ما الفائدة الروحية أو الجسدية التي تعود علينا من وجود روسيا أو بريطانيا أو فرنسا؟ يعود علينا ذلك بأفطع الكوارث: ضرائب - حروب - عبودية، ومن الناحية الروحية: فخر - كبرياء - قسوة - فرقة - عنف يستخدم لتحقيق الوحدة.

لقد ابتلينا بخرافات قاسية ومهلكة مثل: القرابين البشرية - محاكم التفتيش، ولكن ليس ثمة ما هو أقسى وأكثر إهلاكا من خرافة (الوطن -

(١٢٦) يشير إلى قصة (أوراق الشيخ فيودور كوزميتش) المنشورة بعد وفاته.

(١٢٧) بافل الأول: إمبراطور روسيا بين أعوام ١٧٩٦ - ١٨٠١.

(١٢٨) كاتب ومفكر روسي عُرف بأبو الاشتراكية الروسية. اشتهر بأنه المسؤولين عن إنشاء مناخ

سياسي ملائم لتحرر الأقنان في ١٨٦١.

الدولة). ثمة رابطة تجمع مَن يتحدثون بلغة واحدة أو مَن لديهم نفس الأعراف مثل العلاقة بين الروس ببعضهم أينما كانوا: في أمريكا أم تركيا، وثمة رابطة كذلك بين الأنجلوساكسونيين في أمريكا وإنجلترا وأستراليا. ثمة أيضًا رابطة بين مَن يعيشون على أرض واحدة: مجتمع ريفي مثلاً أو أي تجمع سكاني له قواعد راسخة أُقرت طواعية. ولكن لا يوجد أي شيء مشترك بين هذه الروابط السالفة وبين الرابطة التي تفرضها الدولة بالعنف على مجموعة من الناس وتطالبهم بطاعة قوانينها منذ لحظة ولادتهم. هنا منبع كارثية تلك الخرافة. إنها تتمثل تحديداً في أن يؤكد البعض للآخرين، ويؤكدون لأنفسهم كذلك أن وحدة مصطنعة مفروضة بالعنف تمثل شرطاً ضرورياً لوجود البشر، بينما هذه الوحدة ليست إلا عنف في واقع الأمر يفيد مَن يرتكبه وحسب.

٢- السعي الدائم صوب المستقبل والرغبة في الإسراع بالحياة هي إشارة إلى أن الحياة بمثابة كشف مستمر، وأن هذا الكشف المستمر هو الحياة تحديداً، وفيه خيرنا.

صياغة غير واضحة.

٣- فهمت بوضوح كامل، وشعرت كذلك بأن لا شيء ينتظر أثرياءنا الذين حرروا أنفسهم من ضرورة العمل سوى الجنون. لا يمكن لأولئك الذين لا يعملون؛ مَن لا ينفذون أحد قوانين حياتهم، إلا أن يجنُّوا. هكذا تجن حيواناتنا الأليفة: الكلاب- الجياد- الخنازير عندما نفرط في إطعامها.

٤- رأيت حبة تفاح على الأرض. لماذا ستنمو بعض الحبوب الأخرى

بينما تهلك هذه الحبة؟ مصادفة! ولكن ما هي المصادفة؟ إن كانت المصادفة تحكم هذه المسألة التي تعد الأهم في العالم، فإنها تحكم كل شيء إذن، وهذا هو مضمون نظرية داروين الغبية. إجابة ذكية: لا أعرف. لا أعرف شيئاً عن بذور النباتات، ولا عن الحيوانات، لكني أعرف شيئاً عن نفسي، ولا يسعني ألا أعرف. إن حياتي الماضية بأكملها، وكل ماضي الذي أعيه وأذكره يخبرني عن سبب عدم نمو بذور الصلاح والخير بداخلي (الصلاح هنا عامل موضوعي، والخير نسبي). لقد فعلت ما لا يتوجب عليّ فعله، وهو ما حال بيني وبين الخير، أو أنني لم أفعل ما توجب عليّ فعله وكان يمثل خيري. لقد استطعت - وأستطيع الآن - أن أفعل هذا ولا أفعل ذاك، لذا أعتقد أن ثمة شيئاً آخر غير المصادفة يتحكم في عملية نمو البذور.

أعرف أن ثمة حدوداً لنمو بذور التفاح والبتولا، وأنه لا يمكن للنمو أن يتجاوز عدداً معيناً. أعرف كذلك أن الحياة الإنسانية - بغض النظر عن كوني سلكت بطريقة أو بأخرى - سوف تمضي داخل حدود معينة طبقاً لقوانين محددة. لكني أعرف أن بإمكانني - مهما كنت - أن أسلك في هذه الحياة بطريقة أو بأخرى، وأن في ذلك تلخص الحياة.

٥- هكذا نتقدم بطريقة أو بأخرى: تنكشف لناظريّ حياة العالم باستمرار، ولا يسعني إلا أن أرى كل ذلك داخل إطار الزمن. يمكنني عبر هذا الكشف أن أدرك نفسي كعابر؛ كيان حيواني، أو روحي لا يتغير. عبر عملية الكشف هذه يتبين لنا ما ندعوه: «الإرادة الحرة».

٦- حياتنا في السعي صوب تحقيق الخير، وقد وُهبنا ذلك في وعينا بكياننا الروحي، أي الحرية. إن حياة العالم ككيان كامل ثابت لا

يتغير موجوده فعلاً، وليس ثمة ماضٍ أو مستقبل بالنسبة لها. لكننا نحن الكائنات الروحية نعي أنفسنا داخل نطاق الزمان، لذا نحن أحرار ويمكننا أن نكون سعداء.

نرتجف في هذا العالم، وفي هذا الارتجاف حياتنا وخيرنا. إن كافة التغييرات التي يمكن أن يلحقها الإنسان بالحياة تبدو له كذلك وحسب، أما بالنسبة للحياة بأكملها فلا تُعد شيئاً، وحدودها ضيقة للغاية.

هدف التغييرات الممكنة هو الخير. في كل لحظة من حياة الإنسان ثمة موقف واحد يتعلق بالماضي والمستقبل، ويمكن للإنسان دائماً أن يصل إلى خيره بحرية.

٢٣ أكتوبر.

لم أكتب طويلاً. انشغلت طوال الوقت بالمراجعة والإضافة إلى مقالة «نهاية عصر». لا أزال راضياً عنها. أنهيتها. لن أعمل عليها ثانية. أرسل إليّ تشير تكوف بروفة الطباعة من «الإلهي والبشري» ولم ترق لي على الإطلاق. أريد أن أعاود العمل عليها، لكنني أشك أنني سأقوى على ذلك. موضوع شديد الأهمية: العلاقة بالموت. لديّ خطة ولكن كيف سأتمكن من تنفيذها؟

بلغت الثورة الآن أوجها. القتلى من الطرفين. برز الآن عنصر جديد مفاجئ غاب عن الثورات الأوروبية السابقة: المئات السود^(١٢٩) -

(١٢٩) حركة قومية متطرفة في روسيا في أوائل القرن العشرين. لقد كان من المؤيدين الأقوياء لدار رومانوف وعارض أي انسحاب من الحكم المطلق للعاهل الحاكم.

الوطنيون، وهم في واقع الأمر أناس لديهم فكرة فظة زائفة متناقضة عن الشعب وما يتعلق برغبته في عدم اللجوء إلى العنف. يكمن التناقض دائماً في تصور حقيقة أن الناس يريدون دائماً وقف العنف وكبحه بالعنف.

بشكل عام، مدهش ومنفر هو طيش القائمين على تلك الثورة؛ صبيانية لكن غير بريئة. أقول لنفسي وللجميع أن العمل الرئيس الآن لكل إنسان هو أن ينظر إلى نفسه ويفحص كل تصرف له جيداً وألا يشارك في هذا الصراع. هذا أمر ممكن لمن ينحو في حياته منحى دينياً وحسب. وحده المنظور الديني هو القادر على تحريرك من هذه المشاركة والتعاطف مع أحد الفريقين، وكذلك دفعك إلى دعم أمر واحد؛ بعث السلام بين الفريقين.

أشعر بالضيق وسط المحيطين بي. دَوَّنت القليل، لكنه يبدو لي مهماً:

١ - يسعى الجميع في العالم صوب خيرهم، لذا يتوجب على الإنسان أن يسعى صوب خير الجميع إن أراد أن يفيا بقانون العالم. سينال خيره الحقيقي لا محالة بوفائه بهذا القانون؛ بالسعي صوب خير الجميع. لا يمكننا أن نسعى صوب خير الجميع إلا بالعيش وفقاً للوعي الروحي السامي.

بدا لي كل ذلك شديد الأهمية عندما دَوَّنته، لكنه يبدو لي الآن غير مكتمل.

٢ - يكمن خيري الوحيد - الذي لا شك فيه - في تذكر حياتي

الصالحة؛ حياة الوعي الإلهي.

٣- لا يمكن للإنسان الذي يحيا حياة حيوانية وحسب ألا يتيقن من أن الموت هو فناء كامل له، ولا يمكنه ألا يفكر هكذا ويثق في ذلك ما دام يعيش حياة حيوانية، وبالتالي لا يمكنه إلا أن يخشى الموت. أظن أن هذا الاقتراب من الموت وصنوف المعاناة يُضعِف الإنسان، ويجبره على الانتقال من وعيه الحيواني إلى الروحي، وحينها يتوقف الإنسان عن خِشية الموت. لهذا يموت الناس بهدوء، حتى أقلهم روحانية.

٤- الحركة في الزمن هي رؤية أو تأمل الكائن الروحي لنفسه؛ عملية كشف لكافة الكائنات الروحية التي أنا جزء منها.

فكرة جيدة، ولكن لا يمكن لأحد تقريباً أن يفهم ما كتبه سواي. يمكن شرح الفكرة على النحو الآتي: أنا أنكشف لنفسي عبر الزمن، ولكن في الوقت نفسه أحمل في نفسي كل ما انكشف لي لتلك الدائرة من الناس في الماضي التي يمكنني أن أتضمنها بداخلي. بهذا يمكنني - بالإضافة إلى انكشافي لنفسي - أن أصبح جزءاً من انكشاف العالم لنفسه.

٥- لا يدرك الإنسان، ولا يمكنه أن يدرك، مغزى الحياة عامة، ليس ذلك وحسب، بل حتى مغزى حياته الشخصية. لذا هو في حاجة إلى تفسير ميتافيزيقي لمغزى حياته وحياة العالم كله. لقد بحثت في كل مكان، وفي روحي وعقلي وأرواح وعقول الآخرين عن هذا التفسير، ولم أجد تفسيراً أكثر بساطة وملائمة وصحة من فكرة وجود الله وأن علينا أن نحقق مشيئته.

٦- «خدمة الله»: يبدو ذلك بالطبع بلا معنى بالنسبة لأولئك الذين لم يفكروا أبدًا في مغزى حياتهم؛ أولئك الذين ظنوا أن المغزى يتلخص في سعادتهم الشخصية. هذا محض طيش، ويمكن التسامح مع الطيش، ولكن عندما يكون طيشًا قد تَرَوَّى أصحابه فيه ورتبوه مثلما هو الأمر في النيتشوية، يصبح محض حماقة.

٧- السعادة هي إرضاء رغبات الكيان الحيواني، أما الخير فهو إرضاء مسعى الحياة بأكملها لدى الكيان الروحي.

٨- يمكن للقوة الجسدية أن تقوم بكل شيء إلا الفعل الصالح.

٣ نوفمبر.

لم أدوّن يومياتي منذ أسبوعين تقريبًا. ساءت صحتي في الفترة الأخيرة: صفراء وضعف وحالة مزاجية سيئة. أذنبت بالأمس في حق إيليا. جادلته بحدّة. أشعر بالكآبة أحيانًا. كتبت على نحو لا بأس به في «الإلهي والبشري». فكرتُ في كتابة «مناشدة للشعب». ليست حسنة. دوّنت الكثير:

١- خرجت على متن الجواد وفكرت في حياتي: في تبطلّي وضعفي في الجزء الغالب منها. إنني أحقق المهمة المنوطة بي في أوقات الصباح وحسب، حيث أكتب. هذا هو المطلوب مني وحسب. أنا أداة لكيان ما.

٢- تفتقد الثورة الحالية إلى المُثُل كاملاً، لذا فهي ليست ثورة بل أعمال شغب وعنف.

٣- حلمت بأنّي أفعل شيئًا ما مريعًا في لا أخلاقيته وشناعته. كنت

أفعل ذلك وأنا هادئ تأمًا. يتمثل الفارق بين الحلم والواقع «الذاتي» بالنسبة لي هو أنك في الحلم لا يمكنك أن تُفرّق بين ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي ولا يمكنك أن تستحث بداخلك الوعي بأنك السامية.

٤ - الحياة الحقيقية هي الوعي بالذات؛ إنها الحياة الأخلاقية. أعني نفسي، ولكن تُرى ما هي الأنا التي أعيها؟ إنها جوهر إلهي أبدي شامل يمكنني أن أكون جزءًا منه. تتلخص حرية الإرادة في قدرتنا على الانتقال من مرحلة متدنية من الوعي إلى أخرى أسمى.

أشعر بضيق شديد، لكنني لن أستسلم، وسأكون على ما يرام.

٢٢ نوفمبر.

انشغلت في تلك الفترة بمراجعة «الإلهي والبشري» وأنا غير راض عنها تمامًا، لكنها أفضل على أي حال مما سبق. بدأت أكتب في قصة «ألكسندر الأول»^(١٣٠)، لكنني تشتت عنها قليلًا بالكتابة في مقالة «الكذبات الثلاث»^(١٣١)، ولكن بلا جدوى. حالتي الصحية تسير تدريجيًا صوب الموت. هذا حسن جدًا. حدث عظيم: أنجبت تانيا طفلة. وصلت ماشا بصحبة زوجها. أود بشدة أن أكتب في قصة «ألكسندر الأول». قرأت عن بافل والديسمبريين. يمكنني تخيل الوضع بحيوية شديدة. أخرج كل يوم على متن الجواد. عليّ أن أدوّن بعض الأفكار التي تبدو

(١٣٠) يشير إلى قصة «أوراق الشيخ فيودور كوزميتش» المنشورة بعد وفاته، حيث إن شخصية الشيخ في القصة مستوحاة من شخصية ألكسندر الأول.

(١٣١) مقالة لم ينته منها، والكذبات الثلاث هي: الملكية الخاصة للأرض - الضرائب - الخدمة العسكرية.

لي هامة، لكنني لا أعرف متى سأفعل ذلك اليوم.

١ - ثمة وعي حيواني مؤقت، ووعي روحي أبدي، أو بالأحرى لا زمني. لا بد أن يكون الوعي الحيواني بمثابة أداة للروحي.

٢ - الحياة في الحاضر. لا... ليست الحياة، بل الواجب؛ الحرية. الماضي كله نتاج الحاضر. وهبنا إمكانية تصور المستقبل لهدف واحد؛ أن تمكن من اتخاذ قرارات أصوب في الحاضر باسترشادنا به، ولم نُوهب إياها كي ننتظر يوم الغد ونحاول الإعداد له والعيش من أجله رغم أنه قد لا يأتي.

٣ - يمر الكلب والجواد فوق هاوية مفزعة دون أدنى تردد، أما الإنسان فلا يستطيع فعل ذلك. كيف يمكنه إذن ولديه تلك التصورات التي تمنعه من العبور فوق الهاوية أن يعبر هاوية الموت الموجودة تحت أقدامه دائماً بهدوء؟ يعود ذلك إلى أنه يسلك بطريقة حيوانية. إنه يسلم نفسه للمخيلة حينما تعوقه، ولا يستفيد منها حينما يكون في حاجة إليها فعلاً.

٤ - الحياة هي كشف متزايد لذاتك والمغزى من وجودك ووجود العالم؛ كشف يستمر من لحظة الولادة وحتى الموت. لكن إن لم ينتهِ هذا الكشف، واستمر قروناً، بل استمر لآلاف وملايين الأعوام، ما الذي سيراه الإنسان ويفهمه؟ لو حدث ذلك لرأى أنه سيموت وسيولد له أو لغيره أطفال وسيعيشون حياة جديدة بالنسبة لحياته، وسينجبون بدورهم أطفالاً آخرين وأحفاداً وينجب الأحفاد أحفاداً، وأن التغيير لن يقتصر على إنسان واحد، بل على مجتمع كامل، وستظهر روابط جديدة إلى

ما لا نهاية دون أن يفهم المغزى من كل ذلك. يتضح إذن أن عبثية حياة العالم لا تعود إلى قصر الحياة، بل إلى نقص الفهم.

٥- في البداية يأتي دور الحياة الجسدية بما فيها من مسرات جسدية وأطفال جسديين، ثم يأتي دور الحياة الروحية بما فيها من مسرات روحية وأطفال روحيين.

يمكن للمسرات الروحية والأطفال الروحيين أن يكونوا أكبر بدرجة هائلة من المسرات الجسدية والأطفال الجسديين.

٦- تخطر على ذهني فكرة مفادها أن الانتقال من الحياة الحيوانية إلى الروحية، ومن المسرات والاهتمامات الحيوانية إلى الروحية هو بمثابة بداية أو جنين الكائن الروحي المنفصل الذي لم يدرك حدوده ولم يصل إلى الوعي بعد. عندما يصل هذا الكائن إلى الوعي ستمثل له حدوده بالمادة، كما هو الأمر في حياتنا الآنية، وسيدرك أيضًا حياة الكائنات المشابهة له كما أدركنا نحن أيضًا ذلك في حياتنا.

٩ ديسمبر.

أنهيت العمل خلال تلك الفترة على «الإلهي والبشري». كتبت كذلك «الحريات والحرية» كمقالة مستقلة، ثم ألحقها اليوم بمقالة «نهاية عصر» وأرسلتها إلى موسكو وإنجلترا. ربما يكون الوقت قد تأخر على ذلك. لتبق إذن كما كانت. واصلت العمل بالأمس على «ألكسندر الأول». أردت أن أكتب بعض الذكريات لكني لم أقوَ على ذلك. إضرابات وأعمال عنف طوال الوقت. أشعر أكثر من أي وقت مضى

بالحاجة إلى الانسحاب إلى ذاتي وما يحققه لي ذلك من صفاء. منذ أيام صليت إلى الله بشكل ما وفهمت وضعي في العالم في ما يتعلق بعلاقتي بالله وكنت في حالة جيدة جدًا. آه، نسيت أنني كتبت أول أمس في قصة «العصا الخضراء». عليّ تدوين الآتي:

١ - كيف يمكن للناس ألا يروا أن الحياة هي ولادة وعي جديد وأن الموت هو توقف الوعي القديم وولادة آخر جديد؟

٢ - عندما يأتي اليوم الذي يعيش فيه الناس حياة اجتماعية جديدة وأكثر عقلانية، سيتعجبون من اعتبارهم لحتمية العمل في السابق شرًا والتبطل خيرًا. حينها ستكون العقوبة - إن كانت هناك عقوبات في هذا الوقت - هي الحرمان من العمل.

٣ - يمكنك إدراك نفسك في شكل معين: قطعة من الثلج والماء. في الحالة الأولى تكون الشمس شرًا لك، وفي الثانية تكون لك خيرك الأعظم.

٤ - الشاغل الرئيس للوعي الحيواني: ماذا سوف أفعل؟ بينما الشاغل الرئيس للوعي الروحي: كيف يتوجب عليّ أن أسلك وأعيش؟

٥ - لا يمكن للانتقال من عنف الدولة إلى الحرية والحياة العقلانية أن يتم فجأة. كما نشأت الدولة على مدار آلاف الأعوام، كذلك سيتطلب الأمر نفس الفترة كي تزول.

١٦ ديسمبر.

أواصل تدوين أفكار:

لا ينحصر الفارق الرئيس بين الناس في طريقة تفكيرهم؛ بمعنى ما إن كانت لديهم أفكار كثيرة وقدرة واسعة على استيعاب الأفكار أم لا، ولا في قدر ما يعرفونه؛ ما يتذكرونه، بل في هدف تفكيرهم وما يجذب فكرهم وما يعرفونه حقًا؛ ما يحفظونه عن ظهر قلب.

كتبت قليلًا في «ألكسندر الأول» ولكن على نحو سيئ. حاولت كتابة ذكرياتي، لكنني كتبت على نحو أسوأ. لم أكتب شيئًا على الإطلاق ليومين.

معدتي مريضة طوال الوقت، وكنت في حالة نعاس عقلي وروحي شديدة. لا شيء يجذب انتباهي. لم أتعوّد على تحمل تلك الفترات بصبر. لا تزال فظائع وحشية تُرتكب في موسكو. الأخبار لا تصل بسبب توقف القطارات. أفكر أحيانًا في كتابة شيء يشبه خطابي السابق: «مناشدة إلى القيصر ومعاونه»، ولكن تلك المرة إلى «الإنليجيتسيا والشعب»، ولكن رغبتني ليست قوية، رغم أنني أعرف بوضوح ماذا عليّ أن أقول. أناضل طوال الوقت نفوري من (إ. إ.)^(١٣٢) بلا جدوى تقريبًا. بالأمس لم يفهم. بدأ من المنتصف ولم يفهم شيئًا وأخرست نفسي بصعوبة بالغة. كتم الغضب داخل القلب أسوأ من الإعلان عنه. لا بد أن أقهر هذا النفور... لا بد! وصلتني برقية من تشيرتكوف. صدرت «نهاية عصر»، ولم تصلني أي أخبار من موسكو. عليّ تدوين الآتي:

١ - أشعر كثيرًا بشكل مباشر - وربما يكون ذلك محض ضلالة أو فتنة - أن ثمة حقيقة واضحة تود أن تمر عبري، وتطلب أن تفصح عن

(١٣٢) هوية الشخصية غير معروفة.

نفسها فيّ، ولا أستطيع أن أجد تعبيرًا مناسبًا عنها. إنها حقيقة بسيطة... بسيطة حد الغباء، ومفادها أنه من الأفضل لكل إنسان ألا يعيش لأجل نفسه، بل لأجل الجميع، كما يريد الله منا، وأن هذا أفضل للروح والجسد على السواء. ربما سأتمكن من قول ذلك، ولن يكون ذلك بالطبع من أجل أن يمتدحني الناس ولا من أجل السرور بما فعلت، ولكن لأجل أن أفعل ما يتوجب عليّ فعله وحسب. أنا في انتظار الشرارة، عسى أن تتقد النيران قبل انطفاء الشعلة.

٢- بينما أرتدي ثيابي نظرت إلى بورترية جاريسون^(١٣٣) وفكرت فيه وكيف كان عظيمًا عندما نشر كتابه عن «عدم المقاومة»، ولن أقول إنه ضل طريقه بعد ذلك، بل إنه لم يعد شخصية مهمة حينما سافر إلى إنجلترا وألقى بعض الخطب وانشغل بالقضية النسوية. فكرت في ذلك ثم تأملت الأمر واتضح لي أننا جميعًا أدوات لله، وأنه يتجلى فينا، ولا يحدث ذلك التجلي في أحدا فقط، بل فينا جميعًا. يتم هذا التجلي للبعض في وقت، وللبعض الآخر في وقت آخر. نحن جميعًا متساوون حيث إننا جميعًا أعضاء في كيان الله. ينكشف الأمر لبعضنا بقدر أكبر من الآخرين في وقت ما، وللآخرين في وقت آخر. هكذا يجب أن ننظر إلى الناس جميعًا.

خطرت على ذهني بوضوح قصة عن التباين بين عجوز كسيحة مسرورة بقدرتها على الوصول إلى الموقد وباتوتسكي القائل: «كم أغلي

(١٣٣) وليم لويد جاريسون: صحفي أمريكي بارز ومجدد اجتماعي، لعب دورًا هامًا في النضال من أجل القضاء على العبودية.

غضبًا من فرط الملل!» (١٣٤).

١٨ ديسمبر.

تحسنت حالتي قليلًا، لكن ضعفي الذهني مستمر. لم أكتب شيئًا بالأمس. كتبت اليوم في «ألكسندر الأول» لكن على نحو سيئ ودون رغبة. عليّ أن أدوّن ما حلمت به:

قال لي أحدهم: هل أنت إنسان صالح؟ قلت: إن قلت ذلك فلن أكون متواضعًا، وهذا يعني أن لن أكون صالحًا، وإن قلتُ إنني شرير فسيبدو هذا بدافع من التباهي. الحقيقة هي أنني هذا وذاك. تبدو الحياة كلها كأكورديون؛ يضيق ويتسع ثم يضيق ثانية، أي أنها بمثابة انتقال من السوء إلى الصلاح ثم إلى السوء ثانية. أن تكون صالحًا لا يعني إلا أنك تريد أن تكون صالحًا بدرجة أكبر وحسب، وهذا ما أنشدته.

٢٣ ديسمبر.

حالتي الصحية أفضل، كما أنني أكثر حيوية ذهنيًا. تحدثت عن الثورة، ولم أستطع مقاومة الكتابة عن ذلك باختصار: «الحكومة والثوار والشعب». انخرطت طوال الأيام الماضية في الكتابة عن ذلك، ويبدو أن المقالة ملائمة. أصلي باستمرار، طالبًا من الله أن يُعلّمني ويعينني على فعل ما يستحسنه؛ ما يتوجب عليّ فعله. أصلي كثيرًا شاكرًا إياه على خيره الذي وهبني أن أختبره. كتبت سابقًا أننا إن كرسنا وقتًا لمحاولة أن نحب (نسامح) كل مَنْ لا نشعر صوبهم بالحب فإننا نصلي، ومن الجيد

(١٣٤) لم يكتمل مشروع هذه القصة، ولم تتضح هوية تلك الشخصية.

أيضاً أن نصلي بتذكر كافة الخيرات التي ننعم بها: الأسرة - الأصدقاء - الوفرة - الصحة. لم أكتب في الفترة الأخيرة في «الأسندر الأول» أو في ذكرياتي رغم رغبتني في ذلك. أفكار:

١- عن الوعي: الوعي هو النظر إلى النفس. ثمة من هو قادر على رؤيتي. من الضروري والمفيد جداً لك أن تسمو إلى الحد الذي تتمكن فيه من النظر إلى نفسك كما تنظر إلى شخص غريب. هذا أسمى فعل للروح البشرية. من المذهل حقاً كيف يوقف الوعي فوراً أي نشاط، ولكن ذلك يحدث لبرهة من الوقت وحسب. علينا أن نتوقف بفضل الوعي ثم نعاود نشاطنا بعد ذلك مجدداً بما يلائم الوعي. ثمة أناس محرومون تقريباً من هذه السمة. علينا أن نعتز بذلك ولا نطالبهم أو ننتظر منهم ما لا يلائمهم.

٢- واحد من أهم حوافز الثورة هو الشعور الذي يدفع الأطفال إلى كسر ألعابهم؛ الميل إلى التدمير.

٣- بفضل الثورة ظهرت إلى العيان ثلاثة أنواع من الناس بما فيها من مميزات وعيوب:

أ- المحافظون: وهم أناس ينشدون الهدوء ومواصلة تلك الحياة التي تروق لهم، ولا يريدون إحداث أي تغييرات. عيبتهم هو أنهم يتسمون بالأنانية، ويميزتهم أنهم يتسمون بالتواضع.

ب- الثوار: ينشدون التغيير ويتجرون بوقاحة على تقرير شكل التغيير اللازم، ولا يمانعون استخدام العنف من أجل إقرار هذه التغييرات، ولا يخشون كذلك المعاناة والتعرض للضرر. عيبتهم هو وقاحتهم

وقسوتهم، أما ميزتهم فهي الطاقة التي يتمتعون بها واستعدادهم للمعاناة من أجل تحقيق أهدافهم التي تبدو لهم خيرًا.

ج- الليبراليون: لا يتسمون بتواضع المحافظين ولا بالاستعداد للتضحية الذي نجده في الثوار، ويتسمون كذلك بأنانية المحافظين ورغبتهم في الهدوء، وثقة الثوار المفرطة في النفس.

فيما يتعلق بالذكريات فكرت في الآتي: هل يجب عليّ أن أكتبها تفصيلًا؟ على الأقل يجب أن أكتب أكثر المشاهد والأحداث والحالات الروحية تميزًا من كل فترة عمرية.

٢٧ ديسمبر.

انشغلت طوال تلك الفترة بتصحيح «الحكومة والثوار والشعب». يبدو أنني انتهيت منها، ولكن لا أعرف إلى من أرسلها^(١٣٥). أشعر أنني بخير، وأعيش فعلاً في حالة حسنة. صباح اليوم ودّعت دوناييف ونيكيتين. ثمة عدد كبير جدًّا من آل سوخوتين هنا. أشعر بالضعف. وصلني خطاب من فيليكانوف^(١٣٦). عليّ أن أجيبه بأفضل صورة ممكنة، ليس بالخطاب وحسب، بل بالفعل كذلك. أمر صعب! هكذا أفضل. عليك أن تحل المشاكل الصعبة. بالأمس راجعت بروفة الطباعة لـ «دورة قراءات» لشهر يوليو. لم ترقّ لي تمامًا. اكتفني شعور سيئ بسبب لعبي الورق^(١٣٧)،

(١٣٥) شك في إمكانية نشرها بسبب أن الآراء الواردة في المقالة لا توافق أي من آراء الاتجاهات السياسية الموجودة وقتها.

(١٣٦) ب. فيليكانوف: معلم كان يعيش في نوفوجورود، ورغم اتفاقه مع تولستوي في كثير من الأفكار لكنه رأى أهمية المشاركة في النضال السياسي ووبخ تولستوي على إنكاره أهمية ذلك.

(١٣٧) الأمر لا يشير إلى مقاومة، بل إنه كان كان يلعب بمفرده.

لكنه على أي حال أفضل تمامًا من التحدث. عليّ تدوين الآتي:

١ - قرأت «من أفكار الحكماء» الخاصة بيوم ٢٧ ديسمبر. قيل: تعود المعاناة برمتها إلى الجهل. الخلاص من المعاناة في المعرفة. يمكن الوصول إلى المعرفة الحقيقية بتحسين الذات سعيًا صوب الكمال، أي أن هذا هو السبيل الوحيد للخلاص من المعاناة. يمكننا أن نحقق هذا السعي بالعمل على أنفسنا بهدوء، لا بإجراء أي تغييرات مادية على الحياة. أريد أن أضيف لذلك أيضًا أن العمل من أجل إحداث تغييرات مادية على الحياة، كما يحدث الآن هنا، لا يخرق الهدوء اللازم للعمل الداخلي وحسب، لكنه أيضًا يتدنى بالمستوى الأخلاقي إلى حد كبير.

٢ - دوناف مرتعب من وحشية الناس، أما أنا فلا. يبدو ذلك مدهشًا، لكنه يعود إلى أن هذا الهلع الذي يشعر به الآن من وحشية الناس (بسبب غياب الدين) قد اختبرته بالفعل منذ ٢٥ عامًا مضت عندما رأيت نفسي مسلحًا بتفكير حيواني، محرومًا من كل فهم لمغزى حياتي (الدين) ورأيت كل من حولي على نفس الحال. حينها شعرت بالهلع وتعجبت من أمر واحد؛ أن الناس لا يُقَطَّعون بعضهم إربًا ويخنقون بعضهم. هذا ليس مجرد تشبيه، وهذا ما أفزعني حينها. لقد هلعت فعلاً بنفس الدرجة التي يشعر البعض فيها بالهلع الآن وربما أكثر. ما يحدث الآن هو ما هلعت منه وانتظرتة قبلاً. أنا الآن كإنسان واقف فوق مركبة قطار يسرع بجنون صوب منحدر، يشعر بالهلع بعد أن أدرك استحالة إيقاف هذا القطار، ولكن الركاب لن يشعروا بالهلع إلا حينما تتم الحادثة فعلاً!

٣- يتلخص قانون الله بأكمله في أمر واحد: اعتراف المرء أنه عبد لله وتركيز كافة رغباته في واحدة فقط؛ تنفيذ العمل الذي هو مدعو إليه. إنه عمل واحد: أناك الحقيقية، وروحك سوف يقودانك إلى أعلى درجة ممكنة لك من الكمال.

٤- لا شيء يمكنه أن يوضح أن أهم ما في الحياة هو تنفيذ إرادة الله وحسب أكثر من أنه مهما كانت رغباتك - بخلاف رغبتك في السعي صوب الكمال - ومهما كانت درجة إرضائك لرغبتك، فإن فتنها تزول تمامًا فور أن ترضيها. أما وعيك باقترابك من الله، فهو الأمر الوحيد الذي لا يفقد صاحبه بهجته به أبدًا.

كم تمنيت من أمور، بدءًا من أن تنمو شواربي، وصولًا إلى إقامة نظام جمهوري في روسيا! وما إن تنمو الشوارب وتتأسس الجمهورية حتى تتعجب كيف أردت من كل قلبك شيئًا غير قادر على إسعادك إلى هذه الدرجة!

وحده السعي صوب ملكوت الله وحقيقته داخل النفس يمنح صاحبه سعادة نامية حقيقية لا تتوقف أبدًا. كل خطوة تخطوها في هذا الطريق تتضمن بداخلها مكافأة، وهي مكافأة ينالها صاحبها فورًا، ولا شيء يمكنه أن ينتزعها منه.

٥- قلت إن قانون الله بأكمله يتلخص في أن يدرك المرء أنه عبد لله، ولكن يمكننا أن نقول من ناحية أخرى إنها تلخص في أن يعيش المرء في الحاضر وحسب، أي أن يوجّه كافة جهوده صوب الحاضر وحسب.

كل ما يلزمنا من الماضي والمستقبل هو ما يوضح لنا ما الذي يلزمنا في الحاضر.

أشعر بوهن ذهني شديد، لذا ما كان واضحًا لي أثناء التفكير لم يعد كذلك عندما كتبت.

كان عليّ أن أصيغ الفكرة هكذا: لستُ في حاجة إلا لما يجري في الحاضر. إن أردت شيئًا من الماضي فهذا أسف وندم، وإن أردت شيئًا من المستقبل، فهذه مجرد أحلام وخطط. أما في الحاضر فيمكنك أن تنشئ شيئًا واحدًا: أن تنفذ ما يتوجب عليك فعله بأفضل صورة ممكنة، فالإنسان لإرادة الله كالعبد لإرادة سيده.

٦- خطرتُ على ذهني سمة أخرى واضحة في شخصية «ألكسندر الأول». أتمنى فقط لو أتم نصف العمل! هذه السمة هي أنه يريد بإخلاص من كل قلبه أن يصبح صالحًا وأخلاقيًا، كما أنه ينشد السيطرة بأي ثمن. عليّ أن أوضح ثنائية الرغبة الموجودة في الناس جميعًا، والتي أحيانًا ما تأخذ توجهين متناقضين تمامًا.

٣١ ديسمبر - ليلاً.

انشغلت طوال تلك الفترة بإلحاق بعض الإضافات إلى «الحكومة والثوار والشعب». أحيانًا تبدو ضرورية وأحيانًا أخرى ضعيفة. حالتي الصحية لا بأس بها، لكنني لا أتمتع بحيوية في التفكير. عليّ تدوين أمرين:

١- أثناء قراءتي لما قاله ستروجانوف عن روم^(١٣٨)، صُعقت من بطولته رغم جسده الضعيف البائس. ذكّرني ذلك بنيكولينكا. أظن أن الأمر غالباً ما يكون كذلك. غالباً ما تبدو الشخصيات القوية والحساسة كأورلوف شديدة الجبن، والعكس صحيح.

٢- عن ازدواجيتي: في بعض أوقات الصباح والليل أكون حكيماً فعلاً وصالحاً، وفي أوقات أخرى أبدو ضعيفاً وبائساً لا يعرف ماذا عليه أن يفعل بنفسه. الفارق بين الحالتين هو أن الأولى هي الحقيقية، وفي الثانية أدرك أنني محجوب بضباب الضلال.

٣- خطرْتُ على ذهني بوضوح فكرة أن الحياة هي مرور الجوهر الروحي عبر كيان منفصل يتوسع.

الآن بداية عام جديد: ١٩٠٦. أعني يا سيدي على تحقيق إرادتك، لا بهدف أن أفعل أي شيء وحسب، بل أن أفعل تحديداً ما يتوجب عليّ فعله.



(١٣٨) كان تولستوي يقرأ كتاب نيكولاي ميخايلوفيتش عن الكونت ستروجانوف ووصفه للميتة البطولية لمعلمه تشارلز جيلبرت روم أثناء الثورة الفرنسية.

انشغلت طوال تلك الفترة بتصحيح ومراجعة «الحكومة والثوار والشعب» ولم أنهيها بعد. الجزء المتعلق بالشعب سيئ؛ لأنني حاولت أن أضمن فيه الكذبات الثلاث وهو أمر غير ضروري. آمل أنني سوف أعدلها، وسيكون ذلك مفيداً حقاً. أقرأ الآن: «من أفكار الحكماء» يومياً وهي تجلب لروحي نفعاً كبيراً. في اليومين أو الثلاثة الأخيرة لم أتوقف عن العمل على نفسي مستغلاً غياب الزوار. لن أسمح لنفسي بأفكار سيئة وتصرفات طائشة مثل ممارسة التمرينات أو التكهّن بالورق. هذا حسن. آه لو أظل على هذا النمط حتى الموت!

عليّ أن أدوّن الآتي:

١ - عن مكافأة المرء على الخير: في حياتنا الدنيوية ننتظر مكافأة لنا على فعلنا الصالح. لا وجود لمثل هذه المكافآت ولا يمكن أن توجد من الأساس. مهما حدث، ومهما لبينا من رغبات، فإنها تفقد فتنها ومعناها بمرور الوقت، أما المكافأة الحقيقية فهي لا تقل أبداً وتنمو دائماً بلا شك. ثمة مكافأة واحدة من هذا النوع: إنه الفعل الصالح، إن فعله الإنسان من أجل الله وحسب، مثلاً: إن قهرت بداخلك شعوراً شريراً وعفوت عن شخص ما. إن فعلت ذلك من أجل الله وحده، ستنال مكافأتك من الله

الذي بداخلك. وهذه ليست بمكافأة، بل هي بمثابة إشباع. هذا أيضًا ما يروي عطشك. إنها ليست مكافأة، بل شيء أكبر من ذلك.

يتطلب إدراك هذه المكافأة تأسيس علاقة مع الله الواحد. بدأت أختبر ذلك وأحاول توطيد نفسي والتعود عليه.

٢- نعم، الحياة نمو أو انكشاف للجوهر الروحي. يستمر هذا الكشف حتى الموت، ولا يتحقق كاملاً للكائن المنفصل الذي أدركه في داخلي إلا بالموت.

٣- عشت طوال حياتي من أجل أهداف خارجية؛ من أجل نفسي والناس، خاصة من أجل الناس. من الصعب أن أفصل نفسي عن ذلك وأعوّدها على العيش مع الله ومن أجله وحسب. في هذا خيرى الأعظم.

٦ يناير.

لا أزال أراجع «الحكومة - الثوار - الشعب» ويبدو أنني أنهيتها أو على الأقل قاربت الانتهاء منها. أشعر بكآبة شديدة تكتنفني. أحاول التغلب عليها، ولكن بلا جدوى. لم أسلك سلوكًا غير طيب، لكنني أشعر أن أفكاري ليست طيبة.

عليّ تدوين الآتي وحسب:

١- قرأت اليوم: ٦ يناير «من أفكار الحكماء» لراسكن^(١٣٩) يقول

(١٣٩) كان ناقدًا فنيًا إنجليزيًا بارزًا في أثناء العصر الفيكتوري، بالإضافة إلى كونه راعيًا فنيًا، ورسامًا، ومتخصصًا في الألوان المائية، ومفكرًا اجتماعيًا بارزًا.

إن خطية الناس هي خطية يهوذا^(١٤٠)؛ أي أن الناس لا يثقون في المسيح ويبيعونه. فهمت للمرة الأولى أن مصدر كافة صنوف المعاناة والبلايا الرئيس هو عدم ثقتنا في إلهيتنا وبيعنا إياها مقابل حساء عدس^(١٤١) مسراتنا الجسدية.

٢- الإيمان اليهودي هو أكثر صيغ الإيمان تجديدًا. قيمة المقام فيه: ∞^(١٤٢). إنه إيمان متعالٍ من حيث اعتقادهم أنهم شعب الله المختار.

٣- كتب شكارفان^(١٤٣) على نحو رائع قائلاً إن ثورتنا الروسية الحالية هي ذلك الأتون الذي ستحرق فيه روسيا بنفسها كافة الدناءات التي تلطخها وتفسدها.

٤- أشعر كثيرًا - مثلما أشعر اليوم - بالحزن... بالحزن والوحدة. لا ينال المرء الراحة في مثل هذا الوضع بشرود الذهن، بل بمزيد من الاقتراب من الله. أعني يا سيدي!

١٦ يناير.

طوال الوقت تقريبًا كانت حالة معدتي سيئة وقدرتي الذهنية على العمل ضعيفة. أرسلت مقالتي «الحكومة والثوار والشعب» إلى موسكو

(١٤٠) بحسب الروايات الإنجيلية هو تلميذ المسيح الذي خانته مقابل ثلاثين من الفضة وسلمه للموت.

(١٤١) يشير إلى قصة توراتية قديمة باع فيها عيسو بركة أباه إسحاق له مقابل طبق عدس أعد له أخوه يعقوب ونال بالخديعة بركة أبيه.

(١٤٢) استعارة حسابية كان تولستوي مولعًا باستخدامها يشير البسط فيها للصفات الإيجابية للشخص، ويشير المقام إلى رأيه في نفسه.

(١٤٣) ألبرت شكارفان: كاتب سلوفاكي يشارك تولستوي الكثير من آرائه، رفض تأدية الخدمة العسكرية، وترجم بعض مقالات تولستوي إلى الألمانية.

وإنجلترا، وأعمل في الفترة الأخيرة على مراجعة «دورة قراءات» و«من أفكار الحكماء» وهو عمل يبعث في قلبي السرور.

لا أزال أتذكر أن عليّ أن أحيّا من أجل الله وحسب. ربما ضعفت مراعاتي لذلك قليلاً، لكنني لا أزال أتذكر الأمر. كنت سأدوّن شيئاً ونسيته، ولا أتذكر سوى الآتي:

١ - قرأت *profession de foi* (بيان العقيدة أو قانون الإيمان) ووجدته غريباً جداً، لكنه ملائم للمادي بصبيانيته الجسورة. إنه يستخرج قوانين حياته من قوانين الفضاء، ويستنتج أنه يجب أن يعيش طبقاً للقوانين التي تم التوصل إليها من قبل العلم، أي من قبل الناس، لكنه لا يقول ذلك، حيث يبدو له أن هذه القوانين التي يسمونها «قوانين علمية» هي قوانين صحيحة بشكل مطلق. بينما أقرأ ذلك تبين لي بوضوح شديد حماقة فهم الحياة على أنها ظاهرة مادية، وقد توصلت إلى التعبير عن هذا العبث بكلمة لكنني لا أتذكرها الآن.

٢ - يتعاملون مع الصلاة تعاملهم مع أمر شعائري مهيب استثنائي، بينما الصلاة الحقيقية، وأكثر الصلوات صدقاً هي أكثر الأمور بساطة وثباتاً واتضاعاً وألفة. الصلاة الحقيقية هي بمثابة اعتراف بعدم أهليتك وسوءك كخادم لله.

٣ - حب الناس هو أكبر فرحة في الحياة. الأمر الغريب أنك إن بحثت عن حب الناس لن تناله أبداً. لا تفكر في حب الناس ولا تبحث عنه، بل فكّر في إرضاء الله وحسب، وستنال من حب الناس أكثر مما كنت تنتظر.

١٨ يناير.

لا تزال حالتي الصحية سيئة. أعمل قليلاً بـ «دورة قراءات».

فكرت اليوم فيما يجب عليّ أن أفعله كشيخ. قواي واهنة، تزداد ضعفاً بشكل ملحوظ. اقتربت من الموت أكثر من مرة. ويا لغبائي! نسيت وحاولت أن أنسى. أنسى ماذا؟ أنسى أنني سأموت، وأنني في كل الأحوال سأقترب جداً منه في غضون ٥ أو ١٠، ٢٠، ٣٠ عامًا. من الطبيعي الآن بحكم عمري أن أعتبر نفسي قريباً من الموت، ولا يوجد سبب لنسيان ذلك، بل يستحيل ذلك من الأساس. سألت نفسي: ماذا عليّ أن أفعل إذن وأنا شيخ واهن القوى؟ وبدأت لي الإجابة: لا شيء... لا أقوى على شيء. لكن تبينت لي اليوم إجابة واضحة ومفرحة. ما العمل؟ لقد تبين لي بالفعل أنني قريب من الموت. هذه هي مهمتي الآن، وقد كانت كذلك على الدوام، وعليّ أن أؤديها على أفضل نحو ممكن؛ أن أموت حسناً. أمامك مهمة رائعة ولا مفر منها، بينما تبحث عن عمل! سأبدأ في تعويد نفسي على النظر إلى الموت على أنه هو المهمة ذاتها، لا إيدان بنهايتها. قرأت أمس واليوم في كتاب ماكسيموف: «سيبيريا وعقوبة الأشغال الشاقة». موضوعات رائعة:

١ - نادل في حانة يُعاقب بالجلد لتستره على فضيحة ابنة تاجر.

٢ - الحاج (١٤٤).

(١٤٤) لم يكتب شيئاً عن هاتين الفكرتين.

٢٢ يناير.

حالتي الصحية بخير. عملت قليلاً في «دورة قراءات». انخرطت أمس واليوم في كتابة قصة تستند إلى كتاب ماكسيموف^(١٤٥). لا بأس ببدايتها، لكن نهايتها سيئة. وصلت صوفيا من موسكو. حدث ما كان لا بد له أن يحدث؛ لم تَرُقْ مقالة «الحكومة والثوار والشعب» للجميع، ولا أعتقد أن أحداً سوف ينشرها. كتبت لتوي خطاباً طويلاً لساشا. أعيش منتبهاً إلى نفسي إلى حد كبير.

عليّ تدوين الآتي:

١ - حياة إنسان واحد هي اقتراب من الموت. حياة الإنسانية جمعاء والعالم كله هي كذلك أيضاً. يرتب العالم شؤونَه بنفسه. لا أعرف ما إن كان يحوز وعياً أم لا، لكن فيما يتعلق بي أعرف يقيناً أنني أعني نفسي، وأعني أنني أحتضر. ولكن ماذا يعني الاحتضار؟ في البداية يكون تزايد للفهم أكثر فأكثر مع تطور الشهوات التي تحيط الفهم بالضباب، وفي النهاية إخماد للشهوات وزيادة الفهم تنويراً وكمالاً. الاحتضار إذن والحياة الزائلة ليسا إلا درجة من التنوير تزداد أكثر فأكثر. أعني هذا. لأحيا إذن وفقاً لقانون حياتي، اتساقاً مع اتجاه التيار، عليّ أن أدرك أن حياتي تتلخص في التنوير والسعي صوب الكمال. بهذا وحده لا أخشى الموت.

٢ - جئت من حيث لا أدري وأمضي إلى حيث لا أدري. ثمة متطلبات لهذه الحياة المؤقتة الانتقالية، ومتطلبات لتلك الحياة التي آتت

(١٤٥) قصة بعنوان (ما الجدوى من ذلك؟)، وهي تتعلق بفترة الثورة البولندية في عام ١٨٣٠ م.

منها وإليها أمضي؛ الحياة الشاملة. عليّ أن أعيش من أجل الأخيرة، وفقاً لمتطلباتها وقوانينها.

٣- يتمثل لي كل شيء داخل إطار الزمان. ولكن وجود كل شيء حقيقة خارج إطاره. لا يمكنني رؤية الكيان الكلي. إنه ينكشف لي تدريجياً وجزئياً، وفي هذا معنى حياتنا الزائلة في هذا العالم.

٣٠ يناير.

لم تكن حالتي الصحية بخير، كما أن أفكاري بليدة. لكن هذا هو يومي الثالث الذي أنعم فيه بحالة جيدة. واصلت الكتابة في القصة قليلاً، وتحسنت. فكرت كثيراً وعلى نحو جيد في «دورة قراءات». نسيت الكثير، ولكن هذا ما أتذكره:

١- قرأت لتوي كتاب *Universal Kingship*. الإرادة من ضمن السمات الروحية التي تدهشني دائماً عندما ينسبون لها إلى الإنسان، والتي تتحدد بالطبع بواسطة كافة أولئك المؤمنين بواقعية المادة، وتُعرّف على أنها شيء مشتق من قوانين ثابتة تستند إلى الانطباعات والعواطف وما إلى ذلك. صحيح تماماً ما يقوله الكاتب عن أن الإنسان إن انتصر على تطلعاته وسلوكه، فلا بد أن حافزاً أقوى منها يحركه. هذا يعني أن كل فعل هو نتيجة لأقوى الدوافع في الإنسان. إن نظرنا إلى الإنسان كآلة ذاتية الفعل، ولم نضع في اعتبارنا ما يجبر الآلة على العمل، سيكون من الصحيح أننا لن نسأل أنفسنا عن ماهية تلك القوة التي تدفع الآلة إلى العمل؛ لن نسأل أنفسنا: ما قوة الحياة التي تدفعنا صوب الفعل؟

بالنسبة للإنسان الذي يسأل نفسه عن ماهية تلك القوة، ويحجب عن السؤال قائلًا إنها قوة غامضة، وبالطبع لن يتمكن من قول شيء غير ذلك، ويضيف إلى ذلك أنها أقرب قوة معروفة لنفسه وهي ما يطلق عليها: نفسه أو أناه أو حياته أو حركة حياته... هذا الإنسان لن يسعه إلا أن يعترف بأنه عندما يعي هذه القوة، ويتحد وعيه بها، تصبح هذه القوة بالنسبة له بمثابة أقوى محرك، وتقهر في طريقها كافة الدوافع الأخرى.

ما دامت هذه القوة تسترشد بالمساعي الحيوانية وتخضع لها، وبالرغم من أنها تشكل أساس كافة تلك المساعي، ستبدو كأنها تخضع لأقوى ما فيها. ولكن ما إن تتحرر هذه القوة الواعية بنفسها من التأثيرات الجسدية حتى تتسيد عليها. لذا ليس من الصحيح إطلاقًا أن نصف فعلاً ما صدر تأثرًا بهذا الوعي - الذي بإمكانه أن يقهر كافة المساعي الجسدية - بأنه أقوى الدوافع. إنه ليس واحدًا من ضمن دوافع كثيرة، لكنه يعبر عن تلك القوة التي تُعتبر أساس بقية الدوافع بأكملها، وعبر الوعي بالتحرر من كافة الدوافع الجسدية يمكنها أن تتسلط عليها جميعًا.

تبدو الصياغة مقبولة.

٢- المكان والمادة هما ما يفصلانني عن بقية الكائنات، وعن العالم كله. الزمان هو ما يفصلني عن العالم كله وعن نفسي بمعناها الكامل بالموت.

٣- تبدو لي حركة الشعور والوعي الديني على النحو الآتي:

بعد أن يعي الإنسان قوته الروحية بداخله؛ جوهره الإلهي، يدرك أن ثمة ما يحدها، ويدرك كذلك خضوعها لتأثيرات خارجية، وبالتالي

يعترف بوجود هذا الجوهر خارج نفسه بقوة أكبر من وجوده المحدود بداخله، ومن هنا نفهم ما نطلق عليه «الفيتيشية»^(١٤٦) أو عبادة الأبطال. في البداية لم يكن هناك انفصال واضح بين هذه الآلهة والإنسان، لذا كان يتقرب منها بتقديم الأضحيات ورشوتها وتملقها بأكثر الطرق فجاجة، بل إنه كان يعاقبها بالامتناع عن تقديم الأضحيات لها وبضربها - كما نرى في تعامل شعب التشوباش^(١٤٧) مع أوثانه-، وكان يقيم معها اتفاقيات كما نرى في أسفار اليهود المقدسة.

بمرور الوقت على حياة الإنسانية، ازداد تمثل هذا الجوهر للإنسان الذي وعاه محدودًا بداخله، لذا كان عليه أن يتصوره خارج نفسه بصورة غير محدودة، ومع الوقت ازداد هذا التمثل أكثر فأكثر بعدًا عن الإنسان وازدادت لا محدودية هذا الجوهر في نظر الإنسان، وبالتالي قلَّت نزعة الإنسان لتجسيد هذا الجوهر؛ قل ميل الإنسان لإضفاء سمات إنسانية عليه. ومع هذا التوسع في منظور الإنسان في التمثلات الآتية: يهوه^(١٤٨) - الأب (في المسيحية) - براهما^(١٤٩) - السماء (لدى الصينيين) تغير موقفه كذلك منها. لكن هذا التغير جري ببطء شديد. استمرت - ولا تزال - العبادات والتمجيدات في كل مكان، بل وحتى الأضحيات، وإن

(١٤٦) التقديس الأعمي أو الفيتيشية أو البُدِّيَّة: هي الاعتقاد بأن كائنًا من صُنع شخص له قوة خارقة، أو يمكنه التحكم في الآخرين.

(١٤٧) أحد الشعوب التركية، يعيش على ضفاف نهر الفولجا.

(١٤٨) أحد أسماء الله المذكورة في التوراة.

(١٤٩) مُوجد الكون وروحُه العليا في الهندوسية.

تلاشى سفك الدماء منها^(١٥٠). في الواقع حتى إن تمكن أعظم حكماء البشرية من فهم هذه المسافة اللانهاية التي تفصلنا نحن البشر عن الله، وما ينتج عن ذلك من استحالة تأسيس علاقة بيننا قائمة على الاتفاقات والرشاوى والتوسل والمديح، ستواصل الغالبية العظمى من الناس التعامل مع الله بنفس الرغبة في شرائه وتملقه ومديحه. ينحو الأمر صوب أن تفهم الغالبية من الناس كافة عظمة - وربما لا نستطيع حتى أن نقول «عظمة» - وتعذر وصف ما نسميه «الله» من جهة، وكافة الضالة اللانهاية للإنسان أمام الله من جهة أخرى. ينحو الأمر صوب تحقيق هذا الفهم، وهو فهم ضروري للناس؛ لأنه وحده ما يمنحهم الخير الحقيقي. يمنحهم الخير لأن بفهمهم علاقتهم بالله التي تستحيل فيها مثل هذه العلاقات القائمة على الاتفاقات والمداهنة، سيتضح أن عليهم فعل أمر واحد: تنفيذ المهام الموكلة إليهم. هذه هي العلاقة الوحيدة التي تضع الإنسان في مكانه الصحيح، وهي التي يمكنها أن تمنحه خيره الحقيقي الذي يركز على تنفيذ المهام الموكلة إلينا وحسب. لقد انجذبنا إلى هذه الطقوس الكنسية الاحتفالية المهيبة الموجهة للإله والأحداث الشعائرية عنه، وبدا لنا أن خدمة الله لا يمكنها أن تتم إلا بهذه الشروط الاحتفالية الاستثنائية، بينما لا تتطلب خدمة الله سوى النقيض؛ تتطلب الوضوح والوعي الصافي بضآلتنا، كما أنها تتطلب منا ألا تكون لدينا رغبة في الإعلان عن أنفسنا ولا حتى في التأكيد على معرفتنا بالله، بل أن ننفذ عمل الله، أي المهام الموكلة إلينا وحسب. لا يجب على خلية وحيدة

(١٥٠) في الواقع استمر ذلك حتى الآن. نجد مثلاً على ذلك في عيد الأضحى.

في الجسد أن تحاول معرفة الجسد بأكمله - ولا يمكنها فعل ذلك من الأساس - بل عليها أن تنفذ المهمة الموكلة إليها وحسب. كذلك على الإنسان ألا يؤكد على معرفته بالله أو يمدحه أو يصلي إليه بهذه الطريقة، بل ينفذ عمله وحسب.

يجب أن يكون الدافع الوحيد لعلاقة الإنسان بالله هو اكتشاف قانونه. من شأن مثل هذه المعرفة العقلية لقانون الله وحسب أن تتيح للإنسان التلامس مع الله. بمعرفته لقانون الله لا يدرك الإنسان الله ذاته، بل يدرك وجوده وحسب.

صياغة سيئة.

٤- حلمت بإنسان يعيش ويعمل في الأرض على غرار روبنسون كروزو أو الفلاحين الروس، يعيش ويتناول غذاءه ويرتدي ثيابه وسط أفرد أسرته. يأتي إليه الناس ويقولون: أعطنا جزءاً من نتاج عملك فنحن نحتاجه. بأي حق يطلبون منه ذلك؟ ولماذا يعطيهم؟

٢ فبراير.

لا بأس بحالتي الصحية، وإن كانت تتغير من وقت لآخر. كتبت في قصة «ما الجدوى من ذلك؟». يوماً ما بدت جيدة، لكنني لا أستطيع إنهاءها. أرغب بشدة في العمل على «دورة قراءات» من أجل الأطفال والشعب، لكنني لا أستطيع. أعيش على نحو جيد؛ لا أفقد علاقتي بالله، أي انتباهي إلى نفسي بمعزل عن الناس ورغباتي.

عليّ تدوين الآتي:

١ - كلما ازداد الإيمان بالله قوة، ازداد الله ابتعادًا. سيبدو لنا في نهاية الأمر بمثابة قانون وحسب. حينها لن يسعنا إلا أن نؤمن به.

قرأت اليوم في كتاب كانط *religion in den grenzen der bloßen vernunft*^(١٥١). جيد جدًا، لكنه عبثًا يحاول أن يبرر الإيمان الكنسي، حتى لو بمجرد التلميح.

٢ - كانط غير محق في قوله إن أداء الطقوس والإيمان بالتقليد «التراث» التاريخي هو نوع من الفيتيشية وإنه مناقض تمامًا للإيمان العقلاني بالقانون الأخلاقي. الإيمان بالتقليد «التراث» التاريخي وضرورة الطقوس هو إيمان بقانون أيضًا، لكن القانون الأخلاقي هنا يُفهم بشكل خاطئ. كانط محق في مقارنته القانون الأخلاقي بالقانون الطقسي، لكنني أريد أن أقول إن مَنْ يؤمن بالطقوس والتقليد، يؤمن ويعترف على أي حال -حتى وإن كان مخطئًا في ذلك- بشيء أسمى من المتطلبات الحيوانية. لهذا كنت لأقسّم الناس إلى ثلاثة أنواع:

أولئك الذين لا يؤمنون بشيء بتاتًا.

الذين يؤمنون بالتقليد «التراث» الزائف.

الذين يؤمنون بالقانون الذي يدركونه في داخلهم.

التشوباشي الذي يحمل إلهه ويقطعه ويدهنه بالقشطة الرائبة أسمى على أي حال من اللا أدري الذي لا يرى أي ضرورة لمفهوم الله.

٣ - يبدو للناس أن العيش من دون حكومة مستحيل، لكن بدا لهم

(١٥١) تُرجم الكتاب إلى العربية بعنوان (الدين في حدود مجرد العقل).

أيضاً سابقاً أن العيش يستحيل من دون محاكم تفتيش وعبيد وسحر وعرافة. أولئك الذين قالوا إننا لسنا في حاجة إلى محاكم تفتيش وعبيد... إلخ، لم يحملوا على عاتقهم مهمة إثبات ذلك، بل قالوا ببساطة إن هذا أمر سيئ ومنفر لطبيعة الإنسان العاقلة الصالحة. هكذا هو الأمر أيضاً مع فكرة الحكومة. إنها سيئة وتمثل شرّاً مريعاً على المستوى المادي والروحي على السواء، كما أن الشر لا يمكنه أن يكون أمراً ضرورياً لا يمكن للإنسانية أن تحيا في غيابه.

٤- يبدو أنني لم أُعبّر عن ذلك من قبل: بالأمس خطرت على ذهني فكرة بوضوح صافٍ عن أن كافة أوجه العناية التي يوليها المرء لذاته هي أمر شديد السوء، وأني أكون في وضع مريع عندما أوجّه كافة عنايتي وانتباهي إلى الأنا الجسدية بأفراحها الحسية والعقلية. لكن الأمر يختلف تماماً عندما تُوجّه كافة العناية والاهتمام إلى الأنا الروحية؛ الأنا الموجودة في كل ما هو حي، والسعي صوب كمالها؛ توسيع حدودها والاندماج بالله وكل ما هو حي (حب الله والقريب). خدمة هذه الأنا وحسب هي ما تمنح المرء خيره وخير الناس جميعاً.

٥- لا يمكننا أن نعرف الله إلا بتنفيذ قانونه. جربوا ما أقوله وستعرفون ما إن كان حقيقياً أم لا. لنعرف الله علينا أن نتحد به، ولنتحد به علينا أن ننفذ قانونه.

٦- تحدثت اليوم مع دوريك^(١٥٢) أثناء قراءتنا «من أفكار

(١٥٢) الابن الأصغر لسوخوتين، وكان حينها يقيم عند تولستوي، يقرآن معاً كل يوم "من أفكار الحكماء".

الحكماء» عن الثراء، وعن فكرة أنه لا يمكن لغني أن يدخل ملكوت السماوات^(١٥٣). كم هو الأمر بسيطاً وقيئناً! لقد قيل كل شيء في تلك العبارة. عليّ أن أمعن التفكير فيها وأستوضحها جيداً.

٦ فبراير.

أشعر طوال الوقت كأنّ حمى تكتنفي. يوماً أكون بخير جسدياً، ويوماً آخر أشعر بالسوء. يمكنني أن أبتهج بأني لا أحيد عن قانون الله حتى في أيامي السيئة - أو ربما أحيد قليلاً، فقد غضبت من الجواد - ولا عن العيش من أجل الله وحده لا من أجل الناس. راجعت اليوم قليلاً في «ما الجدوى من ذلك؟» جيدة. كنت مسروراً جداً في الصباح، وثمة خطورة في كافة المسرات، فقد تكون مسرات دنيوية لا من أجل الله. وصلني خطاب لطيف من ساشا، كما عرفت بنشر «دورة قراءات» و«عن الحياة»^(١٥٤). افعل ما يتوجب عليك فعله، وليحدث ما يحدث (بالفرنسية في الأصل).

قرأت بالأمس، أو ربما أول أمس، منشوراً رائعاً ل: د. خوميكوف. المنشور بأكمله جيد جداً. مشكلته أنه يعتبر المسيحية وإيمان الكنيسة الأرثوذكسية مترادفين، ويعد ذلك من احتياجات الحياة الروحية. هذا غير صحيح تماماً ومحض سفسطة واضحة. عليّ أن أدوّن الآتي بخصوص ذلك:

(١٥٣) مُرُورُ جَمَلٍ مِنْ ثَقَبٍ إِثْرُهُ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ. مرقس ١٠: ٢٥.
(١٥٤) نُشِرَ المجلد الأول من (دورة قراءات) في روسيا في ٣٠ يناير ١٩٠٦، أما كتاب «عن الحياة» الذي كتبه تولستوي بين عامي ١٨٨٧ - ١٨٨٨ فلم يُنشر كاملاً في روسيا إلا في عام ١٩٠٦.

١ - يمكن لشعب - مثل أي فرد - أن يعتبر الرخاء المادي شرطاً ضرورياً لخيره. حينها يحمل الإصلاح السياسي له أهمية فائقة، ويمكن كذلك لشعب أو لفرد أن يضع رخاء حياته الروحية شرطاً ضرورياً لخيره، وحينها لن يقتصر الأمر على أن الإصلاح السياسي لن يحمل له أهمية، بل إنه سيشعر كذلك بالنفور إن توجبت عليه المشاركة في هذا النشاط السياسي. تنتمي الشعوب الغربية إلى النمط الأول، بينما تنتمي الشعوب الشرقية - ومن ضمنها روسيا - إلى النمط الثاني. هذه هي فكرة خوميياكوف: الأب والابن على السواء. وهي فكرة صحيحة تمامًا. ولكن إن تمكن الشعب الروسي الذي يُثمن حياته الروحية جدًا المتمثلة في إيمان الكنيسة الأرثوذكسية والذي رَضِيَ طوعًا باستبداد القياصرة الروس وخضع لسلطانهم طوعًا حتى إن كان قاسيًا... أقول إن تمكن من التحرر من المشاركة في العنف السلطة، فهذا لا يثبت أن الإذعان لهذه السلطة كان يجب أن يستمر إلى الأبد.

كان على هذه العلاقة أن تتغير لا محالة لسببين:

١ - لأن السلطة في الماضي كانت بطيركية، تتسلط على شعب واحد يتحدث لغة واحدة وله إيمان واحد، ولم تهتم السلطة في الماضي بمسألة ضم شعوب أخرى غريبة إلى سلطانها (الإمبريالية)، ولم تجبر الناس على المشاركة في شؤون شعوب أخرى (الدفاع عن روسيا من خطر المغول أو الفرنسيين، من دون خنق البولنديين أو الفنلنديين أو الاستيلاء على منشوريا) وبالتالي لم تطلب من الشعب ارتكاب أفعال قاسية بالنسبة له.

٢- لأن متطلبات الحياة الروحية لا تظل ثابتة طوال الوقت، بل تزداد جلاءً وتطورًا، ولأن المسيحية التي ظن الناس أنها تطالبهم بالإذعان للسلطة حتى وإن أمرتهم بالقتل، تبين لهم بعد ذلك أنها طلبت منهم قبل ذلك شيئًا آخر؛ عدم المشاركة في أعمال القمع والعنف والقتل.

هكذا لا بد أن تتغير علاقة الشعب بالسلطة لا محالة من الجانبين: السلطة تصبح أسوأ وأقسى وأكثر تنفيرًا للجانب الروحي في الشعب، بينما تزداد متطلبات الشعب الروحية صفاءً وسموًا من جانب آخر. هذا ما يحدث الآن.

١٠ فبراير.

سأت حالتي الصحية في الأيام الأخيرة. كتبت على نحو سيئ في: «ما الجدوى من ذلك؟». أعيش على نحو جيد حمدًا لله. أتذكره دائمًا. مررت ببعض الاختبارات؛ ربما أربعة اختبارات، لكنني لم أفشل فيها. فكرت في أمر يبدو مهمًا. عليّ أن أدوّن الآتي:

١- فكرت مجددًا في السلطة، ويبدو أنني وصلت إلى رؤية واضحة للأمر. إنها تحديدًا الآتي: الأمر لا يتوقف على أن الناس أو الشعب يخضعون طوعية لأولئك الذين يتولون العمل ويهيمنون على كل شيء، لكنهم كذلك مستعدون لتحمل الكثير من الحرمانات بشرط ألا يمزقهم ذلك ويضطربهم لخرق متطلبات حياتهم الروحية والمشاركة في أوامر الطبقة الحاكمة من انتخابات وقَسَم وما إلى ذلك. لذا فهم لا يتركون لهم السلطة وحسب، بل يكافئون كذلك جميع الذين يأخذون

على عاتقهم هذا العمل (الشرف والثراء). لم يحدث هذا في روسيا أو في كافة الأراضي السلافية وحسب كما يقول أنصار النزعة السلافية، بل هذه سمة عامة وأبدية للبشر. ومن السمات العامة للبشر أيضًا أن أولئك الذين يحوزون السلطة لا يستخدمونها من أجل الهدف الذي وُهِبَ إليهم من أجله؛ تنظيم الشؤون العامة، بل من أجل أهدافهم الأنانية الجشعة. يتكرر هذا في كل مكان أينما تظهر السلطة، بدءًا من حراس القرية وصف الضباط وحتى الملوك والأباطرة. عندما تزداد حدة سوء استخدام السلطة يتمرّد الواطؤون تحت رزحها (الثورات)، ويُطاح بالسلطة وتُستبدل بها سلطة أخرى. عندما يتكرر الأمر مع هذه السلطة الجديدة (حكومة فرنسية بعد حكم آل بوربون - آل بوربون ثانية بعد نابليون - الأورليانزيون بعد آل بوربون - نابليون جديد بعد لودوفيج فيليب) تؤدي كثرة استبدال سلطة بأخرى إلى خلق وضع صعب مجددًا لا يتناسب مع الهدف منه، وحينها يحاول المحكومون الحد من السلطة، وقد حدث هذا في إنجلترا قبل بقية أوروبا. ولكن تحديد السلطة بعدد قليل من الناس لا يؤدي سوى لتوسيع السلطة وخلق طبقة أوليغاركية (حكم الأقلية)، بينما يظل ضرر وثقل السلطة على المحكومين كما هو. حينها يحاول المحكومون أن يحدوا من هذه الطبقة العليا المحدودة التي تمسك بعنان السلطة، وسنستور أكثر شعبية وديموقراطية. لينجح المحكومون في الحد من السلطة عليهم أن يستمروا دائمًا في ممارسة كل ما من شأنه أن يحقق ذلك بعناية، مثل الانتخابات والصحافة والتظاهرات. مثل هذه الممارسات تحرم المحكومين من حريتهم والانشغال بشؤونهم في أوقات فراغهم

وتجرهم للمشاركة في السلطة؛ الأمر الذي من أجله تخلوا عن السلطة في الأساس وتركوها للآخرين. يدور الأمر إذن في دائرة مفرغة. أودت رغبة الناس في التخلص من قلق وخطية المشاركة الاجتماعية إلى إقصاء السلطة لمجموعة معينة، ومن ثم أسيء استخدام السلطة من هؤلاء الذين أفضوا بالسلطة إليهم؛ مما دفع الناس للبحث عن وسائل تحد من بطشها. الوسيلة الوحيدة للحد من سلطتهم هي مشاركتهم في السلطة.

تزايد صعوبة المشاركة في السلطة للحد منها من قبل المحكومين حتى أقصى درجة، وذلك يعود لحقيقة أن عملية تطور السلطة التي تتمثل في نقلها إلى يد شخص واحد، ثم إلى مجموعة من الناس تُسيء استخدامها ثم اندلاع الثورة ثم محاولات الحد منها لا تحدث خلال يومين أو عامين، ولا عشرين عامًا، بل عبر قرون متتالية. تمر قرون من إساءة استخدام السلطة التي تعمل في الأساس على القمع المتزايد لحريات الشعب وانتزاع أدواته منه بالغزو الذي يجبر على المشاركة فيه أو التعرض إليه. وعندما تتوجب مشاركة المحكومين في السلطة للحد منها لا يجدون أنفسهم أمام مسائل بسيطة تتعلق بالتنظيم الاجتماعي، بل يواجهون أصعب التعقيدات الناجمة عن أزمان ولت، وقد تشكلت إبان عمل السلطة غير المحدودة، ويبدو للناس أن حل وحسم مثل هذه المشكلات في زمانهم أصبح مستحيلًا تمامًا. تظهر مشكلات ناشئة عن ضم شعوب غربية بالعنف إلى شعب آخر، مثلما تواجه روسيا مثلًا فيما يتعلق ببولندا والقوقاز وفنلندا وغيرها، وما تواجهه روسيا فيما يتعلق بضم مقاطعات فرنسية وبوزنان (مدينة في غرب ووسط بولندا) وما

تواجهه النمسا بعد ضم المجر والتشيك وجاليسيا، وما تواجهه فرنسا بعد ضم نيس والجزائر وسيام، وما تواجهه بريطانيا بعد ضم عدد لا نهائي من الشعوب الغربية عنها والمعادية لها، من إيرلندا حتى التبت، أو تولي قوة غربية السلطة على شعبها. تظهر ديون غير مدفوعة من الفترات السابقة، وثروات ضخمة تكونت وفقر طبقات كاملة إبان عمل السلطة.

تكمّن صعوبة حل هذه المشاكل بشكل أساسي بالنسبة للناس الذين يحيون عصرًا جديدًا ويشاركون في السلطة، بالإضافة إلى صعوبة المسائل في حد ذاتها، في حقيقة أن الوعي الأخلاقي الديني؛ مثل الناس الجديدة، مختلفة تمامًا عن القديمة التي تمت باسمها هذه الأفعال ونشأت عنها المصاعب التي يواجهها المشاركون في السلطة الآن.

يمكننا أن نجد أمثلة حادة على صعوبة حل هذه المشكلات المعقدة الآن، والتي تشكلت عبر عدة قرون مضت، في المسألة الإيرلندية والبولندية وما يتعلق بالألزاس واللورين^(١٥٥). تكونت مثل هذه التعقيدات السياسية بسبب أزمنة قديمة مضت. ظهرت كذلك مشكلات اقتصادية معقدة تبدو غير قابلة للحل بسبب سوء استخدام السلطة؛ إنه صراع الطبقات المعروف باسم «الاشتراكية»، وتوجب على الناس في عصرنا المشاركة في حل هذه المشكلات؛ أولئك المدعوون إلى المشاركة في السلطة للحد منها.

(١٥٥) أراضي الألزاس واللورين الإمبراطورية إقليم أوجدته الإمبراطورية الألمانية في عام ١٨٧١ بعد أن ضمت غالبية منطقة الألزاس ومنطقة موزيل في اللورين بعد انتصارها في الحرب الفرنسية البروسية. يقع الجزء الألزاسي في وادي الراين على الضفة الغربية لنهر الراين وشرق جبال الفوج.

صار الموقف في زمننا كالاتي:

وقعت محاولات عدة لتغيير الحكومات بسبب تنامي سوء استخدام السلطة ممن خولهم الشعب. كان الشعب نفسه هو من سلم سلطاته منذ قرون مضت إلى مجموعة من الأشخاص للتخلص من مصاعب إدارة الشؤون العامة، لكنه اضطر مجدداً إلى أن يحمل على عاتقه مشقة إدارة شؤونه الاجتماعية كافة؛ بالإضافة إلى فارقٍ واحدٍ فقد صارت الإدارة الآن أصعب وأشق بصورة لا تُضاهى أو تقارن بسابقتها وذلك لعدة أسباب:

١ - بسبب تعقد الظروف التي يعيش فيها الناس وتكون تلك المشاكل عبر قرون طويلة.

٢ - لأن هذه الأساليب العنيفة الفجة التي كانت مناسبة ومقبولة للناس قديماً، والضرورية الآن لمن يحيون الآن، والتي تكونت بسبب النظام الاجتماعي، أصبحت غريبة على المعاصرين، ليس هذا وحسب، بل منفرة أيضاً لمتطلباتهم الدينية الأخلاقية.

ما المخرج إذن من كل ذلك؟

بعد أن تبين للناس أن إدارتهم لأنفسهم والخضوع لسلطتهم الشخصية أمر غير كافٍ وغير فعال، توجب عليهم أن يلجأوا إلى وسيلة أخرى من شأنها أن تقضي على الوسائل السابقة للتعامل بين الناس؛ أي السلطة. نمت تلك الفكرة بين الناس تدريجياً، تماماً كما تتساقط تدريجياً قشرة الحبة وينمو من داخلها جذر وفلقة.

هذه الوسيلة هي التواصل العقلاني المحب بين الناس وبعضها؛
التواصل المؤسس على الوحدة والفهم المشترك لمن لديهم نظرة دينية
للحياة.

٢- بينما كنت مستلقياً على فراشي في الظلام أتلمس رأسي، أدركت
بوضوح وحيوية شديدين أن ما يبدو لي صلباً كجسمتي، ليس كذلك
في الحقيقة، إنما يبدو لي كذلك وحسب. تذكرت المطرقة التي رأيتها في
مصنع السلاح، وكيف كانت تضغط الصناديق الفولاذية الصغيرة ببساطة
ورفق محاولة إياها لسمك فطيرة رقيقة. ستبدو جسمتي الصغيرة بالنسبة
لكائن بهذه القوة، ولكن ثمة كائنات أخرى تبدو لها خيوط العنكبوت
صلبة. الأملس والخشن، والكثير والقليل، وحتى الأخضر والأحمر،
والقصير والطويل... إلخ، جميعها صفات شرطية. من الممل أن أكرر،
ولكن عليّ ذلك: كل شيء يبدو هكذا بالنسبة لي، أما في حقيقة الأمر فهو
لا يعد شيئاً على الإطلاق في حد ذاته.

ما الآن إذن؟ الآن ليست شيئاً في حد ذاتها؛ إنها محض علاقات
معينة. ما له وجود حقيقي هي علاقتي وحسب. ولكن علاقة بماذا؟
بكل شيء وبالكيان الكلي. علاقتي بكل شيء تعني العلاقات ذاتها، أما
علاقتي بالكيان الكلي فتعني علاقتي بمجموع ما لا يمكنني فهمه، لكنه
موجود بالضرورة.

٤- من الصعب جداً أن نناضل شهواتنا الجسدية؛ شهوات الشباب
والشراهة. ثمة بعض المواقف يستحيل علينا فيها النضال. ولكن يمكن
للمرء أن يناضل واحدة من أقوى الشهوات التي تمتد طوال الوقت، من

الطفولة وحتى الشيخوخة، وتغوي الإنسان؛ إنها شهوة المديح والتعطش للفخر، بل ويتوجب عليه كذلك أن يقهرها. هذه هي وسيلة النصر عليها: عود نفسك على السلوك من أجل روحك والله وحسب، وتعلم أن تتجاهل أحكام الناس، سواء كانت مديحًا أو ذمًا.

٥- تأسف أحيانًا لأنك لا تستطيع بلوغ الكمال الأخلاقي. لقد هرمت، ولا تزال فاسدًا. عليك ألا تأسف على ذلك، بل أن تُسر به. لا نهاية لنضالك نفسك. المادة موجودة دائمًا، وفرحة العمل كذلك.

٦- كتبت الآتي: الزمن يحجب الموت. لا يمكنني تذكر تفكيري في الأمر كاملاً، لكنني أفكر الآن على النحو الآتي:

ما إن تعش في نطاق الزمن، حتى لا تعود قادرًا على تصور توقفه. الموت هو توقف الزمن.

لا... الأمر ليس كذلك.

٧- الوعي بمعنى تأمل الذات يوقف الحياة. الوعي الكامل يعني الموت. (كانت الفكرة واضحة سابقًا).

٨- المجتمع كالشخصية، تتطور قواه المادية أولاً ثم الروحية.

٩- لقد بقيت المسيحية الأرثوذكسية بفعل الطغيان، ولكن تزامن تطور الطغيان مع تطهير المسيحية حتى أصبح الخضوع لمتطلبات السلطة الفاسدة أمرًا غير ممكن.

١٠- تأسف على أنك تضعف جسديًا، ناسيًا أنك تتقوى روحياً بنفس الدرجة، بل وأكثر.

١١ - كم تشعر النفس بالطمأنينة والسرور من جراء الفكرة التي مفادها أن الإنسان هو مجرد أداة! عمله أن يُقَيَّ نفسه في حالة جيدة، كالمنجل أو الفأس الذي يمكنه أن يشحذ نفسه بنفسه. وستعمل في تلك القوة التي تتولى كل شيء. اسع صوب كمالك!

«هَا مَلَكُوتُ اللَّهِ دَاخِلُكُمْ» (لوقا ١٧ : ٢١). أكتب عملاً وأريد نشره. يموت العمل وتبدو لي جهودي جميعاً ضاعت عبثاً. هذا غير حقيقي. ما اعتمد بداخلك أثناء الكتابة، أو حتى تواضعك الذي قابلت به اختفاء العمل هو بمثابة طريق لا تدركه، يرثه شخص ما، أو يفعل شيئاً ما ضرورياً يعد أكثر أهمية بدرجة لا تقاس من عملك الأدبي نفسه. كلما رأيت النتيجة النهائية لنشاطك بوضوح، ازدادت أهميته.

١٨ فبراير.

طوال الوقت، أي من يوم ١٠ فبراير، كنت في حالة مزاجية سيئة، لكن حالتي الروحية جيدة جداً. لا أزال أحافظ على الحياة من أجل الله وحده والإكثار من قدر عطيته؛ الموهبة. وصلنتني خطابات لطيفة جداً من ابنتي وشيرمان^(١٥٦) وتوكي تومي^(١٥٧). وصل سيريوجا وأندريوشا حمداً لله. لديّ الكثير لأدونه وأعتقد أنها أفكار تستحق التدوين. أراجع طوال الوقت في «ما الجدوى من ذلك؟». أتقدم فيها ببطء، لكنها تصبح أكثر قبولاً:

(١٥٦) مالك أراضٍ أرسل لتولستوي نسخة من خطابه المفتوح إلى ملاك الأراضي، حيث أعلن فيه تنازله عن كافة ملكيته من الأرض تقريباً للفلاحين، مبقياً لنفسه على قطعة صغيرة لا تزيد عن المساحة التي تركها لكل فلاح، داعياً رفاقه من مُلّاك الأراضي لفعل الأمر ذاته.

(١٥٧) كاتب ومحرف ياباني كتب مقالة عن حياة وأعمال تولستوي، وكتب لتولستوي عن العدد المتزايد من البابائين المتعاطفين مع أفكاره

١ - عندما تغضب من شخص ما، تبحث عادة عن مبرر لغضبك، فلا تنسب إليه أو تصفه إلا بكل ما هو شريك. يزيد ذلك من ضغيتك ومعاناتك على السواء. عليك بالعكس تمامًا: عندما تغضب عليك بالبحث بعناية عن كل ما هو صالح فيه وما يبرره. حينها لن يقتصر الأمر على إضعاف غضبك وما يرتبط به من معاناة، بل إنك ستشعر بالعكس؛ باللطف والسرور.

٢ - ما نسميها «الحياة» هي كشف تدريجي بواسطة الزمن لشخصيتنا الكاملة وما يمكننا إدراكه من حياة العالم. بالزمن ينكشف لنا كيانا بأكمله وكل ما يربطنا بحياة العالم. كيف يمكنني أن أصف ذلك؟ حسنًا... من دون زمن، وأنا شاب، ولنقل في السادسة عشرة، كنت لأظل جزءًا صغيرًا من كيان، أما الآن فأنا كيان كنه تقريبًا، وعندما تحين لحظة موتي، سأصبح كيان كمالًا؛ سأدرك نفسي في كل شيء. العالم كما عرفته - ولنقل مثلاً عندما بلغت ٤٨ عامًا - كان مختلفًا تمامًا عما أعنيه الآن بقولي: «حياة العالم». بالطبع عندما تحين لحظة موتي، لن يكون ما وعيته عن نفسي وعن حياة العالم في الحقيقة سوى جزء صغير. عندما أدركت ذلك، فهدمت سيرورة التنوير والتوسع المتزايدين لوعي الكائن المنفصل، وفهدمت أن وعي العالم يتألف من وعي وحياة العالم، لذا أفضل ما يمكنني فعله هو أن أسعى بنفسى إلى هذا التنوير والتوسع، فما يمكن أن يجلب لى الهدوء والسرور هو أن أتواءم مع ما يحدث فعلاً سواء شئت أم أبيت: أى أن أجدف وأسبح مع التيار.

٣ - ستسأل نفسك تلقائياً: لماذا يحدث ذلك؟ ما الهدف من تنوير

وعى الشخص ووعى العالم؟ هذا سؤال إنساني ملائم لكائن يعيش داخل حدود الزمن، حيث إن الأسباب والنتائج غير ممكنة إلا داخل إطار الزمن. ثمة شيء ما يجري بالنسبة للناس، لذا يكون من الطبيعي تمامًا أن يسألوا: ماذا سوف ينتج عن ذلك؟ بالنسبة لله، كل شيء قد تم فعلاً، ولم تكن ثمة بداية لحدوث ذلك، بل إن كل شيء موجود فعلاً. إن الحركة والزمان وكافة الأسئلة التي تنتج عنهما: ما الهدف؟ لماذا؟ من سمات الضعف الإنساني وحسب.

٤- يحب أروسوف^(١٥٨) بشكل خاص هذه العبارة «مَنْ لَا يَحِبُّ، لَيْسَتْ لَدَيْهِ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِدَاخِلِهِ». ويحب أكثر هذه العبارة: «مَنْ يُثَبِّتُ فِي الْمَحَبَّةِ، يُثَبِّتُ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ فِيهِ»^(١٥٩). اليوم أدركت بقوة معنى جديد لهذه الكلمات فيما يتعلق بالتصور المنتشر عن الحب لدى غالبية الناس الذي مفاده أن تفعل الخير للناس وتنال منهم الحب في المقابل. عندما نقول: المحبة تثبت فينا، أو نحن نثبت في المحبة، الإشارة هنا ليست إلى أفعالنا، بل إلى حالتنا الروحية التي تُنتج أفعال طيبة في حق الآخرين تستدعي فيهم الشعور بالحب صوبنا، والعكس صحيح. في كل احتكاك للإنسان بالعالم يسلك فيه بحسب الله، ويثير فيه غضب وضيعة الناس، يمكنه أن يسلك بطريقة العالم مستسلماً للناس، ولا يسلك بحسب الله وبالتالي يتخلص من مسببات غضب وضيعة الناس، وفي الوقت نفسه سيجد نفسه تلقائياً يلوم ولا يحب أولئك الذين كانوا سبباً لابتعاده عن

(١٥٨) صديق تولستوي من أيام حرب سيواستوبول، وقد ظلت العلاقة وثيقة بينهما حتى موت تولستوي.

(١٥٩) من رسالة يوحنا الرسول الأولى إصحاح ٤.

متطلبات ضميره والله. أما إن سلك بحسب الله، سيوفي متطلبات ضميره والله بغض النظر عما تثيره من غضب وضغينة الناس، لكنه سيثبت هو ذاته في محبته لأولئك الناس ويفهمهم ويبررهم ويحبهم. عليك بشكل عام أن تضع لنفسك قاعدة أن تثبت في حب الناس؛ خاصة على مستوى مشاعرك وأفكارك عندما تكون بمفردك، حتى يتأكد بداخلك هذا الشعور ولا يتلاشى عندما تلتقي بهم فعلاً. هذا أمر ممكن، وهو كذلك سهل ومثمر ويبعث على السرور. لقد اخترت ذلك قليلاً، لكنني أتصرف حتى هذه اللحظة على النقيض من ذلك، مما أدى إلى أنني لم أنفذ ما يطالبني به ضميري، وأبقيت بداخلي مشاعر شريرة صوب الناس. الغريب أنني مع كل ما قدمته من تنازلات لم أستطع أن أثير فيهم مشاعر طيبة. اخترت ذلك عند التنازل عن أملاكي.

٥- يصعب على الإنسان أن يتغلب على حالة روحية سيئة ومشاعر ضغينة صوب شخص ما، لكنه أمر ممكن. إن نجحت في ذلك، ستختبر سروراً ستود أن تختبره مرة أخرى.

٦- الأنا التي أدركها الآن هي نتاج لذكرياتي التي بدأت داخل نطاق الزمن. لكنني كنت موجود قبل أن أعيش داخل نطاق الزمن، وإن كنت لا أتذكر هذه الحياة، بل أذكر ما حدث داخل إطار الزمن وحسب.

٧- الخوف من الموت هو في الأساس خوف من ضرورة ترك وجودنا المعتاد، كالخوف من الانتقال إلى ظرف معيشي مختلف. الأمر لدى الأطفال أقل وطأة، لذا خوفهم من الموت أقل درجة من خوف البالغين والشيوخ، وبالتالي يموتون بيسر.

٨- جئت إلى الحياة، ولا أعرف من أين جئت، وما الهدف وإلى أين أمضي وما الذي سيحدث. لا أستطيع معرفة ذلك. ما العمل إذن؟ قيل لي بوضوح ما عليّ أن أفعله، وعلاوةً على ذلك، في كل مرة لا أقوم بما يتوجب عليّ القيام به أشعر بصفعة على أنفي. لا يسعني أن أفعل شيئاً إذن إلا ما يجب عليّ فعله.

٩- نحن لا نتذكر حياتنا السالفة؛ لأن ذاكرتنا هي سمة من سمات هذه الحياة وحسب.

١٠- الموت هو زوال أعضاء الإدراك الحسي (الحواس الخمس أو ما يدعم عملها) والانطباعات التي تنتج تصورنا عن الزمن. إن لم تزل هذه الأعضاء بالعنف، تزل تدريجياً وتُستنزف بالهرم. تؤلف المشاعر شرط محدوديتنا وانفصالنا الرئيس. ما إن يحل الموت، حتى يزول ويتلاشى انفصالنا ومحدوديتنا.

١١- الشرط الرئيس لحياة جيدة عاقلة هو فهم هذه الحياة كحركة لا تتوقف صوب إيقاف الحياة ذاتها وتغيرها. علينا أن نتجنب التعود على هذه الحياة، كما هو الأمر مع اعتيادنا الجلوس في مركبة نستقلها صوب مكان ما.

١٢- البعض لا يحتاجون من الثمرة سوى بذرتها، وتكون القشرة بمثابة عائق أمامهم، وآخرون تكون البذرة بالنسبة لهم كذلك، وينشدون في الثمرة قشرتها نفسها (التفاح - الطماطم).

١٣- في أعماق الشيوخوخة عادة ما يظن الآخرون - وكثيراً الشيوخ

أنفسهم - أنهم يمضون أيامهم وحسب. النقيض هو الصحيح: في أعماق الشيخوخة تمضي أغلى وأهم حياة للنفس وللآخرين على السواء. تتناسب قيمة الحياة عكسيًا مع مربع المسافة التي تفصلها عن الموت. ليت الشيخ أنفسهم ومن يحيطون بهم يدركون ذلك جيدًا.

١٤ - حلمت أن أحدهم يقول لي: «تذكر أنك ماضٍ، لا واقف! في هذا يتلخص كل شيء».

١٥ - عندما تموت بيسر وسرور وتشعر بالإنهاك من انفصالك عن العالم، وعندما تشعر بهلع الانفصال وفرحة الاتحاد، إن لم يكن مع الكيان الكلي فليكن الأمر بمثابة خروج من سجن انفصالك الطبيعي، حيث لا أحد يفهمك ولا يعرفك ولا يريد أن يفهمك أو يعرفك من الأساس (أردت أن أقول: أنت أو الله)، حينها فقط يمكنك أن تصبح بمثابة شرارات كهربائية تطير إثر للحب. أردت أن أقول: كفاني من هذه الخلية! هبني خلية أخرى أنا أكثر حاجة إليها كي يتم التواصل. أعرف جيدًا أن الموت سيهيني ذلك.

١٦ - ترغب في التأثير على الناس وخدمة الله من أجل تأسيس ملكوته وتفكر في ذلك، وعندما تتأمل موقفك مليًا، ترى أن أفضل خدمة هي أن تجعل نفسك في أفضل حال. سيفعل بي ما يشاء، بالطريقة التي يراها مناسبة.

٢ مارس.

لم أدوّن شيئاً منذ ١٢ يوماً. مررت بحالة جسدية سيئة وأخرى جيدة، لكنني السيئة استغرقت أغلب الوقت. أعيش بشكل أو بآخر. أعمل داخلياً على نفسي بدرجة تبدو جيدة. المشكلة هي - وهي أمر جيد كذلك - أنك فور أن تطير في منطاد، لا تشعر بالريح أو الحركة؛ لأنك تطير مع اتجاه الريح، ولا تشعر بتقدمك؛ لأن هذا ما يجب أن يحدث وحسب. إنك لا تشعر بالريح إلا عندما تتوقف، أي عندما تعيش بدناءة.

لم أَمَرَّ باختبارات كثيرة. بالأمس كنت في حالة جسدية كئيبة ولم أستطع مغالبة نفسي. لا أقصد من الناحية الخارجية، فأنا لم أفعل شيئاً سيئاً، لكنني أقصد في روحي وأفكاري، حيث لم أستطع مغالبة الضغينة ولم أستطع استدعاء الحب بداخلي أو الوعي الحيوي بعلاقتي بالله.

انشغلت في تلك الفترة بمراجعة «ما الجدوى من ذلك؟»، وأرسلت بروفة الطباعة والجزء الثاني من «دورة قراءات». يبدو أن عليّ تدوين الكثير من الأفكار التي تبدو معقولة:

١ - لا ينعم بالهدوء والسرور الدائم إلا ذاك الذي يعتبر أن عمل حياته الرئيس، بل والوحيد، هو مراقبة وتنوير روحه أمام الله ومن أجله. ولكن كم يصعب تعويد النفس على اللا مبالة بآراء الناس، خاصة عندما يدينون ما تفعله من أجل الله!

نعم... لا بد أن يكون عملنا لله وأمامه وحسب. هذا صعب، ولكن يلزم أن نبذل جهداً ونعوّد أنفسنا على ذلك. السبب هو أن تلك هي

الطريقة الوحيدة التي يمكننا أن نعيش ونموت بها ببسر.

٢- كلما فكرت، ازدادت قناعتني بحقيقة أن العمل الرئيس في حياة الإنسان ينحصر في مراقبة وتحسين تلك الأداة التي وُهبَ إياها (مثل الوزنات)^(١٦٠). الإنسان بمثابة أداة، ينحصر عمله في الإبقاء على الأداة في حالة جيدة. ليس هو مَنْ يحرك الأداة. إنه يشبه عاملاً تم تعيينه من أجل أن يضمن أن تظل السكاكين حادة. ينحصر عمله في الإبقاء على حدتها حتى لا تجعد أو تفسد ما تقطعه. طالما الإنسان حي، عليه أن يعمل ويتحرك. القوة ليست قوته، بل هي قوة عاملة فيه. أما ما عليه فعله فهو أن يؤدي العمل الذي تدفعه قوته إلى عمله بشكل جيد. مثلاً: عليه أن يأكل؛ إنها ليست قوته، بل القوة العاملة فيه. عليه أن يأكل جيداً ولا يدمر حياة أحد أو يجبر الآخرين على أن يعلموا من أجل أن يأكل هو. إنه يسعى إلى التواصل الجنسي. هذه مجدداً ليست قوته، بل قوة عاملة فيه. ينحصر عمله هنا في أن يكون زوجاً مخلصاً ووالداً يعتني بأبنائه. لا مفر كذلك من إقامة علاقات مع الناس، فالأمر لا يعود إليه. في ما يتعلق بذلك ينحصر عمله في أن يجعل علاقاته صالحة مع الناس. كذلك لا يتوقف عليه أن يفكر أو لا يفكر، ولكن عمله أن يتوقف عند الأفكار الطيبة ويبعد عنه الشريرة.

٣- كم يصعب على المرء أن يحب ويأسف على أولئك المتباهين الفخورين المتبجحين! يُظهر ذلك مدى أهمية التواضع. بإمكانه أكثر من أي شيء آخر أن يؤدي إلى أئمن ما في الحياة؛ حب الناس.

(١٦٠) راجع إنجيل متى ٢٥: ١٤ - ٣٠.

٤- تعودنا على رؤية أناس من المحيطين بنا يعملون بالسياسة، أي يهتمون بـ: كيف ننظم الحياة المشتركة للناس على نحو أفضل؟ ويستهلك هذا النشاط كافة قواهم، ولا ندهش من هذه الظاهرة رغم أنها ظاهرة مدهشة للغاية.

أناس غير مباليين تمامًا بشؤونهم الاقتصادية والأسرية والشخصية، ويوجهون كافة طاقتهم إلى تنظيم مستقبلي متخيل للمجتمع! وبغض النظر عن الخلافات الموجودة بين كافة الفرق فإنهم يؤكدون بعناد على موقفهم. ثمة تفسير واحد: الإنسان في حاجة إلى العمل والإيمان، وأن يكون عمله مفيدًا. الواحد منهم يتعثر في شؤونه الشخصية والاقتصادية والأسرية، ولم يفقد الثقة في العقلانية وحسب، بل الأمر على النقيض. لذا يختار الانخراط في هذا النشاط الذي لا نتمكن من رؤية نتائجه، ويواسي نفسه بأنه يفعل أمرًا ضروريًا ومفيدًا. ما يؤكد على ذلك هو أنه كلما ازداد تمزق حياة المرء الشخصية، زادت طاقته التي يوجهها إلى السياسة.

٥- كم يشعر بضآلته وعجزه في اللحظات الجيدة التي يدرك فيها نفسه كاملاً كإنسان، ليس أكثر ولا أقل! بشكة أو بأخر أنت مرتبط بكيان لا نهائي، أنت بمثابة ارتجافة متناهية الصغر وسط كيان لا حدود له. عندما تدرك ذلك ستدرك أنك وُضعت في مثل هذه الحالة الضئيلة الضعيفة من قبل قوة أسمى يمكنك أن تفهمها وتتحد بها، وبالتالي تظهر من قلب الضآلة اللانهائية قوة لا تُقهر.

٦- السبب والنتيجة -بحسب مسمياتنا- ليسا إلا الآتي: السبب

هو ما تم الكشف عنه وسط مسار معين للأفكار التي يتكون منها الموضوع، أما النتيجة فهي كشف وسط مسار معين للأفكار، أو كشف عن موضوع حادث بالفعل. مثال: معدتي تؤلمني. السبب وسط مسار معين للأفكار هو: تناولت طعامًا عسير الهضم. وسط مسار آخر: لم أفكر في ضرورة ضبط نفسي عن تناول الطعام. وسط مسار ثالث: أنا وسط ظروف تغويني بالطعام المترف. وسط مسار رابع: أفسدت أعضاء الهضم بسبب عدم ضبط نفسي سابقًا في تناول الطعام. وسط مسار خامس: أمر وراثي... إلخ.

اندلعت الثورة البولندية بسبب الروح الثورية في وقتها، وبسبب شخصية البولنديين، وبسبب خداع ألكسندر الأول وبسبب قسوة نيكولاي، وبسبب تقسيم بولندا الذي قام به كاترينا وفريدريش. الأمر كذلك مع النتائج أيضًا. سبب حلول الليل يعود إلى حركة الشمس قبل حلول الليل. سبب الفعل الشرير يعود إلى ظهور فهم خاطئ للحياة. لا يمكن أن يكون هناك سبب بعينه لأي ظاهرة كانت. ثمة عدد لا نهائي من الأسباب السالفة، وكل منها يصلح أن يكون سببًا فعليًا. نحن نطلق كلمة «سبب» على تلك الحالة التي سبقت الظاهرة وكشفتها لنا وسط مسار معين من الأفكار.

كل ذلك غامض وسيئ رغم أنه بدا لي مهمًا.

٧- أنهيت غدائي لتوي واستلقيت وتخيلت الموت بحيوية شديدة؛ الانتقال إلى حياة أخرى (نوم ويقظة)، وتخيلت الأمر ببساطة شديدة حتى إنني قبلت الموت دون مقاومة.

٨- كتبت ذات مرة لخيالكوف كنوع من المزاح أو الخيال قائلاً إن حياتنا هي حلم عن النوم الذي كنا منغمسين فيه في حياة سالفة، وإن الموت سيكون بمثابة يقظة على شكل جديد من أشكال الحياة. لا تبدو لي هذه الفكرة محض خيال؛ بل هي الأمر الأكثر احتمالاً. أحلامنا في هذه الحياة هي صدى لكافة الحيوانات وإشارات إلى قوانينها.

٩- أثناء حديثي مع دوريك عن شكل الحياة الأخلاقية التي يجب أن نحياها، وكيف يجب أن تكون بلا ترف ولا خدم، بلا غني وفقير، فكّرت في أنني يجب أن أوضح له لماذا لا أعيش كذلك. ثم قلت في نفسي: لماذا؟ إن كان ما أقوله صحيحاً، بغض النظر عن أنني لا أفعل ما أقوله، سيعيش كما أقوله له، لأنه سيجد خيره في ذلك. إما أنه سوف يدينني لأنني لا أفعل ما أقوله، سواء عن حق أم عن غير حق، وسيكون الأمر الثاني لصالحه، أو أنه سيفهم دون أن أشرح له لماذا أعيش هكذا، وسوف يبرر موقفه.

١٠- عندما يكون المرء ذكياً، لا يدرك أنه كذلك، ويبدو له الأمر طبيعياً إلى حد أنه يدرك أنه ليس بإمكانه أن ينسب إلى نفسه سمة كهذه. في نفس الوقت تظل أمامه أمور كثيرة لا يفهمها. إن كان الإنسان كذلك قوياً جسدياً، وحتى روحياً، وإن كان الإنسان صالحاً، لن يرى صلاحه، كما لا يشعر من يطير على متن منطاد بحر كته.

١١- ثمة متعة روحية في التفاني من أجل كائن آخر، في إنكار الذات من أجل كائن آخر. اختبر الأقتان ذلك الشعور إبان عبودية «حق

القنانة»^(١٦١)، ويختبره رجال الحاشية مع أسيادهم ومريدي رجال الدين وموقري الشيوخ. حسناً أن تربى في داخلك هذا الشعور صوب الله. سيُقال: «ولكنك لا تراه». أنت لا تراه لكنك تشعر به وتدركه على نحو أكثر قوة من شعورك صوب بطلك الإنساني. سيُقال: «ولكن في الحالة الأولى يُكافأ المرء بإحسان من يخلص إليه». وهل الأمر ليس كذلك مع الله؟ مكافأة الله هي أن تعيش حياة مفرحة.

١٢ - يمكننا تصور الحياة الإنسانية على النحو الآتي: حركة في رواق أو أنبوب، تبدأ بحرية ويسر، ثم تزداد توسعاً أكثر فأكثر، فيزداد المكان ضيقاً والحركة صعوبة. أثناء حركة الإنسان، تزداد رؤيته أكثر فأكثر للمجال الذي أمامه، ويرى كيف يختفي ويتلاشى السائرون أمامه في هذا المجال. ألا يود من يشعر بمدى كثافة وضغط هذه الحركة أن يصل سريعاً إلى هذا المجال الذي يراه أمامه؟ كيف يمكنه ألا يرغب في ذلك أو يخشى الوصول إليه؟

١٣ - تنزهت في الغابة على متن الجواد، وشعرت بأني في حالة جيدة حتى قلت في نفسي: هل لديّ الحق أن أبتهج بالحياة بهذه الطريقة؟ أجبت نفسي: نعم، كان بإمكان كل إنسان أن يكون لديه الحق في ذلك لو لم تكن هناك خطية ولا معاناة يجلبها أحدهم للآخرين. ما دامت هناك خطية وتضحيات تُقدم رغماً عن الإنسان، لا بد أن تكون ثمة تضحيات أخرى يقدمها طواعية، وليس لدينا الحق في الابتهاج بالحياة، بل علينا أن

(١٦١) وضع اجتماعي اقتصادي لطبقة الفلاحين في ظل الإقطاع، تم إلغاؤه فيما في روسيا وسط سلسلة من الإصلاحات.

نبتهج بالتضحية الإرادية التي نقدمها.

وُهب الناس إمكانية خير الحياة الكامل. لو لم تكن هناك خطية، لوصلوا إلى هذا الخير ونعموا به. طالما الخطية موجودة، على الناس أن يحاولوا أن يعدلوا بالتضحية. في عملية التعديل السالفة وسط إطار العالم الحالي (وليس ثمة عالم آخر فتصور عالم من دون خطية ليس إلا مثال نسعى إليه) وفي التضحية يمكن للناس أن ينالوا خير الحياة الحقيقي.

١٤ - الأنساق الفلسفية تشبه قناطر مشيدة على نحو بالغ السوء، ملطخة بالجبر حتى لا يرى المرء مدى ضعفها. أما القنطرة المشيدة من حجر غير مصقول فيمكنها أن تدوم طويلاً. أما أمتن قنطرة فهي تلك التي تُشيد بصورة فطرية، كالكهوف الطبيعية.

١٥ - فكّرت في الآتي: ما الذي كان سيحدث لو أدرك الناس جميعاً أن حياتهم ليست إلا مراقبة أناهم الروحية أمام الله ومن أجله وحسب؟ لماذا هذا غير ممكن؟ لا أقول إن الأمر ممكن وحسب، بل إنه ضروري أيضاً.

٥ مارس.

أكتب صباحاً. لم أكتب شيئاً مهماً في تلك الفترة؛ بعض الخطابات غير المهمة وحسب. أنا مشغول بـ «دورة قراءات» من أجل الأطفال^(١٦٢)؛ أي شرح لقانون الله. أمضي فيها على نحو سيئ. لم أعمل عليها بجدية كافية. الأمر تحديداً هو أنني أظن أن لديّ الوقت لأجعله أكثر اختصاراً.

(١٦٢) أصبحت جزءاً من (دورة قراءات) جديدة وفي النهاية أطلق عليها «من أجل كل يوم».

تنزهت بالأمس على متن الجواد في الغابات، وفكرت على نحو جيد جدًا. تبين لي مغزى الحياة بوضوح حتى لم أعد في حاجة لشيء آخر. أخشى أن يكون ذلك خطية أو خطأ، لكن لا يسعني ألا أبتهج بالهدوء والصلاح. أبهجتني فكرتان على وجه التحديد:

١- يمكن، بل ويجب، أن نعوّد أنفسنا على علاقة حب تجاه كل الناس وكافة الكائنات الحية. لنحقق ذلك علينا ألا نكتفي بأن نكون صالحين ومحبين في علاقتنا بالناس والحيوانات، فلن يتحقق الأمر إلا عندما نفكر في الناس جميعًا... جميعًا... جميعًا بحب. لا أقصد من نعيش معهم وحسب، بل حتى من نلتقي بهم مصادفة ومن نسمع ونقرأ عنهم، الأحياء والأموات. يمكن تعويد النفس على ذلك، ويا لها من فرحة سننالها حينذاك!

٢- يكشف لنا الموت الكامن أمامنا، ليس فقط في الشيخوخة، بل وفي كل لحظة، عن استحالة العيش من أجل الذات. كيف يمكن أن يعيش المرء من أجل ذاته؛ تلك الذات التي ترحل تدريجيًا، ويمكن أن تمضي نهائيًا في أي لحظة؟ هذا يماثل أن يشيد المرء أمام منزله مسرحًا فوق طوف عائم، يمكن أن يغرق هو والطوف في أي لحظة، كما أنه سيختفي على الأرجح قريبًا جدًا. لهذا يستحيل تمامًا أن يحيا المرء من أجل ذاته. يمكن أن يعيش المرء من أجل الناس، أو من أجل العالم كله، أو من أجل الله. العيش من أجل العالم كله يعني العيش من أجل الله، والعيش من أجل الله يعني العيش من أجل العالم.

٣- لا يكون الحب حقيقيًا شاعرًا أبدًا إلا عندما لا يدرك المُحب

اختلاف ووظيفة الجنسین .

٩ مارس .

في حالة سيئة . راجعت بعض الملاحظات عن الحكومة والسلطة .
لا بد أن يكون العنوان هكذا «من اليوميات: عن ظهور السلطة وتدميرها
الذاتي» . لا ... عنوان سيئ .

طوال تلك الفترة كنت أشعر كما لو أن أناي؛ أناي الحقيقية قد
رحلت إلى مكان ما أو اختبأت في مكان ما بداخلي حتى لم أعد أراها
أو ألاحظها، لكنني أعرف أنها موجودة وأنها سوف تظهر مجدداً، وأن
عليّ أن أقدم حساباً عن الطريقة التي سلكت بها في غيابها وما إن كنت
قد دنست مسكنها أم لا .

غضبت من كاربونيل^(١٦٣) بسبب لا شيء . عليّ تدوين الآتي :

١ - انتهى عهد الرياء والفريسية^(١٦٤) الدينية . لم يعد أحد يمدح
الناس الآن على تدينهم وذهابهم للكنيسة؛ بل بالأحرى أصبحوا
يسخرون من مثل هؤلاء الناس . ولكن لم يَبْقَ مكان الفريسيين فارغاً؛
بل تمكن الفريسيون والمراؤون الجدد من شغله بنجاح؛ أولئك الذين
يقولون إنهم يخدمون الشعب، لا الله؛ أنصار سلطة الدولة والليبراليون

(١٦٣) سكرتير بالسفارة الفرنسية بطرسرج، وزار تولستوي وانخرط في نقاش وأيد ضرورة
الصراع السياسي .

(١٦٤) نسبة إلى الفريسيين، وهي إحدى الطوائف الدينية بالمجتمع اليهودي إبان حياة المسيح،
وقد وجّه إليهم المسيح نقداً قاسياً بخصوص ريائهم الديني، فارتبطت الفريسية بالرياء في
الثقافة المسيحية .

والثوار. ومثلما صبَّ المسيح جام غضبه عليهم عندما واجههم، كذلك يصعب الآن أن يمسك المرء نفسه عن الغضب والنفور منهم. يمكننا أن نُوجِّه حديث المسيح إلى الفريسيين كاملاً إلى العاملين بالسياسة.

لكن علينا ألا نغضب وندين أولئك الذين سقطوا أسرى لهذه الضلالة، بل نعالجهم برفق إن أمكن، وإن لم نستطع ذلك، نشفق عليهم ولكن لا نغضب. إن لم نستطع فعل ذلك، فلنصمت ونعمل على أنفسنا حتى نُزيل هذا الشعور غير الطيب الموجَّه لإنسان.

٢- كم يبدو بوضوح أثر السلطة المفسد حينما يستولي الثوار عليها! غرور وفخر وكبرياء، وقبل كل ذلك غياب كامل لاحترام الإنسان. يصبحون أسوأ من السالفين لأنهم وصلوا لتوهم إلى السلطة.

٣- لا تُقيِّم النساء النَّاسَ بِمِثَالِ الكمال الذي وضعته لأنفسهن، بل طبقاً للمِثَال الذي وضعه أولئك الذين يحبهن، أيًا كان هذا المِثَال. وعندما لا تشعر المرأة بالحب صوب أحد، تسلك كما يتراءى لها.

٤- كم يصعب أن يُعوِّد المرء نفسه - خاصة بعدما يعتاد طوال حياته على ما هو سيئ - أن يعتبر عمله الرئيس في الحياة هو العمل على روحه والاقتراب من الكمال أو بالأحرى: الحركة صوب الكمال!

٥- كم كان باسكال على حق حينما قال إن الناس يشغلون أنفسهم دائماً بهدف واحد؛ أن ينسوا وضعهم (لعب الورق - صيد الأرانب البرية). المشكلة الوحيدة في صيد الأرانب هو ما يتعلق بتعذيب الحيوانات، أما لعب الورق - لعب من دون مقامرة - فهو أفضل بدرجة لا تقارن من الانشغال بالسياسة أو العلم أو الفن، وكل ما ييجله الإنسان بشكل عام.

لم أدون شيئاً منذ أربعة أيام. بالأمس تحديداً مررت بحالة كئيبة للغاية. أشعر بأن كل شيء من حولي صار مزعجاً على نحو ثقيل الوطأة. أقول لنفسي: إنني في الحقيقة أبحث عما هو مزعج، بل إنني في حالة تقبل لكل ما هو كذلك دون أي تحصين لنفسي. لم أستطع مغالبة هذا الشعور بأي طريقة. جرّبت كل شيء؛ الصلاة وإدراك مدى سوئي، ولكن بلا جدوى. لا تصل الصلاة إلى أعماق وعيي ولا حتى إدراك وعيي بقوة. كذلك وعيي بضالتي ودناءتي لا يجديان نفعا. الأمر لا يتعلق برغبتني في شيء بعينه، لكن شعوري بعدم الرضى عن شيء ما هو الذي يعذبني، ولا أعرف ما هذا الشيء. يبدو أنها الحياة... يبدو أنني أريد أن أموت. انقضت هذه الحالة قبالة المساء وتحولت إلى شعور بالوحدة الشديدة واحتياج ملح للحنان والعطف. أردت أنا الشيخ أن أعود طفلاً، أعانق كائنًا محبًا، وأشكو له ويداعبني ويواسيني. ولكن من هذا الكائن الذي يمكنني أن أستكين بين يديه وأبكي وأشكو له حالي؟ ليس هناك من هو كذلك بين الأحياء. ما حقيقة هذا الشعور إذن؟ أهو شيطان الأنانية القديم ولكن في صورة جديدة مأكرة، يريد أن يخدعني ويستولي عليّ؟ لقد بين لي شعوري الأخير هذا حقيقة حالتي الكئيبة السالفة. إنه مجرد اختفاء مؤقت عابر لحياتي الروحية ورغبة الأنانية في التأكيد على حقها، بعد أن استيقظت ولم تجد طعاماً لها فتحولت إلى حالة من الكآبة. ثمة وسيلة واحدة للتغلب على ذلك: خدمة أي شخص بأبسط الطرق واستغلال أول فرصة للعمل من أجل شخص ما.

قرأت بعضاً من مذكرات أشينبرينير عن شليسلبورج^(١٦٥). تكشف المذكرات بوضوح عن أن الحياة في حد ذاتها، وحدود الحرية الخارجية، مهما بدت للبعض ضيقة وللبعض الآخر واسعة، محايدة بعض الشيء، بل محايدة تماماً.

١٨ مارس.

استمر سوء حالتي الصحية: ضعف وخمول، وحالتي الروحية اليوم سيئة. لم أغضب إثر جدالي الذي أنهيته لتوي مع تانيا. استيقظت اليوم في حالة مزاجية رائعة، أفسدتها تلك العجوز الحمقاء التي حكت لي عن رؤاها وذكرياتها وعن أنهم يكرهونني ويسبونني في محطة كوزلوفكا^(١٦٦). الأمر الذي يدعو إلى الخزي هو أن ذلك أحزنني بشدة وبعث في نفسي الكآبة. قرأت «دورة قراءات» الخاصة بيوم ١٨ مارس حول الموضوع ذاته. نعم، عليّ أن أشكر الله على اختباره لي، فحياتي فيه. أشعر طوال الوقت بضعف أناي. لا يسعني أن أواسي نفسي سوى بالقول أن هذا أمر يحدث أحياناً لا دائماً. جاء فيلتيين^(١٦٧). أشعر بالضيق أكثر من السرور من انتشار أعمالي. أجريت بعض التعديلات على «الحكومة والثوار والشعب». دَوَّنت بعض الأفكار، وأظن أنها مهمة

(١٦٥) ميخائيل أشينبرينير هو أحد أعضاء منظمة «الإرادة الشعبية» وإحدى الدوائر الثورية المسلحة. تم القبض عليه وحُكم عليه بالإعدام وسجنه في سجن بمدينة شليسلبورج.

(١٦٦) أقرب محطة إلى ياسنایا بوليانا.

(١٦٧) واجه تولستوي صعوبة في نشر مقالته «الحكومة والثوار والشعب»، فقد أراد أكثر من ناشر إجراء تغييرات عليها، ولم يوافق تولستوي، ثم وافق فيلتيين على نشرها وسافر إلى تولستوي ليناقشه في تعديل بعض العبارات وتخفيف حدتها قليلاً. وافق تولستوي.

للغاية. لا أقوى على نقلها الآن في دفتر اليوميات. الأفضل أن أترك الأمر للغد إن كُتِب لي عمر.

١٩ مارس.

لا أزال في حالة سيئة ثقيلة الوطأة. أناضلها. يبدو أنني قهرت شعوري بالضغينة واللوم صوب الناس، لكنني لا أزال أشعر بالخمول. لا أستطيع العمل. خرجت بالأمس على متن الجواد، وانشغلت طوال الوقت بمجادلة نفسي. يقول إنسان ضعيف دنس جسدي أنا: «كل شيء فاسد»، بينما يقول إنسان روعي: «أنت تكذب. كل شيء رائع. ما تصفه بالفساد هو بمثابة حجر الشحذ الذي من دونه يصيب الصداً أعلى ما فيك». أكدت على ذلك لنفسي بشدة حتى اقتنعت فعلاً في النهاية وعدت إلى المنزل في أفضل حالة مزاجية ممكنة.

خاب أمني أيضاً؛ لأنني سلكت بشكل سيئ وأذنبت مع ذلك الاشتراكي الديموقراطي وتانيا، وأجبت نفسي بنجاح قائلاً إنني لم أتعهد بأن أكون بلا خطية، فمن المستحيل أن أكون بلا خطية، لكنني تعهدت - وعليّ أن أتعهد دوماً - بالتخلص من الخطية، وقد هدأني ذلك. يعود الجميع صوب ما هو قديم، وما عرفوه منذ زمن طويل؛ إلى فكرة أن الأمر كله يعتمد عليك على حد تعبير سوتاييف وإلى عيش الحياة كاملاً في الحاضر. ما إن تفكر فيما هو خارجك وفي النتائج المحتملة أو في الماضي حتى تسقط.

آه لو لا يقتصر الأمر على تذكر حياتي الداخلية مع الله، بل العيش بها فعلاً! حينها لن يحزنني شيء أبداً وسأشعر بفرح دائم. ولكن العيش

وفقاً للحياة الداخلية من أجل الوفاء بمتطلباتها كان أمراً ضرورياً ولازماً، تماماً كضرورة الوفاء بمتطلبات الجسد (الجوع). «طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يوحنا ٤ : ٣٤). إنها عبارة عظيمة، حيث توضح أن العمل الروحي ضروري فعلاً كالطعام للجسد. عليّ تدوين بعض الأفكار:

١ - فكرت في أنني ربما أكتب يومياتي من أجل الناس لا من أجلي أنا؛ أكتبها في الأساس لأجل أولئك الذين سيعيشون جسدياً في الوقت الذي لن أكون فيه حياً جسدياً، وأنه لا يوجد ما هو سيئ في ذلك. أظن أن هذا هو المطلوب مني. ولكن ماذا إن احترقت هذه اليوميات؟ وماذا في ذلك؟ ربما هي نافعة للآخرين، لكن بالنسبة لي الأمر لا يقتصر على نفعها لي، بل إنها أنا... هي التي تجلب لي خيري.

٢ - ليس العلم إلا مجموعة من الملاحظات المصنفة. السؤال هنا بخصوص طبيعة هذه الملاحظات. بالإضافة إلى التمييز بين الملاحظات التي نحتاج إليها والتي لا نحتاج إليها، المهمة والتافهة، ثمة اختلاف رئيس بين الملاحظات: ثمة ملاحظات عن ظواهر مادية وأخرى عن ظواهر روحية. تتعلق الأولى بظواهر تكشف لنا عن وجود ما هو موجود، أما الثانية فترشدنا في الحياة وترينا عاقبة كل مجموعة مختلفة من السلوكيات.

صياغة سيئة تماماً رغم أن الفكرة كانت واضحة في ذهني.

٣ - تذكرت ما رواه لي شخص أكتع عن أنه لا يستطيع النوم طالما لم يضعوا له في قبضته أصابع خيالية، بدلاً من تلك التي كانت لذراعه

المفقودة، وأن كافة جهوده الشخصية فشلت في تغيير ذلك. هل الأمر كذلك عندما نكون في حالة روحية سيئة، وليس بإمكاننا سوى أن نتنظر بصبر حتى يعود الروح لهدوئها؟ نعم ولا. لا يمكنني إجبار نفسي على العمل روحياً، لكن بإمكانني تمامًا أن أشعر بالرضى عن وضعي.

٤ - كما أن الصلاة الحقيقية هي حالة وحدة مع الله، كذلك النشاط الحقيقي لا يعرف دافعه سوى الله، أي أنه يتم من أجل الله وحده.

٥ - بدت لي هذه الفكرة مهمة جدًا:

أتذكر أن نيكولاي نيكولايفيتش ستراخوف أراني كتابًا ماديًا يفسر الحياة الروحية للخلايا، حيث قدم الذكريات المفهومة - لعدم وجود تفسير كافٍ - كأبسط الظواهر وأكثرها قابلية للفهم. أذكر كيف اندهشت بشدة من طريقة معالجة أعصى الموضوعات على التفسير بهذه البساطة، أما الآن فقد فهمت تمامًا طبيعة الذاكرة والذكريات.

الذاكرة والقدرة على التذكر هي بمثابة ظواهر غامضة بالنسبة لنا، يمكنها تفسير كل شيء، لكن لا شيء لا زمني تمامًا يلائمنا بإمكانه أن يفسرها أو يمكننا أن نعرف من خلاله ما نعرفه، أو نعيش حياة روحية بسببه أو نتيجة له، أو ندرك أنفسنا والعالم نتيجة له. إننا نتذكر داخل نطاق الزمن، لكننا بفضل الذكريات نمارس الإدراك خارج إطار الزمن. لقد عرفت نفسي ساعة بعد ساعة داخل إطار الزمن، لكنني أعرف نفسي الآن تمامًا بمعزل عن الزمن؛ أعرف نفسي طفلًا، صبيًا، شابًا، زوجًا، شيخًا، هرمًا... أدرك كل هذه الشخصيات في شخصية واحدة. هكذا أدرك أيضًا روسيا وفرنسا... إلخ، والجنس البشري والعالم كله بكل ما أعرفه من

التغييرات التي تطرأ عليه. ما نسميه عقلاً ليس إلا ذكرى مختصرة مركزة، أو ما ينتج عنها. صحيح أن بإمكاننا أن نميز في النشاط العقلي بين القدرة على التذكر ونتائجها، ولكن بشكل عام، القاعدة والعقل والحياة الروحية كلها هي القدرة على التذكر.

صياغة غير كاملة.

٧- بينما كنت أفكر في القدرة على التذكر، خطر على ذهني الآتي:

تعاقب أحداث الحياة المادية: المرض - الموت - الزواج - الحصاد - فشل الحصاد - نجاح مشروع أو فشله... خارج عن إرادتي. أما الذكريات التي تنتج عنها أناني الروحية فهي داخل نطاق سلطاني تمامًا؛ بإمكانني تغييرها وزخرفتها وتقديم واحدة وتأخير أخرى كما أشاء.

٨- كنت في حالة روحية سيئة. أشعر بالحزن، وعدم الرضى والغضب. يمكنني التغلب على ذلك، وبدلاً من الضيق يشعر قلبي بالحزن، وهذا ما لا أستطيع مغالبتة. يمكنني فعل شيء واحد: أن أجعل حزني بحسب الله.

٩- عندما تكون في حالة ذهنية جيدة ومرحة، وتتوجه لله، تدركه وتشعر به في كامل عظمته إلى حد أنك تستطيع أن ترى فيه قانون وجوهر الحياة. ولكن عندما تكون في حالة ضعف روحي وذهني ترى وتشعر أن الله ليس هو الكائن الكبير البعيد، بل صغير وقريب، وبإمكانك أن تصلي له ببساطة قائلاً: عفوك يا سيدي! هو هذا وذاك، وبإمكانك أن تتوجه إليه بالطريقتين.

١٠- أن تدرك الله يعني أن تدرك حدودك. الحد هو المدى، وأنا في مركزه. يرى العقل الكبير ويشعر بهذا المدى المحدود عبر مجموعة من أنصاف الأقطار. بغض النظر عن ضعف العقل، لكنه إن بحث عن الله في أي مكان عبر أي نصف قطر، سيتمكن من الشعور بمجاله الأسمى وعلاقته به. فلنفترض أنه تصور هذا الحد الملائم له في شكل شخصية بشرية أو برق أو رعد؛ إن شعر بعلاقته بهذا المجال، فهو يعرف الله، ويكون بذلك قد تنوّر. إن لم يعرف نقطة واحدة في المجال الأسمى من حوله ولم يشعر بعلاقته به، ودرس المجال الأقرب له بدقة (العلم)، فرغم كل ذلك سيكون إنساناً جاهلاً.

١١- يبدو لي أن العالم يتحرك. إن تحرّيت الصرامة في استنتاجاتي، سأرى أن العالم لا يتحرك، وأني لا أدركه فجأة. العالم لا يتحرك أو يظهر مصادفة (الداروينية)، إنه موجود. يبدو لي وحسب أنه كذلك، كما أن ما يبدو لي من انقلابات جيولوجية وفضائية ليست كذلك... إنها تبدو لي كذلك وحسب بسبب طبيعة تكوين عقلي، لكن ذلك ليس حقيقياً.

٢ إبريل.

اليوم عيد القيامة. شعرت أنني في حالة سيئة على مدار الأسبوعين الأخيرين. لم أكتب شيئاً تقريباً. ضعف وكآبة جسديان. لكن الغريب أنه إبان تلك اللحظات البسيطة التي نعمت فيها بتفكير واضح، كانت أفكارى أكثر وضوحاً وعمقاً من الفترات التي نعمت فيها بنشاط عقلي متواصل. يخطر على ذهني تلقائياً أن الحياة تنكشف لنا بشكل منتظم أياً كانت حالتنا. إن بدا لي أن الحياة ثابتة في داخلي، فهي ليست كذلك،

لكنها تتقدم بشكل غير ملحوظ، ثم تنكشف على نحو أقوى بقدر ما توارى تقدمها عني. سواء كان ذلك صحيحًا أم لا، سأكتشف ذلك من خلال ما دونته هنا. أفكار للتدوين:

١ - في الفترة الأخيرة اتضح لي تمامًا أن نمط الحياة الزراعية ليس مجرد أحد أنماط الحياة، كما أن الإنجيل ليس مجرد أحد الكتب. الحياة الزراعية هي الحياة ذاتها؛ الحياة الإنسانية الوحيدة التي يمكن أن تتجلى فيها أسمى السمات الإنسانية. الخطأ الرئيس في تنظيم المجتمعات الإنسانية، والذي من شأنه أن يبعد أي إمكانية لتنظيم عقلاني للحياة، هو أن الناس يريدون تنظيم المجتمع من دون حياة زراعية، أو بشكل تكون فيه الحياة الزراعية مجرد شكل من أشكال الحياة وأكثرها لا أهمية. كم أنت محق يا بونداريف^(١٦٨)!

٢ - أمر غريب! ما إن تحكي للناس وتكشف لهم بدرجة ما عن الخير الذي تشعر به أو تفعله أو تريد فعله، حتى تجد الفرح والقوة الداخلية الذين منحك إياهم وعيك بهذا الخير قد تلاشيا تمامًا، تمامًا كما يتصاعد البخار من محرك بخاري! إن فعلت شيئًا من أجل الله، فليكن من أجله وحده. احفظ شرك مع الله وسيعينك، أما إن ثرثت عنه مع الناس، سيتلاشى، وكأن الله يقول لك: «لقد أخبرت الناس به... حسنًا، انتظر عونهم إذن».

٣ - أريد أن أكتب قصة بعنوان «الحلم» عن هذا الموضوع: إنسان يحلم بأنه يُحاسب بعد الموت، ويزنون أفعاله على الميزان. ينتظر أن

(١٦٨) إشارة إلى كتاب بونداريف "العمل الشاق والحياة على حساب الآخرين" وإيمانه بالسيادة الأخلاقية للعمل الزراعي.

يضعوا على الميزان ما قام به من أجل الشعب وإحسانه وأعماله العلمية وفضائل أسرته. يجلبونها ويمضون بها بعيداً ولا يضعونها على الميزان، أو ربما يصبح لها تأثير معاكس فترفع الكفة. لقد قام بكل ذلك من أجل مديح الناس. وفجأة يجلبون شيئاً كان قد نساه: كيف قمع الغضب بداخله إبان جدال، أو كيف ناول طفلة دميتها التي سقطت منها... ربما عليّ التفكير فيها بشكل أفضل. يجلبون كل ما نساه الناس ولم يقدروه. يمكنني أيضاً أن أجري مقارنة بين اثنين من المجاذيب^(١٦٩): الأول يعترف به الناس، وهو مجذوب محترف امتهن ذلك تقريباً، بينما الآخر يسلك بهذه الطريقة تلقائياً دون قصد، ولا يعرفه أحد. الأول لا يُرضي الله، بينما يَرْضَى الله عن الثاني^(١٧٠).

٤ - أظن أنني كتبت ذلك سابقاً، لكن خطرت فكرة على ذهني بوضوح شديد بخصوص طبيعة الزمن. لم أكن لأعرف نفسي ولا العالم لو لم ينكشف كل منهما لي بشكل متساوٍ. يتمثل لي هذا الانكشاف بالحياة داخل نطاق الزمن. تتمثل لي أقرب حدودي بالمادة داخل نطاق المكان. لو كنت أنا المادة الوحيدة بالمكان لما كانت الحركة ولا ما نسميها «الحياة». تنكشف لي باستمرار هذه المادة الموجودة داخل حدود المكان، منذ لحظة الميلاد وحتى الموت. جسدي هو الذي يمثل المادة داخل حدود المكان، وحياتي تمثل الحركة داخل إطار الزمن.

(١٦٩) الكلمة الروسية: юридический تشير إلى إنسان أحمق يعتقد البعض أنه يحوز قوة إلهية. رأيت أن كلمة مجذوب هي أقرب كلمة إلى هذا المفهوم.

(١٧٠) لم تتم هذه الفكرة.

تنكشف لي أناي والعالم معًا. قبل سبعين عامًا كنت طفلًا، وكان العالم في ثلاثينيات القرن، ثم استمر انكشافي لنفسي وانكشاف العالم لي في كل لحظة من حياتي.

٥- أنا محض علاقة معينة بالكائنات المحدودة بدرجة قد تزيد أو تقل عن محدوديتي. فكرت في ذلك في ظرف ما. اليوم عيد القيامة، وقد سمعت أجراس الكنيسة. تذكرت كيف قرعوا هذه الأجراس في العيد منذ خمسين عامًا. الأحداث الذين قرعوها حينها أصبحوا الآن شيوًا أو ماتوا. من يقرع الأجراس الآن؟ الشباب مجددًا كما كان الوضع حينها. مات الملك، يحيا الملك! (بالفرنسية في الأصل). يُستبدل بالموتى شباب، والفريقان متشابهان، وإن لم يكن تمامًا: ثمة تغييرات تحدث فيهم جميعًا كما تحدث في من الصبا إلى الشباب وحتى الشيخوخة. ولكن هؤلاء الذين يقرعون الأجراس لا يمثلون الناس جميعًا. في إيطاليا وإسبانيا وتركيا والصين استُبدل كذلك بالخمسينيين شباب جدد، طرأت عليهم كذلك تغييرات مثل التي طرأت عليّ. لكن هذا لا يتضمن كل شيء، فثمة تغييرات تحدث كذلك في الوحوش والنباتات والأنهار والجبال وكوكب الأرض والشمس والكلب الأكبر^(١٧١) وفي كل شيء. أنا نقطة وسط كل ذلك، تُدرك ذاتها وتنكشف لها الحياة ذاتها. أدرك التغييرات التي تطرأ عليّ وأدرك نموي، لكني لا أدرك التغييرات التي تحدث في الشعب والعالم خارج كياني (يمكنني فقط أن أعرفها). لا أعرف أيضًا التغييرات التي تطرأ على خلايا جسدي وعلى البروتوبلازما فيها.

(١٧١) عملاق أحمر فائق، وهو من أكبر النجوم المعروفة.

٦- كل ما يمكنني فعله هو أنني فهمت أن وضعي في العالم هو الخضوع للقانون الذي انكشف لي ولجوهرى الروحي؛ أن أسبح مع التيار ولا أنحرف عنه ولا أتشبث بأي شيء يقاوم التيار. يا لهذه الخيلاء المجنونة التي يتسم بها أولئك الذين يريدون ابتداء الحياة أو فعل شيء لها! كل ما يمكن للإنسان أن يفعله هو أن يُخضع نفسه لإرادة الله وحسب؛ للقانون.

٧- في البداية يبدو ما لدينا قليلاً جداً أمام خيالاتنا. لكن إن نحننا عنا تصوراتنا الزائفة عن الأوضاع التي لا تلائمنا، سيصعب على الإنسان أن يرغب في شيء أكثر مما وُهب إياه. يمكن للإنسان أن يجد خيره في دمج وعيه بإرادة الله، وفي الآن ذاته عندما يتم هذا الدمج، لا يمكن للإنسان إلا أن يشعر أن هذا الدمج لا يؤثر عليه وحسب، بل إن تأثيره إلهي لا نهائي، ويشعر الإنسان أنه قد أصبح هو الله (أنتم آلهة)^(١٧٢). صياغة غير واضحة. أريد أن أقول إن الإنسان بدمجه إرادته بإرادة الله يُعين كافة الكائنات في العالم لا نفسه وحده. (صياغة سيئة).

٨- تُفزعني دائماً هذه الخيلاء الداخلية التي يشعر كل إنسان بمشروعيتها وثقته في استقامته. ثمة درجة من المشروعية في هذا الوعي الفخور للإنسان باستقامته. الإنسان، من حيث إنه كائن يسكن الله بداخله، لا بد أن يكون صائباً. المصيبة هو أن مبعوث القيصر العظيم لا يستخدم صلاحياته من أجل العمل الموكل إليه، بل من أجل نزواته ولهوه وتفاهات أخرى شخصية.

(١٧٢) أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعِلْيَ كُلُّكُمْ. مزمو ٨٢: ٦.

٩- أكثر أنواع المعرفة تقلقلًا وقدرة على تضليل صاحبها هي تلك المؤسسة على الملاحظة والخبرة.

١٠- عندما أرى كائنًا في مرحلة مررت بها سابقًا؛ الأطفال مثلاً، أستطيع أن أفهمهم لأنني أتذكر نفسي عندما كنت في هذه المرحلة. بالمثل عندما أرى كائنات كنت مثلها يومًا ما خارج إطار حياتي الحالية أو كائنات مثلي لكنها بعيدة عني كالقروود والوحوش والحشرات والنباتات والأحجار والأرض، يمكنني أن أفهمها أيضًا، وإن كان ذلك بدرجة أقل من فهمي للأطفال.

١١- ثمة أحداث مررت بها في حياتي نسيتهما تمامًا إلى حد أنني لم أعد قادرًا على استدعائها إلى ذاكرتي. ماذا يعني ذلك؟ هذا يعني أن ثمة فجوات في انكشاف العالم لي داخل إطار الزمن. ألاحظ أغلب ما ينكشف لي، ولكن ثمة فجوات صغيرة. أما انكشاف العالم دون أي فجوات فيعني انكشافه خارج إطار الزمن؛ أن يكون كائنًا وحسب.

صياغة غير واضحة بتاتًا.

١٢- شعرية الشعائر الكنسية: تنهد الشعائر الكنسية عندما تُعْلَمُنْ هذه الشعرية أي تصبح دنيوية. أمر قاسٍ أن تنزع عن الشعائر الكنسية شعريتها دون أن يستبدلها شيء.

١٣- السلام هو الخير المادي الأقصى الذي يمكن لمجتمع ما أن يحققه، كما أن الصحة هي الخير المادي الأقصى للفرد. هذا ما افترضه الناس دائمًا. السلام غير ممكن إلا للعاملين بالأرض، فهم وحدهم من يطعمون أنفسهم بعملهم المباشر. أما سكان المدن فلا بد أن يطعمهم

أحد لا محالة. ظهرت فكرة الدولة وسط سكان المدن، وهي فكرة ممكنة لهم بل وضرورية. أما بالنسبة لسكان القرى فهي فكرة غير ضرورية، بل ومهلكة.

١٤ - تحيا الشعوب جميعاً حياة واحدة. يقتات الأكثر قسوة وتجرداً من الإنسانية وتبطلًا على العنف والحرب، بينما الأكثر رقة وتواضعاً وحباً للعمل يفضلون الاحتمال. التاريخ هو قصة أولئك المحبين للعنف والصراع ضدهم.

١٥ - لماذا أختبر شعوراً بالرءاء جديداً غريباً مشوشاً تماماً عندما أطفئ الشمعة وأستلقي على الفراش؟ لا شيء يؤلمني، وأشعر بكل شيء دافئاً صامتاً هادئاً. أشعر حينها بالبهجة والسعادة وبدرجة هائلة من محبتي للحياة دون نفور من الموت... ما سبب ذلك؟

١٦ - ليتني أكتب قصة عن ناشط سياسي، وكيف أنه بعدما قضى عشرين أو ثلاثين عاماً في العمل في اتجاه واحد ووصل إلى هدفه تذكر فجأة أن لديه روحاً كان عليه أن يخدمها، لكنه أهملها، فتقلصت وأغلظت ولم تعد تُقدم أي مسرة أو حتى تستجيب لها. (ربما يمرض أو يُسجن) (١٧٣).

١٧ - يكتبون في الكتب بشعور بالأهمية الشديدة أن علينا واجبات كما أن لدينا حقوقاً. كم يعبر هذا عن جرأة وقحة! إن هذا كذب. على الإنسان واجبات وحسب.

(١٧٣) لم يكتب تولستوي هذه القصة.

١٨ - يتحدثون ويتجادلون عن نظام هنري جورج^(١٧٤). ما هو ثمين هنا ليس نظام هنري جورج في حد ذاته - رغم أنني لا أعرف نظامًا أفضل منه، ليس ذلك وحسب بل ولا أتخيل حتى واحدًا أفضل منه - ولكن ما هو ثمين هنا هو أن هذا النظام يؤسس لعلاقة عالمية متعادلة بين الناس جميعًا تجاه الأرض. فلنجد نظامًا أفضل إن استطعنا.

١٧ إبريل.

عليّ أن أكرر ما كتبت في ٢ إبريل. شعرت ثانية بأني في حالة جسدية سيئة، وأيضًا لم أشعر أني في حالة روحية سيئة رغم مرور وقت طويل من دون حياة. أنا منهمك طوال الوقت في «طريقان»^(١٧٥) لكنني أتقدم فيها على نحو سيئ. بالرغم من ذلك تنجلي لي أهمية الموضوع أكثر فأكثر وتجذب انتباهي إليه. راجعت عدة أسابيع من «دورة قراءات». كتبت بضعة خطابات. وصلني اليوم من تريجوبوف خطاب بشأن الاضطهاد الناجم عن رفض الخدمة العسكرية. عليّ أن أرسله بنفسه وأضيف إليه شيئًا. لديّ الكثير لأدونه، لكنه يبدو لي غير مهم:

١ - لا يؤدي المبحلون من الناس: القياصرة والأبطال، أفعال الناس الطبيعية، فيستحيل عليهم أن يمرحوا مثلاً. يؤدي ذلك إلى تناقض مريع منفر: إليزابيث في طريقها إلى دير الثالوث الأقدس أو كاثرينا^(١٧٦)...

(١٧٤) قدّم هنري جورج تصورًا لحل مشكلة ملكية الأرض. راجع حاشية رقم ٩٤.

(١٧٥) مقالة نُشرت باسم (مغزى الثورة الروسية).

(١٧٦) يشير إلى نذر إليزابيث (يليزافيتا) إمبراطورة روسيا من ١٧٤١ - ١٧٦٢ بالحج إلى دير الثالوث المقدس ذهابًا على الأقدام من موسكو برفقة محبيها.

٢- تركت الشعوب الغربية نمط حياتها الزراعية، وينشد الجميع السيطرة والتسلط. ليس بإمكانهم ممارسة ذلك على أنفسهم، وبالتالي يبحثون عن المستعمرات والأسواق.

٣- لا يمكن للجميع أن يحيوا حياة عقلانية أخلاقية إلا داخل إطار الحياة الزراعية، فالزراعة تعلم الإنسان أن يميز بين ما هو مهم وما هو غير مهم. إنها ترشد الناس إلى الحياة العقلانية. على المرء أن يكون على اتصال بالأرض.

٤- العاطفة الرقيقة والبهجة اللتان نختبرهما إثر تأملنا في الطبيعة هي ذكرى عن هذا الزمن الذي كنا فيه حيوانات وأشجارًا وأزهارًا وأراضي. بمعنى أدق: هي وعي بوحدتنا بكل شيء؛ تلك الوحدة التي حجبها عنا الزمن.

٢٥ إبريل.

استمر سوء حالتي الصحية طويلاً، لكنني لا أشكو من ذلك، فقد تواصل مسار أفكاري وتطور وعيي. لم تكن لديّ قوة انتباه كافية تمكنني من الكتابة، ولم تكن حتى هناك حاجة لذلك، فما كتبته كان كافياً، لكن في لحظات خاطفة مرت عليّ أفكار تبدو شديدة الأهمية، أو على الأقل بدت كذلك بعد توقف طويل عن العمل. هذا يعني أن سوء الحالة الصحية لا يضر إذن بالحياة الروحية. بدأت أعود نفسي على ألا أرزح تحت كاهل سوء حالتي الصحية، لكنني لم أصل بعد إلى مرحلة ضرورية لي؛ أن أبتهج بسوء حالتي الصحية كما يبتهج المرء بالحياة بشكل عام.

جسديًا، أنا أفضل حالًا، لكنني لم أُمَرَّ قبلاً بحالة ضعف روحي كنتك التي أمر بها الآن. قرأت في الصحف عن الاستقبال الذي حظى به جوركي في أمريكا، وقبضت على نفسي متلبسًا بشعور بالغضب^(١٧٧). قرأت استنتاجات فيليكانوف ونقده لأعمالي وشعرت بالضيق. ثم وصلتني مقالة مطبوعة عن استدعائي القوزاق إلى ياسنايا بوليانا، وآلمتني بشدة^(١٧٨). لكن من الجيد أنني أشعر بأن هذا الضعف الروحي غريب عني. في هذه الفترة راجعت على نحو سيئ «ما الجدوى من ذلك؟» وتفحصت بروفة الطباعة الخاصة بـ «دورة قراءات» على نحو سيئ كذلك. سواء كان صحيحًا أن أفكارني إبان مرضي ستعوضني عن غياب العمل أم لا عليّ أن أدونها:

١ - يقول إبيكتيتوس (فيلسوف رواقى روماني): «لا تصب غضبك على أعمى لأنه لا يرى». لكن يصعب ألا تغضب عندما يكون الأعمى متيقنًا من أنه يرى وأنت أنت هو الأعمى، ويجذبك صوب حفرة. عليك ألا تسير خلفه، ولكن يظل عليك ألا تغضب.

٢ - كتبت ذلك من قبل: لماذا يحوز كل إنسان هذه الثقة العنيدة في نفسه؟ لأن بإمكانه أن يكون صائبًا تمامًا عندما يعيش بطبيعته الإلهية، لكنه ينقل هذا الشعور بالصواب الناتج عن طبيعته الإلهية إلى شخصيته الحيوانية.

(١٧٧) سافر جوركي إلى أمريكا بصحبة م. ف أندرييفا، وعندما علموا هناك أنهما غير متزوجين حظيا باستقبال سيئ من بعض الصحف الأمريكية والشخصيات العامة هناك.

(١٧٨) اتهموا تولستوي باستدعائه للقوزاق كي يتمكنوا من إيقاف سرقات الفلاحين لأشجار داخل ملكية تولستوي، الأمر الذي أنكره تولستوي تمامًا حيث صرح أنه غير مسؤول تمامًا عن هذه الأملاك وأن زوجته وأسرته هم المسؤولون عن هذه الأملاك وعن استدعاء القوزاق.

٣- يظهر التشبث الشديد بالثقة في النفس لدى نوعين متناقضين: الذين يعيشون حياة حيوانية تمامًا، والقديسين.

٤- في البداية كتبت الآتي: لا يمكننا أن نرى العالم كما هو بسبب ضعف قدراتنا المعرفية، لكننا نرى ما ينكشف لنا منه وحسب إطار الزمن، ويبدو لنا أننا نعيش داخل إطار الزمن. (صياغة جيدة).

٥- كل شيء موجود فعلاً وليس بإمكانني تغيير شيء. يمكنني فعل شيء واحد: أن أتحد بإرادة الله (بالفرنسية في الأصل). لكن سواء تصرفت بهذه الطريقة أو تلك، لن يتغير العالم. سيكون ما يجب أن يكون، وما يبدو لي متغيراً ليس كذلك بالنسبة للعالم والله. كل ما يمكنني فعله هو أن أنال خيري الذي وُهبَت إياه باتحادي بإرادة الله أو أن أحرم نفسي منه.

٦- يسأل الإنسان: هل سأكون موجوداً في المستقبل؟ اتحد بإرادة الله ولن تسأل مثل هذا السؤال؛ لأنه لن يكون ثمة ما هو مستقبلي.

٧- إضافة إلى نقطة رقم ٥: كل شيء موجود فعلاً، لذا لا يمكنني تغيير شيء: لن تتم أي تغييرات أود أن أجريها إلا إن اتسقت مع إرادة الله. كل ما هو غير كذلك لن يحدث. يبدو لي - دخل إطار الزمن - أن ثمة تغييرات ستحدث إن قتلت دوباسوف^(١٧٩) أو كتبت بياناً ما يدعو الناس إلى المسيحية والحياة الصالحة، ولكن لن تحدث أي تغييرات في العالم المادي من منظور التأمل اللا زماني. سواء قُتِل دوباسوف أو

(١٧٩) جنرال بحري تولى إدارة موسكو، وقمع الثورة فيها بعنف في ديسمبر ١٩٠٥. حاوت الحركات الثورية اغتياله ثلاث مرات.

كوباسوف^(١٨٠)، وسواء كتبت بياناً مسيحياً أو لا، لن يتغير شيء؛ لأنه سيُكتب في جميع الأحوال، أو بالأحرى سيدخل في أرواح الناس ما أريد أن أكتبه ويرشدهم. الحكم من منظور زمني وشخصي، آجلاً أم عاجلاً؛ في ظروف زمنية أخرى، لن يغير من جوهر الأمر في شيء.

٨- لم أفهم أبداً على نحو جيد ما يقصده أفلاطون بـ: «المُثل»^(١٨١). لو لم يكن ثمة هذا الانفصال عن الكيان الكلي لما أدركت نفسي يقيناً وكذلك بقية الكائنات المنفصلة هي الأخرى. أبدو لنفسي كياناً متميزاً تماماً، منفصلاً، لكنني أخلط بين بقية البشر في وعيي؛ أقصد هنا ما أدعوه نمطاً أو شخصية. يحدث هذا الخلط في الأحلام حيث أُوحّد بين شخصية معينة وشخصيات أخرى. لذا أخطئ عندما أعتبر نفسي كياناً واحداً مميزاً؛ أحمل في داخلي كائنات روحية عديدة. (صياغة غير واضحة).

٩- نعيش بأثر رجعي. يعني ذلك أن كل ما يبدو لنا واجب الحدوث، وكل ما بدا لنا أنه قد حدث فعلاً، لم يكن ولن يكون، بل هو كائن. كل ما في الأمر أننا نعيش ما هو موجود فعلاً، كما نرى ضوء النجوم الآن؛ لأنه لم يصل إلينا سوى الآن وحسب. نعيش في الزمن ووهبنا وعي بالحياة حتى نتمكن من الاستفادة بخيرنا، هذا إن فكرنا في الأمر من منظور وجود الله كالمعتاد. العالم كله؛ الله، موجود، وتدرك كافة الكائنات فيه الحياة

(١٨٠) مجرد اسم مشابه لدوباسوف.

(١٨١) يعني بها أفلاطون عالم ما قبل العالم الحسي أو المادي، يكون فيه الإنسان على علم بجميع العلوم والخفايا، وعند ذهابه إلى العالم الحسي يكون قد نسي كل هذه العلوم، وما عليه إلا أن يتذكرها في العالم الحسي مما يؤدي إلى تمييز بين الحقيقة والمظاهر.

وتبتهج بها، وذلك بسبب وهم الزمن.

١٠ - يسألون: لِمَ المعاناة؟ علينا أن نسأل: من أين تأتي المعاناة؟

تأتي المعاناة بسبب أن الإنسان يتضمن بداخله: وعيًا بوحدته بالله وكل ما هو موجود - سعيًا صوب الخير؛ الخير الكلي. عندما يصل الإنسان إلى الوعي بوحدته بالكيان الكلي، وفي الآن ذاته ينشد خيره وحده، ينال المعاناة وينتجها بدلًا من الخير. تكشف صنوف المعاناة للإنسان عن أن خيره في خير الجميع، ولا يمكنه أن يصل إلى خير الجميع إلا بالحب.

الحب هو الدمج بين وعي الإنسان بوحدته بالكيان الكلي وسعيه صوب الخير.

١١ - بالأمس راودت ذهني بوضوح فكرة عن طبيعة العدد. العدد

هو مجموعة من الوحدات. وما هي الوحدة؟

تبدو بسيطة للغاية، ورغم ذلك هي واحدة من أعمق المسائل. أظن أن الوحدة هي التحول عن الوعي بالانفصال عن الكيان الكلي. سأفكر في ذلك.

١٢ - اليوم خطرت على ذهني بوضوح فكرة عن أن ميل الناس إلى

نقل السلطة وحق استخدام العنف لآخرين، ليس ميلاً طيباً مسيحياً، لذا فإنه ينتج عنفاً وقتلاً وخطايا أخرى أسوأ من المشاركة في السلطة ذاتها. هذا أمر شديد الأهمية.

١٣ - كتبت سابقاً: «الحركة هي علاقة الكائنات ببعضها داخل

إطار الزمن». أفهم ذلك الآن على النحو الآتي: العالم في كل لحظة من

لحظات الحاضر مختلف عنه في اللحظة الماضية والآتية. هذه التغييرات هي الحركة. (صياغة غير واضحة تمامًا).

١٤ - عليّ القيام بأمرين رئيسين: اللا مبالة بآراء الناس عن سلوكياتي، والعلاقة الطيبة بكافة البشر والكائنات. كلاهما يلتقي في أمر واحد؛ خدمة الله.

١٥ - الثقة المفرطة بالنفس سمة حيوانية، أما الإنسان فيتسم بالتردد والخجل.

١٦ - دَوَّنت ذلك أيضًا سابقًا في نفس الدفتر: يمكن للإنسان أن يسلك بطريقة أو بأخرى؛ بما يتسق مع إرادة الله أو العكس. لكن حياة العالم لا تتغير بحسب ذلك؛ لأن التغيير مرتبط بالزمن، ولا وجود للزمن بالنسبة للعالم. أسلك الآن بما لا يتسق مع إرادة الله وأظن أن هذا سوف يغير في حياة العالم، لكنها لا تتغير، لأنني لم أفعل سوى ما توجب عليّ فعله. إن لم أفعل ذلك، سيفعله ابني أو حفيدي أو حتى ابن حفيدي. (صياغة سيئة).

كتبت كذلك: العالم واحد كما أنني واحد، لذا لا يمكن أن يتغير، فعلاقات التغير تتعلق بالزمن، لكنني أنا والعالم لسنا كذلك. (غير واضح).

لقد صُيِّم العالم بحيث أتمكن من تغييره، وفي الآن ذاته لا يتغير.

١٧ - كلما زادت حداثة المشاركين في السلطة زمنيًا، ازداد فسادهم قوة.

١٨ - أدرك نفسي في هذه الحياة خارج إطار الزمن، بينما أدرك كل شيء آخر بالحركة داخل إطار الزمن، كذلك كنت جنيئاً في حياتي السابقة.

ثمة شيء غير واضح في ما كتبت.

١٩ - ما نفهمه ونسميه «الحركة» هو تغير العلاقات بين أوضاع الكائنات. أنكشفُ لنفسي وينكشف لي العالم. تختلف علاقتي بما حولي في اللحظة الآنية عن علاقتي به بعد لحظة واحدة. يتمثل لي الانتقال من حالة لحالة بالحركة. (غير واضح).

٢٠ - دَوَّنت سابقاً: ما الذي سيحدث إن ازداد الاتحاد تدريجياً؟ سيتوقف وعيي بالحركة. يبدو أن ذلك يحدث مع الموت. يتوقف وعيي بالحركة بقدر ما تتسع الحياة. سأكون في الله. أفهم ما أريد قوله (بالفرنسية في الأصل).

٢١ - لا زمان أو شخصية في الأحلام، وثمة توحد بين ما هو قبل وما هو بعد، ويمكن أن تتوحد شخصيتان في شخصية واحدة.

٢٢ - بالإضافة إلى وعي الإنسان بحياته لديه وعي أسمى وقدرة على سؤال نفسه: هل ما أفعله هو صالح حقاً؟ لدى الإنسان إذن مقياس للحق والصالح، لذا فهو يتضمن بداخله الحق والصالح ذاتهما.

٢٣ - الثقة الحقيقية بالنفس هي التي تظهر عندما يدمج الإنسان حياته بالحق والفضيلة، أما الزائفة فتظهر عندما يعتبر أن حياته بأكملها - مهما كانت - حقيقية وصالحة. (هراء).

٢٤- حلمت أنني أطرد ابني، وقد دمجت في هذا الابن شخصيات إيليا وأندريه وسيريوجا. لم يغادر. شعرت بالخزي من استخدامي للعنف، وكذلك لأنني لم أُنَمِّ الأمر. هنا يحضر ستاخوفيتش فأشعر بالخجل. فجأةً يبدأ ابني - هذه الشخصية المُجمَّعة - في إزاحتي عن مقعدي الجالس عليه بمؤخرته. أتحمّل الأمر طويلاً ثم أقفز من على المقعد وألّوح به مهدداً في وجهه. يركض هرباً مني. أشعر بمزيد من الخزي. أعرف أنه لم يفعل ذلك عمداً. رحل ابني عن المشهد. تصل تانيا إلى الردهة الداخلية وتقول لي إنني غير محق فيما فعلت، وتضيف كذلك أنها بدأت تغار من زوجها. سيكولوجية الحلم صحيحة بأكملها تماماً رغم عدم وجود زمن أو مكان أو شخصية.

٢٥- إن أردت أن تحظى بمزيد من الاهتمام والمجد، فهذا يعني أنك لا تحيا حياة روحية. ليس ثمة أكبر وأصغر في الحياة الروحية. ثمة وحدة بالله وحسب، تستبعد أي مجال للأكبر أو الأصغر، فمفهوم الأكبر والأصغر يتعلق بالنتيجة وحسب، والنتائج لا يمكن تعريفها.

٢٦- ثمة إله غير مدرك وغير منقسم، ندركه - أنا وكافة الكائنات - جزئياً، ونتمتع بخير إدراكه أي أننا نحيا.

٢٧- وظيفة الإنسان أن يخدم الله؛ العالم. ما إن يبدأ الإنسان في خدمة نفسه حتى يُفسد حياته تماماً. عندما يُفسد حياته يبدأ في خدمة المجتمع حتى يتحسن حاله، فيزداد إفساداً لنفسه. عليه بخدمة الله في نفسه، أو خدمة نفسه في الله.

٢٨- دَوَّنت ذلك قبلاً: تبدو لي لا نهائية الزمان والمكان، لكن لا

وجود لهما في الحقيقة. وُهِبَت خيراً بقدرتي على العيش بأثر رجعي وإدراك قوة الله في داخلي.

بالموت أنتقل إلى إطار آخر أسمى وأوسع وأكثر ثباتاً، وأتوحد بجوهر الكيان الكلي، وأدرك حياتي؛ النيرفانا الثابتة. الموت هو بمثابة إيقاف لمحدوديّتي. أنا في العشب والفيل والشمس... في كل شيء، إلا إن أصبحت محدوداً مجدداً.

لا يمكنني التفكير في الزمن بشكل آخر.

٢٩- أسعى صوب الخير. ينبغي أن أسعى صوب خير الجميع؛ ذلك الخير الذي لا يمكن الوصول إليه سوى بالحب.

٢٦ إبريل.

يعارض الثوار رجال السلطة بنفس الحجة التي يستخدمونها ضد أعدائهم ويربون عليها الناس؛ القتل مسموح من أجل الخير العام.

٣٠ إبريل.

أحاول أن أعمل كما كنت بالماضي، لكن قواي تهجرني. هذا رائع. لا أشكو من ذلك، وأشعر فعلاً بالرضى، بل يمكنني حتى أن أقول أنني مسرور بذلك. عملت قليلاً على «طريقان» وأتصور بوضوح كل ما سأكتبه في المقالة، لكن ليست لديّ قوة للكتابة. منذ عدة أيام كنت في حالة حيوية، لكنني اليوم أشعر بالضعف. أفكر على نحو جيد جداً. عليّ تدوين الآتي:

١ - منذ ثلاثمائة عام مضت بدت محاكم التفتيش ضرورية كما يبدو

العنف الآن. وكما حققوا النتائج المرجوة سريعاً بمحاكم التفتيش، هكذا يحققونها الآن بالعنف.

٢- تَسْلُطُ شخص على الآخرين يهلكه هو شخصياً قبل أي شخص آخر. يمثل الثراء هذه السلطة بشكل مباشر، وهو يهلك كذلك أصحابه قبل الآخرين، ويكون الأمر على نحو أسوأ؛ لأن خطية الثراء مستترة.

٣- سؤال: هل الإنسان حر وكان بإمكانه أن يسلك على نحو مغاير؟ يبطل الزمن السؤال. لم يكن الإنسان ليستطيع ذلك؛ لأن الزمن لا يعود للخلف.

ماذا يعني إذن وعي المرء بحريته؟ يعني شيئاً واحداً: أن بإمكانني أن أكشف عن نفسي كما هي فعلاً؛ أي أن أكشف عن أناني الروحية الحقيقية، وأن بإمكانني أن أفعل ذلك حقاً أو لا أفعله.

٣ مايو.

منذ ثلاثة أيام وأنا مريض بشدة بآلام الكبد. فكرت مؤخراً أن هذا بمثابة تحرر لي، وسرعان ما شعرت بالسرور. لم أشعر بأدنى أسف. كل ما أخشاه هي صنوف الآلام الشديدة وما يمكن أن ينتج عنها من إضعاف لقواي الروحية. تفاقمت آلام الكبد منذ عدة أيام وكنت في حالة معنوية سيئة، وهنا ظهر ابنائي سيرجي وإيليا، بكل ما فيهما من ثقة مفرطة في الذات، خاصة الأخير؛ تلك الثقة التي تعادل جهله، ولم أتحمّل ذلك ولم أتحدث معه بصلاح. وفي الوقت الذي ظللت أؤكد فيه لنفسي أنني بحاجة لأمرين: ألا أفكر في آراء الناس، وأن أعاملهم بصلاح، خالفت الأمرين.

شعرت بالألم والخزي طويلاً. اليوم فقط بدأ ألم الندم الحاد يمر بي. أريد أن أنقل هنا ما دونته، وعلاوة على ذلك يحثني ضميري على أن أكتب للشعب عن مفترق الطرق المريع الذي يقف فيه. عليّ تدوين الآتي:

١ - ما أشعر به، وما فعلته، وما توجّب عليّ فعله أم عدم فعله لا يعني أنه كان بإمكانني فعل هذا أم ذاك من الأفعال؛ بل إنني فعلت ما توجب عليّ فعله أو لم أفعله، شاعرًا بعدم الاتساق مع نفسي، أو أنني لم أفعل شيئاً، لكن عرفت نفسي وحسب؛ عرفت من أنا فعلاً، وفي هذه المعرفة تتلخص الحياة بأكملها.

٢ - مفهوم مسؤولية المرء عن أفعاله، والثواب والعقاب هو الوعي بأن الخير الحقيقي يتمثل في خدمة الله، وأن الشر يتلخص في البعد عن هذه الخدمة، لكنه وعي داخل إطار زمني.

٣ - كتبت الآتي سابقاً، لكنني لا أتفق معه الآن: إن افترضت أنه كان بإمكانني ألا أفعل ما فعلته، فهذا لا يشير إلا إلى إمكانية حدوث تغييرات زمنية: الكثير من الاحتماليات المختلفة المتعلقة بي وبالعالم. أنا موجود كما أنا، لكن كان بالإمكان أن يحدث الآتي في الحياة قبل ذلك أو بعد ذلك، والعالم موجود كما هو. كل ما في الأمر أنه داخل إطار الزمن والظروف يمكن أن يحدث فيه هذا أو ذاك قبل أو بعد، طبقاً لعوامل معينة أو غيرها. أما بالنسبة لله، وإن افترضنا وجوده، فهو واحد وثابت أيضاً، كحقل الجاودار لصاحب الأرض: ثمة سنابل ستنمو وأخرى ستذبل عندما يجمع المحصول آجلاً أو عاجلاً، ولكن الأرض نفسها ستبقى كما هي. وإن لم تثمر الأرض هذا العام، ستثمر في العام الذي يليه.

٤- يمكنني أن أُعبر عن فهمي للحياة على النحو الآتي: حياة الإنسان هي كشف تدريجي لنفسه وسط الظواهر المحيطة به والتي تنكشف هي الأخرى له بقدر انكشافه لنفسه.

تتمثل الحركة لنا في علاقة التي تربط بين الظواهر المتكشفة. بدالي ذلك واضحاً سابقاً، لكني غير راضٍ الآن عن الصياغة.

٥- كم يشعر الإنسان بالفرحة حينما يدرك الله بداخله! الحياة في هذا... في هذا وحسب. ستدرك في نفسك كيأناً حراً عاقلاً محباً، وبالتالي مباركاً.

٦- كثيراً ما نخلط في وعينا حب الناس إيانا بحبنا إياهم. لا شيء أكثر تناقضاً منهما، فالحب لا ينشد شيئاً خارج النفس، أما الرغبة في نيل الحب تنشد ما هو خارج النفس ولا ترضى أبداً.

٧- يمكنك أن تنجح في فعل أمور لنفسك وحسب مثل الانغماس في الشهوة والعمل الأناني والكبرياء. لكن جميعها أفعال دنيئة. إن أردت أن تعمل من أجل الناس فيمكنك أن تنخرط في السياسة وعمل الإحسان وإلقاء المواعظ... كل هذا لا يجدي. إن أردت أن تفعل ما يحتاجه الناس حقاً، عليك بما يأمرك به الله، وأترك له أمر النتائج.

٢٢ مايو.

طوال تلك المدة كنت في حالة سيئة ضعيفة. انهيمت طوال الوقت في الكتابة في «طريقان» ومراجعتها، ولم ينجل الأمر تمامًا بعد. كثير من المسرات في الفترة الأخيرة: شيخ من مدينة كولومنا - يهودي رافض

لأداء الخدمة العسكرية، وشاب يُدعى أوفيتسиров في خضم عملية بعثه^(١٨٢). وصلني كذلك بعض الخطابات؛ واحد منها وصلني اليوم من آل ميرونوف من سامارا. أخشى أن يكون تأثير دوبرولوبوف عليهم غير بسيط وغير ثابت^(١٨٣). كما وصلني كذلك خطاب من موريسون دافيدسون وآخر من توكي تومي^(١٨٤).

مرّت عليّ في الفترة الأخيرة لحظات من اليأس الصامت من تأثير الحقيقة على الناس خاصة بالمنزل. أبنائي الذكور جميعًا هنا اليوم، وأشعر بضيق شديد مبعثه عدم طبيعية هذا القُرب التقليدي وفي الوقت ذاته وجود تباعد روحي كبير. أحيانًا - كما هو الأمر اليوم- أريد أن أهرب تمامًا. هراء... إني أدون هذا لأندم على موقعي وحسب. كل هذا حسن وضروري ويمكن أن يجلب السرور. لا يمكنني أن أشفق على أولئك العميان الذين يتصورون أنفسهم مبصرين وينكرون بإصرار أنني أرى. في هذه اللحظة ثقيلة الوطأة فكرت في الآتي ودوّنته:

(١٨٢) فيودور دينيسوفيتش بيكوف: فلاح من كولومنا له وجهات نظر قريبة من وجهات نظر تولستوي. زاره في ياسنايا وأعطاه تولستوي بعض كتبه ودار بينهما حديث طويل - شاب يهودي داعية للسلام - داعية للسلام سيُسجن لاحقًا لتوزيعه أعمال أدبية مناهضة للحرب والإكليروس.

(١٨٣) أحد أوائل الشعراء الرمزيين بروسيا، وقد أثر على الكثيرين بسامارا بحميته الدينية وتفضيله للحياة الزراعية على الحياة في المدن.

(١٨٤) الأول كاتب إنجليزي عن المشاكل الاقتصادية وقد أهدى أحد كتبه إلى تولستوي، أما الآخر: راجع حاشية ١٥٧.

١ - كل ما عليك هو أن تتركس نفسك كاملاً لإرادة الجوهر غير المدرك والسري؛ الله (الإله الداخلي) (١٨٥) وأن تصدق أن حياتك تتمثل في تحقيق هذه الإرادة، وستجد كل شيء سهلاً. وكما أنه دائماً ما يظهر شيء معين يعزيني وتتكون لديّ صلاة ما، فهذا إذن هو عزائي وهذه هي صلاتي الآن.

٢ - العالم ثابت، وكذلك أناي، بينما يبدو العالم لي متحركاً، وكذلك أناي، لكنهما في الحقيقة لا يتحركان، بل ينكشفان لي وحسب.

٢٩ مايو.

أشعر بضيق شديد من فرط خزيي من حياتي، ولا أعرف ما العمل. عونك يا سيدي! غارق طوال الوقت في «طريقان». أحياناً أفكر جيداً في الموت وأشتهيه. هذا حسن. عليّ تدوين الكثير:

١ - دَوَّنت الآتي لخاتمة «طريقان»: نحن الروس في موقف جيد ومفيد الآن بسبب ثلاث عوامل:

أ - اللحظة التاريخية: عشنا في الاستبداد، حتى اتضح لنا فشل نظام الحكم التمثيلي.

ب - أصبح من الواضح جداً التناقض بين الفكرة المسيحية المعلنة وحياتنا بدرجة لا يمكن التسامح معها.

ج - نعيش أساساً على الزراعة، وبينما تشكل الزراعة شكل الحياة الوحيد العقلاني، نبتعد عنها بسبب خطية السلطة.

(١٨٥) بالفرنسية في الأصل.

كل ما يلزم الشعب الروسي إذن هو أن يتوقف وحسب عن الاعتراف
بضرورة السلطة.

قالوا سابقاً: ”ولكن كيف يمكننا العيش في غياب السلطة؟ ستندلع
مذبحة وتسود الفوضى“. لكن ذلك مستحيل لأسباب عدة:

من الواضح أن السير في الطريق الحالي مع السلطة يُفضي بالشعب
إلى تدمير نفسه. يستحيل أن تحكم الجميع وتشتريهم وتجعلهم أدوات
لترفك وتستغلهم، بينما نحن نسير فعلاً في ذلك الطريق.

يستحيل أن نكون أخلاقيين في ظل حياة مدنية صناعية.
لا يمكن أن يصل الشعب إلى وضع أسوأ من وضعه الآن.
كل هذا سيء.

٢- لا تتعلق تعاليم المسيح بالسياسة، لكنها تحسم كافة المسائل
السياسية.

٣- لم أفهم قبل الآن ما قصده أفلاطون بـ ”المُثل“، لكنني فهمته
الآن عندما توصلت بنفسي إلى الأمر.

٤- ما أسمىه الآن بمعنى محدود ”نفسى“ هو جسدي. لكن الأنا
الأكثر حقيقية هي الأنا: طفلاً وشاباً وشيخاً، بكل ما في من مميزات
وعيوب. هكذا أرى نفسى في الحلم: شاباً وشيخاً. أرى الآخرين في
الحلم: مجموعة شخصيات، أحياء وأموات، مدموجين في شخصية
واحدة. حينها أفهم نفسى والناس خارج إطار الزمان والمكان.

٥- كما أرى الإنسان وكل حيوان ككيان مستقل - ولا يمكنني أن

أره بطريقة أخرى- بينما كل حيوان هو كائن متغير ومجموعة متحدة من الخلايا تدعمها الدورة الدموية وبعض العمليات الأخرى، كذلك يمكنني في الحياة الأخرى أن أرى - وسوف أرى - الناس جميعًا ككائن واحد متغير. (أفكار).

٦- دَوَّنت سابقًا: أدرك وجود هذه البعوضة، ثم أدرك البعوض بشكل عام، ثم كيان الحشرة ثم الكائن الحي ثم اتحاد الكائنات، ثم العالم فالله. (أفكار مجددًا) لم تتضح الفكرة بعد لكنني أفهمها.

٧- يمكن للإنسان بفضل الوعي أن يتخلص من الشر؛ يدرك أن كل شيء يعمل لخيره ولخير العالم.

٨- كما أشعر بالألم والعذاب من عدم محبة الناس لي، كذلك يتألم الجسد بسبب عضو. وكما يشعرني الحب بالبهجة والسرور والرقّة كذلك...

حسنًا... التشبيه الأول جيد، أما الثاني فلا.

٩- جميعنا يعيش على السرقة والإحسان وعمل الآخرين. كل ما في الأمر هو كم يمثل ذلك من معيشتنا؟ إنني أعيش كاملاً على إحسان الغير والسرقة... كم أتعذب!

١٠- يبدو لي أن كافة الكائنات تنتج دوائر من لحظة الولادة وحتى الموت هكذا:



أحد أجزاء الدائرة محجوب، لكن هذا ما يبدو لي وحسب؛ لأنني غير قادر على فهم جوهر هذه الأجزاء حقًا. إنها لا تتحرك، لكنها ليست كما أتصورها.

١١ - أشعر كثيرًا باليأس من عدم فهم الناس لأبسط وأوضح الحقائق بسبب الثقة المريضة في الذات.

١٢ - أرى فيروتشكا^(١٨٦) تخدم المربية وتعمل، بينما أوسع هنا وهناك. من الأسعد فينا؟ يبدو أن لا مقارنة بيننا.

١٣ - لا يمكنني أن أدرك الكائنات إلا داخل حدود الزمن: يظهرون بجانبني ويصنعون دائرة: برغوث البحر - الغراب - شجرة البلوط.

١٤ - كم هي مذهشة رغبة البعض في إجبار الآخرين على تحرير أنفسهم! على الإنسان أن يدرك أنه حر وحسب. على الديك أن يتوقف عن التسكع مختلاً: «قم وامش» وكما هو الأمر عند بركة سلوام^(١٨٧).

١٥ - ثمة ثلاث سمات رئيسة في البشر تشكل كافة الشخصيات المختلفة:

العقلانية - المعرفة؛ أي غريزة فهم ما هو مهم وما يجب التفكير فيه أكثر من أي شيء آخر، وما هو غير مهم.
البراعة العقلية والذاكرة والحس السليم.

(١٨٦) فيرا سيرجيفنا ليونوفا: فلاحه من ياسنايا، وابنة خادمة في منزل الكاتب سيرجي أربوزوف.
(١٨٧) يشير إلى معجزتي المسيح لشفاء المقعد عند بركة بيت حسدا حينما قال له: قم احمل سريرك وامش، وإلى معجزة شفاء المولود أعمى حينما طلب المسيح من الأعمى أن يغسل وجهه في بركة سلوام فبرأ واستعاد بصره.

الحساسية وقدرة المرء على أن يتصور نفسه محل الآخر ويشعر به.

١٦ - بدلاً من أن نركز هذا العدد الكبير من العمال بالمسيحية، علينا أن نركز بها أولئك السادة غير العاملين.

١٧ - في ظل حرية الصحافة تسمح الحكومات المجنونة الحالية نفسها بالقمع!

١٨ - السادة، كافة المتبطلين الذين يعيشون على أكتاف غيرهم، جميعهم مذنبون ويعرفون ذلك، وكلُّ منهم يلقي بالذنب على عاتق غيره؛ الثوار على المحافظين، والمحافظون على الثوار.

١٩ - لم يُوهب الإنسان العقل حتى يستنتج قواعد ترشده إلى طريقة عيشه، بل كي يعيش بمقتضى العقل.

لا تعيش الأرانب البرية بمقتضى قواعد، بل بمقتضى قوانين داخلية. هكذا يجب أن يعيش الإنسان. تعود القواعد المنسوبة للناس والقوانين الخارجية إلى الغزاة. هذه القواعد تحول الآن بين الناس والعيش بمقتضى العقل. لذا أول وأهم ما يجب أن يفعله الناس هو أن ينحُوا عنهم كافة هذه القواعد والقوانين الخارجية.

٢٠ - أنكشف لنفسي وسط كائنات منفصلة أخرى (أفكار) ولا تمكنني رؤيتهم كاملاً، تماماً كما لا أستطيع أن أرى نفسي كاملاً.

٢١ - أن أعني نفسي كائناً منفصلاً يعني أن أعني وجود ما أنا منفصل عنه؛ أعني وجود الكيان الكلي (الله).

٢٢ - خدمة الله أمر مستحيل. لا يمكن أن يحتاج الله إلى أي خدمة،

لكن كل ما في الأمر أنه يمنح الجميع فرصة تقاسم خير الوجود مع الآخرين من أجل الحب. الله محبة.

٦ يونيو.

أشعر أنني بخير. أنا قليلًا وأشعر بالضعف، وهذا حسن. يبدو أنني أتقدم في «طريقان». جاءني مراسل وكتبت له شيئًا ما عن هنري جورج، كما حدثته عن الدوما^(١٨٨) وعن صنوف القمع. دينيسينكو هنا. بدأت أقرأ معه أجزاء من «دورة قراءات». ليست عميقة، لكن من خلفها فكر وشعور جيدان. أموري جيدة مع كافة أبنائي، أعاملهم بلطف، لكن الأمر مع أندريه شديد الصعوبة. كم أصيبوا بقرحة جراء ثقتهم المفرطة في النفس! أناضلني طوال الوقت كي أتغلب على اهتمامي بآراء الناس وأحاول أن أوّسس لعلاقة مباشرة بالله، ونادرًا ما أتمكن من تحقيق ذلك. أفكار للتدوين:

١ - يطلق أولئك الذين يسترشدون بالرأي العام على ما يُحصّلونه من الملاحظات علمًا، بينما لا يطلقون التسمية ذاتها على ما يمنحهم الوعي؛ الأمر الأكثر أهمية وضرورة لهم.

٢ - أضرار الحكم التمثيلي: عدم الحسم - الجدالات - إغضاب الشعب وإفساده. فوائده (المتخيلة): يكشف عن سوء استخدام السلطة

(١٨٨) ما يوازي مجلس الشعب أو النواب، وقد سمح الإمبراطور بعمله في تلك الفترة بعد أحداث ثورة ١٩٠٥ محاولاً امتصاص غضب الجماهير، لكن عمله كان صوريًا، ولم يتمتع بصلاحيات حقيقية وكان انطباع تولستوي عنه أنه منفر وهزلي. كما أعلن عن دهشته عن استمرار القمع في ظل حرية الصحافة، فببساطة ستحول الصحافة المقموعين إلى أبطال، وبالتالي سيضر القمع الحكومة ذاتها قبل أي كيان آخر.

وبالتالي يمكن إصلاحه. فائدته الحقيقية واحدة: الكشف عن شر السلطة ذاتها... كل أشكال السلطة.

٣- من أجل «طريقان»: ماذا سوف يحدث؟ تتطلب منا الإجابة عن هذا السؤال ألا نتعامل معه طبقاً لتصوراتنا عن حياة شعبنا وبقية الشعوب كما نفعل عادة، بل أن ننظر من نفس منظور الإنسان العادي الذي يشبه الناس جميعاً، الذي يعول نفسه وأسرته.

صياغة سيئة.

٤- يُقال: تتمثل ملامح نجاح الحضارة في التقدم والصحافة واكتشاف المحركات البخارية والطاقة الكهربائية والسيارات والفحم الحجري، فكل ما سبق يغير حياة الشعوب. لكن من الواضح أن كافة هذه المكتشفات قد تمت في الأساس بسبب العنف السلطة. إن زال العنف السلطة، ستزول كافة هذه المخترعات، أو على الأقل معظمها.

٥- ليس النهار هو تلك اللحظة التي أمر بها، لكنه كل ما يحدث منذ شروق الشمس وحتى غروبها. وُهِبَ هذا التصور وتلك الخبرة والذاكرة والعقل. كذلك وُهِبَ تصوراً عن ابني البالغة سنيه أربعين عاماً. إنه ليس ذلك الإنسان الأصلع الذي يجادل الآن في السياسة، بل هو ذلك الكيان الذي وُلِدَ ولعب وتعلم وضل ونضج، والذي سوف يهرم ويموت... وهكذا الأمر مع كل شيء.

٦- أكثر أنواع الضلالات انتشاراً هي تلك التي مفادها أن الناس ينمون حتى سن العشرين والخامسة والعشرين بدنياً وروحياً على السواء. يتمثل الخطأ في أن النمو الجسدي يتوقف، لكن الروحي لا يتوقف حتى

أشد مراحل الإنسان هرمًا، وصولاً إلى لحظة الموت.

٣ يوليو.

لم أكتب منذ فترة طويلة. اعتلت معدتي. عملت على «طريقان» بشكل متجزئ. تبعث حالتي الروحية على السرور والحرية، أستند إلى إرادة الله أكثر من أي شيء آخر. دوّنت:

١- أعرف أنني أعيش في هذا العالم، وأن عليّ أن أزيد الحب أثناء عيشي. أتساءل: ما الهدف من ذلك؟ لا إجابة. لكنني مؤمن تمامًا أنني لا يسعني ألا أؤمن أن هذا حسن وضروري، وفي هذا فعل الإيمان.

عندما أسأل نفسي: مَنْ فعل ذلك، وما هذا وَمَنْ يعرف وما الجدوى من ذلك؟ لا أجد إجابة. لكنني مؤمن أنه لا يسعني إلا أن أؤمن، وأن ثمة وجودًا لهذا أو ذاك، مَنْ أو ما فعل ذلك وهو يعرف السبب.

في هذا يتلخص الإيمان بالله.

٢- يتسم العُنْد من الناس بقلّة الذكاء، ومن ثم يتحلون بثقة مفرطة في الذات، ولا يرون ببساطة ما يدحض أحكامهم. يعرض عليهم أحد الأشخاص ما يدحض أحكامهم؛ فيقولون إن المبرهن على ذلك نفسه لا يصدق ما يقوله، بل يتظاهر بذلك وحسب.

٣- أنت كجواد مربوط إلى عجلة. هذا يعني أنك سوف تعمل. كل ما عليك هو أن تفعل ما أُمِرت به، وأنت لم تُؤمر إلا بأن تجعل نفسك في أفضل حال. الأفضل يعني المزيد من الانصياع لله. كلما ازدادت انصياعًا، كان ذلك أفضل لك وللجميع.

أنا أشكر مَنْ جعل الأمر بهذه الصورة. لم يكن بالإمكان أن يكون الأمر أفضل من ذلك للإنسان.

٤ - يدين أصحابُ الأرض الأثرياء العمال والفلاحين. كل ما يمكن للعمال والفلاحين أن يرتكبه من شر أفضل مما تفعلونه أنتم. أنتم تدمرون كل حس أخلاقي في الناس بحياتكم المؤسسة على السرقة، ثم تشكون من لا أخلاقيتهم!

٥ - خمسة أقسام خاصة بـ «دورة قراءات»^(١٨٩):

أ - لا يعيش الإنسان من أجل نفسه، بل من أجل تحقيق إرادة الله.

ب - ما عسى أن يكون الله؟ شريعة (قانون) ومُشرّع.

ج - ما هي إرادة الله؟ أن تسمو بروح الله بداخلك.

د - ماذا ينتظر الإنسان؟ لا شيء في انتظاره، بل خير آني وأبدي يناله إن عمل على تحقيق إرادة الله.

٦ - إن اعترفنا أن الزمن هو بمثابة كشف تدريجي لما لسنا قادرين على استيعابه كاملاً؛ جوهر النفس والعالم المحيط بنا، لن نكون في حاجة إلى مفهوم الحركة في حد ذاته. الحركة طبقاً لهذا الفهم ليست إلا تحول العلاقات التي تربطني بالأشياء. عند انكشافها داخل إطار الزمن تُعبّر الأشياء من الماضي إلى الحاضر. منذ لحظة مضت كان الطائر يطير أمام النافذة، بينما في اللحظة الحالية هو على بعد ٢ أرشين^(١٩٠).

(١٨٩) ذكر أربعة فقط.

(١٩٠) مقياس طول روسي قديم يساوي حوالي ٧١ سم.

بالحركة يمكنني أن أستوعب الانتقال من المكان، أي ما يمثل علاقات بأشياء أخرى. يحدث هذا الانتقال تدريجيًا، لذا كل شيء في حركة مستمرة.

٧- لـ: «دورة قراءات»:

أ - الحياة واجب.

ب - أمام من؟

ج - ما طبيعة هذا الواجب؟

د - ما نتيجة تنفيذ هذا الواجب؟

٨- منذ أيام قليلة كنت في حالة معنوية سيئة، لكنني لم أشعر بالنفور من أحد سوى نفسي. حمدًا لله.

٩- وصلني خطاب مرير من جونتشارينكو^(١٩١). أحزنني في البداية، لكنني فكرت بعدها: كم يشق عليه الشعور بكل هذه المرارة! تذكرت ألكسندر بتروفيتش المسكين، وبدأت أشعر بالشفقة، لكنها مجرد بداية. الأمر صعب جدًا. تتلخص صعوبته الرئيسة في ثقة الناس المفرطة في أنفسهم.

١٠- ينبع الشر كله من غياب الدين. يعود غياب الدين إلى إصرار

(١٩١) يفتيخي يجوروفيتش جونتشارينكو: محاسب رفض أداء قسم الولاء ورفض الخدمة العسكرية وسُجن ونُفي وعانى بشدة وحُكم أكثر من مرة، وسيتهي به الأمر إلى المشاركة في الحرب العالمية الأولى. الخطاب المذكور أرسله جونتشارينكو إلى تولستوي من السجن في حالة نفسية محطمة ويأس شديد، وأعلن فيه عن غضبه الشديد من تولستوي وآرائه، ربما بسبب ما حدث له من جراء تلك الأفكار.

البعض على أن الدين هو تناول الخبز والخمر^(١٩٢) وأن يرتدي البابا مئزره ويعفو عن الخطايا... إلخ، بينما لا يستطيع البالغون تصديق ذلك، وهم غير قادرين على تكوين دين خاص بهم، بل يأخذون ما تكون قبلاً فعلاً فينتهي بهم الأمر إلى الإلحاد.

١١ - كثيراً ما ننظر إلى القدماء نظرنا إلى الأطفال، لكننا أطفال بالنسبة لفهمهم العميق والجاد وغير الملتوي للحياة.

١٢ - لقد أساءوا إليّ. كم هذا حسن! يمكنني إذن أن أغفر وأبتهج بالغفران.

١٣ - إن كان شعبنا الروسي همجياً وغير متحضر، سيكون لنا مستقبل. الشعوب الغربية همج متحضرون، ولا مستقبل في انتظارهم. محاكاة الشعوب الغربية تماثل أن يحسد شابٌ معافى عاملٌ لم يفسد شاباً باريسياً أصلع ثرياً، جالس في فندقه يقول: «آه، كم نفذ صبري من فرط الملل!» (بالفرنسية في الأصل).

١٤ - وعيان: وعي بالانفصال عن الكيان الكلي، والآخر بالوحدة به.

١٥ - كم يمكن أن نشعر بالاطمئنان والهدوء إن نشدنا أمراً واحداً: تنفيذ إرادة الله! عمل الله الآن هو أن نحب الناس وألا نفكر إلا في الحب.

١٦ - استيقظ وزد وتقوّ في داخلي وأخضع طبيعتي الحيوانية وأجبرها على خدمتك وتحقيق إرادتك.

(١٩٢) يشير إلى سر التناول المسيحي.

١٧- يا إخوتي... تحابُّوا! هذا ما قاله يوحنا^(١٩٣) في شيخوخته.
يحب الناس سماع ذلك. اختبرت ذلك بالأمس مع عامل التلغراف.

١٨- ما الذي كان من الممكن أن يحدث لو توجهت كافة
الأحاديث والصحف والكتب والمحاضرات صوب أمر واحد؛ الحب
المسيحي وسرور الحب وخيره، كما يفعلون الآن بالتبشير بالثورة
دائمًا؟

١٩- الهنود خاضعون للإنجليز، وفي الآن ذاته أكثر حرية منهم،
لأن بإمكانهم أن يحيوا من دونهم، بينما لا يمكن للإنجليز أن يحيوا من
دونهم.

٢٠- يا لها من عادة مريعة أن تصدر الأوامر! لا يوجد ما يمكنه
أن يُفسد ويحرق علاقة الإنسان الفطرية الطيبة العاقلة بالآخر أكثر من
ذلك. لا يعرف الفقراء والمحكومون تلك الخطية، ويعوضهم غياب هذه
الخطية عنهم بوفرة عن سوء أوضاعهم. علينا جميعًا أن نكف عن إصدار
الأوامر.

٢١- خطرت على ذهني فكرة: من بين كل ما يحدث الآن، تكفي
حرية الصحافة وحدها بعد تاريخ طويل من الحظر كي يعي الناس
الحقيقة المسيحية على نحو أقوى.

٢٢- الحالة المعنوية والصحية السيئة هي أكثر اختبار لازم لنا
لفحص مدى صلابة الوعي المسيحي. كلما ساءت الحالة الجسدية

(١٩٣) يوحنا الحبيب أحد تلاميذ المسيح الذي تعتقد الكنيسة كذلك أنه كاتب إنجيل يوحنا.

أصبح من الممكن - بل ومن الضروري - أن يعيش المرء بالوعي. كم هذا حسن! أنا ممتن لذلك.

٢٣- إن كانت الحياة في الروح فلا موت، بل تحرر من سجن الجسد وحسب.

٢٤- كما أنه من الممكن أن يكرس الناس حياتهم من أجل زيادة الرتب والمجد والثروة والعضلات - والكثيرون يعيشون ويموتون على هذا الحال - يمكن أيضًا أن نكرس الحياة لزيادة القوة الروحية؛ الحب. يمكن أن نموت دون أن نلاحظ ذلك، بينما نفكر في زيادة هذا الخير وحسب.

٣٠ يوليو.

لم أدوّن يومياتي منذ فترة طويلة للغاية. أظن أنني أنهيت مقالة «طريقان» ويبدو أن لا بأس بها، بل شعرت بالرضى الشديد عنها. تشير تكوف هنا وأنا مسرور للغاية. قررت أن أرسل «الحكومة والشوار والشعب» للنشر بعد إجراء بعض التعديلات. لديّ الكثير لأدونه. فكرت اليوم أثناء قراءتي في «دورة قراءات» عن ذلك الجمع الغريب لبعض النصوص في يوم واحد من الكتاب^(١٩٤): اقتباسات من إنجيل متى عن الوصية الوحيدة: «حب الله والقريب» واقتباس آخر عن ماركوس أوريليوس يقول المعنى ذاته ولكن بكلمات مختلفة؛ ذلك الإمبراطور الذي طرد وعذب المسيحيين. أتمنى ألا أقع في خطأ الربط الحتمي بين

(١٩٤) كما ذكرنا سابقًا الكتاب على هيئة تقويم، وثمة قراءات لكل يوم من أيام السنة.

الأضرار والأعداء.

في الفترة الأخيرة أشعر أنني بخير على نحو خاص بفضل وعيي الحيوي بوضعي في الحياة كعبد لله ليس لديه سوى عمل واحد؛ أن يخدمه. عندما تستعيد ذلك إلى ذاكرتك، تشعر بالهدوء والسرور والاطمئنان. عليّ تدوين الآتي:

١ - هل الله موجود؟ لا أعرف. كل ما أعرفه هو وجود قانون لكياني الروحي، وأنا أطلق على مصدر هذا القانون «الله».

٢ - كلما ازداد قدر خدمتك للآخرين (بجهد)، ازدادت سرورًا، وكلما ازداد قدر خدمتك لنفسك (من دون جهد) ازدادت وطأة الحياة عليك.

٣ - العمل المقبل للشعب الروسي هو أن يحل قيود خطية السلطة التي وصلت إليه. لا يمكن إتمام ذلك إلا بالتوقف عن المشاركة في السلطة والإذعان لها.

٤ - تنكشف لي حياتي وحياة العالم، بينما يبدو لي أن كلينا - أنا والعالم - يتحرك.

٥ - من الضروري للناس أن يكونوا في اتساق مع أنفسهم حتى يعيشوا؛ أن يكونوا محقين. يمكن لمن يعيش حياة روحية أن يعترف بخطأ أنه الحيوانية، وذلك باسم أنه الروحية، ولكن بأي اسم يمكن لمن لا يحيا حياة روحية أن يعترف بخطأ أنه الحيوانية؟ يستحيل عليه فعل ذلك.

٦- كثيرًا ما نجد أن مَنْ حظوا بقدر قليل من التعليم يتسمون في أفكارهم بالصلف والعناد. يعود ذلك إلى أنهم لا يعرفون الطرق المختلفة التي يمكن للعقل أن يعمل بها.

٧- لا يمكن أن يتوفر لإنسان وعي حقيقي بمسؤوليته إلا لذاك من يعترف بعبوديته لله. حينها فقط يمكنه أن يدرك خطيته ويُسر بالعمل الصالح.

٨- يتمثل خطر المعرفة المتوهمة فيما تنتجه من نشاط؛ في الأفعال الوقحة، والسماح بأفعال شريرة من أجل تحقيق نتائج طيبة. أعرف أن الناس جميعًا سيكونون سعداء إن تأسست جمهورية أو حكم استبدادي، وبالتالي لا يهم حينها أن يهلك البعض من أجل خير الجميع.

٩- عندما أقول: لا أستطيع فعل ذلك، فإني أقول تحديدًا إنني لم أستطع فعل ذلك قبلاً. لكني لا أعرف أيضًا ما الذي يمكنني أن أفعله في كل لحظة من لحظات الحاضر، ولا يمكنني أن أعرف ذلك أبدًا. عليّ أن أعرف أنني غير قادر على معرفة ذلك.

٢٤ أغسطس.

لم أدوّن يومياتي منذ ٢٤ يومًا. قضيت هذه الفترة بشكل جيد. حمدًا لله أن الأمور الآن تزداد تحسنًا. في هذه الفترة وصل تشير تكوف، وذهبنا معًا إلى ماشا (ابنة تولستوي). كان تشير تكوف شديد اللطف، لكنني أخشى أن الكثير من لطفه يعود إلى أنه يقدرني تقديرًا كبيرًا. جاء مينشيكوف، وحمدًا لله كان شديد اللطف لسبب مختلف تمامًا حتى

إني استعدت إلى ذاكرتي علاقتنا معاً بسرور. أردت أن أكتب أن ماشا لطيفة جداً معي، لكنني أعرف أن الجميع يقرؤون يومياتي. الأمر هكذا أفضل. عملت كثيراً على مقالة «طريقان» ويبدو أنني أنهيتها تماماً. أظن أنها ضرورية وقد تكون مفيدة، لكنني لا أستطيع أن أتيقن من ذلك، كل ما أعرفه هو أنني كنت بحاجة إلى الكتابة. لم يضعف وعيي بعبوديتي لله كثيراً لكنه فقد جِدَّتَهُ، ومع ذلك توطد بداخلي وحمداً لله لا أزال أعيش به. كثيراً أثناء نزهتي أو عندما أطفئ الشمعة، مستلقياً على الفراش، أختبر شعوراً جديداً مفرحاً بالحياة، وأشعر بالعرفان والرضى الهادئ. شطبت كلمة «هادئ»؛ لأن الشعور ليس هادئاً لكنه حيوي وقوي. أفكار للتدوين:

١ - لا أعرف ما إن كان كانت الثقة المفرطة في الذات ناتجة عن الحماقة أم العكس. لكن إن كانت الثقة المفرطة في الذات هي حماقة في حد ذاتها، يستحيل أن نقول إن الحماقة هي ثقة مفرطة في الذات. يبدو إذن أن الحماقة هي السبب، والثقة المفرطة في الذات هي مجرد حالة خاصة منها.

٢ - قرأت لمندليف^(١٩٥) أن مهمة الإنسان وهدفه هو التكاثر. حماقة مريعة. هذه حماقة ناتجة عن الثقة المفرطة في الذات. تفترس الحيوانات بعضها، لذا عليها أن تتكاثر، ويمكن أن يكون التكاثر هدفاً للأرانب مثلاً. يحد الافتراس والتناسل من بعضهما. لكن لا شيء يمكنه أن يحد من تناسل البشر، وقد تحرروا من افتراس الحيوانات لهم... لا شيء يحد من التناسل لديهم سوى الوعي بالخير والسعي صوب الكمال. يتضمن

(١٩٥) ديمتري إيفانوفيتش مندليف: عالم كيميائي روسي شهير.

الأخير بداخله العفة، فهي ما تحد التناسل. كم تعد فكرة مندلييف عن التناسل لا أخلاقية ومريعة كما أنها ببساطة محض حماقة! إن توصل الناس إلى إنتاج طعام كيميائي، سيصل التكاثر إلى حد أن يقف البشر متلاصقين كتفًا إلى كتف. يعادل الافتراض التكاثر داخل مجال الحياة الجسدية الأنانية. أما في مجال الحياة الروحية؛ الحب، تعادل الألفة العفة.

٣- بداية إنكار الذات هو إنكار الذات الأسري؛ ضبط النفس عن متعة إنتاج كائنات شبيهة بك؛ العفة أولاً ثم يأتي بعدها دور إنكار ذاتك وحياتك.

٤- لكافة الديانات أساس واحد، ولا يمكن ألا يكون الأمر كذلك لأن جوهر علاقة الإنسان بالله؛ اللانهائي، واحد في كل مكان بالنسبة للناس جميعاً.

للبراهمانية والبوذية والطاوية والكونفوشوسية واليهودية والمسيحية أساس واحد: الاعتراف بجوهر غير مُدرك تعتمد عليه حياتنا، والاعتراف بالإنسان كانعكاس أو جزء أو تجلٍ لهذا الجوهر، وينتج عن هذا الاعتراف وجوب تنفيذ الإرادة الخيرة لهذا الجوهر الخير.

٥- تختلف كافة الديانات ظاهرياً وحسب، أي عندما تنظر إلى سطحها وحسب، ولكن كلما اقتربت منها أكثر فأكثر وجدتتها تتلاقى في أعماقها.

٦- الكنيسة والعلم والفن والدولة والحضارة والحق، جميعها تسميات لطيفة لتبرير دناءات وحماقات الناس المستمرة.

٧- فكرت في ما يجب أن تفعله الحكومة الآن، واتضح لي تمامًا أن أهم شيء هو وقف جميع أعمال القمع والموافقة على كافة المطالب، لا بهدف أن تتحسن الأمور، فليس هناك ما هو أسوأ من ذلك الوضع، بل يمكن جدًا أن تتحسن الأمور، ولكن لأنها إن أرادت ألا تكون طرفًا في هذا الشر، عليها ألا تكون مضطرة لممارسة القمع والعقاب.

٨- أثناء حوار لي أخطأت في كلمة يونانية وتاريخ حادث تاريخي وشعرت بالضيق والحزن. عندما تذكرت الهدف من حياتي؛ تنفيذ إرادته، تلاشى فجأة كل شيء وأصبح من الصعب عليّ أن أتذكر مصدر ضيقي من الأساس.

٩- دائمًا ما تجلب لي صلاتي الصباحية نفعًا. كثيرًا ما أكرر بضعة كلمات لا أقرنها بشعور معين، ولكن في الغالب يؤدي هذا الجزء من الصلاة أو ذاك إلى الإمساك بشعور ما أو بعته في نفسي: أحيانًا يكون الشعور هو التسليم لإرادة الله، أو الحب، وفي أحيان أخرى إنكار الذات أو الغفران، أو أبسط من كل ذلك: عدم الإدانة. أنصح الجميع بذلك دائمًا.

١٠- أصلي أحيانًا في أوقات غير معتادة بأبسط العبارات. أقول: «سيدي... اعفُ عني» وأرشم الصليب وأصلي لا بالفكر، بل بشعور ووعي باعتماديتي الكاملة على الله. لن أنصح أحدًا بشيء، ولكن هذا يجديني نفعًا. كما لو أنني تنفست لتوي صلاة!

١١- لا أستطيع تذكر سبب تدويني للآتي: طلبت من الناس أن يخرجوني من هذا الوضع. هذا طريق زائف. لست في حاجة لمساعدة

من أحد، ولست في حاجة للخروج من هذا الوضع، بل أنا في حاجة لشيء واحد؛ أن أعيش بصلاح. حينها وحسب سأخرج من هذا الوضع.

١٢- إن وصل الناس بالحكم الديموقراطي إلى مشاركة الجميع في السلطة، لن يكون ثمة حكم من الأساس؛ كلٌ سيحكم نفسه وحسب.

١٣- ليس هناك شكل آخر من الحكم سوى رزوح الناس تحت وطأة حكم فرد أو مجموعة من الناس، أو خضوع الأقلية لحكم الأغلبية. الأمر سيئ في كلا الحالتين. أما إن حُكم الجميع فهذا يعني أنه ليس ثمة حُكم من الأساس.

١٤- يعتبرونني واحدًا من الأناركيين (الفوضيين)، لكنني لست أناركياً. أناركيتي هي مجرد تطبيق للمسيحية على العلاقات الإنسانية. كذلك هو الأمر مع معارضتي للعسكرية، والشيوعية والنباتية.

١٥- إن الحياة بأكملها هي انكشاف لما هو غير معروف، وكشف الحجب عنه. الموت هو الكشف الأخير في الحياة.

١٦- بالأمس وردت على ذهني فكرة مدهشة؛ أن الرسالة، أو بالأحرى الطباعة كانت أحد الأسباب الرئيسة لتحريف الإيمان الحقيقي الذي كشف عنه لنا مؤسسو الأديان العظماء في ما يتعلق بعلاقة الإنسان بالله وما يترتب على تلك العلاقة من واجبات. انتشرت كافة الأديان الرئيسة لفظياً، ويبدو لي أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تنتشر بها ديانة حقيقية. لا أقصد أن يقتصر انتشارها على النقل الشفهي، بل بالحياة العملية، والوعظ الشفهي هو جزء من الحياة، لكن ليس عن طريق رسالة أو باستخدام الطباعة.

بغض النظر عن أنه بهذه الطريقة من الانتشار لا يمكن للكلمة أن تتوطد من الأساس، وبالتالي لا يظهر تفسير زائف لها - كما حدث مع رسائل بولس التي تعتبر بمثابة أكبر تحريف لحق بالمسيحية - فإن الانتشار بالحياة نفسها والتعليم الشفهي يوفر فرصة لفحص الحقيقة دائماً في حياة الواعظ نفسه، وكل خطأ في التعبير يمكن أن يمر من دون أثر، ولا يبقى لنا سوى إخلاص الواعظ نفسه الذي يعمل على توصيل الديانة لنا بشكل حقيقي. قلت قبلاً مازحاً - نوعاً ما - إن طباعة الكتب كانت أقوى وسيلة لنشر الجهل، لكنها ليست مزحة، بل حقيقة مريضة محزنة. نعلم جميعاً إلى أين تؤدي الثروة في الحياة؛ الثروة باللسان. ثمة نوع أسوأ من الثروة يحدث الآن في الطباعة. إن مجتمعنا بكل ما فيه من صحف ومجلات وكتب ومحاضرات يشبه تماماً حشداً مخدراً، يتحدث كافة أفرادهم ولا أحد منهم يستمع. أشير بهذا إلى كافة الموضوعات المختلفة التي تشغل المطبوعات، من السياسة إلى القصائد وحتى المسرحيات. أما في ما يتعلق بالدين، لا شك إطلاقاً أن الرسالة، والطباعة بوجه خاص، هما أكثر ما يعوق الانتشار السليم للحقائق الدينية، ويساعد على تحريفها وإحاطتها بالضباب. هذا موضوع شديد الأهمية يستحق العودة إليه لاحقاً والتأمل فيه ملياً.

١٧ - يستحيل أن نطلب شيئاً من الله. ليس الأمر أن الله لا يريد منا ذلك، لكنه لا يستطيع أن يغير شيئاً؛ لأنه وضع قانوناً أصبح الجميع متساوين بموجبه. إن طرأ أي تغير في هذا القانون، لكان فعلاً ظالماً. تبدو كالأطفال الذين نحسد الآخرين بحجة أن لعبتهم أفضل من لعبتنا

أو نبكي بسبب تألمنا من تسريح شعورنا بالمشط لاستخراج القمل.

١٨- أردت أن أقول للشعب: تذكروا أن كل مشاركة في أعمال العنف لن تجلب لكم سوى المزيد من العبودية. لذا لا تسيروا إلا خلف من يرشدونكم باسم الله حقًا، لا باسم المصلحة.

١٩- الحرية طبقًا للطاو الصيني هي الطريق الذي لا يمكن للإنسان أن يلقى فيه عقبات. الطاو هو تنفيذ قانون الوجود كله.

٢٠- لا يمكن للبشر أن يعيشوا حياة عقلانية مفرحة إلا إن استرشدوا بالقانون الديني. في غياب الدين ثمة شهوات وتنويم؛ معاناة وعبودية.

٢١- بينما كنت أنظر في الآونة الأخيرة إلى المحرومين من أي دين، بدأت أبجل المؤمنين بالله حتى وإن تصوروه في أكثر الصور فظافة. الإيمان بصورة والدة الإله الإيبيرية^(١٩٦) أفضل على أي حال من الغياب الكامل للاعتراف بقانون أسمى.

٢٢- أظن أنه إبان السعي صوب الكمال الروحي لا بد للإنسان أن يختبر دائمًا سقوطًا وصعودًا مؤقتين. يصعب على المرء أن يتصور تنويرًا روحيًا دون أن يعاني من ضباب الشهوات.

نسيت شيئًا... صياغة غير واضحة... الفكرة ليست هكذا.

٢٣- أرى جوزة بلوط. جوزة البلوط جزء من شجرة بلوط، والشجرة جزء من الغابة والغابة جزء من النباتات، والنباتات جزء من

(١٩٦) صورة شهيرة للسيدة العذراء اشتهرت في روسيا في ذلك الوقت بقداستها وقدرتها على صنع المعجزات.

سطح الأرض. سطح الأرض جزء من كوكب الأرض، والأرض جزء من الكواكب، وهذه المجموعة من الكواكب تابعة لإحدى الشمس... إلخ. ويمكن إجراء التسلسل عكسيًا: جوزة البلوط من خلايا، والخلايا تتكون من مكوناتها الفيسيولوجية والكيميائية، وتلك الأجزاء تتألف مما يكونها... إلخ. هكذا لا وجود لشيء في الواقع، وكل شيء يمضي ويتحرك أمام وعيي؛ بمعنى آخر: وعيي يتكشف.

لم أكتبها هكذا، لكنني تعثرت وأنهكت.

١ سبتمبر.

لم أدون يومياتي لستة أيام. يزداد مرض صوفيا سوءًا^(١٩٧). شعرت اليوم بأسف شديد عليها، لكنها متفهمة وصادقة وصالحة بشكل مؤثر فعلاً. لا أريد أن أكتب عن شيء آخر. ثلاثة من أبنائي هنا: سيريوجا وأندريوشا وميشا، وكذلك اثنان من بناتي: ماشا وساشا. المنزل مليء بالأطباء. الوضع كئيب. بدلاً من التسليم لإرادة الله ولحالة مزاجية دينية مهيبة، أجد أمامي حالة تافهة أنانية غير خاضعة لإرادة الله. اختبرت بعض المشاعر والأفكار الجيدة. حمدًا لله.

إنني لا أعيش داخل الزمن، ولا يعيش العالم كله كذلك بداخله، ولكن العالم الثابت الذي لم يكن مدرغًا لي من قبل يتكشف داخل الزمن. كم هو الأمر أكثر سهولةً ووضوحًا هكذا! الموت من هذا المنظور ليس توقفًا لشيء ما، بل كشف كامل.

(١٩٧) كانت تعاني من آلام شديدة في منطقة البطن تشير إلى مرض شديد.

٢ سبتمبر.

أجروا العملية اليوم. قالوا إنها تمت بنجاح. أشعر بكآبة شديدة. كانت في حالة روحية جيدة جدًا بالصباح. كم يهدئ الموتُ المرء! قلت في نفسي: أليس من الواضح أن الموت ينكشف لي ولها، وأنها عندما تموت سينكشف لها تمامًا؟ حسنًا، فليكن ما يكون. لكننا نحن الباقون ليس بإمكاننا بعد أن نرى ما تكشف للمحتضر. سينكشف لنا الأمر فيما بعد في حينه.

أثناء العملية ذهبت صوب شجر التنوب وكنت قد أنهكت عصبياً. ثم كتبت قليلاً عن هنري جورج^(١٩٨) على نحو سيئ. أفكار:

١ - الجهد الأخلاقي الأكبر والوحيد الذي يمكن للإنسان أن يبذله هو أن يستعيد إلى ذاكرته مَنْ هو تحديداً. يكفي أن أتذكر مَنْ أنا في أسوأ لحظاتي، وسرعان ما ينجلي كل شيء ويزول كل مبعث للضيق والحزن. مَنْ أنا؟ الأنا كيان روحي موجود قبل أن يكون إبراهيم^(١٩٩). لا يهم هذا الكيان ما يعتقدونه عنه، وسيان له الموت الآن أم لاحقاً، ويجب أن يكون سيان له وجود معاناة أو غيابها، لكنني لا أستطيع الشعور بذلك رغم أن المسرات تعادل بلا شك صنوف المعاناة.

٢ - الحياة هي سعي صوب الكمال أو انكشاف للنفس في كامل قوتها. الوعي إذن هو تذكر النفس. الموت نهاية للسعي صوب الكمال

(١٩٨) مقدمة لترجمة روسية لأحد كتب هنري جورج.

(١٩٩) الإشارة إلى قول المسيح: «قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ.» يوحنا ٨: ٥٨.

في اتجاه واحد وهو انكشاف كامل. عندما يتم هذا الكشف أو ذاك المسعى في اتجاه واحد، لا نعود في حاجة للذاكرة أو الجسد.

صياغة غير واضحة، «لكنني أفهم ما أريد أقوله» (بالفرنسية في الأصل).

٣- كم يمكن بتقدم العمر أن تنقل الذكرى لنا الانطباعات! كم كانت قوة انطباع الشهوة وكافة الملذات الحسية في وقتها! أما الآن، وببلوغ الشيخوخة أصبحت هذه القوة من نصيب الانطباعات التي تتركها فينا الطبيعة وعلاقاتنا بالناس والصيد والزراعة ومسرة أن يتمتع المرء في حياته بقوة عادية، بينما لا تثير الملذات الحسية فينا أي انطباع مبهج، بل بالأحرى تُشعرنا بالخزي.

٤- أرادت صوفيا أن يأتيها كاهن، ولم يتوقف الأمر على موافقتي على ذلك، لكنني دعمتها أيضًا. ثمة أناس ليس بإمكانهم أن يؤسسوا علاقة مجردة روحانية صرفة بجوهر الحياة. إنهم في حاجة إلى شكل فج لهذه العلاقة، لكن الجوهر الروحي موجود خلف هذا الشكل الفج أيضًا. حسنًا وجوده حتى إن كان بهذا الشكل الفج.

٥- الحُجب تُنزع. عندما تُنزع جميعًا تنتهي الحياة.

٦- يستحيل على غير المؤمنين بالله ألا يخشوا غياب السلطة والأناركية. إنهم لا يثقون في أن ثمة إلهاً يوجّه هذا العالم، ولا يرون خلف إدارة البشر للعالم إدارة إلهية.

٧- لا يمكن لأي حياة اجتماعية أن توجد دون الخضوع لقانون. لذا

لا يمكن للأناركيين أن يكونوا على حق إلا إن اعترفوا بقانون الله العام
الملائم لجميع البشر.

٨- لقد سبقتنا الشعوب الغربية بمسافة كبيرة، ولكن على الطريق
الزائف. عليهم بالعودة مسافة طويلة حتى يعثروا على الطريق الحقيقي.
كل ما علينا هو أن نتنحى جانباً عن هذا الطريق الزائف الذي بدأنا لتونا
سيرنا فيه، والذي ستعود منه الشعوب الغربية وتلتقينا.

٩- سَفَّاحونا هم مجرد عينة مما نحن ماضون صوبه.

١٠- كم يُبعث الموت من سكون! أمام الموت يصبح الحب أمراً
سهلاً، ورغم ذلك يتعامل الناس مع الموت بغضب واهتياج.

١١- يمتدحونني، لكنني أعرف أن الأمر لا يقتصر على أنني شخصية
عادية جداً، بل أنا بالأحرى أسوأ من العادي. كم يحسن تذكر ذلك!

١٢- تنكشف صوفيا لنا بالاحتضار إلى حد أن أصبحت مرئية لنا
تماماً. كذلك سأُنكشف لنفسي حتى أصبح مرئياً.

١٤- تلخص الحياة وما يعزز العيش في أمر واحد؛ الوعي بأن
النفس كيان روحي في صورة تلك المادة، أي بالانقسام إلى هذه الكائنات
المنفصلة في العالم. ليس لدى الكائن الروحي شهوات ورغبات، لذا
يدرك وحدته بالجميع، أما وعي المرء بوحده ببقية الكائنات في العالم،
فهو الحب.

٥ سبتمبر.

أشعر بحزن رهيب. أشعر بالأسف عليها. إنها تمر بمعاناة عظيمة،

وربما تكون بلا جدوى. لا أعرف... أنا حزين... حزين... حزين، لكن هذا حسن جدًا.

١٥ سبتمبر.

صوفيا بخير صحيحًا. يبدو أنها تتعافى. حدث الكثير في هذه الفترة. أنهيت المقالة، وكتبت كذلك مقالة عن الأرض، وبدأت في كتابة رسالة إلى أحد الصينيين^(٢٠٠) عن الموضوع ذاته.

أريد أن أكتب عملاً مختلفًا تمامًا، أكثر صدقًا. لدي الكثير لأدونه، ولكن ليس اليوم. تنزهت طويلًا على متن الجواد في الغابة أثناء العاصفة الثلجية. لا أشعر بالمرح، لكنني بخير وأشعر بشعور طيب.

٢٤ سبتمبر.

أنهيت كل ما بدا أنه من أعمال، وكتبت مقدمة لكتاب هنري جورج. في الفترة الأخيرة كانت حالة معدتي سيئة جدًا، وكنت أفكر قليلًا وبتكاسل. بدأت في «دورة قراءات» ولكن بتكاسل وعلى نحو سيئ، حتى بدا لي اليوم أنني غير قادر على ذلك. كتبت خطابًا ناقمًا ردًا على على التساؤل بشأن زيارة بعض الإنجليز^(٢٠١)، وأنا سعيد أنني لم أرسله. هذا ما يغيب عن الحلم: الجهد الأخلاقي. مثال: حلمت حلمًا طويلًا ولا أتذكر ما الذي كذبت بشأنه، ثم تذكرت أنه لم يكن هناك داعٍ للكذب، لكنني لم أستطع أن أمسك نفسي عنه. في اليقظة يمكن دائمًا للمرء أن

(٢٠٠) ترجمت هذه الرسالة في كتاب «في العلم والأخلاق والسياسة» وصدر عن آفاق للنشر.
(٢٠١) طُلب من تولستوي أن يشارك في استقبال وفد برلماني إنجليزي سيزور روسيا، ورد بالرفض بلهجة قوية. لم تتم الزيارة.

يمسك نفسه عن شيء. في هذا تتلخص الحياة وما يُفَرِّق بين اليقظة والنوم.

عليّ تدوين الآتي:

١- في عالمنا يعتبرون إطالة مدة الحياة خيرًا لا شك فيه، وعملاً رئيسًا يمكن أن نُضَحِّي بكل شيء من أجله، ولكن هذا غير حقيقي. العمل الرئيس الذي يمكن -بل ولا بد- أن نضحى بكل شيء من أجله ليس إطالة الحياة، بل أن تصبح الحياة بأكملها صالحة ومتوافقة مع إرادة الله. إنها خرافة مريعة ومضرة.

٢- يعتبر معظم الناس إطالة الحياة هو العمل الأهم في الحياة، وينتج عن ذلك أنهم يعتبرون الإعدام أفضح أنواع العقوبات. لا بد أن الحكم بالإعدام بالنسبة للإنسان الذي يفترض أن عمله الرئيس هو أن يحيا حياة صالحة، لا أن يطيلها هو عقوبة تافهة، كذلك هو الحرمان من رتبة عسكرية أو أوسمة أو من طبقة النبلاء.

٣- لا يمكنني أن أمتزج روحياً بإنسان إلا إن اعترف بقانون الله الأسمى وواجب الخضوع له، أو اعترف بإلهية طبيعته؛ الحب للجميع كأساس لحياته، وهو أسمى سمة في الإنسان.

٤- تعني الصلاة أن تكون في علاقة استثنائية بالله وحسب. لذا لا تكون الصلاة ممكنة إلا عندما تقطع كافة علاقاتك بالناس. يمكن أن يحدث ذلك وسط الناس عندما تنسأهم، ولكن أكثر الأوضاع ملائمة لذلك هو عندما تذهب إلى محبسك؛ عندما تكون بمفردك.

٥- دَوَّنت سابقاً: الإيحاء ليس وعياً. سأحاول تذكر السياق. نعم تذكرت... أظن أن الإيحاء بمعنى الانتقال الروحي - لا الجسدي - بالمشاعر إلى التحفيز المطلوب للنشاط بفاعلية، هو إشارة إلى أن الجوهر الروحي لكافة الكائنات واحد، كما أنه إشارة إلى مراحل مختلفة من القُرب: لا يمكنني أن أستقبل وأرسل من البرغوث والذبابة (يمكنني أن أستقبل جزئياً)، ويمكنني فعل ذلك جزئياً مع الفئران والدجاج، ويمكنني فعل ذلك مع الكلب والجواد، ويمكنني فعل ذلك تماماً مع الإنسان. إن سمة الإيحاء، كسمة فاعلة ومنفعلة، هي تجلُّ لوحدة الكيان الروحي الذي أعرفه في صورة الوعي.

٦- المكان يُفرِّق والزمن يوحد. لو لم يكن ثمة زمن، وكانت كافة الكائنات منفصلة، لتفرقت مكانياً، ولم يكن لها أن تتواصل، ولما كانت حركة بالطبع. لكن ما إن تنكشف باستمرار حالة جديدة للكائنات، حتى تظهر إمكانية التواصل بينها.

صياغة سيئة. أفهم ما أريد قوله (بالفرنسية في الأصل).

٧- يشعر المرء بوضوح شديد في شيخوخته بسرعة زوال الحياة، وأنه وكل ما في العالم لا يبقى للحظة واحدة على نفس الحال: الفرع يصبح شجرة، والبذور تصبح حبوب جاودار، والمهر يصبح جواداً عجوزاً، والطفلة عجوزاً مقعدة... كل شيء يتغير في علاقته بي وما تطرأ عليَّ من تغيرات.

٨- ما دمت حياً ستجد أن كل شيء ينكشف... ينكشف تدريجياً. ثم يأتي الموت، وإما أن يتوقف ما انكشف لك سابقاً عن مواصلة انكشافه،

وإمّا أنك لا تعود ترى ما ينكشف لك. لكن لا يمكن أن يتوقف وجود من ينكشف له الشيء، فكل ما كان لم يكن من الممكن أن يكون إلا بسبب وجوده. إنه وحده الموجود.

٩- ما الذي يمكن أن يكون أكثر دناءة من التواصل الجنسي؟ يلزم فقط أن نصف هذا الفعل تفصيلاً حتى نشعر بأفطع أنواع النفور. لذا يظهر لدى كافة الشعوب التي تفارق حالتها الحيوانية وتنحو صوب حالة روحية خجلٌ من الفعل الجنسي والأعضاء الجنسية. إن سألت نفسك: «ما الجدوى من هذا الفعل؟» ستجد الإجابة واضحة: حتى يمكن للإنسان بقدر ما هو كائن عقلائي روحاني أن يضبط نفسه عنه ولا يمارسه إلا عندما لا يعود قادراً على مقاومته. ليستمر الجنس البشري - بقدر ما يتطلب الأمر ذلك - جُبل الإنسان بميلٍ متقد حيواني صوب هذا الفعل. كم تنحرف الطبيعة الإنسانية بزيادة هذا الفعل وتمجيده هو والأعضاء اللازمة له! هذا ما يفعله الآن المدعوون أصحاب الذوق الرفيع والفنانون.

١٠- حلمت أن ليوفا لا يفهم أمراً ما أو أنه يحكي عمداً شيئاً ما عن جوته وأني شعرت بالضيق من ذلك. ثم قال أحدهم إن نشاطي كالذبابة، وأساء لي هو وشخص آخر وبالتالي حزنت، ولم أكن قادراً في الحلم على استدعاء الوعي بقانون حياتي بداخلي؛ القانون الذي أعرفه ويحررني من أي شعور بالضيق. غياب هذه الإمكانية للوعي الديني الأسمى هو ما يميز النوم عن اليقظة.

١١- أشعر بارتباك شديد من تقبيل زوجة سيريوجا أثناء تحيتها، ولا أستطيع مغالبة هذا الشعور بأي طريقة، بل إنه أقوى من شعوري بالندم

على فعل سيئ. ماذا يعني ذلك؟ لا أستطيع حسم الأمر بعد، لكن من الضروري أن أحسمه.

١٢ - كم يبدو عمل الحياة المتمثل في العلاقات المباشرة مع الناس أهم من الكتابة! في هذه الحالة أنت تؤثر بشكل مباشر على الناس وتلمس نجاحك أو فشلك، وترى أخطاءك، ويمكنك إصلاحها، أما في الكتابة لا تعرف شيئاً؛ قد تكون أثرت فيهم وقد تكون فشلت في ذلك. ربما لم يفهموك، وربما لم تبين الأمر كما يجب... إنك لا تعرف شيئاً في هذه الحالة.

١٣ - يتمثل اللغز في أنني كائن مختلف في كل دقيقة، وفي الآن ذاته نفس الكائن. وعيي هو الذي جعلني كياناً واحداً، أما الزمان والمكان فهما المسؤولان عن أنني كائن مختلف في كل دقيقة.

١٤ - أنا والعالم الذي أدركه ننكشف لنفسي بانتزاع الحجب، ومن ثم ننكشف تدريجياً، لا بحسب ما نحن عليه -أنا والعالم- ولكن ينكشف ما يمكنني إدراكه من حالي وحالة العالم الحالية. يبدو لي أن ما انكشف لي سابقاً هو سبب ما ينكشف لي لاحقاً، وأن ما ينكشف لاحقاً هو نتيجة لما انكشف سابقاً.

١٥ - راودتني لحظة شك مريعة بالأمس. تمثل شكِّي الرئيس في: لماذا من الحسن أن نحيا وفقاً لقانون الله؟ أشكر الله على هذا الشك. لقد كشف لي بشكل أوضح ودرجة أكبر من اليقين عن أي وقت مضى عن استحالة تفسير أي شيء من دون خيري، واستحالة الإيمان بقانون الله من دون خير. يمكن أن نؤمن بقانون الله عندما يمنحنا خيراً. الخير

إِذَنْ هُوَ الْأَسَاسُ. الْحَيَاةُ خَيْرٌ لَنَا. مَا الْهَدَفُ مِنْ حَيَاتِنَا؟ أَنْ نَنَالَ خَيْرًا...
نَعَمْ، مِنْ أَجْلِ خَيْرِنَا، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ أَجْلِ خَيْرِنَا الشَّخْصِيِّ وَحَسْبُ، بَلْ
مِنْ أَجْلِ خَيْرِ الْكُلِّ؛ خَيْرِ الْكَيَانِ الْكُلِّي أَيْضًا. الْحَيَاةُ مِنْ أَجْلِ خَيْرِ الْكَيَانِ
الْكُلِّي هِيَ الْحُبُّ.

١٦- إِنْ لَمْ تَحُبْ نَفْسَكَ سَتَسْقُطُ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ نَفْسَكَ وَحَسْبُ
سَتَسْقُطُ كَذَلِكَ. خَلَاصُكَ الْوَحِيدُ عِنْدَمَا تَحُبُّ نَفْسَكَ وَالْجَمِيعَ؛ أَيَّ اللَّهِ.
عِنْدَمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ يَصْبِحُ اللَّهُ هُوَ الْمُحِبُّ وَالْمُحْبُوبُ فِي الْآنِ ذَاتَهُ.

١٧- لَا يَكُونُ الْأَمْرُ جَيِّدًا إِلَّا عِنْدَمَا يَكُونُ مَا تَحِبُّهُ فِي نَفْسِكَ هِيَ
رُوحُكَ: «قَلْبُكَ الرَّائِعُ» (بِالْفَرَنْسِيَّةِ فِي الْأَصْلِ) كَمَا هُوَ الْأَمْرُ فِي الطُّفُولَةِ.
وَلَكِنْ يَصْبِحُ الْأَمْرُ مَرِيعًا إِنْ كَانَ مَا تَحِبُّهُ فِي نَفْسِكَ هُوَ جَسَدُكَ أَوْ جَسَدُ
آخَرٍ غَرِيبٍ عَنْكَ، كَمَا هُوَ الْحَالُ مَعَ حُبِّ جَسَدِ الْمَرْأَةِ أَوْ الْوَلَعِ بِأَدَاءِ
الْتِمْرِينَاتِ الْرِیَاضِيَّةِ.

٣٠ سبتمبر.

رَاجَعْتُ بَرُوفَاتِ الطَّبَاعَةِ الَّتِي وَصَلْتَنِي. حَاولْتُ أَنْ أَبْدَأَ فِي كِتَابَةِ
قِصَّةٍ عَنْ كَاهِنٍ. مَوْضُوعُ رَائِعٍ لَكِنِّي بَدَأْتُهُ بِجَسَارَةٍ وَدَقَّةٍ مَفْرُطَتَيْنِ. لَسْتُ
مُسْتَعِدًّا لَهُ بَعْدَ لَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَهُ جَدًّا^(٢٠٢). تَلَحُّ الْمَسْأَلَةُ الْفَلَسْفِيَّةُ
وَالدِّينِيَّةُ الْمِيتَافِيزِيَّةُ عَلَيَّ بِقُوَّةٍ مُطَالِبَةٍ إِيَّايَ بِالتَّعْبِيرِ عَنْهَا بِدَرَجَةِ أَكْثَرِ
وَضُوحًا. إِنْ لَمْ أَجِدْ حَلًّا الْيَوْمَ، أَظُنُّ أَنِّي سَأَكُونُ قَدْ اقْتَرَبْتُ مِنْهُ جَدًّا.

(٢٠٢) يَشِيرُ إِلَى قِصَّةِ (الْأَبِ فَاسِيلِي) الَّتِي بَدَأَهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَتِمَّهَا أَبَدًا.

أقرأ الآن لجوته^(٢٠٣) وأرى حجم التأثير الضار لهذا الإنسان التافه البورجوازي الأناني الموهوب على هذا الجيل الذي عايشته؛ خاصة على تورجينيف البائس وإعجابه الشديد بفافست - وهو عمل سيئ للغاية - وأعمال شكسبير - التي أعجب بها جوته هو الآخر - وخاصة فيما يتعلق بالأهمية الشديدة التي عزاها إلى التماثيل المختلفة للاوكون^(٢٠٤) وأبوللو، وقصائد ومسرحيات متنوعة. كم عانيت بسبب رغبتني في حب ما كان يُقدِّره تورجينيف بشدة بسبب حبي له! حاولت فعل ذلك بكل قوتي، لكنني لم أستطع فعل ذلك بأي طريقة. يا للتأثير المريع الذي لنفوذ المشاهير والعظماء، بل والمزيفين! أفكار للتدوين:

١ - ستجلب لك حياتك الخير دائماً إن أدركت أنها تتمثل في الوعي بالجوهر الروحي الإلهي. لا يمكن ألا تجلب لك خيراً حينها لأنك تسعى في هذه الحالة صوب كشف الوعي وتوسيع حدوده أكثر فأكثر، وبإمكانها تحقيق ذلك عندما تعيش حياة واعية. بحلول لحظة الموت تصل إلى أقصى مرحلة يمكنها الوصول إليها الآن، وستنتهي؛ لا أقصد أن الوعي سينتهي، بل عملية انكشافه وتوسعه. سأكتب بمزيد من التفصيل لاحقاً.

٢ - ما النوع؟ سمات الأسلاف التي تتكرر في النسل. يحمل كل كائن حي بداخله إذن كافة سمات أسلافه جميعاً أو حتى إمكانيتها (هذا إن كان يؤمن بالداروينية وسلم الكائنات اللانهائي) وينقل سماته بدوره

(٢٠٣) كان يقرأ مذكرات جوته.

(٢٠٤) تمثال تذكاري ضخيم من المرمر يوجد حالياً في متاحف الفاتيكان في روما.

- التي سوف تتغير دائماً - إلى الأجيال اللاحقة. كل كائن إذن - كما هو الحال معي - يعتبر جزءاً من كيان لا نهائي واحد متفرق بامتداد الزمن في كائنات كثيرة. كل إنسان، كل كائن هو نقطة واحدة وحسب عبر الزمان والمكان اللانهائيين. إذن أنا - ليف تولستوي - بمثابة تجلٍّ مؤقت لآل تولستوي وآل فولكونسكي وآل تروبتسكوي وآل جور تاشكوف... إلخ، ولست مجرد كيان زمني، بل مكاني أيضاً. إنني قادر على تمييز نفسي وسط هذه اللانهائية بسبب وعيي بنفسي وحسب.

٣- يجد الإنسان فتنة وإغواء شديدين في المديح واستغلال الشهرة، لكن ذلك لا يساوي أبداً مقدار ما يشعر به من سرور إزاء الانتقاص من ذاته. لم أسمع شيئاً ما بسبب ضعف سمعي وسألت سؤالاً غيبياً، فقلت بصدق: «يبدو أنني قد أصبحت أصمّ وغيبياً بسبب الشيخوخة» وقد أشعرني ذلك بفرح وسرور شديدين. أظن أن الأمر على هذا الحال دائماً.

٤- كتبت سابقاً: «عن الطريق الزائف للشعوب التي تنظم شؤون حياتها المادية» ثم نسيت تماماً معنى ذلك، وتذكرت الآن وحسب الفكرة بأكملها التي بدت لي حين كتبتها مهمة جداً، وكذلك تبدو لي الآن.

الفكرة مفادها أنني أظن أن الناس قد عانوا - ولا يزالوا يعانون - من فترات طويلة من الخداع المتمثل في توجيه كافة قواهم صوب تحقيق الرخاء المادي والتضحية بخيرهم الروحي وسعيهم صوب الكمال في سبيل تحقيق ذلك، ليس منذ أيام روما وحسب، بل منذ زمن مصر القديمة وبابل أيضاً. يعود ذلك إلى العنف الذي يتركبه البعض في حق الآخرين. لقد استعبد الناس إخوانهم من أجل زيادة خيرهم المادي. أقر أولئك الذين

استعبدوا إخوانهم بشرعية وضرورة هذه العبودية، لذا انحرف الفكر والعلم. لقد أقروا بشرعية هذا العلم، وهذا منشأ كافة البلايا. أظن أن الوقت قد حان الآن كي يدرك الناس خطأهم ويصححوه. حينها سيتأسس العلم الروحي -أو بالأحرى يتطور- وهو العلم الحقيقي الذي يحتاج الناس إليه فعلاً؛ علم السعي صوب الكمال الروحي وأسهل الوسائل لتحقيقه.

٥ - عن التنويم: منذ فترة والناس يتحدثون عن التنويم المغناطيسي ويدرسونه، كما يدرسون أكثر مظاهره تطرفاً، ومن ثم بدأوا في المبالغة والكذب والتلفيق. لكن ما يهم حقاً ليست مظاهره المتطرفة، بل على النقيض من ذلك؛ أكثرها اعتيادية، أي ما يحدث عندما يبدأ إنسان في الضحك أو البكاء أو الغضب أو الاشتياط غضباً، فيجد آخر نفسه تلقائياً يود فعل ذلك هو أيضاً. ما الذي يعنيه أن تقرأ كلمات مؤثرة وتترقق الدموع في عينيك وتبكي، أو تسمع سباً مقزعاً أو ترى أعمال عنف، فترغب في ذلك أنت أيضاً؟ لا تهم دراسة التنويم المغناطيسي الذي يقوم به شاركو^(٢٠٥)، بل ما يهم هو دراسة تلك الظواهر المذهلة التي بمقتضاها يغير الناس ثيابهم الرخيصة المريحة بأخرى باهظة وغير مريحة. يعرف الجميع أن الناس لا يتغيرون إن مسحهم بالزيت المقدس... إلخ، ورغم ذلك يؤمنون بهذه الحماقات، تماماً كما يفعل أولئك الذين يرتكبون باسم هذا الإيمان أفعالاً ضارة ومهلكة لأنفسهم حينما يسيرون صوب الموت ويقتلون الآخرين.

(٢٠٥) طبيب أعصاب فرنسي وبروفيسور في علم الأمراض التشريحي. يُعرف اليوم بعمله في مجال التنويم المغناطيسي والهستيريا.

ثمة تفسير واحد لذلك:

تتجلى الحياة - التي نسميها «حياة» - في العالم في كائنات مختلفة على مستويات متنوعة: كلي القدرة - الأبدى - الموجود الوحيد، أي أن كل ما هو موجود هو الحياة وحسب - القوة التي نسميها الله. هذه القوة واحدة في كافة الكائنات، ولكن بدرجات مختلفة من الوضوح، لذا ما إن يجبر وترٌ غيرُه على التردد بنفس الدرجة، حتى يشير كلاهما نفس الأفعال، ولكن بدرجة مختلفة. كلما ازداد عدد الكائنات التي تماثلت دوزنتها، ازدادت دقة التأثير الذي ينقلونه. كلما ازداد عدد القطيع، ازداد الخوف، وهذا هو منبع الإيمان بالأيقونات المعجزية والاشتراكية والحملات الصليبية الطفولية والمذابح التي تُرتكب أثناء الثورات.

صياغة سيئة وغير واضحة.

١ أكتوبر.

إنه يومي الثاني الذي لا أكتب فيه شيئاً، وأشعر بالضعف والنعاس، لكنني بخير روحياً... بخير جداً. أقرأ لجوته. صوفيا تشعر بالضعف، وأشعر بالأسف الشديد عليها. أواصل ما بدأت تدوينه في دفترتي عن الحياة، والذي أظن أنه مهم جداً:

١ - إن كان شيء ما موجوداً، في وقت ومكان ما، لشخص ما، فوجوده يعود إلى ما كُتب في الآيات الأولى من إنجيل يوحنا^(٢٠٦) وحسب، أي

(٢٠٦) في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله و كان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله.

كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان...

أنه يعود إلى وجود وعي؛ إنسان يعي شيئاً ما. في البداية يبدو له أن هذا الوعي موجود بذاته، ولكن بعد أن يمعن التفكير في كيف سيبدو ذلك فيما بعد، يرى أن لا وجود سوى لما يعيه، وأن ما يعتبره نفسه، ليست إلا شيئاً محدوداً، لا يمكن أن يدرك بها كل ما يُدرك. يعني ذلك أن الإنسان الواعي يشعر في نفسه بدرجة محدودة - غير كاملة - بتجلي شيء ما لا نهائي كلي القدرة. يبدو له هذا التجلي في صورة إيفان أو بطرس أو ليف تولستوي. الإنسان إذن هو تجلٍ لكيان إلهي في حالة محدودة (حتى لا أكرر كلمة لا نهائي وكلي القدرة سأقول بدلاً منهما: (إلهي). هذا التجلي للإلهية، ووعي الإنسان بالإهية التي تشكله محدود بما يلي:

١- تمثله في المكان يعني محدوديته بالجسد، لذا لا يتجلى في كامل وجوده، بل في الجسد وحسب، وذلك يعني أيضاً أن سمة كلية القدرة خاصته لا تسري إلا على جسده، لا بمعنى أن الإنسان يستطيع فعل كل ما يريد بجسده، بل بإمكانه توجيه هذا الجزء الخاضع له من جسده كما يشاء.

٢- يحده كذلك أن الإنسان لا يعي ذاته في كل شيء، بل يعي بوضوح هذا الجزء من نفسه المتضمن داخل جسده، وهذا الجزء لا يمثل كل شيء، إنه مجرد جزء انكشف لصاحبه، ويستمر انكشافه دائماً وبشكل منتظم. وهكذا يطلق الإنسان على الجزء الذي يدركه من العالم: «نفسه»؛ الجزء الذي يشعر فيه أنه كلي القدرة، ويطلق هذه التسمية أيضاً على ذلك القدر من انكشاف وعيه الذي يصل إليه. نحن نطلق كلمة «الحياة» على انكشاف الوعي المتزايد داخل إطار الزمان والمكان؛ أي

الانكشاف المتزايد لجوهرنا الإلهي، وما ينتج عن ذلك بالضرورة من توسيع لأطر الوعي ونقله إلى كافة الكائنات الأخرى (الحب). ببداية الوعي تبدأ الحياة. في البداية يكون وعيًا بالقدرة الكلية محدودة بالجسد، وفي هذا الوقت يبدو الجسد أقوى من كل شيء آخر. ثم يضعف الجسد وينتقل الإحساس بالقدرة الكلية إلى خارج النفس؛ إلى كائنات أخرى خاضعة للحب، كما يخضع جسده لجهازه العصبي، ولكن ليس بصورة آنية كما يؤثر الجهاد العصبي على الجسد فوراً، بل بشكل حقيقي، حتى إن امتد هذا التأثير لقرون.

صياغة غير واضحة. وددت لو أعبر عن الفكرة بصورة أفضل. تلخص الحياة في عملية توسيع الوعي السالفة بقدر ما يتكشف الوعي فيها.

بتوقف الوعي تنتهي الحياة؛ أقصد هذا الوعي الذي نعرفه. ولأن الحياة ليست إلا ما نعرفه، لا يمكن أن يكون توقف وعينا سبباً لتوقف الحياة، تماماً كما لا يمكن لتوقف نور الشمس عن الوصول إلينا عند غروبها أن يكون إشارة إلى فناء الشمس. ثمة نتيجة أخلاقية لفهم الحياة بهذه الطريقة: بما أن التجلي الأسمى للحياة هو توسيع حدودها المتمثل في الحب، على الإنسان إذن أن يوجّه جهوده صوب هذا الهدف؛ حب الله والقريب. يمكنك أن تكون كلي القدرة على جسدك، فتعمل وتلعب، ويمكنك أن تكون رجل أسرة، ولكن اعلم أن دعوتك الأسمى وما يتكشف لك يقودانك صوب حب الكيان الكلي. هذا هو التعليم الرهباني والهندوسي وكل تعليم أخلاقي ديني، والتعليم المسيحي.

أهم ما في الأمر هو الثقة في أن الأنا هي تجلُّ للألوهية، وأن لا خير سوى في الوعي بالنفس جزءاً من كيان الله، وأن كافة البلايا تتمثل في أمر واحد؛ الاعتراف بانفصال النفس عن كيان الله.

أردت أن أكتب المزيد عن ذلك، لكنني أنهكت وأفكر على نحو سيئ.

عندما أتحدث عن قدرة الإنسان الكلية، أقصد بهذا وعيه بحياته الذي يمكن أن يتجلى في اللحظة الحاضرة. إن وعى الإنسان نفسه حيًّا، فهذا يعني أن بإمكانه - بطريقة أو بأخرى - أن يُظهر هذا الوعي. ربما يكون مثلاً عاجزاً عن الحركة، لكنه سيظل قادراً على التفكير بشكل أو بآخر ما دام حيًّا. إن لم يكن الإنسان قادراً على التصرف بشكل أو بآخر، فهذا يعني أنه ميت. لا حاجة لإثبات ذلك، فالجميع يعرفون ذلك بالفعل. تتألف الحياة إذن في الكشف الإرادي والكلي القدرة للوعي في كل لحظة من الحاضر.

٢- تخدم الطفلة تانيتشكا (تاتيانا حفيدته) نفسها وحسب. وعيها بالله هو وعيها بحياتها الحيوانية، وهي محقة. ما إن ينمو الطفل - كالحيوان الذي يجب إطعامه - حتى يختبر الحاجة إلى العمل. يخرج ويتواصل مع الطبيعة بينما يعمل من أجل توفير قوته، وهو أيضاً محق في ذلك. ينمو الطفل وتظهر لديه حاجة جديدة: الاحتياج الجنسي. يشبع احتياجه، ويُنتج زواجه أطفالاً يتوجب عليه أن يطعمهم. تلخص حياته في ذلك، وهو محق. يتواصل مع زوجته وأطفاله. تتوسع دائرة دائرة نشاطه، ويدخل هو وزوجته وأطفاله إلى مجال تأثير الظروف

الاجتماعية. إن أراد الاستفادة بالمدارس والطرق وما إلى ذلك، عليه أن يشارك في هذه الأعمال. تزداد دائرته اتساعًا، ولكن مجتمعه يتغير. إن المجتمع جزء من الإنسانية في اللحظة الحاضر وفي الماضي والمستقبل أيضًا. يجد الإنسان نفسه مضطرًا للتعرض للتعليم الأخلاقي الديني الموجّه للناس جميعًا.

بمرور الناس بهذه المراحل، أدركوا إلى أين تمضي حياة الإنسان. وبعد أن عرفوا الهدف النهائي أصبحوا يسترشدون به في طريقة إرضاء الاحتياجات السالفة. يربون أبناءهم دينيًا، ويتزوجون دينيًا وينظمون الشؤون الاجتماعية.

صياغة ضعيفة جدًا.

٢ أكتوبر.

مررت لتوي باختبار صعب مع رجل ضرير. وصل إليّ وأخذ يوبخني لأنني لم أتخلّ عن أرضي، مؤكدًا على أنني أحوز مالا. تركته. كان يمكن للأمر أن يمر بشكل أيسر، لكنني لم أتحمّل الاختبار نهائيًا. لا أزال أشعر بالإنهاك، لكنني أفكر على نحو جيد، ويبدو أن ثمة تعريفًا للحياة ينجلي لي. سأحاول أن أوضحه الآن في خطاب لتشيرتكوف. عليّ تدوين الآتي:

١ - من المفهوم أن تحاول الحكومة؛ أي المسؤولون الحكوميون، الاستجابة بشكل أو بآخر للمطالب المفروضة عليها بحسب ماضيها الذي فرض عليها الاحتياج إلى مختلف أقسام الإدارة القائمة. من الواضح

أيضاً أن الإنسان الذي لا يشعر بالرضى عن الحكومة ومتطلباتها، يمكنه أن يرفض تنفيذها، ويرحل عن بلاده ويذهب لبلد آخر ليحمي نفسه. كم هي غريبة إذن تلك الفكرة التي لشخص ما باستبدال نظام جديد بالذي كان قائماً سابقاً، وكذلك النشاط الإجرامي المُوجَّه إلى الوصول إلى هذا الهدف! هذا ما يفعله الآن كافة أعضاء وسطنا المتبطل.

أبقي المرء إذن تحت حكم نيكولاي بافلوفيتش^(٢٠٧) أو الشاه الإيراني؟

لماذا؟ من الممكن - بل ومن الواجب - أن يجاهد المرء بأفكار واضحة، ويستحيل أن يفعل ذلك وهو خارج الحدود، كما هو الوضع مع جيرتسين مثلاً. النضال السلبي هو أهم شيء؛ بمعنى عدم المشاركة في ما تعتبره شريعراً، وأن تناضل من أجل استيضاح المنابع الأخلاقية التي من شأنها أن تقضي على ما يبرر الشر.

ولكن يمكن لهذا أن يستغرق وقتاً طويلاً.

أولاً: يصطادون البراغيث بسهولة. ثانياً: الأمر لا يقتصر على أن هذا النوع من النضال الذي لا يستغرق فترة طويلة، بل إنه على العكس؛ يحقق الهدف المرجو أسرع كثيراً من أي طريقة غيره، وبدرجة أكبر. ستقود التغييرات التي تُجرى بالعنف لا محالة إلى تغيير لاحق يتم بالعنف أيضاً. الفكرة الرئيسة هنا هو أننا لا يمكننا أن نجري تغييرات حقيقية إلا بترقية الوعي العام. لكن الوعي العام ينخفض دائماً مع كل اندلاع لثورة.

(٢٠٧) نيكولاي الأول: إمبراطور روسيا.

٢- وحده الزمن ما يمنحنا إمكانية الحرية (القدرة الكلية على ما يقع في مجال سلطتنا) ويمنحنا الحياة؛ الحرية. الزمن هو التغيرات التي تلحق بجزئيات المكان. لو لم تكن هناك محدودية بالزمن؛ أي إن كنتُ قادرًا على أن أصبح مباشرة على الصورة التي سأكون عليها عند حلول الموت، أي إن أصبحت فورًا كيانًا يتضمن بداخله كافة الذكريات وكل خبرة الحياة الماضية، لما كانت حياة ولا حرية. ثمة حرية وحياة لسبب واحد؛ أنني أنكشف باستمرار لنفسي، وأني في كل لحظة من هذا الكشف، يمكنني - بشكل أو بآخر - أن أتعامل مع الظروف التي أكون فيها. قلت: «لو لم تكن ثمة محدودية بالزمن....» لكن محدودية الزمن غير ممكنة إلا في ظل محدودية المكان، أي أن أدرك نفسي جزءًا من العالم المكاني بأكمله. كم من الغريب قول ذلك، ولكن إن كنت كل شيء لما عشت، ولكان وجودي من أجل شخص ما وحسب. من الغريب كذلك أن أقول: إن أصبحت مباشرة ما أنا عليه الآن، لما عشت. من الضروري أن يكون المرء محدودًا مكانيًا، وأن يظهر داخل إطار الزمان حتى يعيش ويكون حرًا. هكذا أنا موجود.

أنهكت والصياغة سيئة.

٣، ٤ أكتوبر.

بالأمس كتبت خطابًا لتشيرتكوف يتضمن تفسيرًا لمفهوم الحياة عليَّ أن أكتبه هنا. كتبت أيضًا خطابًا عن الثورة ليجن^(٢٠٨). حل الصباح،

(٢٠٨) أحد سكان مقاطعة ساراتوفسكي، وقد أرسل خطابًا لتولستوي يسأله هل موقفه من لا جدوى النضال السياسي قد تغير أم لا نتيجة الأحداث الثورية الأخيرة؟ وقد أكد تولستوي على أن آراءه لم تتغير بصدد ذلك.

أريد أن أكتب في قصة «الأب فاسيلي».

١٠ أكتوبر.

لم أحقق أمنيّتي. صُعبت من الحوار الذي دار بيني وبين فلاح ثوري شاب من قرية لومينتسيفو^(٢٠٩)، وفي اليوم التالي قرأت في الجريدة عن إعدام ٢٢ فردًا وبدأت أكتب عن ذلك^(٢١٠). كانت النتيجة سيئة جدًا، لكنني منذ ثلاثة أيام وأنا أواصل الكتابة تدريجيًا. أريد أن أجيب عن السؤال الآتي: ما العمل؟

عليّ أن أدوّن الكثير:

١ - وحده الزمن؛ الحركة المستمرة لي ولكل شيء، هو الذي يمكنه أن يعطينا إمكانية الحركية؛ توجيه الحركة التي تجري بداخلي. وحده الوقت هو الذي يمكنه أن يوفر إمكانية الحرية لكيان منفصل.

٢ - ما أسميه «حياتي» هو وعيي بجوهري الإلهي المتجلي في جزء من أجزاء الكيان الكلي. ثمة حدود تحد هذا الجزء، تتمثل لي في الجسد «المادة» داخل نطاق المكان. لا يقتصر الأمر على أن هذا الكيان حر، لكنه كلي القدرة داخل إطار التغييرات الزمنية. ما أسميه «حياة» هي التغييرات التي تطرأ على الوعي داخل نطاق الزمن. إن اقتصر ظهور الوعي الإلهي

(٢٠٩) تبعد عن ياسنابا بوليانا ١٣ فرسًا.

(٢١٠) دار الحوار بين تولستوي والشباب حول بعض شباب قريته الذين أُلقت الحكومة القبض عليهم بسبب تنظيمهم لاجتماعات ينادون فيها بالقضاء على ملكية الأرض، وكان الشاب يوافقهم ويدعو إلى الثورة، بينما حاول تولستوي إقناعه -بلا جدوى- بضرورة المقاومة السلبية وعدم المشاركة في الشر وأعمال الحكومة. دُهل تولستوي عندما عرف خبر إعدام هؤلاء الشباب.

في الجسد داخل نطاق المكان وإن غابت الحركة، لما كانت حياة. الحياة هي تجلي الجوهر الإلهي داخل حدود المكان بالحركة داخل نطاق الزمن.

٣- الحياة تحرر متزايد لإلهيتك. لا تبدأ الحياة الحقيقية إلا عندما يبدأ وعي الإنسان بإلهيته وحرية، لكن هذا الوعي يجري على نطاق محدود. عندما ينتهي هذا الوعي تنتهي الحياة.

٤- دَوَّنت سابقاً: «لا يصيب الموت ما وعاه المرء، بل من وعى هذا المحتوى». غير صحيح. كان عليّ أن أقول: الموت هو توقف الوعي في إطاره القديم.

٥- دَوَّنت سابقاً بعد حالة مزاجية سيئة جداً: «حياتنا مقرزة للغاية: يلهون ويتداوون، ثم يمضون إلى مكان ما ويدرسون شيئاً ما ويتجادلون ويوجهون عنايتهم لما لا يستحق الاهتمام، بينما الحياة غائبة لغياب الواجبات». هذا أمر مريع! يتكرر شعوري بذلك أكثر فأكثر.

٦- خرجت للتنزه. صباح خريفي ساحر هادئ دافئ أخضر، تفوح فيه رائحة أوراق الشجر. وبدلاً من الاستمتاع بهذه الطبيعة الساحرة في الحقول والغابات والمياه والطيور والحيوانات يرتبون شؤونهم في المدن والطبيعة المصطنعة مع مداخن المصانع والقصور والمركبات والفونوغراف... أمر مريع حقاً ولا يمكنك إصلاحه.

٧- مهم جداً: يختال معاصرونا بعلمهم. تكشف لنا حقيقة اختيالهم بعلمهم أفضل من أي شيء آخر عن زيفه. تكشف لنا هذه الحقيقة عن العلم الحقيقي، أو بالأحرى يمكن أن تكون دلالة لا شك فيها على أن

العلم الحقيقي هو الوعي بمدى تفاهة ما تعرفه مقارنة بما يتكشف لك. ليس هناك شك في زيف علمنا، ولا يعود سبب ذلك إلى خطأ موضوعات بحثه، بل إلى عدم ضرورتها، على الأقل بعضها كذلك مقارنة بما هو مهم ولا يُدرس، والكثير من موضوعاته غير ضرورية تمامًا. أنا على ثقة شديدة من أن الناس سوف يفهمون ذلك ويطورون العلم الوحيد الحقيقي اللازم لهم والمهم في الفترة الحالية؛ إنه العلم الذي يعلمنا كيف يجب أن نعيش.

سيكون حسنًا لو كرّست ما تبقى من حياتي لأشير للناس إلى ذلك.

٨- في البداية يبدو من الذكاء ألا تُرجع بداية العالم إلى الخلق، بل إلى عمليات مادية من قبيل بقع مضببة وما إلى ذلك، ثم يتضح أن كلا الافتراضين متعادل، ولا أساس له. عندما تتعمق في التفكير في هذه المسألة، يتضح لك أن فكرة عزو العالم إلى إله خالق أذكى بدرجة لا تُقارن من عزوه إلى عمليات مادية. تسمح فرضية الخالق -حتى في أشد صورها فجاجة- بوجود جوهر روحي، أما عزو خلق العالم إلى عمليات مادية وسط الزمان والمكان اللانهائيين فهو محض هراء.

لم أكتب بالأمس، وألمتني في المساء برودتي صوب ماشا وكوليا وذهبت إليهما معذبًا، لكن تحسنت حالتي.

١١ أكتوبر.

أكتب عن الثورة، لكن على نحو سيئ. لا يؤسفني ذلك، فأنا بخير روحياً تمامًا. أشكرك يا مَنْ بداخلي. تعال وحل فيّ وطهرني.

دَوَّنت:

١ - فعلت شيئًا سيئًا... لا أتذكر هل أسأت معاملة متسول أم ماذا كان الأمر، لكنني شعرت بالخزي والألم والندم. من المؤلم بشدة للشيوخ أن يستحيل عليهم تصحيح الكثير من الأمور؛ لأن الطرف الآخر يكون قد رحل فعلاً، ولا يمكن اللحاق به. هذا شعور زائف. لا يعني ذلك أنني غير قادر على إصلاح عواقب أفعالي، فربما يمكن إصلاحها، لكن الفعل نفسه لا يمكن إصلاحه ولن يعود الزمن الذي ارتُكب فيه الفعل. لكن ما يمكنني إصلاحه هي نفسي. بإدراكي لخطيئي يمكنني أن أحذر تكرارها. العواقب لا تهتم، بل الفعل الذي يجعل صاحبه يعتاد الشر أو الخير.

٢ - القروية التي تلتمس طلباً من الله، أو حتى من القديس نيكولا ي صانع المعجزات باعتباره الكيان الروحي الأسمى، أقرب إلى الحقيقة من أكثر الأساتذة علماً ممن لا يعترفون بشيء لا يمكنهم إخضاعه للملاحظة والبرهان.

٣ - دَوَّنت ذلك سابقاً عن ماشا: عليها أن تحب الله أكثر من حبها لכולيا. هذا يعني أنه إن كان الله الذي تعترف به ويعيش بداخلك يدعوك إلى شيء، بينما تدعوك عاطفتك إلى النقيض، سيكون خطأً كبيراً إن اخترت ما يُوجِّهك إليه حبك الإنساني. ثمة استثناء واحد: إن كنت تحب شخصاً لا من أجل نفسك، بل من أجل الله.

٤ - عليّ أن أجعل «دورة قراءات» كالاتي: أضْمَن كل يوم فكرة دينية ميتافيزيقية تُعرِّف وضع الإنسان في العالم، كما أضْمَن كل يوم قاعدة مفيدة تساعد القارئ على أن يحيا حياة صالحة.

٥- أحياناً يضعون الحقيقة مثلاً لهم. هذا غير صحيح: ليست الحقيقة سوى غياب الكذب.

٦- يحدث كثيراً أثناء الصلاة أن أكرر الكلمات بمعنى جديد تماماً وأكثر عمقاً من فهمي السابق لها. حدث ذلك اليوم أثناء الصلاة حينما كنت أكرر: «اطْلُبُوا أَوْلاً مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ.» (متى ٦: ٣٣)، «لَأنَّ هَا مَلَكُوتُ اللَّهِ دَاخِلَكُمْ» (لوقا ١٧: ٢١). أدركت حينها أن ملكوت الله بداخلك، بمعنى أن يسود الله بداخلك. أما عبارة «وهذه كلها تُزاد لكم» فلا تعني أن تُزاد لنا خيرات مادية، بل تشير إلى خيرك الداخلي المتمثل في الحرية والقدرة الكلية والهدوء الذي تختبره عندما تدرك طبيعتك الإلهية.

٧- عندما تصلي لله، حتى ولو بأكثر الطرق فظاظاً وبأكبر قدر من الالتماسات، فإنك تكون قد خطوت خطواتك الأولى اللازمة للتواصل مع الله، وهذا يعني أنك تعترف أن الخير من الله. يقتصر خطوك هنا فقط على أنك تنتظر خيراً من خارج نفسك.

٨- يمكنني أن أعتبر نفسي تجلياً لحياتي: أفعالي وسلوكياتي، ويمكنني أن أعتبرها تجلياً للجوهر الإلهي. في فترة الطفولة يرى الإنسان نفسه بحسب الاختيار الأول وحسب جسده، وفي فترة الشباب يدرك تدريجياً طبيعته الإلهية. في الشيخوخة يزداد هذا الوعي قوة، وأظن أنه يكتمل تماماً عند الموت. تكشف لنا البهجة التي كثيراً ما يختبرها المحتضر عن ذلك.

٩- الصلاة وعي بالهيتك بغض النظر عن شكل ظهوره. يصلي

المُصَلِّي لنفسه بنفسه، ويدرك نفسه جزءاً من كيان الله.

١٠ - سيكون من الجيد أن أعيد الإشارة إلى مي تي^(٢١١) في مقالتي «خطاب إلى صيني».

١١ - أردت أن أكتب عن مشكلة تكدس أعداد البشر، وكيف أن العفة هي الحل لهذه المشكلة، حيث إنها سمة الإنسان العاقل.

١٢ - لا شيء بإمكانه أن يعوق الإنسان عن تنفيذ المهمة الموكلة إليه. قد تبدو نتائج الأفعال مغايرة لما نتظره، ولكن لا شيء بإمكانه أن يعوقنا عن أداء الفعل نفسه. لا شيء بإمكانه أن يمنع الفطر عن النمو والفأر عن التكاثر وشجرة التفاح عن الازدهار والإنسان عن فعل ما يلائم طبيعته العاقلة؛ الخير العقلاني. لا شيء يمكنه أن يمنع الإنسان عن أن يكون صالحاً ويحب.

١٣ - لا يكون الإنسان حرّاً في حالة واحدة؛ عندما يتنافر مع طبيعته العاقلة.

١٤ - يقول المناصرون للحكومة إنها ضرورية ومفيدة. هذا ما يقوله أيضاً صاحب الحانة والمسؤول عن بيت الدعارة.

١٥ - ما طبيعة تلك الحيوية الخاصة بالأفكار التي أختبرها خاصة أثناء تنزهي؟ يحدث أحياناً أن تكون قد فهمت فكرة وومضت في ذهنك وتعتبرها سليمة، لكنك تظل بارداً صوبها، وفي حين آخر تستولي عليك فجأةً كاملاً وتشعر أن هذه ليست مجرد كلمات، بل عليك أن تعيش فعلاً

(٢١١) فيلسوف صيني بَشَّرَ بالحب لكل الناس.

وفقاً لها، وحينها تشعر بسرور شديد.

١٦ - نتعجب من النباتات التي تفترس الحشرات لأنها تكشف عن بعض سمات العقل فيها. من المدهش كذلك عندما لا يُظهر كيان عاقل في نفسه سوى سمات الحياة الحيوانية أو النباتية.

١٧ - يمنح الزمن إمكانية الحرية للكائن المنفصل.

١٤ أكتوبر.

واصلت لثلاثة أيام أخرى الكتابة تحت تأثير انطباعي عن اللقاء الذي تم على الطريق الرئيس، لكنني كتبت قليلاً وعلى نحو سيئ، ويبدو أنني قررت اليوم أن أتخلّى عما كتبت. أشعر طوال تلك الفترة بالضعف الشديد: أتحرك على نحو سيئ، وأفكر على نحو أسوأ.

بينما كنت أتنزه صباح اليوم، صليت لله وفكرت في أن لديّ دائماً فكرة دينية عن الحياة وواجباتي، وكيف تدعمني وتسمو بي هذه الفكرة ما إن تخطر على ذهني. (يبدو أنني كتبت عن ذلك سابقاً) ولكن بعد ذلك يضعف تأثيرها، وأُخزّن هذه الحقيقة التي أقر بها في أرشيفي، وتتوقف عن دورها كمحفز لي. هذا ما حدث لي الآن مع فكرة أن الحياة هي وعي بجوهري الإلهي، وأن هذه هي الحياة وحسب، دون أي اعتبارات تتعلق بالظروف الخارجية، وينطبق ذلك أيضاً على جسدي. في البداية سُررت، وبدا لي أنني سأعيش هكذا دائماً، ولكن بعد مرور أسبوع يضعف تأثير هذه القوة على حياتي. آمل ألا يزول تأثيرها تماماً. ما إن أتذكر الآن جوهر حياتي، وأتعامل بهذا الوعي مع مسائل الحياة المختلفة (الأمور القادمة)

حتى أشعر بالهدوء والصلابة والجدية والتحرر من كافة تصوراتي عن النتائج. هذا ما حدث حينما فكرت في التحدث مع أندريوشا أو في الرد على هذا الطالب^(٢١٢) عما يتعلق بأملأكي. لا يمضي ذلك عبثاً أبداً، بل يمدني بقوى عديدة.

بالأمس جاء العزيز إيفان إيفانوفيتش^(٢١٣). قرأت مقالاتي التي سيعيدون نشرها بسرور، وكذلك مقالتي عن التربية والتعليم. استقبلت خطاب تشيرتكوف^(٢١٤) وتعليقه عني بضيق. خطاب مريض يُشعرنني بالألم من فرط ضرره. عليّ أن أدوّن الآتي وحسب:

إن مسيحيتنا، أو بالأحرى مسيحية الحكومة، بعيدة تماماً عن المسيحية الحقيقية، إلى حد أن الأمر لا يقتصر على ضرورة الكشف عنها، بل تطهيرها وإنقاذها كذلك.

لقد خدمني فهمي الفعّال الآنني للحياة كوعي بالله، فمنذ أسبوع وأنا أشعر بالضعف والوهن ولا أستطيع أن أفعل شيئاً، وأثقلني ذلك بشدة، ولكن ما إن تذكرت أن عليّ ألا أفعل ما يناقض هذا الوعي وحسب، بحيث يتجلى بقدر الإمكان، حتى شعرت أنني على ما يرام.

٢٠ أكتوبر.

لا، لم يضعف سروري بوعيي بالحياة الروحية وبالله في داخلي.

(٢١٢) مجهولة هويته.

(٢١٣) جوربونوف: محرر جريدة الوسيط والذي كان قد نشر مؤخراً مقالة عن آراء تولستوي عن التعليم.

(٢١٤) لم يُعثر على هذا الخطاب.

أختبر الآن حالة جديدة تمامًا من الوعي عندما أعترف أنني لست ليف تولستوي، بل تجلّ للكيان الروحي الأوحد اللا محدود، ولا أبالي بآراء الناس أو بحالة جسدي أو حتى بفعاليتي، وأشعر بقدره كلية وديعة محبة لا تخشى شيئًا. هذه حكمة روسية رائعة: «... كما لو أنك أمام الله»... نعم... العيش أمام وجه الله.

حالي الصحية تزداد سوءًا. انخرطت طوال تلك الفترة في كتابة فصل الختام للمقالة^(٢١٥). كتبت فيه على نحو سيئ، لذا نَحَيْته بعيدًا. قرأت ما كتبه تشامبرلين (مترجم روسي) عن اليهود، ووجدته سيئًا رغم كثرة ما يثيره من أفكار. أريد بشدة أن أكتب عملاً فنيًا وآخر دينيًا ميتافيزيقيًا.

نقلت الكثير مما دونته هنا في دفتر يومياتي، لكنني لم أسجل الآتي:

١ - يتضمن فهمنا للحياة (الدين) - وفهمي أنا أيضًا - الكثير مما هو مؤقت وجزافي وغير واضح، وأحيانًا يكون خاطئًا تمامًا. أود لو أوضح معنى الحياة بأكبر قدر من الوضوح، وإن لم أستطع فعلى الأقل لا أجلب إلى هذا التعريف أي شيء غامض.

إن مفهوم الله غير واضح بالنسبة لي. ليس لديّ أي حق في التحدث عن الله؛ الله الكلي، وكل ما أعرفه هو أن ثمة كيانًا ما بداخلي حُرًا وكلي القدرة. أردت أن أقول أيضًا «كيان خير» لكن لا يمكننا أن نصف هذا الكيان بالخير؛ لأن القدرة الكلية والحرية والوحدة لا يمكنها ألا تكون

(٢١٥) مقالة (مغزى الثورة الروسية).

خَيْرَة. أعرف هذا الوعي وأستطيع أن أحيا فيه، وبالاتقال إلى هذا الوعي تصبح حياتي كلها أكبر خير يمكن أن يصيبه إنسان. هذا ما يمكنني قوله الآن.

٢- الوعي هو التأمل في المتأمل. المتأمل متوقف على شيء، أما التأمل ذاته فحر.

٣- لم يكن من الممكن أن يصبح الكائن المنفصل حرًا لولا وجود الزمان؛ بمعنى كشف دائم لا يتوقف للكائن نفسه وللکائنات الأخرى. ما يمنحنا إمكانية الحرية هي تلك اللحظة التي يتماس فيها الماضي بالمستقبل.

٤- يمكنني أن أدرك مفهوم «الكثرة» عبر حدود كياني التي أدركها بالجسد داخل إطار المكان، كما يمكنني أن أفهم مفهوم الحركة عبر انكشاف الكائنات التي أعرفها لي بالزمن.

٥- إن نجاح الثورة بمعزل عن التحرر هو محض وهم.

٦- قرأت جزءًا من كتابي «عن الحياة»، وأرى أنني أفهم الآن ما تعرضت إليه في الكتاب بمزيد من الوضوح كما يمكنني أن أكتب الآن عن نفس الموضوع. ثم بدا لي أن وصف «أفضل» هو مستحيل في واقع الأمر. هذا ما سيحدث أيضًا مع فهمي وتعبيري الحاليين فيما بعد، وهكذا سيستمر الأمر إلى الأبد. أريد أن أفهم كل شيء، ولكن إن فهمت كل شيء وتضمنت كل شيء بداخلي، لما كانت حياة.

٧- الحياة هي كشف متزايد. إن مفهوم الله الخالق أو الله المتجسد

في المسيح، أو حتى الله الذي نسترضيه... جميعها مفاهيم مبررة كمفهومي بالضبط.

٨- يزداد انشغالي مع الوقت بفكرة تمييز المسيحية الحقيقية عن الكنسية؛ خاصة مسيحية بولس، ولقد فعلت هذا تلقائيًا بشكل جزئي. للمرة الأولى أشعر أنني لن أستطيع إتمام ذلك في هذه المرحلة من عمري. «كَانَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ إِلَى يُوْحَنَّا. وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ يُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَغْتَصِبُ نَفْسَهُ إِلَهِهِ.» (لوقا ١٦: ١٦). «لَأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا.» (يوحنا ١: ١٧) كم كان من الممكن للإنجيل أن يصبح رائعًا لو أزلنا منه العهد القديم ورسائل بولس! كم كان ليبدو عظيمًا!

٩- مهم جدًا: لا أزال - بحكم عاداتي القديمة - أنتظر حوادث خارجية مثل حالة صحتي ولقاء بأقرباء وأحداث بعينها ونجاح ما. كل ذلك ليس غبيًا وحسب، وإنما ضار أيضًا. توقف عن التفكير والعناية بما هو مادي، وستجد نفسك تلقائيًا تُوجّه كافة قواك صوب ما هو داخلي، وهو الأمر الوحيد الذي أنت في حاجة إليه ويدخل ضمن نطاق سلطتك أيضًا.

١٠- غضبتُ من كلب بسبب مطاردته للغنم، إلى حد أنني أردت ضربه. شعرت بمدى ما أثرته بداخلي من شعور شرير، وفكرتُ قائلاً: كل تحفيز وتشجيع على شعور شرير وشهواني هو أمر سيئ لأولئك الذين يعززون ما يجب التخلص منه. أردت أن أقول ليس بالنسبة إليهم وحسب، لكنه فعلاً بالنسبة لهم وحسب. كل تعزيز أو تشجيع على ذلك

يشبه ما تفعله حينما تبعد عائقًا كان يحول دون سقوط شيء ما.

٢٣ أكتوبر.

كتبت في المرة الأخيرة أنني لا أزال مبتهجًا بوعبي بالحياة، أما اليوم فيبدو أن عليَّ أن أكتب العكس: لقد ضعفت روحياً؛ خاصة فيما يتعلق برغبتني في نيل حب الناس؛ سواء كانوا أقرباء مني أو بعيدين عني. ذهبت اليوم إلى يسينكا واستلمت خطابات، وقد بعثت جميعها في الضيق. يكشف شعوري بالضيق عن كم قد انحدرت. سيدتان غامضتان تحبان الجدل، مشوشتا الفكر لماحتان، وكان بإمكانني - بل وتوجب عليّ - أن أعاملهما بلطف كما وجدت بعد أن فكرت في الأمر، ثم صفحة التسلية في صحيفة خاركوف التي كتبها هذا الطالب الذي عاش هنا في فترة الصيف^(٢١٦). لا شك أن كل هذا يُعتبر إشارة إلى المدى الذي انحدرت إليه إليه وفقداني لرابطتي مع الأبدى، بسبب شعوري بالألم عند قراءة هذا الكذب الشرير والأحمق والمحزن. علاوةً على ذلك كنت في حالة جسدية سيئة وفي حالة مزاجية كئيبة، ولم أستطع لفترة طويلة أن أستراد تواصلني مع الله. يعود كل ذلك إلى سروري بحب الناس والأقرباء لي وكذلك تشييرتكوف الذي وصلني منه خطاب رائع عن الحياة والله. كم هو مدهش أن تنغمس في الحياة تدريجياً، أو بالأحرى أن تخضع تدريجياً وتغلق ذلك الأنبوب الذي تتعامل عبره مع الله! على المرء

(٢١٦) يشير إلى مقالة بعنوان (ياسنايا بوليانا)، انطباعات سائح، كتبها طالب شاب ادعى فيها أن الفلاحين اعتبروا تولستوي نموذجاً سيئاً لملك الأراضي، وأنه ذئب يتخفى في مظهر نعجة مسالمة.

أن يخشى المديح وعبارات الحب خوفه من الشكر. فلأتذكر حوار فرانسيس الأسيزي^(٢١٧) مع الأخ المرافق له عن فرحة الكمال. أنا سعيد فعلاً بعد أن أدركت الخدمة العظيمة التي قدمها لي هذا الطالب بما كتبه في صفحة التسلية. إنه يدينني على شيء أنا غير مذنب فيه. لكنه لو عرف تلك الدناءات التي كانت -ولا تزال- في روحي، لأداني عن حق بدرجة أقسى من التي أداني بها أضعاف المرات. إن كنت أشعر بالحزن من إدانته لي على ما أنا غير مذنب فيه وعلى إدانته لي بالباطل، فلاشعر إذن بالأسف عليه وحسب، كما كنت لأشعر بالأسف على شخص أخطأ وقال أكاذيب عن إنسان آخر. آه... آه... كم سيكون رائعاً إن لم أفقد أبداً هذه العلاقة المباشرة بالله التي تستبعد كل اهتمام بأحكام الناس! هذا أمر ممكن. يمكن أن يكون المرء في حالة قوية أو ضعيفة، أو حتى في حالة من التبطل، لكن عليه ألا يستسلم أبداً لإغواء الرغبة في نيل حب الناس. إنه إغواء مريع بدأ معي منذ فترة الطفولة المبكرة، ولا يزال يكتنفني حتى الآن، أو بالأحرى يُخضعني تحت سلطانه. تحررت الآن من قبضته بفضل صفحة التسلية، ولكن هل سيدوم ذلك طويلاً؟

انهمكت طوال تلك الفترة في العمل على الخاتمة^(٢١٨)، ولا تزال تبدو في بعض الأحيان سيئة، وفي أحيان أخرى لا بأس بها ولا أستطيع أن أصل إلى قرار بشأنها. في مثل هذه الظروف عليّ أن أتخلص تماماً من أي اعتبارات تتعلق بآراء ومشاعر الناس، وسيبدو حينها القرار سهلاً.

(٢١٧) أحد أشهر قديسي الكنيسة الكاثوليكية، والحوار المُشار إليه ترجمته قبلاً في كتاب "طريق الحياة" الصادر عن آفاق للنشر.

(٢١٨) خاتمة مقالة (مغزى الثورة الروسية).

طوال تلك الفترة كنت في حالة جسدية شديدة السوء تجعلني أميل للغضب وعدم المحبة دائماً. يسرني أنني لم أترك نفسي تنساق إلى ذلك، وأناضل الأحكام الشريرة في ذهني لأوقفها. أود بشدة أن أكتب عن الكاهن^(٢١٩)، لكنني عاودت التفكير في الانطباع الذي ستركه تلك القصة.

لتممكن من تجنب فعل أي شر في حق نفسك وفي حق الآخرين في كافة الشؤون المهمة بحياتك، عليك أن ترى وتدرك وتشعر بهذه السمة التي يمكنك -بل ويتوجب عليك- أن تكتسبها وتتوقف عندها في كل فعل؛ ضرورة تحمل العنف والصبر عليه. هكذا هو الأمر أيضاً مع الحب؛ إنه يتأسس على أن تفعل للآخرين ما يريدونه. لكنك تحتاج إلى الشعور بعرفانهم وامتنانهم لما يحدث حتى تتيقن من رغبتهم تحديداً، وفي الوقت نفسه من شأن استثارة شعور العرفان في الناس ومديحهم أن يدمر الحب.

لا... ما كتبته سييء. عليّ تدوين الآتي:

١ - يرتب القائمون على السلطة نوعاً من الحياة يدفعون فيها الناس إلى اعتناق نفس نظرتهم إلى الحياة وتوجههم فيها.

٢ - بينما كنت مستلقياً على الفراش حاولت أن أتذكر ما إن كنت قد أطفأت المصباح أم لا، ورغم أنني حاولت أن أتذكر طويلاً، لكنني لم أنجح في ذلك. ليس هذا وحسب، لكنني عرفت يقيناً أنني إن كنت

(٢١٩) يشير إلى قصة (الأب فاسيلي).

قد أطفأت المصباح - وتبين بعد ذلك أنني أطفأته فعلاً - فلا بد أنني قد فعلت ذلك دون وعي. ألسنا ندين بتكويننا إلى تلك الأفعال التي نرتكبها دون وعي ولا نعود قادرين على تذكرها؟ إن جسدنا هو الذي يقوم بهذه الأفعال، لا نحن. إنها لا تمثلنا، بل هي تشبه ارتجافة جسدنا، قبل أو بعد الموت، تمامًا كما يلفظ فيزوف^(٢٢٠) ما بداخله. ابتسامة أو معاناة الطفل أو حتى طنين ذبابة عالقة في خيوط عنكبوت... نحن أكبر كثيرًا من أفعال لا تدخل إلى إطار وعينا، وبالتالي ذكرياتنا. نحن ما نعيه، وبإمكاننا أن نعي الكثير خارج إطار كياننا بالحب.

٢٤ أكتوبر.

وصلني جبل من الخطابات، وسباب مفيد من فيليكانوف^(٢٢١) وخطابان مُسكران من فرط ما فيهما من مديح، تمامًا ككأس خمر، لكنني لن أشربه. حالتي المزاجية جيدة. أظن أنني أنهيت الخاتمة. تنزهت على متن الجواد سالوماسوفو وعدت إلى المنزل مرورًا بسياج الأشجار. أنا في حالة جيدة جدًا. كما لو أنني أذكر عملي ومهمتي في ذهني. كم هي معقدة عملية الحياة! ليتني أتمكن من وصف ما لا يتحدث عنه أحد، وأحيانًا حتى لا يدركه أحد. الساعة الآن الثانية عشرة، سأستلقي.

٢٥ أكتوبر.

قرأت لتوي خطابًا غيبًا طائشًا من...^(٢٢٢) وأردت أن أعلن عن

(٢٢٠) جبل بركاني يقع شرقي مدينة نابولي.

(٢٢١) راجع حاشية ١٣٦.

(٢٢٢) هوية الشخصية مجهولة.

شجبي لها، ثم قررت أن هذا غير ضروري إن أردت أن أسلك بحسب الله، بل عليّ أن أقوم بالنقيض. لكن كوليا (حفيد شقيقته) دخل، ولم أستطع تحمل الأمر وحكيت له عما حدث وأذنته بشرّ. يكشف ذلك عن الاعتياد على الحياة من أجل النفس ونيل رضى الناس، لا من أجل الله ونيل رضاه. أشعر بالخزي والألم، كما لو أنني ارتكبت جريمة. راجعت الخاتمة بشكل نهائي.

٢٦ أكتوبر.

أنهيت كافة شؤوني. الخاتمة سيئة، لكنني أرسلتها بالفعل. كتبت كافة خطاباتي، بل وحتى توقيعاتي المطلوبة على الكتب. بالأمس أحزنتني ساشا، وأشعر بالضيق لأنني لم أستطع إجبار نفسي على العودة إلى التحدث معها حتى الآن. حل المساء، وأشعر أنني في حالة شديدة السوء. أريد أن أستدعي بداخلي وعيًا حيويًا بجوهري الروحي، ولكن بلا جدوى. بينما كنت أتذكر ماضيّ فكّرت في العمى المفزع الذي يحدث في فترة الشباب. أدين أندريوشا وساشا، ولكن كيف كنتُ أنا شخصيًا في السابعة والعشرين؟ القوقاز والحرب التركية وسيباستوبول... وكيف كنت في الثانية والعشرين؟ مقاومة -تشولكوفو^(٢٢٣) - صيد... نعم، تتأسس الحياة على تهذيب النفس والسعي صوب كمالها، ويستمر الأمر على هذا المنوال إلى أن يتحقق الهدف. ثمة حد لذلك؛ إنكار الذات كاملاً، وهو أمر غير ممكن للإنسان الحيواني. لذا لا بد له من الموت؛ أي الانتقال إلى إطار آخر. أليس الأمر كذلك؟

(٢٢٣) مكان بالقرب من تولا، كان مليئًا بالغجر حيث السهرات واللهو.

أرغب بشدة في كتابة كل ما يفكر فيه إنسان، ولو على مدار ست ساعات، ولكن كل شيء. سيكون هذا جديدًا تمامًا وله أثر ثاقب جدًا.

عليّ أن أدوّن أمرًا في غاية الأهمية. إنه أمر واحد وحسب، ولكن ربما هو أهم ما تحدثت عنه مع دوريك^(٢٢٤). بدأنا التحدث عن أن الإنسان يتضمن بداخله كيانين؛ واحدًا غير حقيقي، وهو ما يعتبره المرء نفسه في أغلب الأحيان، ونسميه: فيديا أو ليف نيكولايفيتش أو إيفان إيفانوفيتش، ذلك الذي وُلد صبيًا أو فتاة في روسيا أو فرنسا، في أسرة أحد النبلاء أو التجار أو الفلاحين، والذي لديه هاتان العيانان، فالأخير هو الذي يعيش في هذا الإنسان، ويزداد تجليًا مع مرور كل عام ويوم وساعة كما تزداد سلطته على ليف نيكولايفيتش أو إيفان إيفانوفيتش أو أي شخص آخر. يرغب الإنسان بشكل عام في مختلف الأشياء: العظمة والسرور والثروة، والقطاع الأغلب من هذه الأمنيات لا تتحقق، وإن تحققت يتضح أنها لم تكن تستحق هذا العناء. يعود ذلك إلى أن عمل الإنسان الحقيقي الوحيد هو أن يعمل على تجلي روحانيته أكثر فأكثر، وأن تزداد سلطته على جسده، وكذلك حريته، ويصبح مسرورًا دائمًا. لذا لا يصيب الإنسان السعادة إلا عندما يكرس حياته من أجل تحوله إلى الروحانية وسيطرته على جسده، ولا يعود يريد شيئًا سوى ذلك.

سيكون سعيدًا لعدة أسباب:

(٢٢٤) فيودور ميخايلوفيتش سوخوتين، وكان في استضافة تولستوي بياسنايا في تلك الفترة، ويقرآن يوميًا "من أفكار الحكماء".

١ - لأنه سيتمكن من تحقيق رغبته دائماً، ولا شيء يمكنه أن يعوقه عن تحقيقها.

٢ - لأنه في كل عمل آخر يُضعف تحقق الرغبة من فرحة الإشباع، أما في الروحانية، كلما تحققت، ازدادت الفرحة.

الروحانية هي السعي صوب الكمال وزيادة الحب. الخير الذي نناله من كل ما سبق يتمثل في الأساس في أن يحب الإنسان - وهذه أفضل سعادة له - ويُحِب.

صياغة سيئة... سأعود لهذه الفكرة لاحقاً.

٩ نوفمبر.

كنت مريضاً بسبب معدتي لعدة أيام، وعانيت من ضعف جسدي شديد. حالتي الروحية جيدة جداً. كتبت خطاباً لساباتير^(٢٢٥)، صحيح أنه غير جيد، لكنني قررت أن أرسله بنية فعل ذلك من أجل الله وحسب. حمداً لله على أنني لا أتأخر. أفكار:

١ - وحده الإنسان الذي يعتبر نفسه حرّاً بإمكانه أن يخضع للناس. مَنْ يفعل ما يشاء يعتبر نفسه حرّاً، لكنه في الحقيقة عبد لكل شيء. الحر الوحيد هو مَنْ يعتبر نفسه عبداً لله، ولا يفعل سوى ما يريده الله، والذي لا يمكن لأحد أو شيء أن يعوقه. (صياغة جيدة).

(٢٢٥) بول ساباتير: كاتب فرنسي كاثوليكي كتب خطاباً لتولستوي عن النهضة الدينية الواضحة في العالم الكاثوليكي، وأجابه تولستوي بخطاب يكشف فيه عن آرائه عن الحياة الروحية في الغرب بشكل عام.

٢- مكافأة الحياة الصالحة هي تلك الحياة الصالحة نفسها الموجودة خارج الزمن؛ في اللحظة الآنية. افعَل الصواب الآن وستكون بخير. أما النتائج فيمكنها أن تكون سيئة أو جيدة.

٣- لا تنحصر خطية الثراء في الثراء ذاته وحسب، لكن كذلك في الإفراط، وكلما ازدادت الثروة، تُضاف إلى الخطية الداخلية المتمثلة في استغلال عمل الآخرين وانتزاع ثمرة عملهم منهم خطية أخرى مريعة؛ يُقَاط الحسد والبغضاء في نفوس الناس.

٤- لا تحرك الأفكار حياتنا إلا إن توصلنا إليها بعقولنا نحن، أو إن أجابت على سؤال ظهر في قرارة أرواحنا، أما الفكرة الغريبة عنا، يستوعبها العقل وتحفظها الذاكرة، لكنها لا تؤثر على الحياة، ويمكنها أن تتواءم مع أفعال مناقضة لها.

٥- الأخوة والمساواة والحرية... كل هذا هراء إن تعاملنا مع هذه المفاهيم كمتطلبات لحياتنا الخارجية، وهذا هو سبب إضافة «أو الموت» (*ou la mort*) إلى العبارة. هذه الحالات الثلاث هي نتاج لسمات إنسانية. الأخوة هي الحب. لا يمكن أن تكون أخوة بين الناس إلا إن تحاببنا. أما المساواة فهي التواضع. لا نصل إلى المساواة إلا إن تخلينا عن كبريائنا، واعتبر كل إنسان نفسه أدنى من الجميع. الحرية هي تحقيق قانون الله للجميع. لن نصبح أحرارًا فعلاً إلا إن نفذنا قانون الله. (صياغة جيدة).

٦- لا يمكن للإنسان بوصفه كيانًا عاقلًا إلا أن يكون أخلاقيًا أو لا أخلاقي، صالحًا أو شريراً. لا يمكنه ألا يكون هذا أو ذاك؛ لأن ليس

بوسعه ألا يأكل ويتكاثر. يمكن للحيوان أن يأكل ويتكاثر دون أن يكون أخلاقياً أو لا أخلاقياً، أما الإنسان - بوصفه كياناً عاقلاً - يمكنه أن يأكل من نتاج عمل غيره بشكل لا أخلاقياً، وأن يتكاثر بشكل لا أخلاقياً حيث لا يعتني بأطفاله.

٧- كما أن الإنسان بإمكانه أن يُعوّد نفسه على أن يرى مغزى الحياة في الثراء والمجد أو حتى في الصيد أو جمع المال، يمكن كذلك أن يعودها على رؤية مغزى الحياة في السعي صوب الكمال والاقتراب التدريجي من الحدود التي تحده. يمكنك اختبار ذلك الآن: انثر الحبوب وراقب نموها، وسيشغلك ذلك ويسرك. تذكر كيف سُرت بزيادة قواك الجسدية ومهارتك في التزلج والعموم. حاول بنفس الطريقة ألا تتفوه طوال يوم، أو أسبوع بكلمة سيئة عن أي شخص، وسيشغلك ذلك ويسرك.

٨- إنكار الذات مهم وضروري ومفرح في حالة واحدة؛ عندما يكون دينياً، بمعنى أي أن تنكر ذاتك لتعرف كيف تنفذ إرادة الله.

٩- طالما بقي الإنسان في هذه الحياة لن يمكنه أن يُعطي أو يفهم كل شيء. عليه على كل حال أن يحاول دائماً أن يزيد من عطائه وفهمه بقدر ما يستطيع، وكلما ازداد قدر عطائه وفهمه، ازداد خيره.

١٠- إنسان يتمسك بعناد بأفكاره، خاصة لأنه توصل إليها بنفسه مؤخراً، وربما بعد أن أدان أفكاره السابقة. وفجأة يقترحون عليه أن يتخلى عن أفكاره الجديدة هذه، ويقبل أفكار أخرى أكثر جدة عنها لم يتوصل إليها بنفسه بعد. واحدة من أسخف الخرافات وأكثرها ضرراً أن يشعر المرء بالخزي من تغيير قناعاته. إن تغييرها لا يدعو للخزي؛ لأن

مغزى الحياة يتأسس على فهم متزايد أكثر فأكثر للنفس والعالم، وعدم تغيير القناعات هو الذي يدعو للخزي.

١١ - إن كان الله موجود، فهو ليس ثلاثة ولا اثنين ولا اثنين وعشرين ولا حتى واحدًا. إن مفاهيم العدد لا تنطبق من الأساس على الله.

١٢ - كما يتهيج الرياضي يوميًا برفع وزن أثقل وينظر إلى عضلاته التي تزداد قوة أكثر فأكثر، يمكنك أيضًا -إن جعلت العمل على روحك هدفًا لحياتك- أن تُسر يوميًا برفعك وزن أثقل مما حملته بالأمس وتزايد قدرتك على تحمل الإغواء.

١٣ - ليس حسنًا أن تؤكد لنفسك أنك تحب الناس وأنت تعيش بالحب، وتكرر تلك العبارات الزائفة التي قالها بولس، أو تُلقِّق عبارات أخرى بنفسك^(٢٢٦). ما جدوى الحديث عن الحب بينما حياتنا بأكملها مؤسسة على الشر؟ كل ما أستفيد منه ترافقه اللعنات، يؤديه أحد لي رغمًا عن إرادته من فرط حاجته التي أستغلها. الحديث عن محبتنا للناس، أو حتى استشارة مشاعر بداخلنا تشبه الحب، يماثل أن تطلي شجرة خامًا لم تكتمل بعد بطلاء لامع. نحن نعيش على ظلم إخوتنا. قبل أن نحب، علينا أن نتوقف عن العيش على استغلال معاناتهم.

١٤ - قُل لي: إن تطلب منك تحقيق ما تسعى إليه ألا يقتصر الأمر على أن لا تُعرف مجهوداتك وحسب، بل أن يعتبر الآخرون أفعالك تتسم بالنذالة والشر أيضًا، فهل كنت ستواصل ما تفعله؟ لا يمكنك أن

(٢٢٦) يشير إلى حديث بولس في رسالة كورنثوس الأولى ١٣: ١ - ٨ عن المحبة.

تُكرّس كافة قواك لهذا النشاط الذي اخترته إلا عندما تجيب عن هذا السؤال بالإيجاب.

١٥ - تواجه الإنسانية المسيحية معضلة: إما أن تتخلى عن كل دين، وليس المسيحية وحسب، أو ترفض الدولة والسلطة والقوة. يبدو الأمر كما لو أن الفرنسيين والأمريكيين والإنجليز والألمان يميلون إلى اتخاذ القرار الأول؛ رفض الدين. آمل أن يختار الروس الثاني.

١٦ - من المدهش عدم تمكن الناس من فهم أن الأسباب الداخلية والعميقة التي أنتجت الثورة الحالية في روسيا لا يمكنها أن تكون نفس الأسباب التي أنتجت الثورة منذ أكثر من مائة عام.

١٧ - يبدو لي أنني أتحرك، وأن العالم كله يتحرك أيضًا، وأطلق على ذلك: «الزمن» بينما في الحقيقة لا شيء يتحرك. كل ما يحدث هو أنني أنكشف لنفسي وكذلك ينكشف لي العالم.

كل ما أعرفه هو أن حياتي بأكملها، وحياة العالم، وكل ما انكشف في الماضي في وقته للآخرين ونقلوه إليّ، وكل ما أعرفه من المستقبل؛ ما ينكشف لي... كل ما فات لا يتحرك، وليس ثمة وجود للماضي أو المستقبل؛ بل هو موجود دائمًا خارج الزمن. لقد كان موجودًا دائمًا، وهو موجود الآن، وسيظل موجودًا، وكل ما هو غير معروف لي هو جزء من هذا الوجود الأبدي، انكشف - ولا يزال - في حياتي.

تنكشف لي حياتي وكذلك كل ما يتضح لي من حياة العالم، لكنها كانت موجودة دائمًا، وهي موجودة وستظل موجودة، وموتي الذي أعرفه بالملاحظة والوعي موجود أيضًا، وثمة وجود كذلك لكل ما يتصل

بموتي. هذا يعني إذن أنه لا يمكن لشيء أن يحدث لي أو للعالم كله، فكل شيء حادث فعلاً.

الحياة هي انكشاف متزايد لما هو موجود، لذا لا بد أن يكون الموت إذن انكشافاً، لكنه انكشاف لما لا نعرفه ولا يمكننا أن نعرفه. إن كنا نعرف ما تكشفه الحياة من قصص الآخرين، فإننا لا نستطيع أن نعرف ما يكشفه الموت.

الحياة هي كشف تدريجي مطرد للنفس. بهذا الكشف أدرك في داخلي قوة غير محدودة ولا نهائية، يمنحني إدراكها شعوراً بالحرية. يبدو لي هذا الكشف الذي يشكل حياتي كأنه حركتي، وأني أصنع حياتي بنفسني. لكنني لا أصنعها بنفسني، كل ما في الأمر هو أنني أنعم بفرحة المشاركة فيها. كل ما سأفعله متحقق بالفعل. كل ما أفعله هو مجرد ذكرى في ذهن الله. لكنني أنعم بإدراك نفسي مشاركاً في حياة العالم. صياغة غير واضحة، لكنني لن أياس.

١٩ - كثيراً ما تشعر بالقلق وعدم الرضى عن النفس من شعورك بأنك لا تحظى بأفكار لامعة وعدم رغبتك في فعل شيء، وأن الأفكار لا تؤاتيك. لا يجب أن تقلق بسبب ذلك. هذه حالة جيدة وتبعث السرور في القلب حتى وإن كانت محض حماقة كاملة، بشرط أن تكون على وفاق مع الناس ولا ترتكب فعلاً شريراً. إن جذر هذا الشعور بعدم الرضى مغروس في تربة الكبرياء؛ لا بد أن تفعل شيئاً ما وتبدو مميزاً، بينما أنت لا تفعل شيئاً وتنتظر أن يفعل بك سيدك ما يود فعله.

١٠ نوفمبر.

حزنت بسبب إنني لم أستطع إتمام المقالة. ها أنا ذا لا أستطيع رفع الثقل^(٢٢٧)!

١٧ نوفمبر.

مرَّ أسبوع كامل. كتبت في قصة «ما حلمت به»^(٢٢٨) على نحو جيد وراجعت بروفة الطباعة لمقالة «ما العمل؟» وعملت على نحو أكثر جدية مع دوريك. أعيش على نحو جيد. لا يفارقني وعيي بأن حياتي تتلخص في تنفيذ إرادته، بل يزداد قوة. آه.. أخشى أن أمدح نفسي! تشير تكوف مريض. شعرت بالهلع من احتمالية فقدانه. أياكون ذلك تعبيرًا عن عنايتي بنفسي؟ وصلني خطاب مؤثر من سوتكوفوي^(٢٢٩). كنت سأبدأ العمل اليوم على «الأب فاسيلي» لكنني شعرت أنها مملة وتافهة. لا أزال أفكر أكثر فأكثر في معنى هذه المعضلة التي أثارها الثورة^(٢٣٠). أود بشدة أن أكتب عن ذلك. أفكار:

١ - ما يدل على أن الأحلام ليست إلا ذكريات هي حقيقة أنك لا تعرف في الحلم ماذا حدث أولاً وما الذي حدث لاحقًا. أنت تربط كافة ذكرياتك في سلسلة متعاقبة من الأحداث عند لحظة الاستيقاظ. لذا يبدو

(٢٢٧) إشارة إلى نقطة رقم ١٢ مما كتبه في اليوم السابق.

(٢٢٨) هذه القصة مبنية على حدث حقيقي في حياة سيرجي أخيه.

(٢٢٩) خريج جامعة بطرسبرج وكان في ذلك الوقت من أتباع تولستوي، عمل بالأرض في مناطق مختلفة بروسيا وكذلك بصحبة تشيرتكوف بإنجلترا، وهو باحث ديني، وقد كتب لتولستوي خطابًا عن سعي المرء صوب الكمال الأخلاقي والحب الشامل.

(٢٣٠) معضلة الاختيار بين مجتمع قائم على قوانين الدين وآخر على سلطة الدولة.

لك أن حلمًا طويلًا ينتهي مقترنًا بصوت حقيقي يوقظك من نومك.

٢- فكرت في نفسي قائلاً إنه إن سعت صوب الكمال بهذه السرعة، فإنني لن أجد قريباً ما أفعله بخصوص هذا الشأن. يا للجنون! لا تخف... سيمر ألف عام ولن تتطهر كاملاً من أسوأ دناءاتك، وسيظل المثال بعيد المنال. إن المثال هو إنكار الذات الكامل، بينما أنت لا تزال في الجسد. قرأت اليوم اقتباساً رائعاً للا وتسو في: «من أفكار الحكماء» ويبدو أنني لم أفهم إلا اليوم أن الكمال والمنفعة والمغزى والاستخدام في الفراغ وحسب. هكذا هو الأمر في الصحن والوعاء والباب. أكبر قدر من القوة والمنفعة والخير للإنسان في إنكاره لذاته.

٣- يحدث كثيراً - وخاصة الآن - أن أتذكر وأفهم بقوة جديدة فكرة أن على الإنسان أن يفعل ما يتوجب عليه، وليحدث ما يحدث. العبد في التفكير والرب في التدبير. يتلخص الأمر برمته في ألا يفكر الإنسان في نتائج أفعاله، بل في ما إن كانت تتسق مع الخير والله أم لا. من شأن فهم المرء لذلك أن يغير حياته برمتها.

٤- أنا لا أتحرك، لكنني أنكشف لنفسي. تعود أهمية إدراك ذلك إلى الآتي: إن ظننت أنك تتحرك، ستشغل بظروف ونتائج الحركة. إن عرفت أن أناك أبدية ثابتة إلهية، لن تفكر في الحركة، بل ستفكر في أن تكون حرّاً أو حتى كلي القدرة.

٥- كم هو غريب ومضحك أن تطلب شيئاً من الله! عليك ألا تطلب منه شيئاً، بل أن تنفذ قانونه وتكون واحداً معه. العلاقة الوحيدة التي يمكن أن تربط الإنسان بالله هي أن أشعر بالامتنان على ما فعله من

خير لي حينما جعلني جزءاً منه. لقد وضع السيد العاملين لديه في ذلك الوضع الذي إن نفذوا فيه ما أشار إليهم به ينالون أقصى ما يتخيلونه من خير ملائم لهم: «خير الفرحة الروحية»، لكنهم يطلبون منه هذا وذاك من الأمور! إن طلبوا منه شيئاً، فهذا لا يعني إلا أمراً واحداً؛ أنهم لا ينفذون المهمة الموكلة إليهم من قبله.

٦- مدهش هو ذلك الموضع الذي قال فيه باسكال: «لقد طُرحت روحنا في الجسد حيث العدد والزمن والقياس». لو كنت أنا لقلت: «حيث المكان والزمان والمادة والحركة». يناقش ذلك ويطلق عليه «ضرورة طبيعية» ويقول إنه لا يمكن التفكير في الأمر بشكل آخر. هذا ما أظنه الآن أنا أيضاً. يا لها من ضلالة مريضة أن نظن أن ما يَجِد حياتنا الحقيقية هي حياتنا الحقيقية!

٧- يمكن للمرء أن يفهم معتقدات البوذية التي مفادها أنك سوف تعود دائماً للحياة «بعد الموت» حتى تصل إلى درجة كاملة من إنكار الذات. النيرفانا ليست فناء الحياة، بل هي حياة جديدة مجهولة لا يمكننا تصورها حيث لا يعود إنكار الذات فيها ضرورياً. إن خطأ البوذية الوحيد هو عدم اعترافها بمعنى ومغزى تلك الحياة التي تقودنا صوب إنكار الذات. نحن لا نرى ذلك المغزى لكنه موجود، لذا فهذه الحياة التي نحياها الآن حقيقة هي أيضاً مثل كل حياة أخرى.

٨- ليس هناك ما هو أرفع من تلك الأنانية التي ترتبط بالآنا الجسدية، وليس هناك ما هو أسمى من إدراكك لأنك الروحية واقتصار خدمتك عليها وحدها.

سيصل ليوفا اليوم. سأعمل على نفسي^(٢٣١) وسأكتب النتائج. أنا في حالة سيئة تجاهه فعلاً.

١٨ نوفمبر.

لم أصل إلى درجة شديدة السوء حتى الآن^(٢٣٢). أفقر إلى الصلاح. لا أريد أن أعمل شيئاً. كتبتُ خطابين تافهين، وسأدوّن الآتي الآن:

١ - تعود كافة ضلالات الفلاسفة إلى الموضوعيين. مما لا شك فيه أن الذاتية لا تتعلق فقط بشخص إيفان أو بيوتر، بل بالكائن البشري الذاتي بشكل عام، المميز ليس بالعقل وحده، بل بالمشاعر والوعي أيضاً.

٢ - علينا أن نتعود على تحمل الأحكام الشريرة والمنحرفة عنا بهدوء، ليس هذا وحسب، بل أن نتعود على عدم المبالاة بها تماماً.

٣ - كلما قلّ تفكيرك في ذاتك وعلاقتك بالله، ازداد انشغالك بآراء الناس. كم هو عمل عظيم وكم هي حالة مبهجة حين لا تتوقف عن الوعي بواجباتك صوب نفسك والله! الهوس بذلك عمل عظيم.

٢١ نوفمبر.

مساء اليوم استعدت إلى ذاكرتي تلك الحالة العاطفية المبهجة التي اختبرتها عندما توجهت إلى الله توجهي إلى كائن يمكن أن نؤسس معه علاقة شخصية أثناء صلاتنا له. سألت نفسي: أيمكنني أن أختبر ذلك

(٢٣١) في أعوام تولستوي الأخيرة كان يشعر بالضيق من ابنه ليوفا، لذا فهو يقصد هنا أنه سيلاحظ نفسه ويحاول أن يُحسن علاقته بليوفا وألا يسيء إليه.

(٢٣٢) يشير إلى علاقته بليوفا ابنه

الشعور الآن؟ وأجبت: «نعم»، وحاولت أن أصلي وأطلب منه شيئاً، ولكن عندما سألت نفسي عما سأطلبه منه، تبين أن ليس لديّ ما أطلبه منه. كل ما يأتيني منه حسن. حينها سألت نفسي: ألا يمكنني التوجه إليه ببساطة؟ ماذا سأقول له؟ ولم أجد شيئاً! يمكنني أن أقول له أمراً واحداً: أشكرك على نعمتك... نعمتك اللانهائية التي هي الحياة. شعرت أنني في حالة روحية جيدة جداً، ولا أزال.

وصلني خطاب مليء بالذم من فيليكانوف^(٢٣٣). يقول عني إنني...^(٢٣٤). كنت سأجيب عن خطابه، لكنني تذكرت أنني يجب أن أسر بالذم وقبلتُ الخطاب بعرفان. عليّ أن أبتهج بسماع ما يقولونه ويعتقدونه عني. كان يجب أن أشفق عليه، لكنني لا أستطيع. مضت الأمور بخير مع ليوفا، ولم يقتصر الأمر على أنني لم أرتكب شراً في حقه، بل نبتت بداخلي مشاعر حب وشفقة تجاهه. عليّ تدوين الآتي، وأظن أنه شديد الأهمية:

١ - إن كان كل شيء موجوداً حقاً، وما نسميها «حياة» ليست إلا كشفاً لما هو موجود، فكيف نفهم إذن وعينا بحريتنا؟

كل شيء موجود حقاً بالنسبة لله والعالم كله، ولا يمكن تغيير شيء. لكن الأمر ليس كذلك بالنسبة لي. على النحل أن يضع بيضه ويُعد العسل، وبالتالي لا بد للبعض أن يُكوّن أسراباً، والبعض الآخر يستفيد

(٢٣٣) ويخ فيليكانوف تولستوي بشدة على جملة كتبها عن المرأة في مقالة له "إن لم تحجم المرأة عن الجماع وأحجمت عن إنجاب الأطفال فهي مومس".

(٢٣٤) الكلمة محذوفة.

منه النحل. النحل إذنٌ موجود، ولكن أي نحلة ستحمل الغذاء لأطفالها وأي منها ستضع بيضها وأي منها ستصنع العسل، وأي منها ستموت؟ يعتمد ذلك على النحلة نفسها. هكذا هو الأمر مع الناس؛ سيظهر من بينهم دائماً مَنْ ينفذ الإرادة العليا المقررة سلفاً، ولكن أي منهم سيقوم بذلك؟ هذا يعتمد عليهم. لا يعتمد القانون الذي يحدد عدد ذكور النحل وعدد إناثه على النحل نفسه، ولكن سيكون هناك دائماً نحل وبشر بقدر ما تحتاجه حياة خلية النحل والعالم كله. يتلخص خير الحياة العظيم في إمكانية مشاركتي في إرادة الله وقانونه، أو بالأحرى تنفيذي لها رغم أن بإمكانني عدم فعل ذلك. يمكن لكل إنسان أن يكرس كافة قواه من أجل تنفيذ إرادة الله بقدر ما يسمح له جسده. هذا ممكن للفرد وللجميع، ولن تزول الحياة حينها، فسيكون هناك دائماً قدر أسمى من الكمال. أما العكس فلا يمكن أن يحدث: لا يمكن أن يمتنع الجميع عن تحقيق إرادة الله وقانونه، وتعود الحياة للخلف، أو بالأحرى لا يوجد ما هو موجود فعلاً.

بدا لي كل ما سبق مهماً - ولا يزال - لكنني صِغته على نحو سيئ.
بالأمس كتبت مقالة «إلى الشباب» من أجل جريدة «رودينكا» ولم أراجعها بعد. قرأت اليوم مقالة مثيرة للاهتمام عن الثورة في مجلة يابانية، كما قرأت بالأمس في مجلة هندية عن الحضارة البيضاء والصفراء.
٢٣ نوفمبر.

أنا في حالة روحية جيدة، حيث أشعر بالحب صوب الجميع.
قرأت بعضاً من رسالة يوحنا الرسول. مدهشة! لم أفهمها كاملاً إلا

الآن. مررت اليوم بإغواء عظيم لم أستطع التغلب عليه كاملاً. طاردني أباكوموف^(٢٣٥) بطلب وشكوى بخصوص أنهم حكموا عليه بالسجن بسبب أشجار البلوط^(٢٣٦). آلمني ذلك بشدة. إنه لا يستطيع أن يفهم أنني لا أستطيع كزوج أن أفعل ما أشاء، ويعتبرني ندلاً فريسيًا (مرائيًا) يتوارى خلف زوجته. لم أقفَ على احتماله بمحبة، وقلت له إنه يستحيل عليّ الاستمرار في العيش هنا. لم يكن هذا القول طيبًا. بشكل عام تزداد الإساءات الموجهة لي أكثر فأكثر من كافة الأطراف. هذا حسن... إنها تقودني إلى الله. ليتني أستطيع تحملها! أشعر بشكل عام أنني أُمّر الآن بواحدة من أكبر الانعطافات في حياتي بأكملها. أشعر بذلك بينما يكتنفي هدوء وسرور وشعور طيب -ولن أقول «حب»- للناس. كل ما كتبه تقريبًا في الأعوام السالفة -باستثناء الأناجيل^(٢٣٧)- لا يروق لي الآن افتقاره إلى الصلاح. لا أريد لهذه الأعمال أن تُطبع.

أنا شديد القلق على ماشا. إنني أحبها حبًا جمًّا.

أريد أن أضع خطأً تحت كافة حياتي السالفة، وأبدأ خاتمة أخرى جديدة لها، قصيرة لكن أكثر نقاءً.

(٢٣٥) فلاح عجوز من ياسنایا.

(٢٣٦) يبدو من السياق أنه سرق خشب بعض الأشجار من أرض تولستوي وحُكِم عليه بالسجن جراء ذلك، في حين أن تولستوي قد تنازل عن كل ذلك لزوجته وأسرته ولم يعد مسؤولاً بأي شكل عن هذه الملكية.

(٢٣٧) يشير إلى كتابه (ملخص وشرح الأناجيل الأربعة).

الساعة الآن الواحدة صباحًا. ماتت ماشا^(٢٣٨). المدهش هو أنني لم أشعر بهلع أو خوف أو بحدث استثنائي ما يحدث، ولم أشعر حتى بالأسف. يبدو الأمر كما لو أنني شعرت بضرورة أن أستدعي بداخلي شعورًا رقيقًا بالحزن، وقد استشرته فعلًا، لكنني في أعماق روحي كنت أكثر هدوءًا من حالتي حيال قيام أحدهم - ولن أقول أنا شخصيًا - بفعل سيئ غير صائب. ينتمي هذا الحدث إلى المجال الجسدي، وبالتالي لا يثير الاهتمام. كنت أراقبها طوال الوقت بينما تحتضر، وأرى أمارات هدوء مذهل ترسم عليها. بالنسبة لي كانت كيانًا ينكشف لانكشافه. راقبت انكشافها، وسرني ذلك. توقف الآن هذا الانكشاف المناسب لمجالي (حياتي)؛ أي أنني لم أعد أرى هذا الانكشاف، لكن ما انكشف موجود فعلًا. أين؟ ومتى؟ تتعلق هذه الأسئلة بعملية الانكشاف هنا، وليس لها علاقة بالحياة الحقيقية اللا مكانية واللا زمنية.

عليّ تدوين الآتي:

١- ثمة صراع دائم بداخلي بين ثلاث حيوات: الحياة الحيوانية - الحياة المتمحورة حول آراء الناس - الحياة الإلهية. الحياة الإلهية، بمعنى تجلي القوة الإلهية في إرادتي، هي الوحيدة الحقيقية، أما النوعان الآخران فهما يكشفان عن شيء يشبه الحياة الحقيقية ويحجبها عنا. يعتمد الفارق بين شخص وآخر على أي حياة من الثلاثة قد سادت على الآخرين.

(٢٣٨) ماتت في الخامسة والثلاثين من جراء الالتهاب الرئوي.

٢- فعل «يشفق» في اللغة الشعبية يعني «يحب»، وهذا تعريف صحيح فعلاً لنوع من الحب يمكنه أكثر من أي شيء آخر أن يربط الناس بعضهم ببعض ويثير بداخلهم نشاط الحب. ثمة حب يشعر به المرء عندما يرى رفعة وحقيقة وبهجة إنسان آخر ويشعر بوحدته به ويود أن يتحد به. هذا حب كيان أدنى لا آخر أسمى منه. وثمة نوع من الحب - وهو أكثر ما نحتاج إليه - يتمثل في أن يضع المرء نفسه في مكان غيره فيشعر بمعاناته ويأسف على حاله ويود أن يساعده. هذا هو الحب القائم على الأسف. يمكن أن يتحول النوع الأول إلى حسد، والنوع الثاني إلى شعور بالاشمئزاز. الأول هو حبنا لله ولإنسان تقي ولأفضل الناس، وهو من السمات الإنسانية، ولكن من المهم جداً أن نطور في أنفسنا النوع الثاني، ولا ندعه يتحول إلى شعور بالاشمئزاز. في النوع الأول من الحب نأسف على أننا لسنا مثل الذين هم أفضل منا، وفي النوع الثاني نأسف على أن أولئك ليسوا مثلنا، فنحن نتمتع بالصحة والكمال الجسدي، بينما هم مرضى ومقعدون. هنا علينا أن نحاول أن نطور في أنفسنا تجاه المرضى الروحانيين؛ المنحليين والضالين والمتكبرين، نفس الشعور الذي نشعر به صوب المرضى الجسديين. لا تغضب منهم ولا تجادلهم ولا تدينهم، بل عاونهم إن استطعت، واشعر بالأسف عليهم لإصابتهم بتلك الأمراض الروحية، حيث إن هذه الأمراض أصعب من الأمراض الجسدية.

٣- فكرت قبلاً، وكتبت أيضاً عن الآتي: كما يفرح المزارع الذي كرّس حياته للزراعة بما يحرزه من نجاح فيها، يمكن أيضاً أن نُكرّس حياتنا من أجل السعي صوب الكمال ونبتهج بما نحققه من نجاحات

في هذا المجال. لكن هذا غير حقيقي. إن كان كمالك حقيقيًا، لن تراه أبدًا. إن رأيته فهذا يعني أنه ليس حقيقيًا. كل ما يمكنك فعله هو أن تُعوّد نفسك على أن يكون هدف حياتك، ليس السعي صوب الكمال، بل تجلّي طبيعتك الإلهية، وأن تعيش بما يتسق مع الله، حتى تستبدل بجهدك عادتك.

٤- تنحصر الحياة الحقيقية في كل لحظة من لحظات الحاضر، حيث لا تسترشد بالماضي والمستقبل، وتُجلّي جوهرك الإلهي، وتعيش بما يتسق مع الله. كم هو أمر بسيط! نادرًا ما يحدث ذلك، لكن كل حكمة الحياة ومفتاح فهمها يتلخصان في ذلك وحسب.

٥- كم يبدو لا أخلاقية وزيف وأذى حياة الأغنياء شديد الوضوح في تلك اللحظات الخطيرة -مثل الآن- حين ترى أمامك جثمان شخص محبوب لم يُدفن بعد! العمل هو أفضل دواء للحزن. لكن ليس لديهم عمل ضروري، ليس لديهم سوى اللهو، وهو أمر غير لائق الآن، لذا لا يتبقى لديهم سوى هذر تلقائي زائف وعاطفي.

استلمت لتوي خطابات وبرقيات يُعبّر أصحابها عن تعاطفهم الزائف، كما التقيت بكينيا، تلك الفتاة خفيفة العقل التي كانت تعرف ماشا. قلت لها:

- أسمعت عن مصابنا؟

- سمعت... أعطني كوييكا.

كم يبدو ذلك أفضل وأريح كثيرًا!

أخذوا لتوهم الجثمان ليدفنها. حمدًا لله لا أزال في حالة معنوية جيدة. تحسن الأمر الآن مع أبنائي.

١ - فكرت في أن ما ندعوه "الله" هو الجوهر الذي لم يكن لشيء أن يوجد من دونه، وتذكرت أن المسيح لم يسمه "الله" بل دعاه "أبي"، ولم يقصد بذلك أبًا شخصيًا أو حب الأب لأطفاله، بل أشار في الأساس إلى مصدر وأصل كل شيء.

٢ - تذكرت كيف كنت أكذب في شبابي، وكيف كذبت على جوتي^(٢٣٩) قائلًا إنني سأسافر للخارج ولم أكن أفكر في السفر، لكنني قلت هكذا لأنه بدا لي وحسب أن بإمكان هذا أن يزيد من قدري في نظره. وقد توصلت بسبب ذلك إلى أن الناس لن يتمسكوا حتمًا بأي واجب أخلاقي، وسيكذبون دائمًا من أجل تحقيق مصالحهم إلا إن اعتبروا الكذب فعلة أخلاقية شريفة. سيواصل حينها الناس الكذب أثناء الحوار بأساليب مفاجنة تمامًا، مفترضين أن هذه الكذبة أو تلك يمكنها أن ترضي كبرياءهم.

٣ - أكثر ما يدفع الإنسان صوب النشاط ويجبره على ضبط نفسه هي طبيعته الحيوانية. من أجل إشباع متطلبات هذه الطبيعة يمضي الإنسان ليصطاد، ومن أجل الأمر ذاته لا يأكل اللحم النيئ أو الفاكهة غير الناضجة، بل يسلقها وينتظر. بالإضافة إلى دور الطبيعة الحيوانية في دفع

(٢٣٩) صاحب مكتبة بموسكو.

الإنسان صوب النشاط ثمة تأثير آخر للآخرين على الإنسان. يتمثل هذا التأثير في خوفه منهم أو من آرائهم. ثمة صراع مستعر دائماً بين هذين الباعثين، تارة ينتصر واحد، وتارة الآخر. ثمة باعث ثالث: متطلبات الطبيعة الإلهية (الروحية) في الإنسان، وثمره صراع مستعر بين متطلبات هذا الباعث والباعثين الآخرين. يتأسس مغزى الحياة وانتصارها على هزيمة الثالث للأول والثاني. أود أن أقول الكثير عن ذلك، لكنني أفكر الآن على نحو سيئ.

٤ - فكرت في الحالة الروحية للناس المشاركين في الثورة:

أ - عامة الشعب، والجماهير الكادحة والمعوزة. الحسد باعثهم الرئيس وكذلك الطمع والضعينة. لذا فإنهم بائسون، وثمره خطية عظيمة من نصيب من أفضوا بهم إلى ذلك الوضع.

ب - صانعوا الثورة ورجال الصحافة ومَن يلقون الخطب والناشطون الثوريون العمليون. دوافعهم ومشاعرهم: كبرياء وتعطش للمجد واهتياج وثقة مفرطة في الذات وغطرسة وحب للسلطة، وكذلك حسد وضعينة.

ج - المناصرون للنظام الحالي الذي يقاتل الثورة: أنانية وعناد وضعينة، ولكن ليس بنفس درجة القسوة التي لدى الفريقين الأولين.

كيف لا يشفق المرء على مَن طالتهم هذه العدوى، وكيف لا يحاول أن يظل بعيداً عنها وينقذ مَن يمكنه إنقاذه منها؟

٥- مهم جدًا جدًا، لكن أخشى ألا تكون لديّ القوة وأنا في هذه الحالة الضعيفة كي أعبر عن الفكرة بوضوح. الفكرة كالآتي: قرأت جزءًا ممتازًا من "من أفكار الحكماء" لكونفوشيوس؛ الجزء الخاص بيوم ٢٩ نوفمبر: "السماء والأرض عظيمتان، ولكن..." وفكرت في القول الذي مفاده أن أساس كل شيء جسدي، وأن ما هو روحي ليس إلا نتيجة لما هو جسدي، ورأيت أن هذا القول يماثل أن نقول إن أساس حياتي الجسدية هو الطعام الذي أتناوله. رغم أنه من الصحيح تمامًا أنني من دون طعام لم أكن لأستطيع العيش، وأن جسدي كله ليس إلا طعامًا طرأت عليه تحولات معينة، لكن حياتي الجسدية ليست هي الطعام، بل إن الطعام هو أحد شروط حياتي الجسدية التي تتألف من جسد معقد بكل ما فيه من وظائف. ينطبق الأمر ذاته على المادة والكيان الروحي. رغم أنني لا أعرف وجودًا روحيًا لي خارج نطاق الجسد، لكنني أعرف جيدًا أن جسدي ليس إلا أحد شروط حياتي الروحية التي تتألف من عقل غير مُدرك وجوهر روحي لا يدركه سواي. لو لم يكن ثمة جسد، لما اقتصر الأمر على عدم وجود طعام، بل لما كان هناك مفهوم للطعام من الأساس. لو لم يكن هناك جوهر روحي يمكنني أن أدركه، لما كانت هناك مادة ولا حتى مفهوم لها. إن وعيي الروحي بالحياة هو جوهر كل شيء. يتلقى هذا الوعي انطباعات من الحواس المادية، ومنها يتألف العالم المادي.

١ ديسمبر.

أشعر بالضعف الشديد، لكن لا أزال هادئًا ومبتهجًا روحيًا. لا... لست مبتهجًا، ولكن راضٍ. أدركت لتوي مدى أهمية العمل الداخلي

للمرء عندما يكون بمفرده مع الله؛ العمل المتمثل في إيقاف مجرى الأفكار السيئة للمرء التي تنم عن ضغينة وعدم صلاح وغضب، ليس تجاه الحيوانات وحسب، بل تجاه الأشياء أيضًا. اصطدت نفسي أصبح: «يا للشيطان!». عليّ ألا أفعل ذلك. اصطدت في أفكار غطرسة، ولن أقول شهوانية، وفهمت وشعرت بكل دناءتي، وإني أناضلها الآن. لا يمكن للمرء أن يعمل على نفسه إلا حينما يكون بمفرده في حضرة الله. عندما يكون وسط الناس، يكون الوقت قد تأخر بالفعل على ذلك. لا يسلك المرء وسط الناس بشكل حسن إلا عندما يكون قد أعد نفسه لذلك مسبقًا وحيدًا في حضرة الله. هذه هي الصلاة الحقيقية. لقد مارست هذه الصلاة لبعض الوقت، وأشعر الآن بثمارها التي تبعث السرور في قلبي. لا... لا، بل إنني أتذكر ماشا، ولكن بدموع صالحة رقيقة، ليس بسبب خسارتها لي، لكنني أذكر الوقت المهيّب الذي قضيته معها بحب. أفكار:

١ - كم أشعر بحيوية الآن بأن أساس الحياة هو إدراكنا بالحب؛ لأننا جزء من كيان الله! بقدر ما تستعر الشهوات الحيوانية يذبل ويتساقط لحاؤها، وبالتالي يتحرر الجوهر الإلهي؛ الحب الكائن الذي كان - ولا يزال - جوهر الحياة في فترة الطفولة والشباب، لكنه كان مُغَطَّى ومحجوب بالشهوات.

٢ - إن أدركت، لا بالعقل وحده، بل بكامل خبرتي الداخلية بالحياة، أن مغزى وخير الحياة ينحصر في تحرير أساس الحياة الروحي المليء بالالتواءات والانسدادات، وجعلت ذلك هو شغلي الشاغل في الحياة،

فلا يمكن حينها ألا يبدو لي الموت تحريراً كاملاً لهذا الجوهر الروحي مما يحجبه من قيود الجسد. لذا لا بد ألا يبدو لنا الموت مريعاً، بل أمراً مرغوباً فيه وتحققاً كاملاً لما مضت الحياة بأكملها صوبه. نحن ننتظر دائماً وتلقائياً المستقبل، ونفتش عنه ونرغب فيه، ونحاول التعجيل بحلوله. صحيح أن الموت كثيراً ما يأتينا برفقة المعاناة ويكون من الصعب تحمله، ولكن لا شيء حسن يمكن أن يأتينا دون معاناة، كما نجد في التشبيهات الإنجيلية. عندما تعرف المرأة أنها ستنجب طفلاً، لا تخشى المعاناة، وتمضي في طريقها بشجاعة وسرور. هكذا يجب أن نواجه الموت. هذه ليست مجرد كلمات، لكني أو من بذلك حقاً.

٣- أشعر الآن بضعف شديد، لا يكتنف أعضائي وحسب، بل ذهني أيضاً. لا أستطيع أن أفكر بوضوح، كما أن الارتباك يكتنف تفكيري. الغريب في الأمر أنني وسط هذه الحالة من الضعف لا أزال أفهم حياتي والمغزى منها وخيرها، وأدرك عملي فيها بصورة أفضل من حالي في أفضل أوقاتي وأصفاها ذهنياً. لا ضرورة على الإطلاق لسرعة العقل وطاقته لفهم قانون الحياة والالتزام به، بل إن الأمر على النقيض من ذلك؛ تعمل القوة الإلهية في أوقات الضعف.

٢٢ ديسمبر.

مرضت في الأيام الأخيرة، لكنني أفكر على نحو جيد، وأستعد للموت بسرور. أفكار:

١- يقول البعض (الماديون): إن المادة وحدها موجودة، أما الروح فوهم، كوميض يصدر عن المادة وحسب. ويقول البعض

الآخر (المثاليون): إن الروح وحدها موجودة، أما الجسد فوهم زمني أنتجته محدودية الروح. مَنْ المحق فيهما؟ الاعتراف بما يقوله الفريق الأول من شأنه أن يرضي متطلبات الجسد، مع شعور بخيبة الأمل وخوف متزايد من الموت الوشيك مع كل خطوة. الاعتراف بما يقوله الفريق الثاني من شأنه أن يتسبب في هدوء وسرور وحرية متزايدين، ولا يؤدي إلى زوال الهلع من الموت وحسب، بل يزيل مفهوم الموت من الأساس. كيف نواجه صعوبة في الاختيار بين الاثنين إذن؟

٢- أستيقظ على فراشي وأدرك نفسي كما كنت في الخامسة والثلاثين. لا يعود ذلك إلى ما أسترجه إلى ذاكرتي، بل إنني أكون على هذا الحال فعلاً. إن قلت أن هذه مجرد ذكرى أستعيدها، فعليّ إذن أن أسترجع إلى ذاكرتي مَنْ أنا الآن. لكنها ليست ذكرى، أنا نفس الكيان الذي كان موجوداً منذ أربعين وثلاثين وعشرين وعشرة أعوام. ما أطلق عليها الآن «ذكريات» ليست إلا وعيي بعدم إمكانية إظهار نفسي كما هي عليه فعلاً؛ متحدة بكل ما مرتت به عبر الزمن.

٢٨ ديسمبر.

انقضى سوء حالتي الصحية، ولكن قلبي لا يزال ضعيفاً كما هو. ضربات قوية، لكنني بخير. أنا بخير فعلاً. الغريب أنني لا أبدأ حياتي الحقيقية من أجل نفسي والله بمعزل عن الناس جميعاً إلا على أعتاب الموت. لم أتملكها كاملاً بعد، لكنني أشعر بذلك في بعض الأحيان. ما كتبه في تلك الفترة: راجعت «دورة قراءات» وقانون الله من أجل الأطفال. الأمر شديد الصعوبة، ولكن إن سمح لي الله سأتّمه. أحتاج إلى

تدوين الكثير من الأفكار الجيدة، لكنني لا أستطيع الآن، فقد تأخر الوقت. كثيراً ما أسترجع إلى ذاكرتي الدقائق الأخيرة من حياة ماشا، وإن كنت لا أريد أن أدعوها «ماشا» فهذا الاسم البسيط لا يليق إطلاقه على ذلك الكائن الذي رحل عني. إنها جالسة، مستندة إلى الوسائد من كل ناحية، بينما أنا ممسك بيدها النحيلة الرقيقة، شاعرًا كيف تمضي الحياة وكيف تمضي هي شخصيًا. هذه الفترة التي امتدت إلى ربع ساعة هي واحدة من أهم لحظات حياتي.

٢٩ ديسمبر.

حالي الصحية ضعيفة، أما الروحية فجيدة. نُشرت مقالتي «ما العمل؟». مزعجة وضعيفة لكنها حقيقية دون أدنى شك. لا أريد أن أكتب مزيداً من المقالات باستثناء مقالة «مغزى الثورة الروسية»، كما يجب عليّ أن أكتب ردّاً على خطاب وصلني من أحد الضباط وملاحظة بخصوص مقالتي «ما العمل؟»^(٢٤٠). أهم شيء هو أن أكتب عن أن جميع نظرياتهم الاقتصادية التاريخية ليست إلا تبريراً لحياة دنيئة وتخبط في زقاق معتم لا مخرج منه. أفكار للتدوين:

١ - ماذا يعني أن تحب الله؟ أن تحب الله يعني أن تحب الكيان الكلي الذي تدرك نفسك جزءاً منه.

٢ - أمر مريع حينما يراقب من تصور أن الحياة بأكملها في الجسد

(٢٤٠) أعرب أحد الضباط في خطابه إلى تولستوي عن تشككه في جدوى نزعته المناهضة للحرب، كما اتهم أحدهم في «الجريدة الروسية» تولستوي بأنه يكرر في مقالته «ما العمل؟» نفس آراءه القديمة غير المجدية.

هلاك جسده، خاصة عندما تقترن به صنوف المعاناة. أما الإنسان الذي يرى حياته في الروح، فهلاك الجسد بالنسبة إليه دعم للروح، وصنوف المعاناة بالنسبة له شروط ضرورية لهلاك الجسد.

٣- دَوَّنت سابقاً «الإسبارطية»^(٢٤١) والخنوثة... لا أتذكر ماذا قصدت. لا بد أنني قصدت أننا فقدنا في مجتمعنا الوعي بخطية الخنوثة. إن كافة المكتشفات التي نفخر بها، أو على الأقل القطاع الأكبر منها، موجّه في الأساس إلى زيادة الخنوثة.

٤- ما نعتبره في عالمنا العلم الوحيد والأهم؛ العلوم الطبيعية والاقتصاد السياسي والتاريخ - بالطريقة التي يُدرس بها الآن - والقانون وعلم الاجتماع... إلخ، لا حاجة لنا بها، ومعظمها زائف. على هذا النحو أيضاً كانت أهمية العلم قديماً، بما تضمنه من لاهوت وخيمياء وفلسفة أرسطو وتنجيم.

٥- لم يفكر القدماء في إمكانية الحياة في غياب السلطة أو من دون تمييز بين قطاعات الشعب. هذه الفكرة موجودة الآن، ويستحيل إخفاؤها أو جعلها تتسق مع الحياة، بل لا بد أن يُعاد تشكيل الحياة بالفكر، وهو ما سيكون.

٦- نعتقد أن الأغنياء يعيشون يقيناً أفضل من الفقراء، بينما لا شك في عدم صحة ذلك. الأمر ليس خاطئاً بدرجة وحسب، ولكن خاطئ

(٢٤١) نسبة إلى إسبارطة وطريقة التربية القاسية التي كانوا يعتمدونها هناك في تنشئة الصغار كي يكتسبوا القوة، بينما يقصد بالخنوثة طريقة التربية التي يوفر فيها الآباء كل ما يمكن أن يُفسد أبناءهم بتلبية كافة المطالب وإبعادهم عن كافة المشقات.

تمامًا. أكثر الفقراء فقرًا أفضل حالًا من الفقير بدرجة طفيفة، وأغنى الأغنياء أسوأ حالًا من الغني المتوسط. الأمر سيان للجميع، لذا فإن من يدرك ذلك لن يكون لديه دافع لتغيير وضعه. كما أن الماء على مستوى واحد في كل مكان، كذلك ليست هناك أدنى علاقة بين إمكانية سعادة الناس من جهة، والثراء والفقير من جهة أخرى.

٧- كتبت لنفسي سابقًا: توقف عن الكتابة عن النظام الاجتماعي، واكتفِ بالكتابة عن الدين. كم أشعر الآن بضرورة الكتابة عن النظريات التاريخية وحرية الإرادة، وبالتالي عن الأخلاق!

٨- لا جدوى من قناعات مختلف أنواع السياسيين والاشتراكيين والثوريين عن أفضل شكل لتنظيم المجتمع، ولا جدوى كذلك من قناعاتي بخصوص هذا الأمر. افعل ما تستطيع فعله من أجل نفسك حيثما تكون مسؤولًا، واترك أمر النتائج لتلك القوة التي تعتمد عليها.

٩- كثيرًا ما شعرت بالتعجب من ذلك التشوش الواضح لأناس أذكاء مثل فلاديمير سولوفيفوف (وكنت سأقول بولجاكوف^(٢٤٢)) أيضًا إن اعترفت بأن لديه عقلاً من الأساس)، لكنني فهمت بوضوح الآن مصدر ذلك التشوش. كما هو الحال في العلم المعاصر يعود كل ذلك إلى الاعتراف بالدولة ككيان باطني ثابت محتم سلفًا ومستقل عن إرادة الناس.

١٠- أشعر بخيبة أمل بسبب أنني لن أرى نتائج نشاطي إبان حياتي،

(٢٤٢) فلاديمير سولوفيفوف: فيلسوف روسي ورد ذكره مرارًا في الجزء الثاني من اليوميات - سيرجي بولجاكوف: كاتب اقتصادي روسي.

وفي الآن ذاته أشعر بخيبة أمل لأنني لن أجد في حياتي حالة لهذا النشاط من الممكن أن أتقن فيها تمامًا من أنني لا أسترشد برغبتني في نيل مديح الناس. لديّ إذن ما أحتاجه، ورغم ذلك أشكو!

١١ - يتوفر لنا كل إنتاج الأدب المعاصر اليوم بنفس درجة الجاذبية. كلما عدنا بالزم من قلّ ما يتوفر من الأدب، فقد تبدد القطاع الأكبر منه، وإن عدنا أكثر بالزم سنجد أن قدرًا أكبر قد تبدد. ما يُعرض علينا من الأدب إذن يبدو على شكل مخروط مقلوب على رأسه. بالقرب من رأسه سنجد الحكمة البراهمانية والصينية والبوذية والرواقية وسقراط والمسيحية، وإن ابتعدنا قليلًا حيث يتوسع المخروط سنجد بلوتارخ وسينيكاً وشيشرون وماركوس أوريليوس ومفكري العصور الوسطى، ثم باسكال وسبينوزا وكانط والموسوعيون، ثم كُتّاب القرن التاسع عشر، وأخيرًا معاصرنا. من الواضح أنه حتى بين معاصرنا ثمة من سيبقون، ولكن من الصعب أن نكتشف من هم الآن؛ لأنهم كُثُر، وبالتالي لا يمكننا فحص أعمالهم جميعًا، كما أن أكثر ما يحظى بالظهور هي أسوأ الأعمال؛ لأن الحشود دائمًا ما تكون غبية وتفتقر إلى الذوق.

١٢ - من أجل «دورة قراءات» الخاصة بدوريكوف:

- ضرورة استبدالنا بالطقوس فهم منطقي للحياة.

- ثمة مسرورون بين الصالحين والطالحين على السواء.

فكرت كثيرًا في الطقوس. نواجه خطورة شديدة إن اعترفنا بأن أداء طقس ما في حد ذاته يعد عملاً صالحًا، ولكن من المؤسف كذلك أن نحرم أنفسنا منها تمامًا. نحن في حاجة إلى بعضها. فكرت: كم سيكون

من الجيد مثلاً إن قمنا بطقس مفاده أننا كلما نلتقي بشخص ما نحرص على التواصل معه. ولكن بغض النظر عن استحالة تنفيذ ذلك في المدن، لو نفذنا ذلك في القرى مثلاً، لتحول الأمر إلى فعل رسمي كما هو الحال الآن. لا... الطقوس دائماً هي استبدال الشكل بالدين^(٢٤٣)؛ قتل دائم للدين.

١٣ - كثيراً ما يُقال أن علينا ألا نغضب من الأشرار، بل نشفق عليهم. لا يمكنك أن تقوم بذلك بإخلاص إلا إن اختبرت أنت شخصياً سعادة الحياة الصالحة. حينها فقط ستشعر بالأسف على الإنسان الشرير الضال لحرمانه من هذه النعمة التي لديك.

١٤ - دَوِّنْ قواعد بسيطة من أجل قانون الله للأطفال:

- لا تدن.
- لا تفرط في تناول الطعام.
- لا تُؤجج الشهوة.
- لا تخدر نفسك.
- لا تتشاجر.
- لا تنقل كلمات شريرة عن أحد.
- لا تتكاسل.
- لا تكذب.
- لا تستول على شيء بالقوة.

(٢٤٣) الباء تلحق بالمتروك "الدين".

- لا تعذب الحيوانات.

- لا تجعل أحدًا يعمل من أجلك.

- قدّم الخير للجميع.

- احترم كبار السن.

١٥ - يشبه الإنسان في عالمنا عاملاً أجرى معه سيده اتفاقاً مفاده أن ينفذ العامل العمل الذي كلفه به سيده، وينال على ذلك مكافأة أكثر مما يستحق، وفي الآن ذاته يكون مستعداً في أي دقيقة لأن ينقله سيده إلى عمل آخر، أو حيثما يريد بشكل عام، حتى وإن أدى به الأمر إلى هلاكه كاملاً.

١٦ - ينتج الزمن عن عدم قدرتنا على فهم أنفسنا كاملاً، لذا فهو يمنحنا إمكانية أن نفهم جزءاً كبيراً من أنفسنا داخل إطار التعاقب. أما المكان فهو نتاج عدم قدرتنا على فهم أنفسنا كاملاً، لذا فهو يمنحنا فهم جزء من أنفسنا في وقت معين خارج نطاق أنفسنا.

١٧ - دائماً ما يبدو استخدام العنف مربحاً من أجل تحقيق أهداف عملية. ولكن تحقيق هذه الأهداف هو أمر مخادع. يتطلب منا تحقيق الهدف الروحي عدم مقاومة الشر وتحقيق أهداف غير مرئية.

١٨ - يتألف الإيمان المسيحي بشكل عام من أمر واحد وحسب؛ ألا تؤمن بنفسك، وألا تؤمن بما يبدو لك، بل تؤمن بالله وبأنه يأمرك بالآتي: لا تؤمن بالعواقب المرئية، بل بغير المرئية لتنفيذ إرادة الله، والتي دائماً ما تكون نافعة.

١٩- أنت ناشط سياسي، وتقول إنك تسترشد بحبك للناس في عملك. تقول إنك تكدح من أجل خيرهم المستقبلي. ولكن حقيقة أنك ناشط سياسي تفتح أمامك حقلاً ضخمًا يمكنك أن تُظهر فيه محبتك للناس، لا في المستقبل، بل في الحاضر، دون أن تُصاب بجرثومة هذا الشر الذي سيصيب نشاطك لا محالة.

٢٠- يعتبرون السياسة والعلم أذكي وأجل الأعمال، رغم أن ليس ثمة ما هو أكثر تبطلًا وضررًا من ممارسة هذين النشاطين.

٢١- أناضل ما اعتدت عليه في عملي من استرشاد بالرغبة في الكبرياء ليس هناك ما يفاجئ في ذلك عندما تكون طوال حياتك قد استرشدت بذلك، بالإضافة إلى الدوافع الجسدية وحسب. إنها عادة رهيبة. أظن أن موقفي هذا ليس استثنائيًا، بل إن هذه سمة كل من يحيون حياة روحية. أولى مراحل الحياة الروحية هي العيش من أجل كبريائك، خاصة أن القدماء اعترفوا بصلاح ذلك^(٢٤٤). كلما مر الوقت ازداد عيشك من أجل الله وقلَّ عيشك من أجل كبريائك. هذا ما حدث معي.

٢٢- خرجت على متن الجواد، وحسنًا أنني أردت الصلاة. بحثت عن أشكال للصلاة، ووجدت أن الأمر ليس سيئًا إن اقتصرَت الصلاة على الشكر. لقد وُهِبَت كل ما يمكنني أن أرغب فيه.

٢٣- لكتاب (قانون الله للأطفال): ليس من الضروري أن نشير إلى الشر، بل نستشير الوعي بالخير. حينها سيتلاشى الشر من تلقاء نفسه.

(٢٤٤) في مواضع أخرى فسَّر تولستوي هذا الكبرياء بفكرة كيف يمكن في درجة معينة أن يحول الكبرياء بين صاحبه وارتكاب شرور معينة.

٢٤- الناس في عالمنا المسيحي الآن يتخبطون في زقاق معتم لا مخرج منه. إنهم يتزاحمون ويتدافعون ويخنقون بعضهم بعضاً، ويزداد الوضع سوءاً أكثر فأكثر، ورغم ذلك لا زالوا مؤمنين أن ثمة مخرجاً ينتظرهم في الأمام، وبدلاً من التوقف والتراجع إلى الخلف، يواصلون سحق بعضهم.

٢٥- كم يصعب عليّ أن أتيقن ما إن كنت أخدم الناس من أجل خيرهم (أي من أجل مسعى الحب الداخلي) أم من أجل عرفانهم ومديحهم لي! ثمة وسيلة واحدة للتحقق من ذلك: هل ستقوم بالأمر ذاته إن عرفت أن أحداً لن يعرف شيئاً عن ذلك؟ مع كل فعل تقوم به بدافع غير حيواني اسأل نفسك: من أجل من أقوم به؟

٢٦- يمكننا أن نقسم الشخصيات على النحو الآتي:

أ - مَنْ يتمتعون بحساسية كبيرة، ومَنْ تقلّ لديهم وصولاً إلى البلادة.

ب- مَنْ يتمتعون بذكاء شديد، ومَنْ تقلّ درجة ذكائهم وصولاً إلى الغباء.

ج- مَنْ يحوزون عاطفة قوية، ومَنْ تقلّ لديهم وصولاً إلى اللامبالاة والبرودة.

د - مَنْ يحوزون قدراً كبيراً من التواضع، ومَنْ يقلّ قدره لديهم وصولاً إلى الثقة المفرطة في الذات.

يمكننا أن نذكر أيضًا ما يتعلق بالصدق والكذب، رغم أن هذه السمّة ليست أساسية، بينما تتحدد الشخصية بحسب السمات الموجهة الأساسية.

٢٧- من سمات الإنسان أن يسعى صوب الزيادة. قد يُترجم ذلك في زيادة عدد الروبيلات أو اللوحات أو الجياد أو الألقاب أو العضلات أو المعارف، بينما الحاجة إلى زيادة أمر واحد وحسب؛ الصلاح.

٢٨- الخاضعون لأي نوع من أنواع السلطة هم أكثر حرية بدرجة لا تقارن من المشاركين في هذه السلطة.

٢٩- إرادة الله هي أن أكون بخير، لكن ليس وحدي، بل الجميع كذلك. إنني لا أعرف ما الخير بالنسبة للأشجار، وأعرف تقريبًا ما تحتاجه الحيوانات، وأعرف تمامًا ما هو خير للبشر. لا بد إذن أن أنفذ إرادة الله.

٣٠- تنفي القوانين التاريخية الاقتصادية المتخيلة حرية الإنسان والأخلاق وتبرر الشر.

٣١ ديسمبر.

مريض طوال الوقت، لكنني في حالة جيدة أيضًا. مررت اليوم بتجربة: خطاب من فيليكانوف. اتضح أن عليّ أن أشعر بالعرفان، وهذا ما كشفه لي اهتمامي الزائف بآراء الناس. كتبت في (قانون الله من أجل الأطفال). لا بأس به. أفكار:

١- الحركة التي ندركها هي تجلّ متزايد للوعي الأبدي بالنفس.

الحركة هي وعي بجوهرك الإلهي. لولا الحركة لما كانت حياة، ففضلها
تتقد الحياة بداخلنا.

صياغة غير واضحة، لكنني سأحاول التعبير عنها فيما بعد بمزيد من
الوضوح.

عبر أميل (فيلسوف أخلاقي سويسري) عن الفكرة بشكل رائع حينما
قال: إن أراد الإنسان أن يرى المجال المحيط به، عليه أن يدور حوله، أو
يدور المجال نفسه أمامه. حركة الحياة هي مجال يدور بلا نهاية.



١٩٠٧

١٤ يناير.

ظللت مريضًا طوال الأسبوعين الأخيرين، ولم أتعافَ بعد. انخرطت طوال تلك المدة في قراءة بلوتارخ ومونتاني وواليسزويسكي (كاتب بولندي)، وبالأمس قرأت عن بولس، وانتهيت اليوم من قراءة محاورات زينوفون^(٢٤٥). من الشيق جدًا أن يقارن المرء بين سمو الفهم الأخلاقي وبساطة الحياة من جهة، وضعف التطور التقني من جانب آخر. لقد تقدم جانب التطور التقني الآن بشدة، وتأخر الجانب الأخلاقي، حتى لم يعد هناك أمل في استعادة التوازن الصحيح بين الجانبين. دوّنت بعض الملاحظات في تلك الفترة، لكنني لم أستطع العمل على شيء. أظن أن «دورة قراءات» الأصلية والجديدة الخاصة بالأطفال التي بدأتها لتوي تتطلبان مني قدرًا من العمل لا أقوى عليه. عليّ أن أدوّن الكثير من الأفكار التي تبدو لي جيدة بعض الشيء:

(٢٤٥) مجموعة من الحوارات السقراطية التي قام بها تلميذه زينوفون.

١ - فكّرت اليوم في استحالة أن يحيا المرء بهدوء حينما يكون تقديره لنفسه مفراطاً، فأول شروط الحياة الهادئة والصالحة هو ما قاله القديس فرانسيس عن نفسه حينما لم يسمحوا له بالدخول^(٢٤٦). انشغلت طوال ذلك الصباح بتقليل قدر المقام^(٢٤٧)، ويبدو أن ذلك لم يمضِ بلا جدوى، فقد تذكرت بوضوح شديد كيف كنت أقوم في شبابي بكل ما أدين عليه أبنائي الآن: الولع بالمقاومة والصيد والكبرياء والانحلال والبخل... أهم شيء هو أن تدرك أنك أدنى من المستوى الأخلاقي المتوسط، وأنت ضعيف العقل، خاصة في ما يتعلق بالمعارف، وأن قواك العقلية تضعف، ولا تنسَ هذا. كم سيسهل العيش حينها! عليك بالنظر إلى تقدير الله لا الناس، وعليك بالاعتراف بعدالة سوء تقدير الناس لك.

٢ - ثمة طريقان للحياة: أن تحيا من أجل مسرات الجسد وتجعلها أهم شيء لديك، أو تعيش من أجل الروح، وتجعل مسراتها أهم ما لديك. إن اتبعت الطريق الأول، ستجد فيه مسرات، لكنها قصيرة الأجل، وكلما ازدادت توغلاً فيه، ضعفت المسرة وندرت، وينتهي بك الطريق بموت

(٢٤٦) راجع ما كتبه تولستوي في كتاب (طريق الحياة): أجاب فرانسيس: "تكمُن السعادة في الآتي: أن نصل إلى وجهتنا ونحن في حالة رثة، شاعرين بالبرد والإنهاك من الجوع والبرودة، ونطلب أن يسمحوا لنا بالدخول، فنجد الحارس يقول لنا: "آه منكم أيها المتشردون... تتسكعون في كل مكان وتخدعون الناس وتتسولون التعاطف من فقراء الناس. ابتعدوا عن هنا!"، ولا يفتح لنا الباب. وإن لم نشعر وقتها بالضيق من الإهانة، بل وقلنا بحب إن الحارس على حق، وقضينا وقتنا حتى الصباح وسط الرطوبة والبرد والجوع والثلج دون تدمير واستيلاء من الحارس... فحينها فقط يا أخي ليف نكون قد وصلنا إلى السعادة الكاملة". ترجمت هذا الكتاب وصدر عن آفاق للنشر.

(٢٤٧) راجع حاشية رقم ١٤٢.

مريع حيث النهاية الأكثر تدميرًا لمسرات الجسد؛ المعاناة والموت. إن اتبعت الطريق الثاني، لن تتوقف مسراتك، وكلما توغلت فيه ازدادت سرورًا وانتهى بك الأمر بأسمى مسرة؛ الموت.

٣- كم يبدو مريعًا أن يشعر المرء بالوحدة وسط العالم بانفصاله عن كل شيء! إن لم يكن الإنسان قد ضلَّ، لما شعر برابطته الروحية بالعالم والله، ولما استطاع العيش من الأساس. إن فقد وعيَه بهذه الرابطة، لن يستطيع العيش، وسينتهي به الأمر بالانتحار. هذا ما يفسر لنا تقريبًا كافة حوادث الانتحار.

٤- ما يسميه الكثير من الناس -بل عدد ضخم جدًا من الناس- شعراء، ليس إلا تعبيرًا غير واضح وغير دقيق عن أفكار عميقة. ينطبق ذلك على والْت وِيْتْمَان^(٢٤٨) وآخرين. يعبر الشاعر بشكل غير واضح وغير محدد عما عبّر عنه كانط بوضوح وتحدد؛ مثلًا: عن فكرة أننا لا نعرف الله إلا بمعرفة قانونه. يسعد الناس بعمل الشاعر، خاصة لأنه لا يربطهم بشيء.

لم أستطع التعبير عن المعنى المقصود.

٥- العمال، والفقراء بشكل عام ليسوا أطيب من الأغنياء، بل بالأحرى أكثر ضغينةً، حيث إنهم يدينون ويحسدون الأغنياء. يجلب لهم ذلك بؤسًا أسوأ من فقرهم نفسه. أما الأغنياء فهم دائمًا لا أخلاقيون بدرجة أكبر من الفقراء، فهم يستغلون عمل الفقراء ويعيشون في تبطل، وهذا تحديدًا سبب بؤسهم.

(٢٤٨) أحد أهم شعراء أمريكا وأكثرهم تأثيرًا في القرن التاسع عشر.

٦- سواء كنت مخطئاً أم لا، لكن يبدو لي أن ثمار شجرتي قد نضجت لتوها، ولا أعرف بعد أهى ثمار جيدة أم لا.

٧- يعتمد تشكيل حياة المجتمع على الفهم الديني لغالبية سكانه للحياة. يعتمد تشكيل حياة مجتمع الشعوب المدعوة «مسيحية» على أسفار العهد القديم اليهودية، وعلى ذلك الفهم الديني للحياة المزعومة مسيحيتها الذي أسسه بولس. أيمن لذلك أن يوضح لنا سبب نجاح اليهود المادي في كافة مناحي حياتنا؟

٨- دَوَّنت سابقاً: الحياة لا تتحرك، بل ترتجف في كل كيان. حركة الحياة التي تبدو لي هي مجرد وهم. كل ما يحدث هو أن الحياة تزداد تجلياً داخل نطاق الزمن. الشمس لا تتحرك عندما تنكشف من خلف السحاب الذي كان يحجبها.

٩- إن عشت بصلاح، لن يزول فرحك. أرى ذلك بوضوح في الشيخوخة. تبهجنى الشيخوخة. تمر بي لحظات حسنة حين أبتهج وأقترب من الموت. صياغة غير دقيقة.

١٠- يحدُّ الزمانُ والمكانُ الوعيَ، لكنه مستقل في حد ذاته. إنه حر، لكن ليس بالإمكان أن يُعبَّر عنه أو أن يتجلى إلا داخل نطاق الزمان والمكان.

١١- لو لم أشعر برغبة في الموت، لما استطعت أن أعبر عما شعرت به وفهمته اليوم بدرجة كبيرة. أمر يدعو للسخرية أن أكتب عن

هذه الحقيقة المعروفة بالفعل للجميع في نهاية حياتهم والتي لم أفهمها إلا الآن، أو بالأحرى أشعر أنها تتمثل لي في صورة جديدة تمامًا. هذه الحقيقة هي أن على الجميع أن يحبوا، ويشيدوا حياتهم بأكملها على أساس أن يتمكنوا من محبة الجميع. أود لو أكتب في كتاب قانون الله للأطفال.

١٢ - نعم، لا يهم إنقاذ روسيا بقدر ما يهم إنقاذ ما هو أثمن من هذا الكيان المتوهم المدعو «روسيا» بملايين المرات؛ إنقاذ روحك.

١٣ - علينا ألا نظن أن حياة الأتقياء تنصبُّ كاملاً على دعم تقواهم، وأنها تبدو مملة مكرسة لنشاط مجرد. الأمر على النقيض من ذلك؛ لا يمكن لحياة الناس المؤسسة على أساس ديني ألا تكون مبهجة ومتحررة تمامًا من العناية بتقواهم.

يشبه ذلك أن نظن أن نشاط أصحاب الرؤية المناصرة للدولة والعلم ينحصر في فعل ما يتحدثون عنه في السياسة والعلم.

١٤ - يجب أن يكون التعليم الديني أساسًا للتربية. في غياب التعليم الديني لا تعود التربية تربية - كما هو الأمر لدينا - بل إفساد وإضمار لأسمى السمات الإنسانية.

١٥ - عليك أن تأمل الفرحة إن أردت أن تحيا من دون عذاب. ما الذي يجعلنا نأمل الفرحة بينما الشيخوخة والموت في انتظارنا؟ ثمة مخرج واحد لهذا الموقف: أن تُكرّس حياتك من أجل السعي صوب الكمال الروحي والاتحاد المتزايد بالله. حينها فقط ستجد أن الحياة فرح لا يتوقف، ويصبح الموت نفسه فرحًا.

١٦ - اليهود هم أكثر مَنْ يشعرون أنهم في منزلهم بعالمنا هذا؛ لأنهم يعيشون في عالم قائم على المسيحية البولسية^(٢٤٩) التلمودية؛ في عالم غير متسق قائم على رؤية متناقضة للعالم؛ رؤية تجمع بين العهد القديم والمسيحية البولسية. رؤيتهم للعالم متسقة، أما رؤيتنا فمتناقضة.

١٧ - نظرت إلى بورتريهات لكتّاب معروفين في عام ١٨٥٦، وجميعهم قد رحلوا. تصورت بقوة أن جميعهم يمثلون كيأنًا واحدًا؛ الكيان الموجود بداخلي، والذي يتجلى في كل منهم بشكل مختلف، ويتجلى الآن في كافة مَنْ ألتقيهم؛ في فيليكانوف وبرنارد شو^(٢٥٠). آه لو أستدعي ذلك إلى ذهني دومًا، بل وأشعر به!

١٨ - بتقدمك في العمر وحلول الشيوخة يقل إحساسك رويدًا رويدًا بواقعية وجود الناس. في الطفولة بدا كل مَنْ عرفتهم من الناس ثابتين كما هم، لكن مع حركة الحياة بدت لي تجلياتهم الروحية تتغير أكثر فأكثر. لم تعد تانيتشكا الصغيرة (حفيدته) تبدو لي الآن كيأنًا، بل شكل متغير لتجل الروح.

١٩ - كنت أفكر طوال الوقت في أن الزمن هو دوران للمجال يحدث أمامي، على حد قول أميل. ولكن أين الأنا من ذلك؟ ثم تبين لي فجأة أنني أدور أنا أيضًا مع دوران المجال -دورانا لا نهائيًا- وفي الآن ذاته أقف عليه -أو فيه- متأملًا فيه. ثم خطرت على ذهني فجأة فكرة

(٢٤٩) نسبة إلى بولس الرسول.

(٢٥٠) في ذلك الوقت كان تولستوي يقرأ مسرحية برنارد شو "الإنسان والسوبرمان" التي أرسلها له شو شخصيًا.

مدهشة من فرط بساطتها، وربما لذلك لم تخطر على ذهني قبلاً. الفكرة تحديداً كالآتي: إن كانت ثمة حركة -ونحن جميعاً نعي بالفعل حركة الحياة- فيجب أن تكون الحركة قياساً إلى شيء ثابت غير متحرك. ثمة كيان روحي غير متحرك فعلاً؛ الآنأ، وهي التي تتأمل في الحياة المتحركة. كم يعد ذلك واضحاً وبسيطاً بدرجة مدهشة! صحيح أنه ليس دليلاً، لكنه يوضح أمر هذه الروحانية الخالدة التي تؤلف جوهر الآنأ بالإنسان، وكل كائن آخر. ترتجف الحياة داخل كل كيان، ويعود ذلك تحديداً إلى أن كل كيان يتحرك مع الجميع، وفي الآن ذاته يتحرك قياساً إلى شيء ثابت؛ الوعي.

أشعر بصفاء ذهني. لكن المساء قد حلّ، ولا أستطيع العمل.

١٦ يناير.

فكرت ليلاً في طبيعة الزمن. تصورت دوران المجال الذي كتب عنه أميل، ولكن من الأسهل أن أتصور تعزيز الرؤية الروحية. أرى نفسي بدرجة متزايدة من الوضوح، ولو كنت بمفردي في العالم، لما تألفت من كائنات تتكشف لي، ولما أدركت الحركة، لكنت على نفس الحال الذي أرى نفسي عليه الآن. ولكن بالإضافة إليّ انكشافي لنفسي، ثمة كائنات أخرى تنكشف لي أيضاً، أو بالأحرى كائنات أخرى أبطأ. في الفترة التي تمتد في التقويم من وقت ولادتي وحتى موتي لا أرى إلا جزءاً صغيراً من نفسي يتكشف لي، ولا يتكشف لي من شجر البلوط أكثر من عشر ما يتكشف لي من نفسي.

يبدو كل ما سبق هراء دون شك.

قرأت مقالة صغيرة أرسلها لي بولتون هول (كاتب أمريكي) عن اللا مقاومة. يقول كاتب المقالة إن ما يحول دون تحقيق الوحدة بين الناس هو تعلق كل إنسان بإرادته الخاصة، وبالتالي على كل إنسان أن ينكرها، وهو محق في ذلك. يقول أيضًا إن الأمر لا يقتصر على أن عليك ألا تقاوم الشر، بل أيضًا أن تنفذ ما يُطلب منك؛ لأن ما يُطلب منك هي متطلبات الحياة في العالم، والحياة تعلم ما تحتاج إليه. وهو غير محق في ذلك لأن حياة العالم هي حياة الكائنات التي يسترشد كل منها بقواه. العقل هو أسمى قوة لدى الإنسان، ولا يمكن للإنسان - ولا يتوجب عليه من الأساس - أن يهملها، فحياة العالم تتطور تبعًا لنشاط أولئك الذين يسترشدون بالعقل. لن تتحقق الوحدة بنذ الناس للعقل، بل باعترافهم بكافة قوائمه.

٢ فبراير.

لم أدون يومياتي لأكثر من أسبوعين. كنت مريضًا، ولم أتعاف تمامًا بعد. وصلني بالأمس خطاب مؤلم جدًا من ابني ليف. ما إن قرأت بدايته، حتى نحّيته بعيدًا عني. كنت سأجيب عليه بكلمات فضية، لكنني هددت وفضلت كلمات ذهبية^(٢٥١). تنزهت على متن الجواد، وحينها فقط استجمعت شتات نفسي. في مثل هذه الحالات تحديدًا أشعر بالحاجة إلى حب الله والصلاح والحقيقة، وإن لم يكن الحب، فعلى الأقل أحتاج

(٢٥١) إشارة إلى حكمة: الكلام من فضة والصمت من ذهب.

إلى عدم بغضة الناس. أمر مدهش ومثير للشفقة أن يعاني من حسده لي ويتحول حسده إلى كراهية^(٢٥٢). يمكن -بل ويجب- أن أسر بذلك كتدريب روحي. لكني لا أزال غير قادر على ذلك، وبالأمر كنت في حالة شديدة السوء حتى إنني لم أستطع طويلاً مغالبة شعوري غير الطيب وحكمي عليه، وبالكاد يمكنني فعل ذلك الآن. يكمن الإغواء هنا فيما يبدو لي أنه يعوقني عن أداء أعمالي المهمة. لكنني أنسى أن أهم شيء هو أن أتمكن من دفع الشر بالخير. لا شيء أهم من ذلك. الاهتمام بتقويمه أو حتى مساعدته أمر مستحيل، ولا ضرورة له من الأساس. يلزم أمر واحد: ألا أشعر صوبه بشعور شرير، وأن أستحث بداخلي شعوراً طيبة صوبه بمعزل عن أفعاله. هذا ما أشعر به الآن من حسن حظي، وإن كانت ٢٤ ساعة قد مرت على ذلك.

في هذه الفترة كتبت كمية كبيرة جداً من الخطابات: لبولتون هول ولكروسبي (كاتب أمريكي) ولدانيال (صحفي إنجليزي) ولبابا باراتي (محرر جريدة هندي) لكنني لم أرسل خطابي للأخير بعد، كما أرسلت عدداً كبيراً من الخطابات القصيرة لشخصيات روسية. كنت سأدوّن شيئاً ما، لكنني عكفت على دفتر اليوميات لأكتب ما بدا لي شديد الأهمية حينما فكرت فيه أثناء نزهتي الصباحية. أقصد تحديداً الآتي:

١ - جاء أناركي من الداعين لمصادرة الملكيات إلى القرية وتحدث مع الفلاحين عن عدم ضرورة عملهم من أجل السادة، وقال إن السادة

(٢٥٢) غالب الأمر إلى أنه يشير إلى ابنه ليف.

يعتبرونهم عبيداً لهم. أردت أن أسأله ومعلميه: وماذا عن الفلاحين الميسورين الذي يمتلك الواحد فيهم عشرة جياذ يريح من عملها بنقل الناس أو بحمل الطوب... هل يستحيل أن نعمل لديهم أيضاً؟ وإن كان الأمر كذلك، فأين يجب أن نتوقف إذن؟ وإن عرفنا أين يجب أن نتوقف، كيف يمكننا تحقيق ذلك؟ أنضع قوانين وننفذها بالعنف؟ ولكن سيتحول ذلك إلى سوء استخدام للسلطة مجدداً.

كشف لي فجأة هذا الاستنتاج بوضوح كامل لم أختبره من قبل عن تلك الضلالة المريعة المتعلقة بتنظيم المجتمع الإنساني. يتأسس كل تنظيم للمجتمع الإنساني على العنف، ويُدعم بالعنف. من الواضح تماماً أنه لا يمكن أبداً في ظل أي محاولة لتنظيم حياة الناس جميعاً أن تجبرهم على الانصياع لذلك التنظيم إلا بالعنف؛ بمنح البعض حق استخدام العنف. إننا نهدف إذن إلى منع العنف الذي يرتكبه البعض على الآخرين بمنح البعض حق استخدام العنف، في حين أن خبرتنا ومجمل التاريخ البشري يكشفان لنا عن أن منح البعض حق استخدام العنف لم يتمكن أبداً - وحتى الآن - من منع الناس من تجاوز النظام المستقر وممارسة العنف في حق الآخرين. ينتج عن ذلك إذن أن تأسيس مجتمع بالعنف لن يؤدي إلا إلى زيادة عدد من يستفيدون من ذلك العنف ويرتكبونه في حق الآخرين.

كان ينبغي إذن أن يتضح أنه إن استرشدت مجموعة من الحيوانات بمشاعرها الجسدية وحسب - التي نطلق عليها «الغرائز» - فمن الطبيعي إذن بالنسبة لمجموعة من الناس تحوز عقلاً بالإضافة إلى تلك الغريزة

ألا يسترشدوا بكليهما، بل بأحدهما وحسب. ينتج عن هذين المبدأين الذين يوجّهان حياة الناس ضلالة تنظيم المجتمع بالعنف، وهي الضلالة التي يعاني منها الناس الآن. إن كل محاولة لتنظيم المجتمع على أساس العنف هي مزج خاطئ بين مبدأين لا يمكن أن يمتزجا معًا: مساعي الغرائز الحسية والعقل، حيث إنهما متناقضان ولا يمكن ألا يكونا كذلك. لم يكن هذا التناقض ملحوظاً في المجتمعات البدائية، مع درجة تطور العقل المتدنية حينما كان الناس يسترشدون بالغريزة وحسب. لكن كلما طالت حياة المجتمعات وازدادت أهمية العقل لديها أصبح هذا التناقض أكثر وضوحاً ولم يعد محتملاً. لقد وصل هذا التناقض الآن في المجتمعات المسيحية إلى أقصاه.

في هذه الفترة قرأت كتاباً رائعاً لبابا باراتي بعنوان «كريشنا».

نعم... إن كنت سأضيف شيئاً لفكرة عدم إمكانية تنظيم المجتمع دون اللجوء إلى العنف لقلت الآتي: كما كانت المجتمعات القديمة لا تتصور مجتمعاً دون عبيد، كذلك المجتمعات اليوم لا تتصور إمكانية وجود مجتمع دون وجود ما هو أسوأ من العبيد؛ السلطة. تحرّر العبيد الآن، وahan الوقت لتحرير هؤلاء البؤساء.

١٣ فبراير.

يبدو أنني لم أذكر أنني كتبت خطاباً طويلاً لبابا باراتي. أخشى أن يكون متكبراً. حاولت في تلك الفترة أن أكتب دروساً للأطفال، وفشلت كل المحاولات. بالأمس قرأت للأطفال درسين، وكان كلاهما غير

مُرَضٍ. كتبت خطاباً لريخيل^(٢٥٣) ترجمه ودوشان بتروفيتش^(٢٥٤). لا أعرف هل أرسله أم لا. لن أياس فيما يتعلق بكتابة قانون الله من أجل الأطفال، وسعيد أنني ليست لدي أي أهداف خارجية فيما يتعلق بهذا العمل^(٢٥٥). كل ما في الأمر هو أنني أريد أن أستخدم ما تبقى لي من عمر خير استخدام. عليّ تدوين الكثير:

١- إن أردنا أن نفهم بوضوح لا واقعية المكان (الجسد) والزمان (الحركة) وأن كليهما ليسا إلا دلالة على محدودية تفكيرنا، علينا أن نفكر في مدى الضالة اللامتناهية لأجسادنا في المكان وحركتنا في الزمان مقارنة بالعظيم اللامتناهي - الذي لا يمكنني ألا أفترض وجوده - ومدى عظمتها مقارنة بما هو ضئيل بشكل لا متناهٍ مما يجب عليّ أن أفترض وجوده كذلك.

٢- كنت أفكر لتوي في مدى محدودية تفكير أولئك المدعويين «ماديون» الذين يُنَحُّون أنفسهم بعيداً عن أي أفكار جادة تتعلق بسمات الطبيعة الإنسانية والعقل (كانط - أفلاطون - المسيح) بذريعة أن كل هذه الأفكار تفتقر إلى الوضوح والتحدد وتنطوي على تناقضات متبادلة في مجال يعتبرون كل ما فيه من أفكار غير مُجَدِّدٍ. إنهم على استعداد للتحديث معك في السياسة والعلوم الطبيعية والقوانين الاقتصادية وكل شيء إلا فلسفة الدين. إنهم يسدون في أنفسهم ذلك الثقب الذي يمكن أن تمر

(٢٥٣) كاتب ألماني قرأ مقالة تولستوي عن شكسبير، وأرسل إليه عدة خطابات ذكر في آخرها أنه يتفق مع تولستوي فيما يتعلق بشكسبير.

(٢٥٤) طبيب عاش في ياسنايا.

(٢٥٥) لم ينو نشر هذه الدروس، بل الاكتفاء بتدريسها للأطفال في ياسنايا.

عبره الأفكار والمعارف المهمة التي يحتاج الإنسان إليها. يسلكون كما يسلك إنسان يتوجب عليه أن يحسب مقاييس ثلاثية الأبعاد، لكنه يقول لك مقدماً إنه على استعداد لسماعك تتحدث عن أي شيء إلا الرياضيات؛ لأنه يعرف أنه هناك مفارقات رياضية.

٣- كم هي ظاهرة مذهشة أنه بالرغم من أن المنظور الديني للبراهمانية أسمى كثيراً جداً من الذي لليهودية، لكنه يُعاني من نفس التحريف إن لم يكن أسوأ!

٤- كم يندر أن تلقى -والأندر أن تختبر- حباً حقيقياً؛ حباً للحب، ليس فقط للناس جميعاً، وإنما لكل شيء؛ لله! أعني يا الله على العيش بهذا الحب! تعال وحل فيّ.

٥- أكثر ما يسترشد به الثوريون هو الحسد وحب الذات والسلطة. الأسوأ من كل ذلك أهو أنهم يغطون هذه المشاعر الدنيئة بقناع من حب زائف وشعور بالشفقة صوب الشعب. أكثر ما يثير السخرية هو ادعاؤهم حب الحرية. لقد استعبدوا أنفسهم للسلطة وأبشع درجات فقدان الإرادة من حبهم لهذه الحرية الزائفة!

٦- نتساءل: لماذا لا يبين لنا الله إرادته بكلماته مباشرة؟ لكننا ننسى أن الناس يتحدثون دائماً بكلمات تبدو غير دقيقة وغير واضحة، وغير كاملة، وذلك لعدم كمالهم، ولأن لله لغة أخرى ووسيلة أخرى لنقل الحقائق؛ وعينا بجوهره.

٧- أساس حياتنا هو سعينا الذي لا يتوقف صوب الخير. لكن بوصفنا كائنات منفصلة محدودة لن ننال أبداً كل الخير الذي ننشده.

لا يمكن أن ننال الخير الكامل إلا عندما نشارك كل ما هو موجود، لا البشرية وحسب. لدينا إمكانية مشاركة الكيان الكلي عندما نعي في أنفسنا الجوهر الروحي الذي يمنحنا الحياة. يتجلى فينا هذا الوعي بالحب.

لا شيء بإمكانه أن يؤكد حقيقة أن حياتنا ليست في حب أنفسنا فقط، بل في حب الكيان الكلي أكثر من هذا الوعي. كما يؤكد على أن حياتنا لا تنتهي، أو بالأحرى تُحد بالحياة الدنيوية الجسدية التي تمتد من الميلاد وحتى الموت. هكذا نعيش هنا حياتنا المنفصلة وحياة كائن آخر أكثر اتساعاً يتضمن بداخله وجودنا المنفصل، كما يتضمن جسدنا الخلايا التي يتكون منها. لذا فإن نشاطنا صوب الخير الكلي لا يتوارى، كما لا يتوارى نشاط كل خلية على حدة لصالح الجسد بأكمله. وبالتالي يمكن أن يكون الموت بمثابة انتقال للوعي من شخصية منفصلة إلى كيان آخر أكثر اتساعاً يتضمن بداخله هذه الشخصية المنفصلة. وهذا أمر محتمل؛ لأن الحياة الإنسانية بأكملها هي محض اتساع متزايد للوعي.

٨- الحياة الدنيوية - من الولادة وحتى الموت - هي وعي الإنسان المتزايد والمستمر بروحانيته. يتمثل لنا هذا الانكشاف بالحركة داخل إطار الزمن والجسد داخل إطار المكان.

٩- تتعلق الحركة بالزمن كما يتعلق الجسد بالمكان.

١٠- علم الفلك هو أكثر العلوم التي يتضح فيها وهم الزمان والمكان. على المرء أن يكون أحمق تماماً أو عالمًا حتى لا يفهم أنه إن كانت تفصلنا مليارات بمقياس الفرست^(٢٥٦) حتى نصل إلى الشّعرى

(٢٥٦) مقياس روسي قديم للطول.

اليمانية، فإن ذلك يعني أن ثمة نجومًا تبعد عنا بمسافة لا يمكننا حتى تصورها بالأرقام، وسيشكل ذلك مجرد كسر بسيط من مقدار المسافة التي تفصلنا عن عوالم أخرى أبعد، وهكذا إلى ما لا نهاية. إن كان الأمر كذلك فمن الواضح إذن أنه لا وجود على الإطلاق لهذه العوالم، بل إن ذلك محض إشارة لتفكيرنا داخل إطار الزمان والمكان.

١١ - يأسف الغني الصالح على الفقير، ويخجل من ثروته، وكثيرًا ما يريد أن يُسديَّ خيرًا للفقير. أما الفقير، حتى إن كان صالحًا، يحسد الغني ويحزنه فقره، وتكون رغبته في فعل الشر للغني أكبر من رغبته في فعل الخير له.

في هذا تحديدًا يكمن بؤس الفقراء.

١٢ - يسهل علينا أن نقول: علينا ألا نكره الأشرار، بل نشفق عليهم ونحبهم. إن أردنا أن نحقق ذلك فعلًا ثمة وسيلة واحدة أمامنا: أن نرى ونشعر ونحب الله الذي بداخلنا كما هو بداخلهم. إن أردنا أن نكون في حالة تسمح لنا بفعل ذلك علينا أن ندرك الله بداخلنا ونحبه. لذا فإن في ذلك تحديدًا يتلخص كل شيء.

١٣ - احكم على الناس كما لو أنك تحكم على نفسك. إنهم أنت على أي حال. لذا تسامح مع أعمالهم الشريرة كما فعلت - ولا تزال - مع نفسك، وتَمَنَّ أن يتوبوا ويصححوا أوضاعهم كما لو أن خطاياهم هي خطاياك.

١٤ - حلمت أننا نستعد لنشر مجلة أخلاقية غير موجودة. يتضمن الجزء الأول فيها تعاليم دينية ميتافيزيقية: تاريخ الدين واستعراضًا له.

يتضمن الجزء الثاني قواعد للحياة تتعلق بي. الجزء الثالث موجّه للناس حيث يتعلق بتربية الأطفال.

١٥ - تستند كافة العقائد الدينية إلى نفس الأساس. لا يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك، فالإنسان واحد في كل مكان.

١٦ - إنكار الذات أمر ضروري جدًّا في الدراسات الدينية. عليك أن تترك كل ما تتمنه واعتدت عليه حتى تتمكن من فهم التعاليم الأخرى.

١٧ - لماذا نسعى صوب التقدم للأمام دائماً؟ لأن لا حياة إلا في الكشف المستمر.

١٨ - تحرير الشعب والدستور وكافة أنواع الحرية وعظمة الدولة والوطنية وأفضل أشكال التنظيم الاجتماعي... كل ما سبق محض حُجُب تخفي الحسد وحب السلطة والغرور والكبرياء والتبطل واليأس. لا ينتج عن هذه النوايا الحسنة سوى صراع الجميع ضد أنفسهم، وإحلال الكراهية بدلاً من الحب، والانهيار الأخلاقي المتواصل.

١٩ - تتمثل لنا حياتنا بالحركة. حتى تكون هناك حركة يلزم وجود نقطة ارتكاز ثابتة تتم الحركة وفقاً إليها. هذه النقطة هي وعينا بروحانيتنا. ما يتمثل لنا بالحركة هي حُجُب تُرفع عن الروح التي ندركها بداخلنا.

٢٠ - تتمثل لنا حياتنا بالحركة منذ بدايتها بالولادة وحتى نهايتها بالموت. ونريد أن نحكم على حياتنا بأكملها وفقاً لهذه الحياة المؤقتة، وننسب إليها الحركة من البداية وحتى النهاية. نتحدث عن خلق العالم أو أصله، ونتحدث عن نهاية العالم وحركة الحياة فيه، في حين أن هذه

المفاهيم غير مناسبة إلا لوضعنا المحدود في الحياة، ولا يمكنها أن تنطبق على حياة العالم بأكملها.

٢١- واحدة من أكثر الضلالات ضررًا لدى الذين يرغبون في تحسين حياتهم هي الظن بإمكانية تنظيم وضع معين يمكن للناس فيه أن يكونوا في حال أفضل من أي وضع آخر. صراع الأحزاب الدائم - صراع الطبقات الدائم وما يترتب على ذلك من أوضاع ملائمة... كل هذا ليس إلا خداعًا للذات يتضمن بداخله شرًا جديدًا يتلخص في تنفير الناس من الشيء الوحيد واللازم لأفضل شكل لنشاط المجتمع؛ عمل الناس من أجل أنفسهم.

٢٢- تحل الصحافة محل التواصل الشخصي بين الناس بدرجة متزايدة. هذا الإحلال غير ملائم بشكل خاص للتواصل المحب بين الناس. مهما كانت فوائد انتشار المطبوعات، فإن هذا العيب يفوق كل ميزاتها.

٢٣- ثمة أربع مراحل للوعي الديني الميتافيزيقي:

أ - أن أدرك أنني موجود.

ب - أن أدرك أن ثمة بشرًا آخرين وكائنات أخرى.

ج - أن أدرك أن أصل وجوهر البشر جميعًا والحيوانات وكل ما له وجود موجود بداخلي.

د - أن أسعى صوب دمج أساس حياتي بأساس حياة الكائنات الأخرى بالحب.

٢٤- لا يمكنني أن أعرف شيئاً فوراً عما حدث قبل أن أوجد، ولا يمكنني أن أعرف شيئاً فوراً عن حياتي داخل الرحم وأثناء طفولتي المبكرة، ولا يمكنني أن أعرف شيئاً فوراً عما حدث أثناء نمومي. كل هذا لم أكن لأعرفه لولا وجود أولئك الناس الذي يشبهونني، والذين عرفت من خلالهم ما هو غير معروف لي من حياتي وما سبقها. يعود كل ذلك إذن إلى اتصالي بالآخرين وحسب، والذين منحوني بحكاياتهم تصوراً عما حدث معي ومن قبلي. هذه المعلومات غير ضرورية إلا من أجل الروابط الخارجية للظواهر، لكنها لا تشكل في حد ذاتها جزءاً من حياتي، وليست لازمة لي، وكثيراً ما تفتقر إلى الموثوقية، وسواء كانت تتمتع بالموثوقية أو تفتقر إليها، فهذا أمر غير مهم بالنسبة لي. ما يهمني حقاً ويُشكّل حياتي الحقيقية هو كل ما وعيته مباشرة وانكشف لوعيي عبر أفكار الكائنات الواعية التي أتواصل معها في هذه الحياة أو التي عاشت منذ آلاف الأعوام وعبرّت بالكلمة عما كان معتمداً في وعيي. لذا بعد أن اكتسب ذلك شكلاً من التعبير أصبح جزءاً من وعيي. وهكذا تُشكّل أفكار بوذا وكانط والمسيح وأميل وآخرين جزءاً من حياتي، في الوقت الذي أنسى فيه تماماً جزءاً لا بأس به من حياتي إبان فترة الشباب ومن حياة الذين كانوا يعيشون معي وأتواصل معهم كل يوم.

لم أعبر عن الفكرة بشكل واضح، لكنني سأحاول أن أزيدها وضوحاً فيما بعد.

١٤ فبراير.

لا داعي لأن أذكر أنني في "ياسنایا بوليانا"، فمن غير المحتمل تقريباً

أن أذهب إلى مكان آخر قبل موتي. بالأمس لم أرَضَ عن الدرس الذي قدمته للأطفال وتعثرت فيه. من الضروري أن أبدأ بالميتافيزيقا. لم أكمل ما بدأت كتابته بالأمس. أردت أن أقول إن سقراط والمسيح وبوذا لهم وجود حقيقي بالنسبة لي، وأن تسعة أعشار ما يطلق عليه حياتي لم تظل معي، وهي حياة ملايين الناس الذين لا يتركون أي أثر في وعي (ذاكرة) الناس القادرين علي نقل نتائج ذلك الوعي.

١٧ فبراير.

سأت حالتي الصحية. حَسَنُ أنني أقرب من نقطة العبور^(٢٥٧). مشغول بلا برويير^(٢٥٨). قرأت بالأمس عن مقالتي عن شكسبير «الناصرى، المفسد العظيم للبشرية»^(٢٥٩). قالت تانيا لتوها عن إيفان (خادم بياسنايا) إنه يكره السادة ويحسداهم. عَذَّبَنِي الألم والحزن. كيف يمكنني أن أحيأ وسط هذه الكراهية؟!

١٩ فبراير.

أود أن أدوّن الآتي:

إن أردنا أن نحسم مسألة حرية الإرادة ونجيب عما إن كان الإنسان حرّاً أم لا، علينا أولاً أن ندرك أن للإنسان وعين: جسدياً وروحياً؛ أي أن

(٢٥٧) يقصد: الموت.

(٢٥٨) جان دي لابرويير: أديب وكاتب فرنسي. انشغل تولستوي بقراءة وترجمة بعض أفكاره.

(٢٥٩) اقتباس بالفرنسية مما كتبه الكاتب الفرنسي لويس توماس وكتّاب فرنسيون آخرون عن تولستوي بعداء بعد قراءتهم لمقالته عن شكسبير. الناصري نسبة إلى الناصرة حيث نشأ المسيح... أي أنهم يصمون به الهوس الديني.

الإنسان قد يعي نفسه جسدياً وقد يعيها روحياً. بالنسبة للوعي الجسدي لا يمكن أن يكون هناك حديث من الأساس عن الحرية؛ لأن الحياة الجسدية تجري داخل إطار الزمان والمكان، وما من حاضر. بالنسبة للوعي الروحي كذلك لا يمكن أن يجري حديث عن الحرية؛ لأنه ليس هناك ما يمكنه أن يحدّه حيث إنه كلي القدرة. لا يتجلى هذا الوعي إلا في ما هو غائب عن الوعي الجسدي؛ في الحاضر. الإجابة عن مسألة حرية الإرادة إذن كالآتي: لا حرية إرادة في الوعي الجسدي، وثمة حرية إرادة في الوعي الروحي.

إن تساءلوا: «هل لدى الإنسان الحرية في الانتقال من وعي للآخر؟» ستكون الإجابة: «الحياة في الوعي الروحي وحسب».

١٧ مارس.

لم أدون يومياتي منذ فترة طويلة، لكنني دَوّنت الكثير من أفكارٍ في دفثري. انشغلت في تلك الفترة بدروس الأطفال وحسب. كلما توغلت في الأمر، بانت لي صعوبة الأمر الكبيرة، وفي الآن ذاته شعرت بالأمل في النجاح. كل ما فعلته غير مفيد تقريباً. بالأمس قسّمت الأطفال إلى فريقين. فكّرت اليوم في ما يجب أن أفعله مع الفريق الأصغر. في هذه الفترة جاءني زوار مختلفون ووصلتني خطابات جيدة. بالأمس جاء كوزمين من عند أتباع مالفانتسيف^(٢٦٠). أنا مسرور جداً. ينجلي لي

(٢٦٠) أتباع حركة دينية واجتماعية واسعة الانتشار في الجنوب أطلقها كوندرات ألكسيفيتش مالفان بدأت في الانتشار وسط القرى. تم القبض على مالفان ثم أُطلق سراحه تحت رقابة من الشرطة كي لا يعود إلى نشر تعاليمه ثم أرسلوه إلى مصحة نفسية.

أكثر فأكثر جنون - والأهم من ذلك: خطية - ودناءة النشاط السياسي وما يتصل به من نفاق.

عليّ تدوين الكثير:

١- أمر غريب وجديد عليّ، ألا وهو سبب عدم محبة الأبناء لأبائهم (في الأسر غير المسيحية حقًا بالطبع). السبب هو ما شعور الأبناء بالحسد صوب آبائهم والمنافسة معهم.

٢- اللحظة الحاضرة؛ اللحظة اللا زمنية التي تدمج الماضي بالمستقبل. في هذه اللحظة يمكنني أن أستدعي بداخلي وعيًا وأجعلها حقيقة. الماضي والمستقبل وهم.

٣- وحدي أنا الموجود، وحدي كنت وسأكون. الأنا تجلي مؤقت زمنيًا.

٤- أنا كيان روحي لا يريد أن يكون في الجسد، لذا فوجودي في الجسد ليس بإرادتي، بل طبقًا لإرادة عليا.

٥- أشعر بخير الشيخوخة والمرض، فهما يحررانني من العناية بآراء الناس. ما يساعدني أيضًا على ذلك هو أنهم لم يعودوا يمتدحونني بقدر ما يوبخونني.

٦- الإنسان حر داخل نطاق الوعي وحسب، والوعي غير ممكن إلا في اللحظة الآنية.

٧- أشعر أنني أبدي، وأني وحدي الموجود حقًا. لكن عندما أحكم على نفسي أراني لا شيء؛ جزء لا متناهي الضالة من كيان لا متناهي

العظمة. أين الحقيقة؟ في التصور الأول أم الثاني؟ إن كان التصور الثاني حقيقياً، فإن الوعي بالتصور الأول «الأنأ الأبدية» محض خداع. لكن لا يمكن أن يكون الأمر كذلك لأنه من دون هذا الخداع «التصور الأول للأنأ» لا حياة ولا شيء على الإطلاق، وقبل كل ذلك لن يصبح ثمة وجود للأنأ بحسب التصور الثاني.

إن كان أحد التصورين فقط حقيقياً، فهذا يعني أن الحياة الجسدية بأكملها محض خداع. لكن هذا أيضاً لا يمكن أن يكون؛ لأنه في غياب الحياة الجسدية لم أكن لأتمكن من التوصل إلى هذه الاستنتاجات. لذا كلاهما موجود: ثمة أنا روحية وكيان لا زمني ولا مكاني تحكمه شروط جسدية وزمانية ومكانية.

حتى نتمكن إذن من الإجابة عن السؤال المتعلق بحرية الإرادة، علينا أن نغير السؤال نفسه ليكون كالآتي: من أين يأتينا تصورنا عن حرية الإرادة؟

٨- يشبه عمل الإحسان ما يفعله إنسان جفّف المروج المليئة بالمياه، ثم سقي منها المناطق الأكثر جفافاً. لقد انتزعوا من الشعب ما هو في حاجة إليه، وبذلك حرّموا من إمكانية أن يعيل نفسه بنفسه، ثم يحاولون دعم الضعفاء فيه بأن يوزعوا عليهم ما انتزعوه منهم سابقاً!

٩- لا يقتصر الأمر على أنني لست الأنأ الجسدية المدعوة ليف تولستوي منذ لحظة الولادة وحتى الموت، فحتى من وجهة نظر جسدية لست مجرد تجلّ جسدي لكل أسلافي إلى ما لا نهاية ونقطة وصل بينهم وبين أسلافي وحسب، لكني أيضاً وميض عابر لشيء ما.

- ١٠ - تقاليد الأسرة هي تجلّ فظ لوعي الناس بوحدتهم.
- ١١ - ليس الحب سوى نتيجة لوعي الناس بوحدتهم، أما هذا الوعي في حد ذاته فهو أعمق من الحب.
- ١٢ - حياة الإنسان هي انتقال دائم من الوعي الحيواني إلى الروحي. ولكن ما طبيعة هذا الانتقال حينما لا يكون هناك زمن؟
- ١٣ - ليس ثمة انتقال، فسواء كان الوعي جسديًا أو روحيًا لا يلائمني إلا زمنيًا، أو بتعبير آخر: داخل إطار الزمن.
- أتقول إن الزمن مجرد إطار وإنه غير موجود حقيقة؟ وماذا يعني إذن أنك لم تكن موجودًا قبلاً، لكنك الآن موجود وتعيش في هذا العالم حتى تحين لحظة موتك؟
- يعني ذلك أنني لست قادرًا على فهم الوجود والعدم معًا في هذا العالم. أنا موجود وغير موجود في هذا العالم.
- ١٣ - كم على المرء أن يتعذب حينما يحوز ثروة طائلة! سيكون لديه دائمًا طالبو صدقة... كيف يمكن أن يُفرّق بينهم؟ ولمن فيهم يعطي صدقة؟ ثمة وسيلة واحدة: أن يتخلى عن ثروته كلها.
- ١٤ - كم هو رائع لو نسي المرء نفسه تمامًا! ولكن هذا مستحيل، لذا عليه أن يعادل الأمر؛ يعامل الآخرين كما يحب أن يعاملوه.
- ١٥ - إن لاحظت أحدهم يدافع أثناء جدال ما عن أوضاعه، أوقف الجدل حالًا.
- ١٦ - يصعب على الشاب أن يتجاهل الجسد. لا ضرورة لمحاولة

فعل ذلك فوراً. عليه في البداية ألا يفعل شرّاً، ثم يحاول فعل الخير، ثم يحين موعد إنكاره لنفسه.

١٧- أفضل وسيلة نثبت بها أن الحياة الحقيقية خارج إطار الزمن، هي أن اللحظة الآنية دائماً خارج الزمن.

١٨- تذكرت بوضوح تام ذلك الصبي اللطيف نيكولاشا، وحقيقة أنني شعرت أنني هو، وأني أبتسم ابتسامته، وأن عينيّ كانتا تبرقان كعينيه. هكذا يكون الأمر عندما تحب أحدهم. هذا دليل واضح بالطبع على أن روحاً واحدة تحيا فينا جميعاً، وأن الحب الحي يزيل كافة العوائق.

١٩- الزمن هو إزالة الحجب عن روح الله الحية الثابتة الواحدة.

٢٠- لا مناص للجسد من المكان، وهذا ما يحجب عنا في البداية وحدة الروح الحية. تنزع الحركة في الزمن هذه الحُجب.

٢١- وحدهم الأطفال والشيوخ من يستطيعون أن يحيا حياة حقيقية، متحررين من أسر الشهوة الجنسية، أما الآخرون فهم وسيلة لاستمرار النسل الحيواني. لهذا يبدو الانحلال منفراً جداً في الشيوخ والأطفال. يظن الناس أن الشّعركله ينحصر في الحياة الجنسية، في حين أن الشّعركل الحقيقي خارج هذا المجال دائماً.

٢٢- أقطع صنوف الخداع وأشدها ضرراً للإنسانية هي الفريسية (الرياء) التي تصبغ نشاطاً أنانياً بصبغة خدمة الله. لكن الصورة الأكثر ضرراً التي تطورت من هذا النشاط في زماننا هي الفريسية السياسية. يؤكد الناس لأنفسهم وللآخرين -من القيصروحتى الرفيق العامل- على أن

خير الشعب هو ما يشغلهم، في حين أنهم مشغولون بأنفسهم، ولا يشغلهم
خير الشعب إلا بقدر ما تشغل القاهرة ببناء دير، ولا يحركها صوب ذلك
سوى أنانية فجة. ثمة فريسية أسرية كذلك. إنسان بخيل محب للسلطة،
ويريد أن يؤكد لنفسه وللآخرين أنه يفعل ما يفعله من أجل أسرته.

٢٣- فكرت اليوم في بداية الدروس التي سأعطيها للأطفال: لماذا
تعيش؟ لتكون سعيدًا. كيف تكون سعيدًا؟ بأن تعيش بحيث يكون
الجميع سعداء.

٢٤- يا لبساطة ما يحدث! كل من في الطابق السفلي يريد أن يصعد
صوب الذين يحتلون القمة. وهم يقومون بذلك بذرائع مختلفة، أكثرها
شيوعًا: التنوير. ولكن من سيبقى بالأسفل حينما يصعد الجميع؟ ترى
إنجلترا أنه من الجيد أن تحظى بعبيد في الهند؛ في المستعمرات.

٢٥- بينما كنت أقرأ لباسكال، أدركت للمرة الأولى كيف يجب
أن نفهم فكرة: «الإنسان في حالة الخطية وفكرة الفداء»^(٢٦١). هذا
هو المسار الطبيعي للحياة: الانتقال من الحاجة الحيوانية الملحة إلى
متطلبات الحياة الروحية. يطلق باسكال وكل الكنسيين على ذلك:
الخلاص - الفداء الذي أتمه المسيح.

٢٦- «الكنيسة هي اجتماع المختارين»: الخطية الأولى في هذا
التعريف هي مخالفة وصية المسيح التي تدعو إلى أخوة البشر جميعًا.
٢٧- كافة الثورات مضرّة وأصحابها متبطلون حيث لا يسترشد

(٢٦١) بالفرنسية في الأصل.

أصحابها سوى بالأنانية. لا يمكن تغيير النظام القائم إلا بالعمل من أجل الله.

٢٨- أقرأ خطابًا يتضمن رأيًا حاسمًا متغطرًا بخصوص عدم المقاومة. إن قتلوا واركبوا أعمال عنف... إن رفض الخدمة العسكرية... إن ترك أسرته... (٢٦٢) في البداية شعرت بالضيق من الغطرسة والغباء، لكنني بعد أن فكرت في الأمر أرى أن الأمر يستحيل ألا يكون كذلك. إن لم يكن واثقًا من ذاته بهذه الدرجة لفهم الأمر على نحو ما أفهمه أو لما عاش على الإطلاق، لكنه يريد أن يعيش!

٢٩- أقول: «الحياة تنكشف»، ولكن أين أنا من ذلك؟ أيمكن ألا أكون قادرًا علي المشاركة في هذا الكشف؟ ربما. ربما لا أشارك بالحركة، بل بملاحظة ثباتي، والانتقال بنفسني إلى الكيان الواحد الحي الثابت دائمًا.

صياغة غير واضحة، لكنني أفهم ما أريد قوله.

٥ إبريل.

لم أدون يومياتي لأكثر من أسبوعين. عشت خلال تلك الفترة على نحو لا بأس به. أصبت بدور برد شديد، وأشعر الآن بالضعف الشديد.

(٢٦٢) هذا نص الخطاب الذي وصله: ليف نيكولايفيتش: ماذا علي أن أفعل إن جاءني بعض القتل ليقتلوا أفراد أسرتي؟ ألا يتحتم علي حينها أن أواجه الشر؟ ماذا إن أرادوا اغتصاب أختي؟ ألا يتحتم علي حينها قتلهم بالرغم من قولك إنه لا يمكن تبرير أي جريمة قتل؟ سأكون سعيدًا إن أجبتني. هل يمكنني كرجل أعذب أن أرفض الخدمة العسكرية عالمًا أنه لا بد أن رجلًا متزوجًا سيذهب بدلًا مني تاركًا زوجته وأطفاله؟

أنا مستغرق تمامًا في دروس الأطفال وتحضيرها. ألاحظ ضعف قواي الجسدية والذهنية، ولكن الأمر على النقيض من ذلك مع قواي الأخلاقية. أريد أن أكتب الكثير، لكنني دائمًا أترك الكثير دون أن أنهيه، وأحيانًا دون حتى أن أبدأه. سأدون بعض الأفكار للكتابة إن استطعت الآن:

١ - قصة عن عدوين حُبسا معًا في منجم.

٢ - صلاة طلبية، ورغم أنها زائفة من حيث الهدف، لكنها على أي حال مفيدة للروح حيث إنها اعتراف باعتمادنا الكامل على الله. يكمن الخطأ هنا في الانتقال بالحاضر اللا زماني إلى المستقبل؛ الانتقال بالروحي إلى الجسدي.

٣ - تتكاثر الأرانب وتتقاتل، بينما يسعى البشر صوب الكمال، لذا لا حاجة لهم إلى القتال.

٤ - كما أن الماء ينسكب من الدلو إن كان به ولو ثقب واحد، لا يمكن لمسرات الحياة (الحب) أن تظل في قلب الإنسان إن كانت فيه بغضة ولو لشخص واحد فقط.

٥ - أريد أن أكتب عن إنسان مر بتجارب المسيح الثلاثة في البرية (٢٦٣).

٦ - إن أردت ألا تفعل شرًا لقريبك، عليك أن تحبه وتعود نفسك على ألا تُحدثه أو تتحدث عنه بسوء. يتطلب ذلك منك أن تعود نفسك على عدم التفكير فيه بسوء. هذا أمر ممكن.

(٢٦٣) راجع متى ٤: ١-١٢ أو مرقس ١: ١٢-١٣.

٧- ينحصر الفارق بين الإنسان والحيوان في أن الأول يدرك أنه سيموت، بينما الثاني لا يدرك ذلك. هذا فارق ضخم.

٨- تشعر المُحسنة بالرضى عن نفسها؛ لأنها أشفقت على الفقير وأعطته صدقة، بينما لا تفكر الفقيرة إلا في ذلك تحديدًا وتشعر بالرضى والإطراء؛ لأنها تستطيع الاستجداء بنجاح وتقول في نفسها: «لن تستطيع أن تتركني دون صدقة».

٩- ثمة ذاكرة شخصية تتضمن ما مررت به. وثمة ذاكرة للأسرة تتضمن ما مر به أسلافي وما يظهر من ذلك في شخصيتي. ثمة كذلك ذاكرة شاملة إلهية: أخلاقية، وهي تتضمن ما أعرفه من الجوهر الذي نشأت عنه.

كتبت الآن خطابات لبوبوف وتشير تكوف وسابوجنيك، وراجعتها جميعاً، بل وكتبت كذلك التوقعات التذكارية.

١٠- أفكر في الطريقة التي أصنف بها الأفكار الخاصة بالتعليم الأخلاقي للأطفال، وأرى أنه في المجال الروحي لا مكان للأول والثاني والثالث، وليس هناك ما هو أكثر أو أقل أهمية. جميعها أفكار مهمة، وجميعها يحتل المركز الأول. ثمة إشارة إلى ذلك في مثل فعلة الكرم الذين جاؤوا في أوقات مختلفة من اليوم^(٢٦٤).

١١- أشعر بقوة - أو ربما شعرت بالفعل - بفرحة وهدوء ونعيم حبي للجميع. في هذه الحالة وحدها أشعر أن كل شيء بخير، في الحياة

(٢٦٤) راجع متى ١: ٢٠ - ١٦.

والموت على السواء. رغم أنه شعور نادر لكنه يأتيني.

١٢ - السخرية - خاصة الذكية - تجعل الساخر في وضع أعلى ممن يسخر منه، رغم أنه في الغالب - بل دائماً - تكون السخرية علامة أكيدة على عدم فهم الساخر للموضوع الذي يسخر منه.

١٣ - إن أردت أن تسامح، عليك أن تنسى وأن ترغب في نسيان ما تريد أن تصفح عنه، وتبدأ العلاقة من جديد.

١٤ - بدأت لتوي أحيا حياة حقيقية. بدأت لتوي ألا أخشى إلا قاضياً واحداً وأسترشد بحكمه وحده.

١٥ - قرأت خطاب فيريجين^(٢٦٥) وفكرت في ضرر الإدانة المريع. نعم، من الأفضل بمائة مرة أن تخطئ في الحكم وتظن ما هو سيئ حسناً، عن أن تتوقف مرة واحدة عن شعورك بالحب تجاه أحدهم. أشعر بالضعف الشديد.

٩ إبريل.

بالأمس، وفور أن نهضت من على فراشي، اختبرت شعوراً غريباً مبهجاً - وكلمة «مبهجاً» هنا لا تفي الشعور حقاً - مباركاً بالهدوء والثقة الذين ينعم بهما المرء في الشيخوخة. أفهم ما أريد قوله. إنه شعور بالتيقن من أن حياتي في الروح لا في الجسد، وبالتالي هو شعور بالحرية والاطمئنان. عانيت طوال ذلك اليوم من حالة جسدية سيئة. اليوم

(٢٦٥) أحد زعماء جماعة الدوخوبورين الدينية المنشقة التي تنتهج مذهب عدم المقاومة وترفض أداء الخدمة العسكرية ويسعون صوب حياة مشتركة على غرار حياة الرسل الأوائل.

مررت بظرف سيئ يتعلق بزوجة فلاديميروف الذي غمرته الرمال^(٢٦٦). لم أتحمل الأمر. تحسن شعوري صوب ليوفا، كما أنني أشعر بالسروور مع تانيا. أموري تتقدم قليلاً مع أبنائي، لكنني لست راضياً عن الأمر بعد، كما أنني بعيد عن ثقتي في هذا التحسن. سأدوّن فكرة واحدة فكّرت فيها لتوي:

١ - لم يرَ موسى أرض الموعد التي قاد الشعب إليها. أحب هذا التشبيه جدّاً. كثيراً ما نأسف لأننا لم نرَ ثمار أعمالنا، ولكن فكرة ألا نرى تلك الثمار وأن نفعل ما نفعله دون انتظار جزاء هي شرط ضروري ومهم جدّاً لكل فعل خير حقيقي.

١١ إبريل.

إنه يومي الثالث الذي أختبر فيه شعوراً جديداً مبهجاً بالوعي الحيوي بكياني الروحي، وما ينتج عن ذلك من شعور بالاطمئنان والهدوء والحب والمرح.

١٦ إبريل.

مرّت خمسة أيام، وأنا اليوم في حالة مزاجية مختلفة تماماً. لا يمكنني مغالبة عدم رضاي عمن حولي. أشعر بالغضب والرغبة في البكاء. كل شيء يثير غضبي. اليوم بعد تناول الغداء، وبعدما انتهيت من درس الأطفال - ولم يحضر اليوم سوى طفلين - جلست وحدي وقلت في نفسي أنني الآن وحسب قد سلّمت نفسي كاملاً لإرادة الله. ليكن ما

(٢٦٦) راجع حاشية ١٠٣. ربما توجهت الزوجة إلى تولستوي بطلب مساعدة مادية.

يكون. لا أرغب في فعل أي شيء، ولا حتى كتابة قانون الله للأطفال أو أي شيء من هذا القبيل. عليّ أن أستسلم له تمامًا، ولا أبالي بشيء سوى بمراقبة حبي له وللناس بداخلي. وفجأةً جاءت صوفيا وبدأ الحديث عن الغابة وعما يسرقه الفلاحون منها وعن أن أبناءنا يبيعون ما لهم بنصف ثمنه الحقيقي، وحينها لم أستطع مغالبة شعوري بالغضب، كما لو أن الأمور ليست سيان. عونك يا سيدي! أشعر بالأسف والنفور من دناءتي.

٢٢ إبريل.

طوال تلك الفترة كنت في حالة مزاجية جيدة جدًا ومبهجة وهادئة. لا أريد سوى أن أشكر الله وأبتهج. انشغلت بالأنجيل وب: «دورة قراءات للأطفال» وبدروس الأطفال. مررت بحالة غريبة بالأمس بينما كنت على الفراش، كما لو أن أحدًا كان ينفخ فيّ. شعرت بنفس منعش، واكتنفتني حالة مزاجية مرحة وفي الآن ذاته شعور باقتراب الموت. لا يسعني أن أقول إنني شعرت بالهلع، وفي الوقت ذاته لا يسعني أن أقول إنني كنت هادئًا.

بمرور الوقت تزداد قصة خطة العمل الفنية على قصة «ثلاثة قرون» جلاء. ليتني أكتبها!

٣٠ إبريل.

عشت على نحو جيد جدًا طوال تلك المدة. انشغلت بذات الأمور. أريد أن أكتب عملاً فنيًا، لكن غير قادر تقريبًا على القيام بذلك. المهم رغم ذلك ألا أرغب في شيء لنفسي. يكفيني العمل على دورة قراءات

للأطفال، فهي خدمة كافية. أشعر بنفسي اليوم في حالة شديدة السوء والضعف.

١- الزمن هو أحد أشكال تجليات الحياة الحقيقية؛ شكل الحياة الملائم لنا نحن البشر.

٢- أكثر من يعيشون الحياة الحقيقية هم الأطفال، فهم يأتون إلى الحياة دون أن يعرفوا شيئاً عن الزمن. يريدون دائماً ألا يتغير شيء. وكلما طالت حياتهم ازداد خضوعهم لوهم الزمن. بحلول الشيخوخة تضعف قوة هذا الوهم، ويبدو مرور الوقت أسرع، وفي النهاية يلتحق الشيوخ أكثر فأكثر بحياة لا زمنية. أكثر من يعيش الحياة الحقيقية إذن هم الأطفال والشيوخ. أما الذين يعيشون حياة جنسية فهم بمثابة مادة للحياة الحقيقية أكثر من مما يعيشونها.

٣- يدينون الأنانية، لكنها قانون أساسي للحياة. ما يهم في الأمر هو هل ستدرك أنك الحقيقية في وعيك أم جسدك؛ أو بالأحرى في وعيك الروحي أم الجسدي؟

٤- عندما تقتن الأناركية بإباحة العنف، فإنها تكشف عن تناقض يدعو للسخرية. ثمة أناركية واحدة عقلانية؛ الأناركية المسيحية التي تتجاهل كافة التنظيمات السياسية الخارجية للحياة، وتسمح لكل فرد أن يعيش بحسب أنه الحقيقية؛ الروحية لا الجسدية.

٥- لدى كل إنسان رؤية للعالم أسمى من التي وصل إليها ويعيش باسمها، كما أنه هو الذي يُغيّرُها. لا يستطيع الإنسان أن يستوعب إلا ما يتوافق مع رؤيته للعالم. كل ما يخالف هذه الرؤية يمر به دون أن يترك

أثراً، بغض النظر عن عدم فهمه لما قيل. هذه إحدى الرؤى: الحياة الحسنة هي حياة الطبقات العليا المزينة بالعشق والفن والترف. ثمة رؤية أخرى: الحياة الحسنة هي القائمة على المشاركة في عمل الإحسان، كما نجد في أوروبا. ثمة رؤية ثالثة: الحياة الحسنة هي التي تكون فيها مقبولة ومسروراً. ثمة رؤية رابعة: هي التي تُذهل فيها الجميع. كل ما فات ليس صحيحاً. لا بد أن يتم التعبير عن أي رؤية بوضوح ودقة.

٦- يختبر الفقراء قدرًا من السعادة أكبر مما يختبره الأثرياء؛ وذلك لأن تلبية الحاجات: الثياب عندما يفتقر إليها المرء، والطعام عندما يجوع، والمنزل عندما يحتاج إلى مأوى، يبعث بلا شك قدرًا أكبر من السرور من إشباع نزوات الأغنياء.

٧- بمرور الأعوام يشتد ضعف ذاكرة المرء القريبة أكثر فأكثر، حيث إنه يزداد وعيًا بأنه الثابتة. كذلك تضعف فكرة المستقبل، ولا يعود الإنسان ملائمًا للحياة في هذا العالم.

٨- كما يسعى المرء صوب وعي متزايد بوحدته الروحية، كذلك يسعى العالم إلى الوصول إلى الوحدة والهدوء.

٩- دَوَّنت ستة مواضيع تصلح لقصص أطفال^(٢٦٧):

أ - امرأة عجوز تشفق على مالك أراضٍ قاسٍ.

ب - شخص مرح لا يركن لليأس أبدًا حتى وسط الكوارث.

(٢٦٧) لم يكتب عن أي من هذه الأفكار.

ج - شفقة أجافيا^(٢٦٨) ميخايلوفنا على الكلاب والقطط والفئران والصراصير.

د - أعداء عالقون في منجم.

هـ - هدنة حرب.

و - التجارب الثلاثة.

١٠ - كتبت سابقاً: الحياة هي نعمة تحرير الروح. ثمة فكرة مفادها أن خير الناس في الوصول إلى مرادهم. ثمة أمر واحد لا يستطيع أحد أن يحول بينك وبين الوصول إليه؛ أن تصبح أفضل.

١١ - أنت في حاجة إلى العمل من أجل غيرك؛ لأنك لن تعرف أبداً ما إن كنت ستستفيد فعلاً من العمل من أجل نفسك أم لا. لهذا السبب أيضاً من غير المنطقي أن تعمل لأجل إنسان واحد أو عدد قليل من الناس، كما أنه من المنطقي تماماً أن يكون عملك من أجل الجميع.

١٢ - اتضح لي أنه يجب ألا أجادل، وعليّ ألا أشير إلى أفضلية أسلوب للحياة عن غيره من الأساليب وعما سيحدث، فلا أحد يعرف ذلك. عليّ أن أتحدث وحسب عما يجب أن يفعله كل إنسان من أجل روحه.

١٣ - يتحرر الإنسان من الانفصال المكاني بالحب، ومن الانفصال الزماني بوعيه بجوهره الروحي غير المتغير.

١٤ - لا تختلف أشد التصورات فجاجة عن الله عن أسماها إلا قليلاً، إن قارناها بالفهم الحقيقي لله.

(٢٦٨) خادمة سابقة بياسنايا.

١٥- مَنْ يَصَلِّيْ لَوْثُنْ، جَاهِلٌ وَغَيْرُ مُتَنَوِّرٍ، وَلَكِنْ مَنْ لَا يَصَلِّيْ إِطْلَاقًا
هُوَ أَحَقُّ بِالْإِضَافَةِ إِلَى عَدَمِ تَنَوُّرِهِ.

١٦- كَمْ هُوَ مَوْقِفٌ مُرْبِعٌ ذَلِكَ الَّذِي لَا يَعِي فِيهِ النَّاسُ حَيَاتِهِمْ
الرُّوحِيَّةَ عِنْدَمَا يَهْرَمُونَ! إِنِّي أَخْتَبِرُ الْعَكْسَ.

١٧- إِنْ أَخْطَأْتُ فِي ظَنِّكَ فِي صِلَاحِ بَعْضِ الْأَشْخَاصِ غَيْرِ
الصَّالِحِينَ، فَهَذَا أَفْضَلُ مِائَةِ مَرَّةٍ مِنَ الْعَكْسِ. عَوْنُكَ يَا سَيِّدِي!

١٨- أَقْرَأْ عَنْ مَجْلِسِ الدُّوْمَا^(٢٦٩) وَأَشْعُرْ بِالْأَسْفِ عَلَى كُلِّ هَؤُلَاءِ
الْأَذْكِيَاءِ وَالمُتَعَلِّمِينَ. كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَصْبَحَ خَطِيئَتُهُمْ أَقْلَ قَدْرًا بِكَثِيرٍ
لَوْ كَانُوا جَهْلَةً أَغْبِيَاءَ.

١٩- فَكَّرْتُ فِي حُرِيَّةِ الْإِرَادَةِ. لَا يُمْكِنُ لِلْحُرِيَّةِ الَّتِي نَتَمَتَّعُ بِهَا فِي تَغْيِيرِ
مَجْرَى حَيَاتِنَا أَنْ تُغَيِّرَ مَسَارَ الْحَيَاةِ الْعَامِ، تَمَامًا كَمَا يَحْدُثُ عِنْدَمَا نَحَاوُلُ تَفْرِيقَ
سَرَبٍ مِنَ النِّحْلِ؛ سَتُغَيِّرُ كُلَّ نَحْلَةٍ مَوْقِعَهَا، لَكِنَّا لَنْ نَسْتَطِيعَ تَجَنُّبَ لِدَغَاتِ
النِّحْلِ. هَكَذَا هُوَ الْأَمْرُ مَعَ الْبَشَرِ الَّذِينَ لَا يَخْضَعُونَ لِلْقَانُونِ الْعَامِ. نَتَحَصَّرُ
حُرِيَّةَ الْإِنْسَانِ فِي إِمْكَانِيَّةِ أَنْ يُسَرَّ بِالْخُضُوعِ الْوَاعِي لِلْقَانُونِ الْأَسْمَى لِحَيَاتِهِ.

٢٠- أَتُصَوِّرُ الْحَيَاةَ الْمُسْتَقْبَلِيَّةَ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ عَلَى النِّحْوِ الْآتِي:
سَيَكُونُ هُنَاكَ أَغْنِيَاءٌ وَفُقَرَاءٌ. سَيَكُونُ الْفُقَرَاءُ رَاضِينَ عَنْ فَقْرِهِمْ، وَلَنْ
يَشْعُرَ الْأَغْنِيَاءُ بِحَاجَتِهِمْ إِلَى الدِّفَاعِ عَنْ مَلِكِيَّاتِهِمْ. غَيْرُ الْمُتَنَوِّرِينَ هُمْ
الَّذِينَ سَيَكُونُونَ أَغْنِيَاءَ، وَسَيَتَقَاتِلُونَ، أَمَّا الْمُتَنَوِّرُونَ فَسَيَكُونُونَ هُمْ
الْفُقَرَاءُ، وَلَنْ يِقَاتِلَ أَحَدُهُمُ الْآخَرَ.

(٢٦٩) المَجْلِسُ التَّشْرِيعِيُّ بِرُوسِيَا. افْتَتَحَ وَقْتُهَا فِي ٢٠ فَبْرَايِرِ بَعْدَ مُحَاوَلَةِ الْقَيْصَرِ تَهْدِئَةَ حُدَّةِ
الثَّوْرَةِ، وَحُلَّ فِي ٣ يُونِيُو مِنَ الْعَامِ ذَاتِهِ.

٢١- الشمس لا تتحرك، بل الأرض هي التي تدور حولها. كذلك لا يمر الزمن، بل العالم المحجوب بالزمن ينكشف لنفسه.

٢٢- كم يُحجَب كل شيء عن البالغين، وكم ينبجلي كل شيء للأطفال!

٢٣- كم هو لغز مذهل أن يولد إنسان جديد في هذا العالم!

٢٤- تَجَنَّب كل ما يُفَرِّق الناس، وافعل كل ما يُوَحِّدهم.

٢٥- الأنانية الشخصية أقل شَرًّا من نظيرتها الأسرية، والحزبية أشد من الأسرية، أما الأنانية القومية فهي أفظع أنواع الأنانية.

٢٦- يزول المكان بالزمان، والزمان بالمكان. في ظل لا نهائية الزمان تعود كافة التغييرات إلى الوحدة، وتحدث العودة مرارًا وتكرارًا. أما في ظل لا نهائية المكان، لا تعود ثمة تغييرات من الأساس، ولا زمن. الفكرة غير واضحة.

٢٧- الجواد لا يطيع، إنما يدعن لحافز يملكه. سيان له أن يتوجه يمينًا أو يسارًا، ومع أقل دفعة لعنقه من جهة اليسار، يجد نفسه مُجبرًا على التوجه يمينًا. هكذا هو الإنسان غير المؤمن.

٢٢ مايو.

لم أدوّن شيئًا منذ شهر تقريبًا. أثناء هذا المدة واصلت إلقاء دروسي للأطفال والإعداد لها. علاوة على ذلك تصورت ما سأكتبه في مقالة عن بولس وكيف شوّه المسيحية. من ضمن من جاءني من الزوار كان دوبرولوبوف. بالأمس جاء لويتسن وهو مشغول جدًا بمقاومة تأثير

ماليفاني^(٢٧٠). جاء كذلك العزيز نيكولايف وأطفاله. يا للضيق الذي أشعر به مما يفعله أندريه^(٢٧١)! قُتِل فياتشيسلاف الطيب^(٢٧٢). مساء الأمس تشاجرت مشاجرة دنيئة مع كوليا^(٢٧٣)، لكنني اليوم - حمداً لله - طلبت منه أن يسامحني. كتبت بالأمس عن سكوفورودا^(٢٧٤). ثمة شيء آخر: عليّ أن أكتب عن حياة إبيكتيتوس وسقراط وباسكال وروسو، بالإضافة إلى بوذا وكونفوشيوس. هذا بمثابة تشتت بالنسبة لعجوز مثلي. منذ أكثر من أسبوعين وحالتي الصحية سيئة بسبب السعال، ولم أخرج منذ أول أمس. عليّ تدوين الكثير من الأفكار:

١ - أنا لا أقول إن تنظيم الدولة حسن أم سيئ، ولا أقول إننا يجب أن ننخرط في السياسة أم لا، لكن كل ما أقوله هو أنه قبل الانخراط في السياسة على المرء أن ينشغل أولاً بحياته وروحه، وأن ما يمكن أن تسديه أحكم الإجراءات السياسية في دولة يبلغ عدد سكانها مائة مليون نسمة أقل قدرًا بكثير مما يمكن أن تفعله تحسين الحياة الأخلاقية الدينية لفرد واحد من وسط هؤلاء المائة مليون.

٢ - الأطفال في حاجة إلى أسس ثلاثة: ألا يخشوا الموت - أن يحبوا العمل - أن يحبوا الخير. هذه أسس صالحة لتعليم الجميع. هذا

(٢٧٠) راجع حاشية ١٠٤.

(٢٧١) أندريه هو ابن تولستوي، وقد طلق زوجته الأولى من أجل أن يتزوج بامرأة كان على علاقة غرامية بها، وهي زوجة حاكم تولا.

(٢٧٢) شقيق زوجته، وهو مهندس بالسكك الحديدية، أراده مجهول في بطرسبرج.

(٢٧٣) حفيد شقيقته ماريا وزوج ابنته ماشا، وكان موضوع الشجار: تأجير الأرض.

(٢٧٤) مقالة عن الفيلسوف والشاعر الأوكراني سكوفورودا، من أجل "دورة قراءات للأطفال".

ما كتبته منذ فترة، لكنني لا أتذكر الآن فيما كنت أفكر وقتها.

٣- ليست هناك حالة تبعث الفرح في قلب صاحبها أكثر من حالة الصلاح والحب. المكافأة فيها فورية. ما إن يحدث العكس - مثلما اختبرت بالأمس - أي عندما تختبر الضغينة حتى تجد عقابك، متمثلاً في حالة شديدة السوء تلحق بوعيك.

٤- يمكننا أن نُشبّه الظن بإمكانية معرفة العالم وأنفسنا بدراسة ظروف العالم المادية، وعدم الاعتراف بأن الروح هي مصدر كافة المعارف، بإنسان يعيش في زاوية مظلمة دون مخرج. لا تصله أخبار عما يحدث في النور إلا من صديقه. لا يتوقف صديقه هذا عن إخباره بما يحدث. تثير هذه الأخبار اهتمامه بشدة ويبدو الأمر له كما لو أنه يعيش مباشرة ما يحكيه له صديقه. بمعاشيته لهذا العالم الذي يُصوّره له صديقه، ينسى أنه يتلقى كل ذلك عبر صديقه، وأن ذلك العالم الذي ليس لديه به اتصال مباشر ليس هو الأكثر واقعية بالنسبة له، بل إن وجود صديقه هو الأمر الحقيقي فعلاً بالنسبة له. كما أنه ينسى أنه إن أراد أن يحظى بمفاهيم أكثر وضوحاً وصحة عن العالم، فإنه في حاجة إلى الآتي:

١- أن يعترف بأن كل ما يعرفه يأتيه عبر صديقه.

٢- أن يدرس هذا الصديق نفسه ليعرف ما الذي يمكنه أن يصدقه من كلام صديقه وما الذي يستحيل أن يصدقه من حديثه.

هذا الصديق هو الجوهر الروحي الذي يعيش فينا، والذي نعرف به ما نعرفه. إن اعتقدنا أنه غير موجود فهذا يماثل أن نعتقد أن إنساناً جالساً

في إحدى الزوايا المظلمة بإمكانه أن يعرف ماذا يحدث في العالم دون عون من صديق.

صياغة سيئة.

٥ - خرافة فجة أن أظن أنني قادر بجهودى وحدي أن أشيد منزلاً أو أسرة. الخرافة الأكثر فجاجةً منها هي أن أظن أنني قادر بجهودى أن أنظم شؤون شعب، والأكثر فجاجةً من ذلك أن أظن أنني قادر على إقامة ملكوت الله للإنسانية جمعاء. يحدث كل ذلك - خاصة الخرافة المتعلقة بتنظيم حياة الإنسانية جمعاء - وفقاً لقوانين يتعذر علينا بلوغها ولا نتوقف عليّ. التفكير بهذه الطريقة والسلوك وفقاً له يماثل ما يمكن أن يحدث من خرق لقوانين حياتي إن تصرف الجسد وفقاً لرغبة خلية وحيدة فيه. كل ما يمكننا أن نفعله هو ما يمكن أن تفعله كل خلية بمفردها؛ نفذ قانون حياتنا بأكبر قدر ممكن. يجري تيار الحياة العام وفقاً لقوانين وأهداف يتعذر علينا بلوغها.

٦ - إن ارتكز مفهوم المسيحية عن المساواة إلى الكبرياء لا التواضع، فإنه لن ينتج وحدة، بل فرقة بين الناس.

٧ - في النوم، نختبر الموت كل يوم بمعنى زوال الوعي. ولكن هل سيظهر وعي جديد كما يحدث في النوم عندما نحلم؟ هذا ما لا نعرفه.

٢٨ مايو.

حالي الصحية سيئة، لذا طلبت من ساشا^(٢٧٥) أن تنسخ يومياتي لعدة أيام.

(٢٧٥) ساشا هي ابنته الصغرى، وكانت تعاونه في نسخ بعض أجزاء اليوميات.

١- أمر بحالة أشعر فيها بالضيق من كل شيء؛ كل ما كان وكل ما سيكون، وكل شيء يبدو في حالة سيئة. ماذا يعني ذلك؟ هذا يعني أن الروح تريد التحرر من الماضي والمستقبل، وتود أن تعيش في حالة من الحاضر الخالد غير العابر. هذه حالة روحية جيدة، وعليَّ أن أستفيد منها، وأن أعيش في حالة أبدية وروحية وحسب.

٢- سألت أجافيا ميخايلوفنا ألكسي ستيانوفيتش: هل الموت مريع؟

٣- إن أردت أن تتيقن أن ثمة قوة روحية تعيش بداخلنا مستقلة تمامًا عن الجسد وغير نابعة منه، يكفي أن تذكر إمكانية كل إنسان أن يحكم على حالته الروحية؛ يمكنه أن يفحص حالته كما لو أنها شيء خارجي، ويدرك نفسه، كما يدرك عدم إمكانية إدراك هذا الوعي في حد ذاته وفحصه كشيء خارجي؛ إمكانية الوعي بالوعي. أستطيع أن أراقب نفسي فأدرك ما إن كنت غاضبًا أم ينتابني شعور آخر رقيق، وأن أدرك ما إن كانت أفعالي صالحة أم شريرة، لكن لا يمكنني أن أعي هذا الإدراك في حد ذاته، ولا يمكنني أن أفحصه كشيء مفارق. يمكنني أن أقول إنني أعني إنني أعني، بل ويمكنني حتى أن أقول إنني أعني إنني أعني، ولكن لن يكون لمثل هذا الوعي أي فحوى، بل سيكون مجرد وعي بجوهري الروحي.

٤- ثلاث فرضيات:

أ- الروح = الوعي = العقل، وهي جميعًا من صنع المادة ويعتمد وجودهم عليها.

ب- المادة نتاج الوعي، ويعتمد وجودها عليه.

ج- ترتبط الروح والمادة ارتباطاً لا ينفصم، ولا يؤثر أحدهما على الآخر.

في الحالة الأولى سيكون عليّ أن أجيب عن سؤال: «ومن أين جاءت تلك المادة التي ألّفت جسدي؟» قائلاً: من مادة أسبق منها. ومن أين جاءت؟ من مادة أخرى أسبق منها. وحينها سأجد أن عليّ أن أعترف بوجود مادة غير مفهومة تماماً لي ظهرت من تلقاء نفسها.

في الحالة الثانية سيكون عليّ أجيب عن سؤال: «من أين جاءت الروح؟» قائلاً إني لا أفهم هذا السؤال فالروح (الوعي - العقل) لم تأت من مصدر ما. إنها موجودة... إنها وحدها موجودة، ومن دونها لا يمكن أن يوجد شيء.

إذن في الحالة الأولى سيكون مصدري خارجاً عني نهائياً في سلسلة لا نهائية وغير مفهومة تماماً، بينما في الحالة الثانية سيكون مصدري بداخلي وواضح تماماً.

بالنسبة للفرضية الثالثة ستهاوي من تلقاء نفسها، فلا يمكن أن يوجد مصدران متعادلان للحياة، ويكون أحدهما غير مفهوم تماماً، والآخر مفهوم تماماً.

٥- يشبه النوم الموت تماماً، ففيه يتوقف الوعي لكن الحياة لا تتوقف. ربما يشبه النوم الموت كذلك في أن وعياً جديداً يبدأ فيه، معتمداً على الوعي السابق ولكن غير مرتبط به.

ربما تشبه علاقة حياتنا الآنية بال حقيقية، علاقة الحلم بحياتنا الآنية. كما أن الحياة تنكشف لنا أكثر فأكثر بعد كل نوم ويقظة في حياتنا الآنية، كذلك تزداد الحياة الحقيقية انكشافاً بعد كل ولادة وموت.

٦- يزداد الإيمان قوة عندما يسلك الإنسان بحسبه كما أن الإيمان ينتج أفعالاً. (حلقة مفرغة)^(٢٧٦).

١- اليوم ١٣ مايو^(٢٧٧)، أختبر حالة روحية جديدة غريبة؛ كما لو أنني نسيت كل شيء. لا أستطيع تذكر شيء: هل هناك شخصية تُدعى يوليا إيفانوفنا^(٢٧٨) أم لا؟ ما تاريخ اليوم؟ لكن في الوقت ذاته لديّ تصور قوي، لا يتعلق بالصور التي حلمت بها، بقدر ما يتعلق بالمشاعر التي راودتني في الحلم.

٢- فلنستفد من حرية الثورة لتتخلص من خرافة ضرورة السلطة. ولكن الناس غير مستعدين بعد.

دائرة مفرغة، فالناس لن يكونوا مستعدين طالما أن هناك سلطة تفسدهم.

٣- يُعد ولي الأمر دائماً غير مؤهل لأن يكون مربياً، وكذلك هو الأمر مع المرشحين لأن يكونوا أولياء أمور. بالمثل يرى الأناركيون شر السلطة، لكنهم يثقون فيها كوسيلة.

٤- يمكنك أن تحب أي إنسان. لكن إن أردت أن تحب إنساناً

(٢٧٦) باللاتينية في الأصل.

(٢٧٧) ثمة اضطراب في ترتيب التواريخ.

(٢٧٨) فنانة كانت تعيش في ذلك الوقت في ياسنبا وتساعد تولستوي في مراسلاته.

فعليك ألا تحبه من أجل شيء معين، بل من أجل لا شيء. ابدأ بالحب
وحينها ستجد سببًا.

٥- ماذا أولاً؟ وماذا بعد ذلك؟ علينا أولاً تحرير الناس من العبودية،
وبعدها نتحرر من العمل بالآلات، وليس العكس كما يحدث الآن،
فذلك من شأنه أن يزيد عبوديتهم.

٦- تكشف حقيقة أن المؤرخين العلميين يزدادون نفاذاً إلى الماضي
أكثر فأكثر عن أن الماضي يتكشف لنا، وكذلك المستقبل، ولكن
بموجب عملية مختلفة وغير مكتملة.

٧- السؤال عما إن كان الله موجوداً أم لا يماثل التساؤل عما إن
كنت أنا موجوداً أم لا. إنني أدرك الله في داخلي، ليس بصورة كاملة،
ولكن بشكل جزئي كتجلٍ. كل ما يتجلى لي هو من الله، لذا فهو لا
محالة موجود كما أنا موجود.

٨- يتلخص ضرر علم الطب في انشغال الناس بأجسادهم أكثر
من انشغالهم بأرواحهم. لقد تطورت الحياة بطريقة تحتم موت ملايين
الشباب والأقوياء والأصحاء والأطفال. تزول الحياة بينما يحاولون بكد
وبراعة علاج الشيوخ ومن لا تحتاجهم الحياة ومن يجلبون إليها الضرر.
الأمم الرئيس هنا هو أن الناس - حتى عامة الشعب - يعتنون بأجسادهم
أكثر مما يعتنون بأرواحهم.

لو لم يكن علم الطب موجوداً على الإطلاق، لما أغوى شيء الناس
بالعناية بأجسادهم أكبر من عنايتهم بأرواحهم، ولكان وضع الناس
بشكل عام أفضل كثيراً. لدى الشعب تعبير رائع يقوله المريض: «إنني

أحتضر». على المرض أن يجعلك تفكر في الموت، لا في الدواء.
إن عاش الناس حياة أكثر روحانية، لن يكون ثمة مكان للأسلحة
والحروب ولا للأطفال والأمهات الجوعى، ولا لدمار المحاصيل.

٩- يُقال: لا وجود لجوهر روحي إن كان كل شيء ينبع من الجسد.
إن عاش الناس لأجل الجسد، وانشغلوا به وحده ولم يصارعوه أبدًا،
سيفكرون كذلك بشكل مختلف. يعيش الطفل من أجل الجسد، لكنه
لا يحاول تبرير ذلك. لكن البلية هي أن يواصل البالغ العيش بطريقة
طفولية ويحاول أن يبرر ذلك باستنتاجات مصطنعة. مَنْ يناضل جسده
هو وحده مَنْ يعرف حقيقة الجسد، وأن ثمة ما هو أقوى منه، وهو ما
يصارع الجسد.

١٠- لا يمكن أن تتحقق الحرية والمساواة بالعنف، بل بالحب
وحده. شر عظيم أن نحاول تحقيق الحرية والمساواة بالعنف.

١١- علماَن يتسمان بالدقة: الرياضيات وعلم الأخلاق.

الأول سطحي تمامًا، والآخر أشد العلوم عمقًا. تعود دقة ويقينية
هذين العلمين إلى أن لدى الناس جميعًا عقلًا يمكنه استيعاب الرياضيات،
وطبيعة روحية يمكنها استيعاب التعليم الأخلاقي، أي تعاليم عن الحياة.
٧ يونيو.

لم أدوّن يوميّاتي منذ فترة طويلة. انقضت فترة كانت حالتي الصحية
فيها سيئة، ثم بدأت فترة جديدة! اليوم أشعر بحزن شديد جدًّا. أمر مُخزٍ
لكن لا يسعني ألا أعترف بأنّي غير قادر على استدعاء السرور بداخلي.

روحي هادئة ورصينة لكن السرور غائب. أكثر ما يحزنني هي تلك العتمة التي يعيش فيها الناس بعناد. الناس يشعرون بالمرارة من ثرائنا الجنوني. حكّت لي جوربونوفا^(٢٧٩) عن انحلال الصبغة المريع. بالأمس راودني شعور جيد حيال خطاب أندريه، حيث اختبرت فرحة الاتحاد بالله. راجعت اليوم (دورة قراءات للأطفال). لم يأتِ الأطفال للدرس. وصلني خطاب من سوتكوفوي^(٢٨٠). حزن... حزن شديد. عونك يا سيدي. خلّصني من إنساني الجسدي العتيق! ثمة عزاء وخلص واحد؛ العيش في الأبدية، لا في الزمن. فقدت دفتر أفكارني عند الفراش. يا للأسف. دوّنت الآتي:

١ - يغير الله كل شيء ولا يتغير.

٢ - أدرك جسدي وروحي، لكنني لا أدرك ذلك من يدرك هذا وذاك. إنه وحده الموجود. إنه الله؛ المحبة.

٣ - ليست الحياة في الجسد، ولا في النفس، بل في الروح. الروح وحدها تدرك الجسد والنفس، ولا يدركها أحد.

٤ - سحر الابتسامة... يا لها من سمة ساحرة!

لا أستطيع أن أجد دفترني الضائع.

زرت ماريا ألكسندروفنا^(٢٨١). إنها متحمسة جدًا لفلاحي

(٢٧٩) من معارف تولستوي، كانت تعمل بالنشر.

(٢٨٠) عهد إليه تولستوي بتوزيع بعض المال على فقراء مقاطعة سامارا، حيث كانوا يعانون هناك من مجاعة شديدة.

(٢٨١) صديقة مقربة لتولستوي تشاطره الكثير من أفكاره، كانت تعيش في أوفسيانينكوفو على بعد ٥ فرست من ياسنايا.

سكوراتوفو^(٢٨٢)، لكن لا يسعني ألا ألاحظ غياب الشيء الرئيس؛ العمل الداخلي، وهو الأمر الوحيد القادر على تخليص الناس.

٩ يونيو.

استيقظت اليوم في حالة روحية جيدة. تذكرت أن نيكولايف كان يُعبر في كتابه عن أفكاره بخصوص أن الإنسان كيان روحي منفصل، يدرك انفصاله بالزمان والمكان، وشعرت بالضيق^(٢٨٣). عندما قرأت رسالة أندريه وفحصت هذا السؤال في علاقته بحياتي وعلاقتي بالله، لم يقتصر الأمر على أن هذه الحالة ولّت عني، لكنها تحولت إلى شعور بالفرح والسمو.

دوّنت الآتي:

١ - حياة الناس جنون محض، قديماً وحديثاً، وهذه الأنماط من الجنون تتصارع معاً. يعتبر النمط القديم من جنون الحياة نفسه عقلاً، والجديد يعتبر نفسه تقدماً؛ الإيمان بالسياسة والعلم والفن والتعليم والتنوير والتجارة والمالية والزراعة والنشر والعلاقات الجنسية والطب العادي والنفسي والتبغ والخمر. كل هذا جنون محض؛ القديم والحديث.

٢ - الإيمان الذي تعتنقه الشعوب المسيحية هو إيمان يهودي. هذا

(٢٨٢) قرية قريبة من أوفسيانينكوفو. قررت الحكومة نقل متجرها الرسمي لبيع الخمر إلى هذه القرية. كانت الحكومة في ذلك الوقت تحتكر بيع الخمر. عهدت الحكومة لفلاح هناك بتشديد المستودع وأمدته بالمال وبناء فعلاً. رفض الفلاحون بالقرية وجود هذا المستودع فطلبت منهم الحكومة رد المال الذي تم بناء المستودع به.

(٢٨٣) الإشارة إلى كتاب ب.ب. نيكولايف (مفهوم الله كأساس مطلق للوعي).

ما يفسر نجاح اليهود مقارنة بالمسيحيين الذي يتمسكون بالمسيحية الحقيقية، حتى ولو كان ذلك بصورة غير واضحة. إن تصورت شعباً يعترف بدين يطالبهم في الأساس باندفاعات متفجرة ونوبات طيش وسرور، فلا بد أن يلقي ذلك الدين أكبر نجاح بين الغجر.

٣- ينكشف لي العالم في لحظة معينة من لحظات تطوره، وينكشف لي كإنسان - ولجميع الناس على السواء - بسرعة محددة، أي بنفس سرعة دوران عقرب الساعة. يمكنني أن أتصور كائنات نشأ البشر عنها منذ مئات آلاف الأعوام حينما كانوا لا يزالون كالوحوش، ويمكنني أن أتصور العالم بعد مئات الآلاف من الأعوام، حينما يربض الذئب بجوار الحمل^(٢٨٤) ويصبح آكلًا للأعشاب أو داجنًا. هذه هي لحظة الكشف، لكن يمكنني أن أتصورها أكثر بطئاً أو سرعة من السرعة التي تتكشف بها الأمور لنا. يوفر هذا التغير في السرعة إمكانية وجود أكثر الكائنات اختلافاً وغموضاً بالنسبة لنا.

٤- إن كل ما تهدف إليه حضارتنا الحالية هو تقليل قدر العمل وزيادة الرضى بالتبطل. فلنلاحظ أن التبطل في الفكر اليهودي هو أحد شروط الجنة. يؤدي ذلك إلى فكرة أن الخير المادي الرئيس للإنسان يكمن في زيادة جاذبية العمل. في ظل الحضارة الحالية تتم التضحية بالإنسان ومسرته من أجل الربح؛ المحركات البخارية بدلاً من الجياد، والمذرة (آلة لبذر البذور) بدلاً من اليد والعجلة والسيارة بدلاً من الترحل... إلخ.

(٢٨٤) إشارة إلى نبوءة أشعيا: فَيَسْكُنُ الذَّئْبُ مَعَ الْخُرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشَّيْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. (٦: ١١)

٥- يتمثل أكبر ضرر للطب في أنه يحول دون إتمام عملية الاحتضار بهدوء ومهابة.

٦- «أفضل وسيلة ندد بها شكو كنا ونحصن بها أنفسنا من الشكوك هي أن نعظ الآخرين بما نشك فيه ونعلمهم إياه». إيفان تروجوب^(٢٨٥).

٧- عندما يُحرم الإنسان من إمكانية الرؤية، لا يعود قادرًا على التمييز بين النور والظلام. هذا ما يحدث مع الإنسان عندما يفقد وعيه بالهيته؛ يفقد إمكانية التمييز بين الخير والشر.

٨- ثمة شعور واحد يتخلل كافة أجزاء العهد القديم، ويربط هذه الأجزاء المختلفة تمامًا في معنى وقيمة أفكارها وحكمها وقصصها؛ إنه شعور الحب الاستثنائي والضيق لشعبك.

٩- اختبرت فرحة كبيرة في التواصل مع الله؛ مع الله وحده في غياب الناس، وكان ذلك بفضل خطاب أندريه؛ الخطاب الذي بدا مؤلمًا جدًّا في غياب التواصل مع الله.

١٠- بسبب خطاب ب. نيكولايف أمسكت نفسي اليوم متلبسًا، وأدركتُ كيف لا أزال أقدر مديح الناس.

١٠ يونيو.

ضعيف بدنيًا، ولكن حالتي الروحية جيدة. اكتسبت عادة معاملة الناس بحب. آه لو كنت قد اكتسبت تلك العادة منذ الطفولة! هل هذا ممكن؟ أعتقد أن الإجابة: نعم. دونت بعض الأفكار:

(٢٨٥) مدرس سابق بمعهد بولنافو الديني، وتم نفيه جراء مساعدته للدوخوربورين.

١- تزداد معاناتي أكثر فأكثر - حتى على المستوى الجسدي - من عدم المساواة: الشراء وحياة الوفرة التي ننعم بها بينما يحيط المتسولون بنا، ولست قادرًا على تقليل قدر اللا مساواة. هذا سر مأساة حياتي بأكملها.

٢- يا لعظمة عبارة: «اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ.» (متى ٦: ٣٣)! إنها تعني أنكم سوف تطلبون «هذه كلها» بمختلف الأشكال - كما ينشد الجميع - ولن تجدوها يقينًا، وأن الأمر لن يقتصر أنكم حينها لن تجدوا ملكوت الله، بل إن هذا البحث سوف يبعدكم عن الملكوت تمامًا. العكس صحيح: اطلبوا ملكوت الله، وستجدونه، وكذلك ستجدون «هذه كلها». هذه هي الوسيلة الوحيدة لنيل «هذه كلها». كم أود أن أقنع الناس بذلك!

١٦ يونيو.

آل تشيرتكوف^(٢٨٦) في الطريق. يسعدني ذلك جدًا. أكتب وأفكر قليلًا. كنت في حالة معنوية شديدة السوء في اليومين الأخيرين، لكنني تماسكت بدرجة أو بأخرى. يبدو أنني أصبت بالبرد مجددًا. عليّ أن أنقل بعض الأفكار من دفتر أفكاري إلى دفتر يومياتي. سأدوّن الآن بعض الأفكار هنا مباشرة:

١- الكثيرون يفهمون التعليم المسيحي - أو بالأحرى يظنون ذلك - والتعليم الأخلاقي الديني بوجه عام. يماثل ذلك أن تقتطع من صلاة أو

(٢٨٦) أخيرًا سمحوا لتشيرتكوف بالعودة من منفاه، وقد قرر قضاء الضيف بالقرب من ليف تولستوي في قرية قريبة من ياسنايا.

حكمة أو قصيدة مقطوعاً واحداً، ونُنحِّي بقية المقاطع. ثمة أفكار عظيمة تنبع من القلب (بالفرنسية في الأصل). أو ربما يجب أن أقول «ثمة أفكار عظيمة تراودني» وأحذف «من القلب». أيمكن أن يكون ثمة تعليم مسيحي في غياب مبدأ عدم المقاومة؟

٢- ما يؤكد لنا أن الحياة هي كشف مستمر لما هو موجود فعلاً هي حقيقة أننا لا نستطيع أن نوقف هذا الكشف الذي يتمثل لنا بالحركة بأي طريقة. يمكنني دائماً أن أجبر نفسي على السلوك بفاعلية - أو هذا ما يبدو لي - ولكن في الواقع لا يمكنني ألا أسلك هكذا، ولا يمكنني أن أجبر نفسي على عدم السلوك بفاعلية، مثلما لا يمكنني إيقاف الدورة الدموية أو التوقف عن التنفس والنوم.

٣- دائماً ما يترك المتطرسون -وبالتالي التافهون- انطباعاً قوياً في نفوس المتواضعين - وبالتالي الجديرين بالاحترام والأذكياء والأخلاقين- ويعود ذلك إلى الآتي: حقيقة أن الإنسان المتواضع لا يمكنه أن يتحدث أبداً عما يجهله، تجعله لا يتصور أبداً أن بإمكان الإنسان السيئ الذي يُقدَّر نفسه كل هذا التقدير ويتسم بالغطرسة الشديدة أن يتحدث عن أمر يجهله.

٤- لدى الإنسان قلبٌ وعقلٌ؛ رغبات وقدرة على إيجاد الوسائل المناسبة لتلبية هذه الرغبات. ولكن هذا لا يمثلُّ كامل كيان الإنسان، فهو يتسم كذلك بالقدرة على إدراك نفسه خارج نطاق الزمن، أي إدراك رغباته وعقله.

٥- الحركة -سواء بداخلي أو بخارجي- هي بمثابة انكشاف للكيان

الأبدي اللا زماني واللا مكاني لي . يمكنني أن أشارك في عملية انكشافي
وانكشاف العالم بطريقتين:

١ - سلبية لا واعية، باستلامي للتيار وإدراك مدى تقلقل العالم
الحقيقي .

٢ - إيجابية واعية بإدراك نفسي كائنًا روحياً يزداد انكشافه أكثر فأكثر
واندماجه بالكيان الكلي .

عَبَّرْتُ عن الفكرة بصياغة غير واضحة، لكنني أفهم ما أقصده وآمل
أن أعبر عن الفكرة بمزيد من الوضوح فيما بعد.

٢٧ يونيو.

وصل آل تشيرتكوف وقضوا عندنا ثلاثة أيام. كنت مسرورًا جدًا.
نيستروف^(٢٨٧) يعيش هنا معنا وهو لطيف جدًا. جاء كذلك سيرجينكو
(كاتب روسي). بالأمس جاء ٨٠٠ طالبًا^(٢٨٨). حالتي الروحية جيدة. ما
يؤسفني وحسب هو أنني بدأت أفقد تواصلتي بالله كما كنت أفهمه - أو
بالأحرى كما كنت أشعر به - منذ أسبوع. ولكن ثمة شيء شديد الأهمية
والضرورة بقي معي.

(٢٨٧) ميخائيل فاسيليفيتش نيستروف: رسام روسي، وصل إلى ياسنايا في تلك الفترة ورسم عدة
بورترية لتولستوي.

(٢٨٨) طلبة من مدارس تولا وجاءوا إلى ياسنايا سيرًا على الأقدام بصحبة مدرسيهم من محطة
كوزلوفكا، ورَحَّب بهم تولستوي وصوفيا. سبح الأطفال في البحيرة، وتوجهوا إلى نهر
فورونكا بحسب نصيحة تولستوي، ولحق بهم تولستوي عند النهر ثم علَّمهم بعض التمرينات
الرياضية وقضوا وقتًا ممتعًا.

١- شعرت بوضوح بأفضلية عامل الحصاد الذي يعمل بالحقل الندي في الصباح الباكر، حتى وإن كان الجو حارًا، عن بؤس السيد الساخط بصحبة جريدته وقهوته، مصابًا بالضغينة والضيق والبواسير!

٢- فرحت مؤخرًا بشعوري الواضح والحيوي بضرورة وألفة وفرحة التعامل بحب مع كل الناس، وأدركت الآن أن هذا الشعور نتاج لشعور آخر أساسي؛ ألا وهو التعامل بحب، لا مع الناس جميعًا، بل مع مصدر كل شيء؛ الله. يتضمن الشعور الثاني الأول بداخله. منذ عدة أيام شعرت بقربه مني في كل دقيقة، وأني أعيش أمام باصريه، منفذًا إرادته. تبدل بداخلي هذا الشعور الآن، لكنني أحاول أن أستدعيه بداخلي ثانية وآمل أن أنجح.

٣- إن لم تَعِشْ مع الله ستشعر بالحزن والوحدة.

٤- الحب ليس شعورًا بعينه كما يتصوره الناس عادة. ليس الحب سوى نتيجة لوعي المرء الصافي - بدرجة أو بأخرى - بأنه جزء من الكيان الكلي. أصابع اليد الواحدة لا تحب بعضها، لكنها تعيش معًا حياة مشتركة، حتى إنها لا تفهم من الأساس ماذا يعني الحب.

أنا وعي غير كامل بالكيان الكلي. الوعي الكامل بالكيان الكلي محجوب عني بالزمان والمكان.

٥- ثمة كيان غير عابر وغير متغير، باختصار: لا زمني ولا مكاني وغير جزئي، بل كامل. أنا أعرف أنه موجود وأدرك نفسي فيه، لكنني أراني محدودًا بالجسد في المكان، وبالحركة في الزمان. يمكنني أن أتصور أن أسلافي كانوا موجودين منذ ألف قرن، ومن قبلهم أسلافهم

من الحيوانات، وأسلاف الحيوانات... كل هذا كان وسيستمر إلى ما لا نهاية. أتصور كذلك أنني أشغل بجسدي بقعة معينة وسط المكان اللا نهائي، ولا يقتصر الأمر على وعيي بأن كل هذا كان وسيستمر، لكنني أعني أيضًا أن كل هذا موجود وسط مكان وزمان لا نهائيين، وأن كل هذا يمثلني أنا.

يبدو هذا غريبًا في البداية، لكنه في الواقع أبسط ما يمكن للإنسان أن يفهمه: أنا موجود كتجلٍّ للكيان الكلي في نطاق المكان والزمان. كل ما هو موجود هو أنا، لكنه محدود بالمكان والزمان. كل ما ندعوه حبًّا ليس إلا تجليًّا لهذا الوعي. من الطبيعي أن يبدو هذا التجلي أقوى في علاقتنا بالكائنات الأقرب لنا زمنيًّا ومكانيًّا.

٦- فكرت بوضوح شديد في الكتابة عن كل دنائتي وتفاهتي، ليست الماضية وحسب، بل الحاضرة أيضًا.

٧- أردت أن أقول الآتي للأطفال الذين انتظروني: تعلمون جميعًا أن المسيح قد حظي بتلميذ مُحَبَّب يُدعى يوحنا. عاش يوحنا هذا طويلاً، وعندما هرم بشدة، لم يكن بإمكانه أن يتحرك بمفرده تقريبًا، وإن تحدث كان يكتفي بأربع كلمات فقط^(٢٨٩) يقولها لكل من يراه: «يا أبنائي، تحابُّوا». لقد هرمت بالفعل، وإن انتظرتُم أن أقول لكم شيئًا، لما استطعت أن أقول شيئًا من نفسي، ولكررت ما قاله يوحنا وحسب: «يا أبنائي، تحابُّوا». يستحيل أن أجد أفضل من ذلك لأقوله، لأن كل ما يحتاجه الناس متوفر في هذه الكلمات. فلتحققوا هذه الكلمات وحسب... فلتحاولوا

(٢٨٩) في الصياغة الروسية للجملة يكون عدد الكلمات أربعًا.

أن تطرحوا كل ما يناقض الحب بعيداً عنكم؛ الشجار والحسد والتوبيخ القاسي والإدانة وكافة المشاعر الشريرة التي توجهونها لإخوتكم. إن فعلتم ذلك حقاً ستكون الحياة مفرحة وفي أفضل حال. تحقيق ذلك أمر غير مستحيل، ولا حتى صعب، بل سهل. افعلوا هذا وحسب، وسيكون كل شيء على ما يرام. آجلاً أم عاجلاً ستصلون إلى ذلك. فليبدأ كل منا الآن في تعويد نفسه على ذلك تدريجياً.

صياغة سيئة جداً.

٨- من الطبيعي أن ينفذ الإنسان إرادة الله؛ يعيش في الحب بشكل طبيعي كما يجدل الطائر عشه وينشد وتفقس بيوضه. وحده التعليم الزائف هو ما يجعل الإنسان ينحرف عن طريقه الطبيعي.

٩- إن كافة الشهوات ليست إلا زيادةً في درجة الميول الطبيعية المباحة:

الكبرياء: رغبة في معرفة ماذا يريد الناس منا.

البُخل: استغلال عمل الآخرين.

الشهوة الجنسية: تنفيذ قانون استمرار النسل.

الاعتداد بالنفس: إدراك جوهر كإلهي.

الضغينة وكرهية الناس: كراهية الشر.

١٠- أتقول إثبات وجود الله؟! هل يمكن أن نجد فكرة أغبي من إثبات وجود الله؟ إن ذلك يماثل أن يثبت المرء وجوده. أثبت وجودي؟! لماذا؟ ولمن؟ وبأي وسيلة؟ لا وجود سوى لله.

١١- كم تكون حياة الإنسان يسيرة ومفرحة إن تحرر من الشهوات، خاصة من شهوة حب مديح الناس!

١٢- دَوْنَت الآتي: تصبح الحياة حلمًا. تدرك لا معقوليتها ولا يمكنك أن تستيقظ؛ لا يمكنك أن تموت. نعم... الحياة نوم. البعض يستيقظون مبكرًا، ولا يستغرقون في النوم، وهذا هو الموت المبكر. وآخرون يموتون في شيخوختهم.

١ يوليو.

أزداد ضعفًا. لا يمكنني العمل على أي شيء. عملت قليلًا على "دورة قراءات" وحسب. لا أدّرس للأطفال منذ يومين. أتصور أمورًا كثيرة، لكن قواي خائرة. حالتي الروحية جيدة جدًا. أدركت كيف يجب عند لقائي بكل شخص أن أعامله وبجدية كما لو أنني أصلي، متذكرًا أنني أعامل الله. كل شيء فعلًا هو الله. ولكن هذا الإنسان تحديدًا هو الله الأكثر مفهومية لي. سأدوّن فكرة ما فيما بعد.

٢٠ يوليو.

لم أكتب يومياتي منذ دهر؛ أي منذ أكثر من شهر. خلال هذه الفترة مررت بأحداث خارجية كثيرة: وصول الأطفال وجريمة القتل عند آل زفينجيتسيف^(٢٩٠)، والأهم من كل ذلك وصول آل تشيرتكوف. سررت جدًا بالتواصل معهم، وجاءني عدد رهيب من الزوار. انتهى أمر

(٢٩٠) أنا إيفجينيفنا زفينجيتسيفا: كانت تملك أراضيًا بالقرب من ياسنايا، وتورطت في عملية اعتقال سكرتير تولستوي؛ جوسيف. حدثت جريمة قتل لخدامين بالمنزل.

دروس الأطفال إلى لا شيء. وصلت أيضًا تانيا وزوجها، وكذلك وصل أندريوشا. إنه بخير.

الأهم من ذلك هي الأحداث الداخلية: في البداية هذا الوعي القوي بالله في داخلي وبحياة الحب الإلهي، وبالتالي شعور بحرية وسرور لم أختبره أبدًا من قبل. استمر ذلك الوعي بقوة لأسبوع، ثم بدأ يضعف حتى تلاشت جدته وفرحته، ولكن بقي بلا شك صعود صوب خطوة تالية؛ حتى وإن كانت صغيرة، ويحدث ذلك دون وعي، وهي بلا شك خطوة تسبق الخطوة الماضية. بدأ الأمر منذ أن حاولت أن أتذكر عند لقائي بكل شخص أن الله بداخله. ثم تحول ذلك إلى وعي بالله في داخلي. في البداية أنتج هذا الوعي شعورًا جديدًا ببهجة هائلة. لقد انقضى ذلك الآن، لكن بإمكانني أن أستعيد ذكرى هذا الوعي، لا الوعي ذاته.

وماذا بعد ذلك؟

حالي الصحية مستقرة في تلك الفترة، بل جيدة جدًا. تركت العمل على «دورة قراءات» وكتبت كتيبًا صغيرًا بعنوان «لا تقتل أحدًا»؛ بمناسبة سجن فيلتين^(٢٩١). قرأته لتشير تكوف والآخرين بالأمس رغم أنني لم أنهِه بعد. أشعر الآن بالرغبة في كتابة خطاب لستولييين^(٢٩٢) وقصة «ارفعوا أياديكم!»^(٢٩٣) التي خطرت فكرتها على رأسي أثناء

(٢٩١) ناشر تم سجنه بسبب نشره لمقالة تولستوي «لا تقتل».

(٢٩٢) رئيس الوزراء ووزير الداخلية. كتب إليه تولستوي عارضًا عليه الحل الذي طرحه هنري جورج لمشكلة توزيع الأرض.

(٢٩٣) لم يتم تولستوي هذه القصة.

عزف جولدنفيزر (عازف بيانو). انشغل الناس بي في الفترة الأخيرة بشدة، وهذا الأمر يضرني بشدة. أبحث في الجريدة عن اسمي، وهذا يُضَبِّب الحياة ويحجبها عني بشدة. عليّ أن أناضل ذلك. عليّ تدوين الآتي:

١- كم يحسن أن تكون مذنباً ومهاناً وألاً تحزن! هذا أمر ممكن وضروري. كم من السيئ أن تعتبر نفسك محقاً، وترفع نفسك أمام الناس وتبتهج بذلك! أمر سيئ جداً، وهذا ما أختبره الآن. إنه أمر قاتل للحياة الحقيقية.

٢- «إن تعارضت فرضية أن زوايا المثلث الثلاثة تساوي ١٨٠ درجة مع مصالح الناس، لوجدوا دليلاً على العكس». هوبز (٢٩٤).

٣- تحاول أن تحث نفسك على حب شخص آخر ولا تستطيع. ثمة وسيلة واحدة لتحقيق ذلك: أن تستدعي بداخلك الحب لله والوعي بوحدتك به، وستصل إلى مرادك. إن لم تصل إلى حب فعّال، فعلي الأقل ستحرر من البغض والمشاعر الشريرة صوب الآخر. تذكرت الآن الطبيب البيطري وكيف كنت أسخر منه، وشعرت بالخزي من نفسي. كم يحسن أن أكتب الآتي في اليوميات! تحدث مع روحك كما كان يفعل ماركوس أوريليوس!

٤- لا شيء يمكنه أن يستدعي الحب بداخلك. كل ما عليك فعله هو أن تُنَحِّي ما يعوق تجليه؛ ما يعوق تجلي نفسك الحقيقية.

(٢٩٤) توماس هوبز: عالم رياضيات وفيلسوف إنجليزي وأحد أكبر فلاسفة القرن السابع عشر بإنجلترا.

٥- ما هو حسن في الشيخوخة هو أنها تخلصك من عنايتك بالمستقبل. لا مستقبل بالنسبة للشيخ، لذا فإنه يوجّه كافة عنايته للحاضر؛ الحياة الحقيقية.

٦- جميعنا يبرر نفسه، بينما ما نحن في حاجة إليه هو العكس؛ أن نشعر أننا مذبنون. علينا أن نُعوّد أنفسنا على ذلك. إن أردنا ذلك علينا أن نبتهج عندما نتاح لنا فرصة نعتزف فيها بأننا مذبنون. ابحث عنها وستجدها.

٧- تحب أن تكون قويًا، بارعًا، ذكيًا، قادرًا على كل شيء، لذا تُدرّب نفسك بقوة ومهارة في مختلف الأمور. لكنّ عملاً واحدًا هو الأهم من سواه، ويمنحك النجاح فيه أكبر قدر من الفرحة، وبالتالي من المنطقي أن تدرب نفسك عليه أكثر من غيره. هذا العمل هو الاقتراب من الله الذي بداخلك.

٨- إن أردت أن تنفذ قانون الحياة وتنال خيرها من المهم جدًا أن تدرك أنها بمثابة عبور إلى مرحلة أخرى.

٩- يفصل الجسد صاحبه عن الكيان الكلي بالمكان، ويؤخّده به بالزمان.

ينفصل الإنسان عن العالم كله داخل نطاق المكان، ويتحد به في نطاق الزمان.

١٠- لا يمكن أن تتأسس الأخلاق إلا على وعي المرء بنفسه كائنًا روحياً متحدًا بكافة الكائنات الأخرى وبالكيان الكلي. إن لم يكن الإنسان

كائنًا روحيًا، بل جسدي، فإنه سيعيش لا محالة من أجل ذاته وحسب،
وثمة تناقض بين الأخلاق والحياة لأجل الذات.

١١ - تنحصر الأخلاق في أن يدرك المرء نفسه تجليًا لله: ابنًا وعبداً
له، وبالتالي يجد مغزى حياته في تنفيذ إرادته. أما اللا أخلاقية فهي أن
يدرك المرء نفسه عبداً لذاته أو لأسرته أو لوطنه أو لسلالة معينة من
الإنسانية.

١٢ - قبل أن أتمكن من التراجع، سقطت في الإغواء بأن عزوت إلى
نفسي أهمية خاصة كمؤسس مدرسة دينية فلسفية، وعزوت أهمية إلى
ذلك، وسررت بأن هذا حدث فعلاً، وكأن لذلك أهمية كبيرة في حياتي.
إن ذلك غير مهم لحياتي أهمية حقيقية، بل لخنقها وتشويهها.

١٣ - فكرت في ضرورة أن أتذكر دائماً عند لقائي بالناس أن الحياة
في الحاضر وحسب. لقد أردت القليل، فالعيش في الحاضر دائماً يعني
العيش مع الله وبه دائماً.

١٤ - عند لقائك بأي إنسان عليك أن تذكر دائماً أن الله هو الواقف
أمامك. هذه هي الصلاة الحقيقية في أي زمان ومكان. على باب الكنيسة
نلتقي بالمتسولين، ونتركهم وندخل للتبرك بالأيقونات ونشغل
بالصلوات.

١٥ - يا لها من عادة سيئة أن تلتقي بإنسان وتنخرط في المزاح! الله
بداخل الإنسان، ويستحيل أن تمزح معه. عند لقائك بإنسان عليك دائماً
أن تتحدث معه بجدية.

١٦- لا يمثل الجسد أو العقل أناي. أناي الحقيقية هي ما أعيه. إني أعي أناي جوهرًا روحياً إلهياً. لا أفهم هذا الجوهر لكنه وحده ما يمثل أناي الحقيقية.

١٧- يلحق التعليم عن الحياة الأخرى ضرراً بالحياة الصالحة في هذا العالم أكبر مما يقدمه لها من عون. «نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدْ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ، لَأَنَّنَا نَحِبُّ الْإِخْوَةَ.» (يوحنا الأولى ٣: ١٤).

الإيمان بحياة أخرى بعد الموت لن يجعلك تشعر هنا بالسرور، بل على العكس؛ ستعاني من العذاب. لا تؤمن بحياة أخرى أبدية، بل اعترف بأبدية هذه الحياة، وحينها ستجد عيشك هنا مصدرًا للهدوء والسرور.

١٨- يستحيل أن أعظ بتعليم الخير، بينما أحيأ بما يناقض هذا التعليم مثلما أحيأ الآن. الوسيلة الوحيدة التي يمكنني بها أن أثبت أن هذا التعليم يمنح الناس خيرًا هو أن أعيش بمقتضاه مثلما يعيش دوبرولوبوف^(٢٩٥).

١٩- الموت حسن جدًا، فهو يخلص «الأنا» الخاصة بأولئك الذين يدركون مدى ضيق وعبودية الارتباط بالأنا المنفصلة عن الكيان الكلي.

٢٠- كم هو مدهش حجم الوهم الغارق فيه الماديون! إنهم لا يدركون الحياة الحقيقية، أو يدركونها، لكنهم لا يثقون في هذا الإدراك، وينقلون إدراكهم للحياة إلى ما هو خارجي.

٢١- جرس يعلن عن وصول خطابات. كالعادة أنتظر حدثًا

(٢٩٥) راجع حاشية ١٨٣.

خارجياً: خبر عن شخص لطيف قادم مثلاً، أو خبر جيد في خطاب. أنتظر، في الوقت الذي أعرف جيداً أن لا شيء خارجياً يمكن أن يسديني خيراً. لا يمكنني أن أصل إلى أن شيئاً خارجياً: إنساناً أو خبراً، يمكن أن يجلب لي الفرح. ما الذي يمكنه أن يُفرحني إذن؟ ما الذي أريده؟ شيء واحد: إنه ما أستطيع أن أعطيه لنفسي؛ اقترابي المتزايد تدريجياً من الله والاندماج به. أنا الآن في حالة معنوية منخفضة، فأني فرحة يمكنني أن أجلبها لنفسي؟ يمكنني أن أجلب لنفسي فرحة كبيرة فوراً: التغلب على هذه الحالة المزاجية والاستفادة منها لتعلم ألا يتوقف تواصلني مع الله خلال مثل هذه الحالات.

٦ أغسطس.

لم أدون يومياتي منذ دهر. سلّمت اليوم مقالة «لا تقتل أحداً» لتشير تكوف وآمل أن أكون قد أنهيتها بشكل لا بأس به. بدأت لتوي العمل على «دورة قراءات للأطفال» من أجل إيفان إيفانوفيتش^(٢٩٦). لديّ الكثير لأنقله من دفتر الأفكار عن الحياة، لكنني سأكتفي الآن بتدوين الأفكار التي فكرت فيها اليوم:

فكرت في أن الفلاحين كانوا أفضل أخلاقياً بدرجة لا تُقاس إبان حق القنانة^(٢٩٧) من الآن. ما السبب؟ أظن أن القمع والحاجة والمعاناة

(٢٩٦) محرر مجلة التربية الحرة، طلب من تولستوي أن يكتب للمجلة شيئاً في عددها الأول.
(٢٩٧) ما يشبه النظام الإقطاعي قبل تحرير الفلاحين ومنحهم إمكانية تملك الأرض، وإن كان ذلك القرار لم يحررهم فعلاً؛ لأن ظروف الفقر بقيت ماثلة، وبالتالي ظلوا راضحين تحت العبودية، لكن لم يعد للسيد الحق مثلاً في عقابهم بدنياً أو ما شابه.

يشجعون المرء على السير في طريق الكمال الأخلاقي، أما الحرية والوفرة والخير المادي فيضرون به، وذلك بسبب أن ما فات يتطلب الكثير من المرء. يكون الإنسان في حالة أفضل وأيسر حينما يعيش في منزل صغير عن حياته في قصر كبير. أعرف أن هذا يبدو غريبًا وفجًا، لكنني أعتقد أن الأمر هكذا. يتمثل المخرج بالنسبة لي في فكرة أن خير الإنسان هو الخير الروحي وحسب، وأن العناية بالخير المادي والجسدي يحول بين الإنسان وخيره الروحي. ماذا يحدث إن لم يعتنِ الإنسان بخيره المادي؟ لا بد أننا سنوجّه عنايتنا حينها إلى خير الآخرين، واثقين أن الآخرين سيعتنون بنا. هذا يعني إن إنكار الذات هو قانون الحياة الإنسانية الأساسي.

٨ أغسطس.

أشعر بضعف عظيم يملكني كاملاً؛ خاصة ذاكرتي، لكنني بخير تماماً روحياً. أنهيت المقالة، وأقبلت الآن على العمل على «دورة قراءات للأطفال» بالإضافة إلى الخطابات واليوميات. التواصل مع تشير تكوف يبعث فيّ سروراً كبيراً. فكرت اليوم على نحو جيد جداً:

١ - جوهر الدين هو ألا ترى نفسك وحسب، وكل ما يتصل بها، بل ترى الكيان الكلي اللانهائي وعلاقتك به؛ علاقتك بالله. هذا هو الدين.

٢ - جوهر الحياة وخيرها الذي فُطر الإنسان على السعي صوبه هو زيادة الحب، وما ينتج عن ذلك من زيادة الخير في حياتك وحياة الآخرين. كم لا يفهم الناس ذلك! وحتى أنا لا أفهم ذلك! لقد قيل على أي حال: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ». (متى ١١: ٢٨)

٣- بالإضافة إلى عمل الإنسان الداخلي ثمة عمل واحد في الحياة: زيادة الحب في الناس بالأقوال والأفعال والقناعات.

٤- قال لي عابر سبيل: «الحياة أصبحت مستحيلة. لقد سحق أصحاب الأراضي الشعب تمامًا. لم يعد هناك مهرب. وآه من الكهنة وطريقة معيشتهم! يسلبون اليتيم والأرملة حتى آخر كوبيك، والذين نهضوا من أجل الحقيقة والشعب قد سُجِنُوا! كم شَنَقُوا من الصالحين!».
ها هو يهيم على وجهه، وآلاف مثله، حتى يجد طعامًا. هذه هي أقوى وسيلة للدعايا.

٥- لا يقتصر الأمر الآن على أن الأجيال الشابة لم تعد تؤمن بدين، لكنها تؤمن تحديدًا بأن كل الأديان محض هراء وسخافة.

٦- التواضع أساس كل شيء؛ الفضيلة والعقل. لا شيء يمكنه أن يفيد الروح أكثر من أن تحفظ في ذاكرتك أنك محض برغوث بحر تافه داخل نطاق الزمان والمكان، وأنت لا تقوى على شيء سوى إدراك ذلك.

٧- تشعر بالدهشة من كم الحماقات والسخافات التي يعتنقها الناس. عليك أن تفهم أن مرد كل ذلك إلى أن بهذه الحماقات وحسب يمكن للناس أن يبرروا عيوبهم التي يدركون جيدًا أن من المفترض ألا يتسموا بها، بل وأن هذا هو ما يجب أن يحدث.

٨- ينبع الذكاء من التواضع وحسب، بينما تنبع الغباوة من الغطرسة وحسب. مهما اتسم المتواضع بقدرات ذهنية تجده دائمًا غير راضٍ،

ويستمر في البحث، بينما يظن المتغطرس أنه يعرف كل شيء ولا يتعمق في شيء.

٩- ليس هناك في العالم بأسره ما هو أقوى من الفرح الروحي كحالة من الحب الرقيق.

١٠- أظن أنني كتبت ذلك سابقاً: كل شيء موجود. لا مكان ولا جسد ولا زمان ولا حركة. لذا يشعر الإنسان أنه جزء من هذا الكيان الكلي اللا زماني واللا مكاني واللا جسدي وغير المتحرك، وفي الآن ذاته منفصل عنه، ويتمثل له هذا الانفصال بالجسد في المكان. يشعر أنه جزء من الكيان الكلي، ويعي ذلك بالحركة في مجال الزمن.

١١- دَوَّنت ذلك في دفتر آخر:

إنني لا أسلك كجزء منفصل من الكيان الكلي إلا بالجسد في إطار المكان. إنني لا أعد جزءاً متحدّاً بالكيان الكلي إلا بالحركة في الزمان. الجسد يفصل ويتواءم مع المكان، بينما الحركة تُوحّد وتتواءم مع الزمان.

١٢- يشكو الفلاحون من أن السادة يطؤونهم، بينما هم أنفسهم يطؤون أبناءهم وزوجاتهم. لا يفعل ذلك إلا مَنْ يحب فعل ذلك. إن وطأت الآخرين، لا تشك عندما يطأونك.

١٣- يعتبرون كانط فيلسوفاً مجرداً، بينما هو معلم ديني عظيم.

١٤- لا يمكنك أن تجد الصدق الحقيقي إلا لدى الذين يعيشون أمام وجه الله، أما مَنْ يعيشون أمام الناس فهم دائماً متذبذبون، وسيظلون كذلك.

١٧ - ليس صحيحًا أن مغزى الحياة هو خدمة الله. مغزى الحياة هو الخير، ولكن بما أن الله أراد أن يمنح الناس خيرًا، تجدهم بالوصول إلى ذلك الخير يحققون تلقائيًا ما ينشده الله منهم وينفذون مشيئته.

١٨ - لا حرية اختيار تقريبًا في حالة الجسد: إن مسّك النار سترتد، وإن لم تنم يومين ستغفو رغماً عنك. ثمة حرية اختيار أكبر في الأفعال: هل أذهب أم لا؟ أفعل هذا أم ذاك؟ أما حرية الاختيار في الفكر فهي أكبر، بل إنها كاملة تقريبًا.

١٩ - تقول سيدة بهلع إنها ترتجف من فكرة القتل، وهي نفسها تؤيد هذا النمط من الحياة الذي لا يمكنه أن يستمر دون قتل.

٢٠ - قرأت عن تلك المرأة الصماء العمياء وكيف تبتهج بحياتها وتشكر الله عليها وتكتب عن أن عمل الإنسان أن يكون سعيدًا (٢٩٨) وراضيًا، وأن فرحته بالحياة تساعد الآخرين على الشعور بالفرح هم أيضًا.

٢١ - إني لا أتوجه إلى الله ككيان شخصي؛ لأنني تربيت على ذلك، بل إني تربيت على ذلك؛ لأن الإنسان مفطور على التوجه لله ككيان شخصي. أنا أعرف - أو يمكنني أن أعرف - أن الشمس عبارة عن اجتماع غازات متقدة، لكنني أقول أن الشمس دائرة مضيئة دافئة صفراء مائلة للاحمرار تلوح من وراء الأفق ثم تغرب خلفه، ولا يمكنني ألا أقول ذلك وألا أفكر على هذا النحو. بنفس الطريقة أعرف - أو يمكنني

(٢٩٨) يدور الحديث عن هيلين كيلر.

أن أعرف - أن الله كيان كلي، لا يحده شيء، لكنني أقول وأفكر - ولا يسعني ألا أفعل ذلك - أن الله أب طيب وأني موجود تحت سلطانه، وأنه يعرفني وبإمكانه أن يساعدني. أقول له كذلك: سامحني يا سيدي وأعني، شكرًا لك.

٢٢- فكرة لاو تسو عن التواضع رائعة بقدر ما أفهمها. يقول: الإنسان الساعي إلى مديح الناس يزداد تضخمًا، وبزيادة تضخمه في أعين الناس يزداد ضعفًا داخل نفسه ليصل به الأمر في النهاية إلى ألا يستطيع فعل شيء بنفسه. أما الإنسان الساعي إلى إرضاء الله يزداد تحقيقًا لنفسه أمام الناس، لكنه يزداد قدرة في ذاته حتى يصل به الأمر في النهاية إلى أن يصبح قادرًا على فعل كل شيء.

٢٢ أغسطس.

لن أقول إنني كنت في حالة روحية ضعيفة، بل بالأحرى كان الأمر على النقيض من ذلك، لكنني كنت في حالة عصبية ضعيفة، مسرفًا في البكاء. تانيا على وشك الوصول. بالأمس ودّعت مالفاني ورفيقه دودتشينكو وجراوبرجر. لن أقول إنهم تركوا في انطباعًا سيئًا، لكنه لم يكن الانطباع الذي كنت في حاجة إليه. فكّرت اليوم على نحو جيد بخصوص ترتيب «دورة قراءات». ربما سأجري بعض التعديلات عليها ثانية، لكنها جيدة على هذا الوضع. أزداد تحررًا تدريجيًا من الاهتمام بآراء الناس. يا لها من حرية وفرحة وقوة! ساعدني يا الله على التحرر كاملاً من ذلك.

كنت أقرأ لتوي في إحدى الجرائد عن حوادث القتل والسرقات

تحت تهديد القتل. تزداد أفعال القتل والعنف أكثر فأكثر، فما السبب؟ وكيف نوقفها؟ يسجنون وينفون ويعدمون. ولكن الضعيفة لا تقبل قدرًا، بل على العكس. ما العمل إذن؟ ثمة حل واحد وحيد: أن يوجّه كل إنسان كافة قواه إلى العيش بمقتضى قانون الله ويتوسل إلى القتلة والسارقين أن يعيشوا بمقتضاهم أيضًا. سوف يضربون ويسرقون. سأرفع يدي كما يأمروني وأتوسل إليهم أن يتوقفوا عن العيش بشر. لن يستمعون إليّ وسيواصلون ما يفعلونه. ما العمل؟ ليس لديّ ما أفعله. نعم، من الجيد التحدث عن ذلك.

١ - بحلول الشيخوخة ينقضي الاهتمام بالماضي والمستقبل، وتلف الذاكرة والمخيلة، ولكن ما يبقى مزدهرًا في الشيخ هي الحياة في الحاضر والوعي بها.

٢ - دائمًا ما يوجد بيننا - خاصة الآن - جنون يملك الناس وينتشر كالوباء؛ إنه الجنون الذي يدفع المرء إلى الاهتمام بتنظيم حياة الناس لا حياته هو.

٣ - كنت أقرأ لكروبوتكين^(٢٩٩) عن الشيوعية، ووجدت أن الكتاب مكتوب بشكل حسن وكذلك دوافع الكتابة حسنة، ولكن يذهلني هذا التناقض الداخلي الذي بمفاده أن علينا أن نرتكب عنفًا لكي نوقف العنف الذي يرتكبه البعض في حق الآخرين. المسألة هي: كيف نجعل الناس يتوقفون عن الأنانية والعنف؟ طبقًا لبرنامجهم (يقصد الأناركيين) علينا أن نرتكب عنفًا جديدًا كي نحقق هذا الهدف.

(٢٩٩) أمير وجغرافي روسي، وهو من أوائل المنظرين للأناركية الروسية.

٤- شعرت بوضوح بالفارق بين الحياة من أجل العالم والناس ونيل استحسانهم، والحياة من أجل الله في كل شيء. يا لحرية وفرحة وقوة تلك الحياة!

٥- بالأمس دار حوار جيد جدًا بيني وبين نيكولايف. بدأ الحوار بقوله:

سأقول شيئًا غريبًا: إنني أعترف بالملكية؛ بحق الملكية المقدس لما نتج عن عمل الإنسان.

اعترضت على حق الملكية أو قدسيته. صحيح أن الإنسان مفطور على الرغبة في الاستفادة بنتائج عمله بحرية، وأن يحترم في الآخر هذه السمة، ولكن لا مجال هنا للحديث عن «حق». يقول الشيوعيون إن كل شيء ينتمي للجميع، بينما يقول غير الشيوعيين إن ثمة حق ملكية مقدسًا. أما أنا فأعتقد أنه من المنظور المسيحي لا يمكن أن تكون ثمة شيوعية ولا حق ملكية. تنكر المسيحية - بما تستند إليه من قاعدة رئيسة تقضي بالحرية الكاملة - ضرورة ارتكاب الإنسان للعنف في حق إنسان آخر، وبالتالي تبطل الشيوعية وحق الملكية على السواء.

إن حكمت حذاءً طويل الرقبة وأردت أن أعطيه لابني، يطالبني الشيوعي بأن يصبح هذا الحذاء لأجل المنفعة العامة. إن لم أوافق يطالب باستخدام العنف ضدي. بنفس الطريقة سيلجأ المناصر للدولة إلى العنف، رغم أنه ضد الرجل الذي يريد انتزاع الحذاء مني. أما المسيحي، رغم أنه يعرف ويقدر السمة المفطور عليها البشر في الرغبة في ترتيب شؤونهم بأنفسهم، لا يجد حقًا في تنفيذ ذلك عنوة، وكذلك لا يرى أن

من حق أي شخص أن ينتزع من هذا الإنسان عمل يديه باسم الشريعة. ولأن المسيحية تنكر العنف، فإنها تنكر الملكية والشريعة على السواء، فالملكية والشريعة على السواء داخل مجال العنف ونتاج له، بينما لا تسمح المسيحية بالعنف.

٦- عندما تشعر بالقلق من شيء ما حاول فهم ما يقلقك تحديدًا؛ أهو أمر إلهي أم إنساني؟ لم أكن أعرف كيف أحسم مسألة أموال الدوخوبورين^(٣٠٠)، وما إن سألت نفسي عما إن كان ما يقلقني إلهيًا أم إنسانيًا حتى انجلى كل شيء.

٧- لا شيء يؤلم المرء أكثر من رأي الناس السيئ عنك، ولا شيء يفيدك أكثر من التحرر من الحياة الزائفة.

٨- كنت أفكر في شخصين معادين لي وأساء إليّ: (ب.و) و(ميت)^(٣٠١)، وتذكرت أن عليّ ألا أشعر بالغضب تجاههما في أفكاري، بل أحبهما. حاولت فعل ذلك ونجحت، حتى إنني لم أعد قادرًا على استعادة مشاعري غير الطيبة السابقة صوبهما.

٩- إنها فكرة رائعة التي تصف الله بنور الشمس، والإنسان بجسم يمتص هذه الأشعة؛ الله. جسد الإنسان هو أشعة الله التي لا يمتصها الإنسان، والحياة هي امتصاص الإنسان المتزايد للألوهية.

١٠- (١٥ أغسطس) أود بشدة أن أقول أمرًا واحدًا: انس كل

(٣٠٠) يدور الحديث عن خمسة آلاف دولار تبرع بها الدوخوبوريون من كندا لمساعدة الفلاحين المتضررين من المجاعة في روسيا، وقد تبقى منها ألفان مع تولستوي.

(٣٠١) الأول فلاح من ياسنايا، والآخر شاعر بلجيكي.

شيء؛ انسَ كافة تصوراتك عن الله والحياة الأخرى - ناهيك عن الدولة والأسرة وجسدك - ووجهَ كافة قواك واهتمامك إلى أمر واحد لا شك فيه؛ حياتك، ولا تهلكها لا من أجل وطن أو كبرياء أو ثروة، ولا من أجل الله، بل عِش من أجل نفسك؛ من أجل خيرك، واستغل نعمة الحياة الموجودة بين يديك. إنها نعمة لا يمكن أن تُنتزع منك، تتخطى كل شيء وتدمر كل ما يمكن أن يبعث ضيقاً في حياتنا؛ إنها نعمة الحب لكل ما هو حي، وحتى لما هو غير حي، وبالطبع حب لنفسك... لروحك. هذه حالة الروح التي يصبح كل شيء خيراً لها. يعذبونني ويضايقونني وينكلون بي ويضربونني، بينما أشفق عليهم وأحبهم، فيصبح حالي أفضل منهم. رب في نفسك هذا الشعور - وهذا أمر ممكن - وسيتحول كل شيء إلى خير لك، حتى ما تعتبره بلية كالموت مثلاً.

١١ - نعم، نعم... أحبوا أعداءكم وكارهيكُم... هذه ليست مبالغة كما يمكن أن تبدو في البداية، بل هذه هي فكرة الحب الرئيسة. كما أن مبدأ عدم المقاومة وعرض الخد الآخر^(٣٠٢) ليسا مجرد مبالغة أو استعارة، بل لا مسيحية من الأساس في غياب قانون عدم المقاومة. لا مسيحية كذلك من دون محبة لمن يكرهونك... لمن يكرهونك تحديداً.

١٢ - أنا مثقل بالمرض. المرض ليس إلا مادة لهذا العمل المفرح الضروري لي؛ انتصار الجوهر الروحي على ما هو جسدي، والفرحة النابعة عن هذا الانتصار. لا أعرف ما إن كانت هذه الفرحة ستوفر أيضاً عند هزيمة شعور شرير أم لا، لكنني سأحاول.

(٣٠٢) يشير إلى «مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ أَيُّضًا» (لوقا ٦: ٢٩).

١٣ - لا شيء يمكنه أن يعطل تحقيق ملكوت الله أكثر من رغبتنا في تحقيقها بعمل مناقض لها؛ بالعنف.

١٤ - «رُكِّز كافة قواك على أدنى نقطة»^(٣٠٣). افعل هذا وستحقق شيئاً عظيماً. ركِّز قوى الروح جميعاً على هذا الكيان الضئيل «جسدك» وستنجز أمراً عظيماً لم تكن تتخيله.

صياغة سيئة!

١٦ - مَنْ هو الله؟

- إنه مَنْ بداخلك وليس جسدك.

- هذا وحسب؟

- لا، إنه أيضاً ذاك الموجود بداخل الآخرين وليس جسدكم أيضاً، كما أنه بداخل كل ما نعرفه، ولا يحصره جسد.

٧ سبتمبر.

قرأت ما كتبته في يومياتي منذ ٢٢ أغسطس. لم أعمل إلا على «دورة قراءات». لم أعمل شيئاً واضحاً سوى القليل، لكن هذا حسن لروحي. لقد دَعَمَني ذلك تحديداً في نضال نفسي حتى لا أبالي بأحكام الناس. راودتني اليوم أفكار شديدة الأهمية بخصوص ذلك. سأدوّن تلك الأفكار لاحقاً. وصلني خطاب كئيب من نوفيكون وأجبت عنه. لا يزال وجودي مع تشير تكوف يسعدني. أخشى أن يكون سروري عائداً إلى تقديره لي.

(٣٠٣) بالألمانية في الأصل.

ألقيت نظرة بالأمس على «قبة الأفكار»^(٣٠٤). سيكون من الجيد لو جَلَبْتُ هذه الأفكار نفعًا للناس، وهذا ما يبدو لي في لحظات غروري. حالتي الروحية في هذه الفترة جيدة في أغلب الأوقات. أشعر الآن بمدى التقيّد الذي ألزمت نفسي به في كتابة هذه اليوميات لعلمي أنها سوف تُقرأ من قِبل ساشا وتشيرتكوف. سأحاول نسيان ذلك أثناء الكتابة. مررت في آخر يومين أو ثلاثة بحالة معنوية كئيبة لم أستطع التغلب عليها حتى الآن بسبب إطلاق النار من بعض اللصوص أثناء سرقتهم للملفوف، مما دفع صوفيا إلى تقديم شكوى رسمية، وجاء المسؤولون وقبضوا على أربعة فلاحين، مما حدا بالفلاحات والشيوخ إلى أن يأتوني لأتدخل. لا يمكنهم أن يتصوروا أنني لست سيد المكان ما داموا يرونني أعيش هنا، لذا ينعنونني بكل ما يمكن للمرأة أن يتخيله. هذا مُقبض لكنه حسن؛ لأنه عندما يصبح من المستحيل أن تكون آراء الناس فيّ حسنة أجد نفسي مدفوعًا إلى اللامبالاة تمامًا بها. في اليومين الأخيرين لم أستطع مغالبة هذا الشعور السيئ.

أخبار عن بولانجي^(٣٠٥). آمل أن يكون قد هرب، وأعتقد أنه فعل ذلك. جاء حاكم المقاطعة لتوه مع كل صحبته البراقة (بالفرنسية في الأصل) وشعرت بالنفور والأسف^(٣٠٦). كان الأمر جيدًا لي من ناحية

(٣٠٤) مجموعة من أفكار تولستوي جمعها آل تشيرتكوف لكنها لم تنشر.

(٣٠٥) كان يعمل في تلك الفترة محاسبًا بالسكك الحديدية، وبدد مبلغًا حكوميًا ضخماً في لعب الورق، ثم اختفى تاركًا رسالة يقول فيها إنه سينتحر، لكنه في الواقع هرب إلى القوقاز، ثم عاد ليسكن بالقرب من تولستوي في عام ١٩٠٩.

(٣٠٦) جاء لمتابعة شكوى صوفيا بخصوص سرقات الفلاحين.

أنه دَعَم شعوري الحقيقي بالشفقة تجاه هؤلاء الناس. تعرفت في تلك الفترة على مالفاني (الابن). إنه شديد الذكاء والحكمة. أفكار للتدوين:

١ - إن أدركت أنك الله متجليًا في صورة منفصلة؛ في الجسد، فما الذي يمكن أن يمثله الموت بالنسبة لله؟ إن أدركت ذلك، لن يسعك ألا تسعى إلى تحرير نفسك من حالة الانفصال، ومن ثم تسعى صوب الاتحاد بالكيان الكلي. لا يمكن تحقيق هذا التحرر إلا بوسيلة واحدة: حب الكيان الكلي والناس جميعًا. يمنحك الحب أفضل فرحة في الحياة. «نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدْ أَنْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ، لِأَنَّنَا نُحِبُّ الْإِخْوَةَ». (يوحنا الأولى ٣: ١٤). أنا فرح جدًا وفي حالة جيدة جدًا.

٢ - الإنسان الذي يحيا حياة جسدية ويسترشد بمصالح مؤقتة يشبه تمامًا طيرًا يركض على الأرض بقدميه متعذبًا، ولا يعرف كيف يستخدم جناحيه.

٣ - العالم ليس الله، لكنه تجلّي الله. أدرك الله في داخلي، ويمكنني أن أدركه في الناس وحتى في الحيوانات، كما يمكنني أن أدركه جزئيًا في النباتات. لا يمكنني أن أدركه أو أفهمه في الرمال أو في الأجسام الميكروسكوبية، ولا في النجوم، لكن لا يسعني ألا أفترض أنه يتجلى هناك في كائنات أكثر حساسية وذكاءً مني. صياغة سيئة.

٤ - أريد أن أقول الآتي للناس:

أيها الإخوة الأعزاء: لماذا تعذبون أنفسكم وتعذبون الآخرين

بمحاولتكم إصلاح وتحسين حياة الناس وإصلاح وتحسين الناس أنفسهم؟ لا يمكن لأحد أن يفعل ذلك. إن حاولتم إصلاح وتحسين حياة الناس، ستعذبون أنفسكم وحسب، كما ستعذبون الناس معكم وتفسدون حياتكم وحياتهم. ليس هناك مَنْ هو مدعو لإصلاح حياة الناس، ولا يمكن لأحد أن يفعل ذلك من الأساس. كل إنسان مدعو إلى إصلاح وتحسين حالة نفسه، وهو أمر ممكن للجميع، بل وواجب عليه. علاوة على ذلك الخير الحقيقي لكل إنسان ينحصر في تحسين نفسه والسمو بها ليصبح ابنًا لله كما قيل في الإنجيل. جَرَّبَ أن توجَّه كافة قواك إلى العيش لا من أجل جسدك، بل من أجل الله، وزيادة قدر الحب بداخلك، وسترى كم ستصبح حياتك مبهجة ويسيرة. «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (متى ١١: ٢٨). «احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لَأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. أَنَّنِي نِيرِي هَيْنَ وَحِمْلِي خَفِيفٌ». (متى ١١: ٢٩ - ٣٠).

٥- فهمت اليوم بوضوح شديد أن كل شيء ينمو ويرحل ويشق طريقه. كم يدهشني ألا يفهم الناس ذلك! إنهم ينقلون أمانهم إلى مجال المستقبل، دون أن يفكروا في أن المستقبل لن يبقى بل سيمر كما مر الماضي.

٦- في الآونة الأخيرة أشعر أن كل يوم بمثابة عيد لي وأشعر بالعرفان للنعمة التي وهبني الله إياها.

٧- سمعت بعض الصبية يتحدثون خلف شجر السنط. كانوا يدخلون ويتحدثون بلغة شائنة. استدعيت صغيرًا منهم وأخذت أعاتبه،

فبدأ يكذب ويدين الآخرين. الحالة الروحية لهؤلاء الصبية أسوأ من كافة البلايا المادية.

٨- نعيش الآن فترة مريضة. لا أصفها بالمريضة بسبب السرقات أو جرائم القتل أو أحكام الإعدام، فما هي السرقات؟ إنها بمثابة انتقال الملكية من شخص لآخر. كان هذا موجوداً دائماً وسيظل موجوداً، ولا يوجد ما يريع بشكل خاص في ذلك. وما هي أحكام الإعدام أو جرائم القتل؟ إنها انتقال الناس من الحياة للموت، وكان ذلك يحدث دائماً ويحدث الآن وسيظل يحدث، ولا يوجد ما يريع بشكل خاص في ذلك. المريع فعلاً ليست السرقات ولا جرائم القتل، بل مشاعر الذين يسرقون ويقتلون.

سأتوقف هنا؛ رأسي تؤلمني وأشعر بالكآبة.

١١ سبتمبر.

تزداد الحياة تعقيداً أكثر فأكثر وتزداد متطلباتها. في الأيام الأربعة الأخيرة حدث الكثير. زارني كاهن السجن^(٣٠٧). كما زارني طبيب من كراسنويارسك. اليوم زارني عابر سبيل وشاب وصوفيا زوجة ابني. فلأواصل الآن تدوين أفكارني:

١- لو لم أعرف أنني سأموت - كما هو الأمر مع الحيوان بحسب ظني - لكانت الإجابة على السؤال: «ما الهدف من العيش؟» سهلة جداً:

(٣٠٧) ديمتري يجوروفيتش ترويتسكي: كاهن سجن تولا. زار تولستوي ليحاول إعادته إلى الكنيسة.

أعيش لإرضاء احتياجاتي الحيوانية. لكنني أتسم بالعقل الذي أعرف بموجبه أنني سأموت، وأن حياتي هنا مؤقتة، وأني لا يمكنني أن أصيب خيراً من الاهتمام بصحتي أو ملكياتي أو شهرتي أو مجدي أو ما أفعله من أجل أسرتي أو شعبي، لأنني سأموت؛ سأتلاشى، وبالتالي سيكون سيان تماماً أن أكون معافى ثرياً ممجداً، وأن يتمتع نسلي أو مواطني أو حتى الجنس البشري بالسعادة أم لا، وذلك لأن كل شيء لن يدوم لي. ماذا عليّ أن أفعل خلال انتقالي في هذه الحياة من اللا وجود إلى مظهر آخر من اللا وجود؟ يمكنني أن أجيب عن هذا السؤال من جانبيين، وكلاهما واحد. من ناحية لا يسعني ألا أقر بأن ظهوري هنا ومروري بهذه الحياة لا بد أن يكون ضرورياً لتلك القوة التي أرسلتني إلى هنا. لا بد ألا يكون مروري بهذه الحياة كمرور كائن حيواني وحسب، بل كمرور كائن حيواني وُهب عقلاً، أي أن عليّ أن أفعل في هذه الحياة ما يتسق مع ذلك العقل. من هذه الزاوية يماثل موقفني موقف عامل خدّر نفسه فنسى كل ما حدث معه قبلاً، واستيقظ في مكان مجهول ومجرّفة في يديه بالقرب من مخرج خندق يتعذر الخروج منه، كان قد بدأ العمل عليه ولم ينهه بعد. من الواضح أن من يتسلط عليه يرغب منه أن يواصل عمله بالمجرّفة التي وهبها إياه. هذا ما يختبره أيضاً إنسان يتسم بالعقل وجد نفسه في هذا العالم. لا يمكنه ألا يدرك أن ثمة من يريد منه أن يواصل بعقله ما بدأه من عمل عقلائي في هذا العالم.

١٢ سبتمبر.

هذه إجابة على السؤال من إحدى الزوايا. ثمة إجابة أخرى من زاوية

ثانية، وهي إجابة أكثر وضوحًا، وأكثر يقينية -إن جاز التعبير- وهي تتلخص في أنني أعيش في هذا العالم من أجل الخير وحسب. ليس العقل هو ما يخبرني بذلك ولا استنتاجات عرضية توصلت إليها أو ملاحظات ما، بل وجودي الذي لا يتوقف لحظة طوال حياتي.

هذه الإجابة شديدة البساطة والوضوح ويدركها الجميع دومًا مما يجب أن يجعلها مقبولة من الجميع دون جدال من أي شخص. في الواقع من يعترف بصحة هذه الإجابة هم الأطفال وأبسط أنواع الناس. أما البالغون الذين تأملوا في الحياة وأجروا ملاحظاتهم فيقولون إن هذه الإجابة لا تتسق مع العقل والملاحظة؛ يقولون تحديدًا إن الناس الذين جعلوا الخير هدفًا لحياتهم لم يحققوه، ليس ذلك وحسب، بل إن القطاع الغالب منهم أصبح تعييسًا. ماذا يعني ذلك؟ هل يعقل أن تكون تلك القوة التي أتت بي إلى هذه الحياة، والتي تتوقف حياتي عليها، قد زرعت بداخلي وبداخل الجميع احتياجًا أبدئيًا للخير لا يفارق صاحبه لمجرد أن تخذعنا وتضنينا وتجبرنا على السعي صوب ما لا يمكننا بلوغه؟ أيعقل أن يكون جوهر الروح الرئيس: العقل مناقض لرغبة الإنسان في نيل خيره، وكل منهما يستبعد الآخر؟ لا يمكن أن يكون الأمر كذلك. هذا ما أجاب به دومًا القلب الإنساني، ولا يمكنه أن يجيب إجابة أخرى. في الواقع لم يحدث ذلك أبدًا، ولا يمكن أن يحدث. الأمر لا يقتصر على عدم تناقض العقل ورغبة الإنسان في الخير، ولا يقتصر على أن الواحد منهما لا يستبعد الآخر، بل على العكس؛ لا معنى لأحدهما دون الآخر، فكل منهما يُكَمِّل الآخر.

في الواقع قد يبدو أن ثمة تناقضًا بينهما لسبب واحد؛ عندما يتم تحريف مفهوم الرغبة في الخير ويتم عزوه إلى الكيان الشخصي، وعندما يتم تحريف العقل أيضًا فيُقرَّ بإمكانية هذا الخير. يتم تحريف مفهوم الرغبة في الخير، فيتمثل هدف هذه الرغبة في خير الكيان الشخصي. لا معنى لهذا الخير مع حتمية الموت التي تقضي على أي إمكانية لأي خير شخصي، ليس ذلك وحسب، ولكن أيضًا مع وجود صراع من أجل البقاء بكل مظاهره، ومع وجود صنوف المعاناة الجسدية والأمراض... إلخ. كان بالإمكان أن تظهر هذه الاستحالة بوضوح كامل لو لم يُدعم هذا الخداع بتحريف العقل الذي يحاول إخفاء هذه الاستحالة أو تبريرها بمختلف الطرق. هكذا تبرر هذه الاستحالة كافة التعاليم التي ينادون بها عن الحياة الأخرى، وما ينبع منها من تعاليم دينية - رغم أنها تنكرها- وتعاليم فلسفية عن الواجب الأخلاقي (كانط ومريدوه). كذلك تحاول التعاليم الأبيقورية والوضعية القانطة من الحياة إخفاء هذه الاستحالة. بالإضافة إلى الاستنتاجات التي يقوم بها العقل المُحرَّف ثمة وسيلة أخرى يمكن بها إخفاء الاستحالة الواضحة لفكرة الخير الشخصي، وهي أكثر الوسائل بساطة وفجاجة؛ إضرار الشهوات وإطفائها بوسائل مصطنعة مثل المواد المخدرة للعقل.

يبدو إذن أنه من غير الممكن أن يكون ثمة تناقض بين رغبة الإنسان في الخير وعقله، لكن ذلك يعود إلى تحريف مفاهيم الخير والعقل الإنساني على السواء. ما يوضح لنا تحريف مفهوم الرغبة في الخير هي حقيقة أن الشيء الرئيس الذي يؤلّف حياة الإنسان ليست الرغبة في خير

كيانه الجسدي. قد يبدو الأمر كذلك لأولئك الذين لم يتطورا بعد ومن يتسمون بعقل مُحرّف، لكن ما يؤلف حياة الإنسان فعلاً هي الرغبة في خير كيانه الروحي؛ هذا الكيان الذي يدركه الإنسان لا في نفسه وحسب، ولكن في كل ما هو حي، ويدركه بقوة خاصة في البشر؛ الكائنات التي تشبهه. تتجلى هذه الرغبة في خير الكيان الروحي، والتي يدركها الإنسان في كل ما هو حي، بالحب. لذا الخير الحقيقي للإنسان هو الخير الذي يجده في الحب الذي يدركه بداخله؛ ذلك الحب الذي يمنحه السعادة، والذي بإمكانه أن يزيد قدره بداخله بلا نهاية، ولا يمكن لأحد أو شيء أن يحول دون هذه الزيادة. إنه الحب الذي يجعل الإنسان يشعر أنه كلي القدرة، والذي يتحد بواسطته بهذا الجوهر الكلي الذي يعزو إليه وجوده. هذا ما يتعلق بتحريف مفهوم الرغبة في نيل الخير. أما فيما يتعلق بتحريف مفهوم العقل فهو لا يستند تحديداً إلى فهم ماهية الخير الحقيقي وحسب، لكنه يشمل أيضاً الظن بأن خير الكيان الشخصي هو الخير الحقيقي، والاعتراف بإمكانية الخير في مكان ما بعد الموت أو أنه خير الكيان الشخصي هنا في هذه الحياة.

يلزم أن نستعيد مفهوم الخير الحقيقي الذي يتأسس على زيادة الحب وننحي عنا كافة الأفكار الزائفة التي يحاول بها العقل أن يحجب التناقض الحتمي بين الرغبة في خير الكيان الشخصي وعدم إمكانية تحقيقه، بحيث لا تكون الرغبة في الخير الحقيقي كامنة في روح الإنسان وحسب، بل تصبح المؤلف الرئيس لهذه الروح، ويُعبّر عنها بالحب، وحينها لن يقف أمامها عائق، وسيزداد شعورنا بالرضى أكثر فأكثر، بحيث تتحول هذه

الرغبة في الخير إلى أكثر الإجابات وضوحاً ودقة على السؤال المتعلق بما يجب أن يفعله الإنسان أثناء عبوره من أحد أشكال الوجود إلى شكل آخر نسميه «حياة». من ناحية يجيبني العقل عن هذا السؤال بفكرة أنني عامل يتوجب عليه في هذه الحياة أن يقوم بالعمل المطلوب منه من قبل مَنْ أرسله؛ ذاك الذي وهبني الأداة الملائمة لتنفيذ هذا العمل. الإجابة إذن هي أنني عامل يجب أن يقوم العمل الذي يطلبه منه سيده. ولكن عقلي لا يجيب عن: ما طبيعة هذا العمل تحديداً؟ وما الهدف من قيامي به؟ يمكنني هنا من ناحية أخرى أن أحصل على أكثر الإشارات صلابة ووضوح بخصوص طبيعة هذا العمل والهدف من قيامي به: إنني أفعل ذلك لأنال الخير، فهذه الحاجة تحديداً هي التي تؤلف جوهر روحي.

ثمة مَنْ يريد مني أن أقوم بشيء ما، مستفيداً من أداة العقل التي منحني إياها لأجل ذلك.

أتساءل: ما هو العمل تحديداً؟ وما الهدف منه؟ فيجيبني قائلاً: إنه السعي المستمر المتعذر كبحه صوب خير كياني الروحي، والذي يُعبّر عنه بداخلي بالحب حيث أجد نفسي حراً وقادراً على كل شيء.

بدا لي بذلك أنه لم تعد هناك شكوك، ولكن هذا لا يكفي. الدليل الأكثر إقناعاً لأي شخص يشك في ذلك هي التجربة. دع الإنسان يختبر حقيقة هذا الوضع، ودعه ينقل حياته من البحث الزائف عن خير كيانه الجسدي إلى الروحي بزيادة الحب بداخله لكل ما هو حي وما يحيط به ويتصل به، وسيشعر على الفور أنه قد تحرر تماماً من كافة القيود والمخاوف، وقبل كل ذلك سيجد نفسه قد تحرر من المشاعر الشريرة

الكثيية، وسيشعر على الفور بتلك الحالة الروحية التي أرادها بكامل كيانه. علاوة على ذلك، عندما يسلم الإنسان نفسه لهذا الشعور، لن يقتصر الأمر على شعوره بحتمية الأحزان والمخاوف والأمراض، بل وحتى الموت الأكثر وضوحًا للعقل والذي يدمر كل شيء؛ بل لن يعود ثمة موت بالنسبة لهذا الشخص الذي جعل محور حياته في جوهره الروحي الذي يحيا في كل شيء؛ ذلك الجوهر الذي يدركه بالحب.

٢- إن عرف إنسان أو ظن أنه يعرف ماذا عليه أن يفعل حتى يصبح هو والجميع في أفضل حال، فمن الأفضل أن يعيش بمقتضاه، وهذا هو الإيمان.

٣- لا بد أن زواج فلان من هذه الزوجة تحديدًا كان أمرًا لازمًا له، وإلا لاختال بقداسته (٣٠٨).

٤- يلزم أن أقول لفلان ألا يولع بيّ، فأنا مليء الآن بقدر لا نهائي من الدناءة والغباوة والخبث (٣٠٩).

٥- شعرت لتوي للمرة الأولى بالتححر كاملاً من آراء الناس عني. يا لها من فرحة! يا له من هدوء ويا لها من حرية! عونك يا سيدي كي أستمّر في تلك الحالة.

كل ذلك بسبب ما كتبه ساشينكا (ساشا) اليوم ١٢ سبتمبر.

نمت قليلاً. فكّرت وأنا على فراشي ودوّنت بعض الأفكار. أشعر

(٣٠٨) يشير إلى نفسه.

(٣٠٩) يقصد بالشخص المولع به (تشير تكوف).

ببهجة روحية شديدة لم أختبرها منذ فترة طويلة.

١٥ سبتمبر.

انهمكت طوال يومين في الكتابة من أجل «حديث مع الشباب»^(٣١٠).
لم تتبين ملامحه بعد. خضت حوارًا كثيبًا مع صوفيا^(٣١١). أشعر بالأسف
فعلاً عليها. عليّ تدوين الآتي:

١ - الإنسان تجلُّ للألوهية، لكن يبدو له في البداية أنه كائن خاص
«أنا». يبدو له أنه «أنا» منفصلة؛ إنه إنسان، بينما هو الله؛ تجلُّ لله. لا
أعرف كيف هو الأمر مع الحيوانات، لكن بالنسبة للإنسان لا يقتصر
الأمر على إمكانية أن يدرك ذلك، بل يجب عليه أن يدرك ذلك. بإدراكه
لذلك لا يسعه ألا يفترض أن حياته في الاتحاد بالكل، أي أن حياته في
الحب. عاقبة ذلك أن ينال الإنسان خيرَه.

٢ - قد يبدو لك أنه من المستحيل أن تحب إنسانًا شريراً. هذا أمر
مستحيل فعلاً. لكن يمكن - بل ويجب - على الإنسان أن يحب - لا
الآخر، بل الله المقموع والكامن بداخله، وأن يحرره بداخله. هذا ليس
ممكناً وحسب، بل إنه يبعث السرور في قلب صاحبه أيضاً.

٣ - الحياة الحقيقية فعلاً هي التي تتسق مع إدراك القانون الأسمى،

(٣١٠) مادة انتوى كتابتها من أجل أحاديثه مع شباب الفلاحين الذين كان يلتقيهم في منزل
تشيرتكوف.

(٣١١) بخصوص سجن ٨ فلاحين بتهمة سرقة أشجار البلوط من غابة صوفيا. طلب تولستوي من
زوجته أن تعفو عن الفلاحين فغضبت وقالت إنه بذلك لن تبقى لديهم شجرة واحدة، فأخبرها
أن هذا سيكون أفضل من عدم التسامح مع الفلاحين.

أما الحياة التي تسترشد بالشهوات والعواطف والاستنتاجات فليست إلا عتبة للحياة وإعداداً لها؛ إنها بمثابة نوم.

٤ - كما هو الحال في الشيخ حيث يزداد فيه تجلي الاتساق مع القوة الإلهية الأبدية، كذلك يزداد تجلي هذا الاتساق في العالم كله فيما يتعلق بحركة الزمن.

٥ - لا أحد يدعوك إلى تغيير وتحسين الأنظمة القائمة، ولكن قوة الحياة الكامنة بداخلك بأكملها تدعوك إلى تغيير وتحسين حياتك الداخلية الروحية ليزداد تجلي الله بداخلك أكثر فأكثر.

٦ - للنساء في دوائرنا ميسورة الحال، أفضلية ضخمة عن الرجال من نفس الدوائر؛ أفضلية تغيب عن نساء الريف والنساء العاملات بوجه عام، وتمثل في الآتي: بإنجابهن وتربيتهن للأطفال، فإنهن يقمن بالعمل الحقيقي والضروري لهن بلا شك والذي حدده لهن القانون الأسمى. أما الرجال في دوائرنا فيعيشون في الغالب داخل الدوائر العسكرية والأقسام الجامعية والمحاكم والإدارات المختلفة ودوائر التجارة، وهم بذلك لا يقومون بعملهم الحقيقي. ليس ذلك وحسب، بل إنهم يقومون بأعمال ضارة. من ناحية أخرى، بالنسبة للنساء اللاتي لا ينجبن، إن لم يكن قديسات وإن لم يكرسن أنفسهن لأعمال الحب وانخرطن في أعمال الرجال المتبذلة، يكن في حالة أدنى وأغبي وأكثر فساداً من أفسد الرجال في تلك الطبقات المتبذلة، بل ويشعرن بمزيد من الرضى عن أنفسهن.

٧ - ضل إنسان إلى حد أن بدا له كل ما يفعله شريعراً، كما هو الأمر مع بطل عمل أدبي مُتخيل. وكأن لا مخرج ولا مفر، فكل شيء يبدو

فقيرًا. لكنه إن وجد بداخله نورًا داخليًا وحسب، سيدرك أنه ليس في حاجة لاختيار شيء، بل يلزمه أن يدرك الله في داخله وحسب، ويسلم له أمره؛ يُسلم للحب. حينها لن يعود عليه أن يختار شيئًا، وسيمضي في أي طريق وسيجد فيه خيرًا.

٨- يقولون: عِش بالحب وحسب، بينما يحيا كل مَنْ حولك حياة دنيوية، وستجدهم يسلبونك ويعذبونك ويسخرون منك. هذا ما يقوله الناس، لكنه غير حقيقي. لا يمكن أن يحدث ذلك. الحب والعقل موجودان ليس بداخلي وحدي، بل بداخل الناس جميعًا. لا يمكن أن يكون الله قد وهبنا الحب والعقل - نحن الذين نشكل جزءًا من كيانه - حتى نشعر بالسوء إن عشنا وفقًا لما وضعه بداخلنا وما يجذبنا إليه. لا يمكن أن يكون الأمر على هذا الحال.

٩- كم أسعد سعادة لم أختبرها من قبل حينما أشعر أنه ليس لدي أي دافع شرير في الحياة، وأن دافعي الوحيد هو أن أنفذ إرادة مَنْ أرسلني!

١٠- يا لسعادة الحياة! أحيانًا أشعر - مثل الآن - أنني كلما تقدمت في شيخوختي، اختبرت سعادة لا يفوقها شيء. ثم يمر الوقت وأشعر بقدر أكبر من السعادة. هذا ما أشعر به الآن بينما أدوّن يومياتي في ١٥ سبتمبر في الساعة الثانية عشرة ظهرًا.

١١- حسنًا أن تسأل نفسك متى تشعر تحديدًا بالتذبذب حيال فعل ما، وما إن كان عليك أن تقوم به أم لا، وهل هو من أجلك أم من أجل الله.

أشعر بالانزعاج قليلاً أثناء الكتابة بسبب حقيقة أن ريبين يرسم بورتريه لي. أمر لا ضرورة له وممل، لكنني لا أريد أن أحزنه. أعيش على نحو جيد. طالت حالة إدراكي لما أنعم به من خير عظيم. ظللت مريضاً طوال أربعة أيام، وبالتالي شعرت إثر ذلك بكآبة وصراع. حمداً لله؛ ليس هناك شيء خاص يُشعرني بالندم في تلك الفترة.

استغرقت طوال الوقت في كتابة دورة قراءات جديدة، وأنهيت مسودتها. جاءني عدد كبير جداً من الزوار. أردي الآن ثياباً عصرية، وهذا يزعجني بشدة. جاء بوشا منذ فترة. أنا أحبه جداً. أفتقد تشير تكوف. جاء كذلك ريبين عضو الكوميونة^(٣١٢). إنه مفرط في الحماسة، وبالتالي خطير. راودتني بعض الأفكار الجيدة. أريد أن أكتب عن النساء وعن جنون الرغبة في تنظيم أمور العالم. أحبت عن بعض الخطابات الشيقة. عليّ تدوين الآتي:

١ - لماذا يتسم الجهلة بقدر أكبر من الذكاء من العلماء؟ لأنه ليس هناك في وعيهم ما يمكنه أن يبلبل التدرج الطبيعي والعقلاني لأهمية الأشياء والأسئلة. أما العلم الزائف فيفعل ذلك.

٢ - لا يمكن لمتطلبات الأسرة أن تبرر سلوكيات لا أخلاقية، تماماً كما لا يمكن تبرير تسويات غير نزيهة مع الموردين.

(٣١٢) ضابط سابق، أسس كوميونة تولستوية بالقرب من طشقند في عام ١٩٠٧، لكنها لم تستمر طويلاً، فقد أُصيب ريبين بانهيار عصبي.

٣- الأسرة في حاجة إلى الشعور بالحاجة أكثر من الشعور بالترف.

٤- ينشغل الإنسان الثري في تربيته لأطفاله بنوعية ثيابهم وطعامهم وتعليمهم. أما مَنْ يعيش تحت وطأة الحاجة فقد حُسِمت مثل هذه الأسئلة بالنسبة له، وبالتالي وضعه دائماً أفضل من وضع الثري.

٥- أنظر إلى حفيدتي الصغيرة تانيتشكا وأتساءل: هل ستكبر وتهرم مثل أمها وجدتها؟ وأتساءل: كيف يحدث ذلك؟ وما مصدر ذلك؟ يدرك الجميع هذه الظاهرة التي تعد الأبسط والأهم بين الظواهر، وليست هناك أي طريقة مادية علمية يمكننا بها أن نوضح ذلك، ولا نستطيع حتى أن نحاول فعل ذلك بمثل هذه الطرق. كتبت على نحو غير واضح، لكن الفكرة واضحة جداً في روحي، وسأحاول التعبير عنها لاحقاً بمزيد من الوضوح.

٦- فلان لا يحب الشخص الصالح، ويؤذيه ويُعَنِّفه. لكن هذا الأخير يموت، ويصبح من المخرج توبيخه خاصة أن الجميع يشعرون بالأسف على فقدانه. حينها يؤكد فلان أنه كان يحبه دوماً.

٧- تنشئة الناس تشبه زراعة الثمار، كالتفاح وما يشبهه، حيث تجد أن القشرة هي الجزء الوحيد اللذيذ، لكنها محاطة بالبذور. نتصور أن من الأفضل ألا تشمل الثمرة على بذور إطلاقاً، ويمائل ذلك تنشئة الناس بحيث نقلل من قدر الروح فيهم ليبقى الجسد وحده.

٨- بفضل الزمن والحركة وحسب يمكن إدانة الذات والتوبة، وما ينتج عن ذلك من فرحة بالنمو الروحي.

بفضل المكان والانفصال وحسب يمكن أن نحب وما ينتج عن ذلك من فرحة.

لا فرح بنمو روحي ولا تتوفر نعمة الحب لكائن غير متحرك وغير منفصل؛ لله.

٩- ثمة حاجة إلى الإشارات الخارجية لعبادة الله، وهي ضرورية للناس. هذا إنسان موجود بمفرده ويرشم علامة الصليب قائلاً: «يا رب ارحم» وهو بذلك يكشف عن علاقته بالموجود الذي لا يمكن إدراكه. أسفي على الذين لا يعترفون بتلك العلاقة.

١٠- الله يريد الخير للجميع. إن أردتُ أن أحيأ طبقاً لإرادة الله، فعليَّ أن أرغب في الخير للجميع؛ أن أحب.

١١- يعيش بداخلي ذاك مَنْ يريد الخير للجميع. بدافع من سوء الفهم لا أكثر أظن أنني أريد الخير لي وحدي. الرغبة في الخير الكائنة بداخلي لا يمكن أن تقتصر عليّ وحدي، فالرغبة في الخير هي صوت الله الذي يريد الخير للجميع.

١٢- العقل هو المرشد في الحياة بالنسبة للإنسان العاقل الذي يحيا حياة روحية. أما الإنسان غير العاقل الذي يحيا حياة جسدية، فالعقل بالنسبة له بمثابة أداة قد تكون مفيدة أحياناً لتحقيق خيره الشخصي.

١٠ أكتوبر.

لم أكتب منذ فترة طويلة، وخلال تلك الفترة مررت في أحد الأيام

بحالة كئيبة بسبب الحراس الذين يزعمون الفلاحين^(٣١٣). العمة تانيا هنا وميخائيل سيرجيفيتش وكذلك التانيتان (تانيا وتانيا)^(٣١٤). قُوبِلَ خطابي الذي كشفت فيه عن أنني لا أمتلك شيئاً بدم كريبه ومفاجئ^(٣١٥). شعرت باستياء شديد، والغريب في الأمر أن هذا الرد الذي تلقيته هو ما كنت في حاجة إليه تحديداً لأتحرر من سعيي لنيل مديح الناس. أشعر أنني خطوات خطوة كبيرة في هذا الطريق. يزداد اختباري لشعور بفرحة وبهجة الوجود. نعم، عليك بالتحرر وحسب من إغواءات الغضب والفجور والشراء والشهوانية - ولو بصورة جزئية - وقبل كل ذلك: السعي صوب نيل مديح الناس كما أتحرك أنا الآن من كل ذلك، وستجد نوراً داخلياً قد توهج فجأة في كيانك. أعمل في هذه الفترة على «دورة قراءات للأطفال» بحيث يكون لها نفس الأقسام التي لدورة قراءات للكبار. يتطلب مني العلم جهداً كبيراً، لكنه يمضي بانتظام. أفكار للتدوين:

١ - الحياة ليست مزحةً، بل هي أمر عظيم مهيب. على المرء أن يحيا دوماً بجدية ومهابة، تماماً كما يموت.

٢ - عندما يتحدث الناس يبدو لي كما لو أن كل الأحاديث هي حديث واحد عن الأمر ذاته. رغم ذلك يلوح في هذه الأحاديث نوعان مختلفان

(٣١٣) طلبت صوفيا من حاكم تولاً أن يعين حارسين لحراسة غابتها من سرقات الفلاحين.

(٣١٤) تانيا كوزمينسكايا - ميخائيل وتانيا سوخوتين وابنتهما تانيا.

(٣١٥) أرسل تولستوي خطاباً مفتوحاً إلى الصحافة يكشف فيه عن أنه لم يعد يملك شيئاً، وذلك بسبب الطلبات العديدة التي تصله باستمرار طلباً للمساعدة المادية، وتلقى عن خطابه ذلك ردوداً قاسية، فلم يصدق البعض ما يقوله؛ لأنه في نهاية الأمر كان يحيا في منزل أسرته وفي أرضهم التي تنازل عنها لهم.

تمامًا من حيث أسباب الحديث وما يثيره، وبالتالي نتائجه. يتحدث القطاع الغالب من الناس بهدف إفساح المجال لمشاعرهم وحسب. هذا نوع بطل من الأحاديث. أما النوع الثاني من الناس فيتحدثون عندما يريدون أن ينقلوا فكرة للآخر يمكنها أن تفيده. هذا هو الحديث الجيد.

٣- تمر عليّ أوقات لا أدرك فيها نفسي، لكنني أعرف في مثل هذه الأوقات أنني موجود. ما الذي أعني وجوده رغم أنني لا أدركه؟ إنها الألوهية؛ الله الذي في داخلي.

٤- يمكن إدراك الله في النفس بسهولة وسط العزلة، لكن الأصعب كثيرًا هو إدراك الله في الآخرين حينما تتعامل معهم، لا في نفسك وحسب. لذا علينا أن نتعلم ذلك. سأتعلم. عونك يا إلهي!

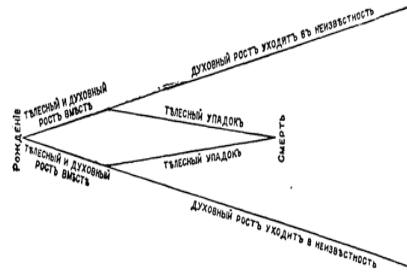
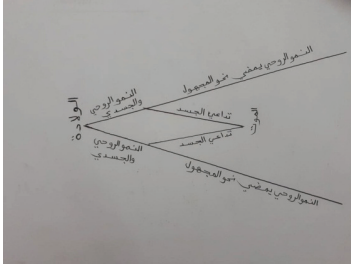
٥- يتمثل الإيمان الحقيقي والصلب بالله في أن تفعل ما يُرضي الله وتكون هادئًا بغض النظر عن أحكام الناس.

٦- كم يحسن للمرء ويجلب له الراحة أن يشعر أنه مذنب ويعترف بذلك! حينها يتضح كل شيء مريبك وصعب وتتم معالجته فورًا.

٧- أمعنت التفكير في ما إن كان خير الإنسان ينحصر في زيادة الحب وحسب أم لا. لماذا لا يحدث ذلك إذن مع الناس جميعًا؟ لنفس السبب الذي غاب عني منذ ٦٧ عامًا. كما ينمو الإنسان، كذلك تنمو الإنسانية.

٨- رسمت ذلك أكثر من مرة (٣١٦).

(٣١٦) على اليمين الرسم بيد تولستوي، وعلى اليسار رسم بخط اليد بكلمات عربية.



٩- إنسان لا يعرف ما هو حسن وما هو سيئ، ويكتب دراسة عن هبوط نيزك وولادة الكلمات!

١٢ أكتوبر.

حالي الصحية جيدة، وأعيش جنة في روعي... إنها جنة تقريباً. أعتاد تدريجياً على العيش بحب دون التفكير في نفسي لصالح الجسد ولا في آراء الناس. أشعر ببهجة مذهلة. لا بد أن ذلك بسبب تحرري من الشهوات العائد إلى شيخوختي؛ تحرري من الغضب والشهوة الجنسية والرغبة في نيل مديح الناس، لكنني أعتقد أن كل ذلك ممكن. تصلني خطابات كثيرة وجيدة جداً. انفجرت في البكاء كامرأة عجوز بسبب خطاب إيكونيكوف^(٣١٧). هذا حسن... حسن جداً. عليّ أن أدوّن هنا فكرة لم أدونها في دفتر الأفكار:

يقولون -وكذلك أقول أنا- إن طباعة الكتب لم تجلب خيراً للناس. الأمر أكبر من ذلك. لا شيء مما يمكنه أن يزيد من تأثير الناس في بعضهم

(٣١٧) أنطون إيفانوفيتش إيكونيكوف: عامل بالسكك الحديدية في بولتافو، اشتراكي ديموقراطي سابق، رفض أداء الخدمة العسكرية، فُتني إلى سيبيريا، وعرضوا عليه العفو إن قام بأداء القسم العسكري لكنه رفض، فعُوقب بشدة. كان الخطاب بصف الإذلال الذي يتعرض له نتيجة لموقفه.

مثل السكك الحديدية والبرق والهواتف والسفن والمدافع وكل الإنتاج العسكري والمواد المتفجرة، وكل ما ندعوه باختصار «حضارة» بإمكانه أن يجلب خيرًا للناس في زماننا هذا، بل على العكس. لم يكن من الممكن أن يكون الوضع خلاف ذلك بين أناس تعيش غالبيتهم حياة لا دينية ولا أخلاقية. إن كانت الغالبية تتسم باللا أخلاقية، فلا بد إذن أن وسائل التأثير لن تؤدي إلا إلى نشر ما هو غير أخلاقي. يمكن لوسائل تأثير الحضارة أن تجلب خيرًا في حالة واحدة؛ عندما تكون الغالبية -حتى وإن كانت صغيرة- تحيا حياة أخلاقية دينية. حسنًا أن تقضي العلاقة بين الأخلاق والحضارة بآلا تتطور الحضارة إلا باتساق مع الحركة الأخلاقية، ولا تتأخر عنها إلا بقدر ضئيل. ولكن عندما تسبق الحضارة الأخلاق بمسافة طويلة -كما يحدث الآن- يتسبب ذلك في بلية ضخمة. ربما تكون هذه البلية مؤقتة -وهذا ما أعتقد- فالتائج الناجمة عن أسبقية الحضارة على الأخلاق، وبالرغم مما يجب أن ينتج عن ذلك من صنوف معاناة مؤقتة، ستؤدي بتأخر الأخلاق إلى إحداث معاناة من شأنها أن تؤخر تسارع سرعة تقدم الحضارة، وتسرع من حركة الأخلاق، وبالتالي تعود العلاقة بينهما إلى وضعها الطبيعي.

منهمك تمامًا في دورة قراءات للأطفال، وأعمل بكد شديد، ويتقدم العمل، وإن كان ببطء. فكرت اليوم في أن أكتب ثلاثًا من «دورة قراءات»؛ الأولى مبوبة للأطفال، والثانية مبوبة للبالغين، والثالثة غير مبوبة، وهي القديمة التي راجعتها فعلاً^(٣١٨).

(٣١٨) انتهى الأمر بتولستوي بأن دمج دورة قراءات للأطفال والبالغين في كتاب واحد بعنوان "لكل يوم".

٢٠ أكتوبر.

تعثرت في عملي، ولم أكتب شيئاً ليومين. لا تروق لي مطلقاً القائمة التي عدّدت فيها الخطايا والإغواءات. شعرت اليوم كما لو أن خيوط المتاهة بدأت تنفك قليلاً. كنت مريضاً أثناء تلك الفترة ، ولم أتعافَ بعد حتى الآن من مرض معدتي. جاء زوار: زابولوتنيوك الذي رفض أداء الخدمة العسكرية واليوم جاء نوفيكوف^(٣١٩). تصلني برقيات تهديد وخطابات تعج بسباب مريع. رغم شعوري بالخزي لكن عليّ أن أعترف أن هذا يحزنني. لم أتمكن من فهم الإدانة بشكل عام والضغينة اللتين تعج بهما الخطابات. لقد قلت الحقيقة وطلبت منهم ألا يزعجوا أنفسهم بلا جدوى مما أكتبه ويتركونني في سلام. وفجأة... أمر مذهل وغير مفهوم. ثمة تفسير واحد: يروق لهم التفكير في إن كل ما قلته - ولا أزال أقوله - عن المسيحية هو محض كذب ورياء، وبالتالي لا يستحق الالتفات إليه. جاء سوتكوفوي. إنه ذاهب إلى سامارا^(٣٢٠). أفكار للتدوين:

١ - حسناً أن تُخلّص نفسك من الشهوة الجنسية والغضب، ولكن الأفضل بأضعاف المرات هو أن تتخلص من اهتمامك بمديح الناس، فهذا أكثر ما يضعف من النشاط الروحي.

(٣١٩) الأول نجار وثورى سابق تأثر بكتابات تولستوي وتوقف بسببها عن صنع الأيقونات الدينية للكنائس، والثاني عامل بالسكك الحديدية كان على اتصال بتولستوي منذ ١٩٠٣ .
(٣٢٠) ليوزع ما تبقى من أموال الدوخوبوريين على الفلاحين الفقراء المتضررين من المجاعة هناك.

٢- يتأسس نجاح اليهود على توجههم الزائف في الحياة، فهم من دون دين، فقد عفا الزمن تمامًا عن دينهم. أهذا ما يفسر لنا نجاح اليابانيين؟

٣- يتميز النوم عن نشاط اليقظة بأننا في النوم لا نستطيع - في الأساس - بذل أي جهد أخلاقي. هذا ما يفسر لنا كيف نرتكب في النوم أعمال لا أخلاقية مريعة بكل هدوء.

٢٦ أكتوبر.

كنت في حالة معنوية متدنية لمدة طويلة؛ لثلاثة أسابيع إن لم يكن أكثر. لم أعد أشعر حينها بفرحة الحياة أو بتراكم تلك الأفكار والمشاعر المبهجة والضرورية والمهمة لي. لم أفعل شيئًا على وجه الخصوص في تلك الفترة. لا أزال أعمل على «دورة قراءات». قرّرت اليوم أن أغيّر فيها الكثير. إنه اليوم السادس منذ أن استأنفت دروس الأطفال. لا تسير الدروس على نحو جيد كفاية، بل أسوأ مما توقعت. قبضوا على جوسيف^(٣٢١). جاء زوار: نوفيكونوف وليزا، واليوم جاء أولسوفيف وفاريا وناتاشا. اليوم هو الأول الذي أستيظ فيه روحياً وأعود إلى مرحلتي السابقة، بل وربما قد علوت عنها قليلاً. استيقظت اليوم على فراشي وبدأت التفكير والظلام لا يزال باقياً. راودتني أفكار جيدة بدرجة مذهلة - على الأقل بالنسبة لي - لكنني لم أدونها. عندما

(٣٢١) سكرتير تولستوي، وتم القبض عليه في أكتوبر ١٩٠٧ ثم أفرجوا عنه مؤقتاً ليقبضوا عليه ثانية في ١٩٠٩ وينفونه لتوزيعه أعمال ممنوعة لتولستوي. سيصبح فيما بعد المسؤول عن متحف تولستوي بموسكو من ١٩٢٥ - ١٩٣٠.

حاولت أن أستعيدها إلى ذاكرتي فيما بعد لم أذكرها كما جاءني في لحظتها.

١- تبدو الحياة الآن على هذا الحال ثم ينقلب الوضع؛ تارة تبدو خيراً مادياً، وتارة تبدو حزناً ومرضاً، تارة تبدو صعبة، وتارة تبدو مفرحة، بينما الحياة بمجملها ليست إلا بعثاً وزيادة للحب، وقيامة للحب من قبر الجسد، وفي ذلك فرحة لا تتوقف.

مع الوقت يزداد شعورك بأن كل مَنْ تحبهم هم أنت شخصياً، وبالتالي تصبح أنت الله، لا بالكلمات، بل بالفعل.

كم كان ذلك الشعور الذي تملكني ليلاً وحول كامل كياني إلى محض شعور بالفرح مميزاً وقوياً جداً! أقرأ وأكتب الآن لكني لا أستطيع استعادة هذا الشعور بالفرح والبهجة والعاطفة الرقيقة.

٢- غريب فعلاً ألا يتمكن الناس من فهم أن إنكار النظام القائم لا يمكن أن يتم إلا على أساس نظام آخر جديد تماماً غير مؤسس على العنف، بينما نحن غير قادرين حتى على تصور هذا النظام الجديد ولا نستطيع أن نعرفه! يمكننا أن ننكر العنف، ليس كأداة، بل كفعل شرير، ولكن من غير المجدي أن ننكر النظام القائم -أيًا كان- دون إنكار العنف.

٣- واحدة من أكثر الضلالات انتشاراً بين الناس هي أن نعزو إلى أنفسنا تلك التغيرات التي لا تتوقف في الحياة الجسدية والروحية على السواء لنا كشخصيات مستقلة، أو كمجموعة من الناس أو المجتمعات. نقول: «لقد أنقذت... لقد تعلمت... لقد ربّيت...» رغم أن الفاعل

الحقيقي هو تلك الحركة التي لا تتوقف لكل شيء داخل نطاق الزمن. لا يمكن للمرء أن يغيّر أو يحرك شيئاً إلا في نفسه.

الفكرة غير دقيقة.

٤- يستمر التطور الروحي بمرور الزمن وتحرر الجوهر الروحي، في الإنسان الفرد وفي الإنسانية جمعاء على السواء. إن لم يتقدم الناس بأجسادهم، فإنهم يتقدمون بعقولهم، غني عن القول أنه من الأفضل والأنجح أن نتقدم بعقولنا، لذا على أولئك الذين يريدون أن يزيدوا من سرعة الحركة أن يوجّهوا جهودهم إلى النشاط العقلاني الواعي، لا إلى النشاط التلقائي غير الواعي.

٥- الحياة نمو روحي لا يتوقف. ولكن إبان الطفولة، عندما يتزامن النمو الروحي بنمو جسدي يوجّه الناس كافة اهتمامهم إلى النمو الجسدي وينشغلون به تماماً، ظانين أنه هو الحياة بأكملها، متناسين أمر النمو الروحي. يظهر خطأ ذلك عندما يبدأ الجسد في التداعي ويبدو شفاؤه أمراً صعباً بسبب الكسل والاعتیاد.

٦- حسناً أن تقول لنفسك أثناء الاستيقاظ: عونك يا إلهي الذي بداخلي وخارجي على السواء؛ كي أقضي هذا اليوم أو هذا الجزء منه الذي يتوجب عليّ أن أقضيه، في اتساق مع إرادتك!

٧- مهم جداً: عدم مقاومة الشر بالعنف ليست مجرد وصية، إنما بمثابة قانون حياة يفتح عليه وعي كل إنسان منفصل، بل وكذلك الإنسانية جمعاء، بل وحتى كل كائن حي.

لا يتوقف تنفيذ هذا القانون عند مرحلة بعينها. تتحلل الذئاب وتكاثر الأرناب. هذا القانون - مثل أي قانون آخر - هو مثال يسعى إليه كل كائن حي تلقائيًا، وعلى كل إنسان - من حيث كونه كائنًا منفصلاً - أن يسعى إليه هو أيضًا.

يبدو هذا القانون خاطئًا في حالة واحدة؛ عندما يُطالب بتنفيذه كاملاً، بدلاً من أن نفهمه - كما يجب - كسعي معتاد لا يتوقف؛ سعي واع وغير واع صوب تحقيقه. ينفذ إيكونيكوف وكودرين وكورتيش^(٣٢٢) قانون اللامقاومة عن وعي، أما نيكولاي، بصحبة ستوليبين والثوار^(٣٢٣) وأعداء قانون عدم المقاومة، فيساهمون من دون وعي في تدعيم هذا القانون في الوقت الذي يدمرون فيه أنفسهم.

٨- من الغريب أنني أبقى صامتًا عندما أكون وسط من يعيشون معي، ولا أتحدث إلا لأولئك البعيدين عني زمنيًا ومكانيًا، الذين سوف يسمعونني في وقت ما.

٢٧ أكتوبر.

توقفت لتوي عن العمل حتى أكتب عن ذلك الشعور الذي أختبره منذ الصباح؛ فرحة رقيقة لا يُعبّر عنها... فرحة وعي الحياة والحب؛ الحب للجميع وللكيان الكلي. يا لها من فرحة! يا لها من سعادة! كيف لا أشكر ذاك الذي يمنحني مثل هذه الفرحة!

(٣٢٢) جميعهم من أصول ريفية وقد رفضوا أداء الخدمة العسكرية.

(٣٢٣) ستوليبين كان رئيس الحكومة وقتها، وكان يقاوم الثوار وتعرض لبعض محاولات الاغتيال من قبلهم.

بدا لي أنني لم أتوقف عن كتابة يومياتي إلا لفترة قصيرة، لكن اتضح أنها امتدت لأسبوعين تقريباً. منذ ثلاثة أيام ذهبت إلى كرايفنو لزيارة جوسيف^(٣٢٤). تركتُ فيَّ الزيارة انطباعاً شديداً القوة والأهمية. أريد أن أكتب عن ذلك، وأريد أن أكتب أيضاً مسرحية عن ابن بوليجين^(٣٢٥). لقد تركتُ حياتهم في قلبي انطباعاً مفرحاً جداً^(٣٢٦). بالأمس جاء بعض الزوار: سولومكو وهو مفوض سابق تافه، وشيروكوف وهو إنسان غاضب لكنه مخلص. أفكار للتدوين:

- ١ - كلما ازداد حب المرء لذاته، صعب عليه أن يفهم الآخر، أو أن يضع نفسه مكانه، والعكس صحيح رغم أن هذا هو أهم شيء.
- ٢ - يترك كل فعل -سواء أكان شريراً أم صالحاً- آثاراً رئيسة في النفس، تعمل على تدعيم عادات شريرة أو صالحة، بحسب الفعل.
- ٣ - ما يهم ليس أن يكون الجميع متساويين، بل أن ينعم الجميع بالحب. يمكن أن نجد ثرياً وفقيراً يتحابان، ويمكن أن نجد اثنين متساويين في قدر الملكية، يكره أحدهما الآخر.
- ٤ - إن انشغل العقل بالمسائل العلمية، لن يعود فيه حيز للمسائل

(٣٢٤) زاره في السجن. جوسيف هو سكرتير تولستوي الذي ذكرناه سابقاً.
 (٣٢٥) سيرجي بوليجين: ترك دراسته وانشغل بالعمل في الزراعة متأثراً بأفكار تولستوي. في عام ١٩١٠ سيرفض أداء الخدمة العسكرية وسيُنفى إلى سيبيريا إبان الحرب العالمية الأولى لأنشطته الداعية للسلام. لم ينفذ تولستوي خطته عن كتابة هذه المسرحية.
 (٣٢٦) غالباً يقصد بوليجين وجماعته.

الأخلاقية الدينية. هذا ما يوضح لنا سبب لا دينية طبقاتنا العليا. يترك العمل البدني العقل شاغراً، لكن الأمر ليس كذلك مع العمل الذهني.

٥- إن مأساة هذا الوضع هي عدم وجود اختيار آخر بين الإيمان الكنسي الوثني الفج من جهة، والمسيحية الحقيقية من جهة أخرى. ولكن مع المسيحية الحقيقية يجد الإنسان نفسه وحيداً، ليس ذلك وحسب، لكن الغالبية تعاديه أيضاً. وثمة أناس لا يُقبلون على هذا ولا ذاك ويظلون دون أي إيمان أيّاً كان نوعه.

٦- بينما كنت أكتب بالأمس لم أفهم معنى البعث. يعني البعث أن تخرج من تابوت كيائك الشخصي إلى حياة الكائن الكلي بالحب، وأن تتسم بوعي محب لكل ما تتعامل معه وتتصل به، وتكون مستعداً لمحبة الجميع.

كل هذا محجوب عني بالزمان والمكان، ولكن ليس بصورة كاملة. الله وحده موجود؛ أي الجوهر اللا مكاني واللا زماني الموجود بداخلي.

٧- أعرف أن هذه الحقائق البسيطة والواضحة التي أكتبها الآن ستُصنّف لا محالة في المستقبل من قبل القراء المثقفين تحت بند التصوف أو ما يشبهها من تلك المسميات التي تعطيهم فرصة ألا يفهمونها، وييقنون كما هم في جهالة رضاهم عن أنفسهم الهادئة.

٨- أشعر بالغضب، ثم تبدأ معدتي في العمل وينصرف الغضب. يقول المادي: «هذا ما تدعوه (أناك الروحية). إن كل شيء ينبع من الجسد». لكن استنتاجه يتأسس على أن الإنسان أدرك أنه غاضب، ويعرف أن غضبه قد انقضى أثناء عمل معدته. يتضح إذن أن أساس كل

شيء هو الوعي، وهو لا ينبع من الجسد.

٩- أكثر سمة تراجيكوميديّة في مسيحيتنا اليوم هي أن الأغنياء والأقوياء هم من ينشرونها بين الفقراء والضعفاء، رغم أن وجود الفريق الأول في حد ذاته هو بمثابة إنكار للمسيحية.

١٠- الأنا الإلهية هي الأنا التي تدرك نفسها. لا يمكن للبدن أو القدم أو الأنف أو البطن أو المخ أن يدركوا أنفسهم، تمامًا كما هو الأمر مع جثمان مسجّي تتصل أعضاؤه جميعًا ولا يدرك نفسه. أما الأنا الإلهية فتدرك نفسها كشيء غير محدد حر كلي القدرة في المجال الروحي.

١١- عندما يقرأ المرء كتابًا عليه ألا ينسى أن القراءة بمثابة تواصل مع أقربائه، لذا عليه أن يتسم باللطف، فلا يغضب ممن كتبوا كتابة سيئة، بل يأسف عليهم.

١٢- ما سبب لا عقلانية أولئك المدعويين مثقفين؟ ذلك لأن أدمغتهم محشوة بهراء لا حاجة لهم به، يظنون أنه أهم شيء.

٢٢ نوفمبر.

أشعر أنني في حالة رائعة، ممتلئًا بفرح رقيق، والغريب في الأمر أن نسيت كل شيء؛ نسيت من هو جوسيف وسبب محاكمته. نهضت منذ الصباح وراودتني أفكار ومشاعر رقيقة صوب أندريوشا وكتبت إليه خطابًا. بحثت عن خطة مقالتي لكنني لم أجدها. بدت لي حينها جيدة ومهمة لكنني لا أستطيع تذكر شيء عنها الآن. أفكر طوال الوقت في المسرحية. سيكون من الجيد أن أكتبها.

انشغلت بشدة طوال تلك الفترة بـ «دورة قراءات». أنهيت مسودتها ولكن أمامي عمل لا نهاية له. إن انتهيت يومياً من مراجعة خمسة أقوال أو مُثُل، فهذا يعني أن العمل سيستغرق أكثر من عام؛ سيستغرق ٤٠٠ يوماً. وأنا واثق أنني لن أحيأ هذه الفترة. كلما اقترب الموت، ازداد شعوري بضرورة أن أقول ما أعرفه وما يتحدث به الله عبري. يزداد شعوري بضرورة ذلك؛ لأنني أدرك أن لا مكان هنا لشيء شخصي أو لمديح الناس. أفكار للتدوين:

١- إن أردت أن تحب كل شيء في الجميع عليك أن تصبح «الله»، وهذا ممكن. إن أردت أن تصبح «الله» عليك أن تتذكر دائماً أن تحب كل شيء دائماً في كل شخص وشيء على السواء.

٢- إن صلى الناس من أجل خلاص أرواحهم في المستقبل، وعاشوا حياة صالحة من أجل ذلك المستقبل، فهذا يعني أنهم يفعلون الأمر المنشود، رغم أن دوافع أفعالهم غير سليمة من حيث إنهم أسقطوها داخل نطاق الزمن، والمستقبل في الحقيقة هو ما يحدث في الحاضر.

٣- كم يشبه تجمد عضو ما - كالأذن مثلاً - ما يحدث للناس حينما يتيسون بفعل الرذائل! في البداية يكون الأمر مؤلماً ثم يزول الألم بعد ذلك نهائياً؛ تخشخش الأذن ثم تضطر إلى إذابة الثلج من عليها، وحينها يتحول الأمر إلى عذاب حقيقي!

٤- حينما تشكو من الحياة عليك أن تتذكر وحسب كم من الناس يحبونك!

٥- الحب هو الخير، وأن تكون محبوباً يعني أن تنال السعادة.

٦- الإنسان بمثابة إناء ذي فتحتين: من الأولى يدخل الحب النافع من الله، ومن الأخرى يخرج شيء، كما هو الأمر في إبريق الشاي. يتلخص كل عمل الإنسان الساعي صوب الخير في أن يحافظ على نقاء هاتين الفتحتين. يمكنه أن يحافظ على طهارة الفتحة الأولى التي يدخل إليه منها الحب الإلهي بالتحرر من شهوات حب الذات. أما الحفاظ على طهارة الفتحة الثانية التي تخرج منها الحياة فيعتمد في الأساس على تخليص نفسه من كل ما يعوق حبه للناس: الغضب والكبرياء والطمع.

٨- نعم، التبطل أبو كل العيوب؛ خاصة الفكرية، كالأحكام الزائفة في السياسة والعلم واللاهوت.

٩- إن استمع أحد الأغنياء لصوت ضميره وخجل من ثروته ورغب في التخلص منها ستواجهه صعوبة لا تقل عن الصعوبة التي سيواجهها الفقير إن أراد أن يثري. الصعوبة الرئيسة التي ستواجهه هي أسرته. يمكنه أن يتغلب على اعتياده على الثروة، أما التغلب على أسرته فصعب.

١٠- التوبيخ على الكبرياء أمر ممكن وواجب للنفس وحسب. حينها سيبدو أي خلاف للمرء أنه كبرياء.

١١- إنها المرة الأولى التي أشعر فيها بقوة بمدى لا قابلية حياتي الروحية الإلهية اللا زمنية للقياس، وكذلك كافة مشاغل هذه الحياة التي أدركها. بالإضافة إلى المسرحية عليّ أن أكتب كذلك عرضاً واضحاً لتعليم الحقيقة. لا قيمة لكل هذا مقارنة بالحياة الداخلية الروحية وما يتصل بالتعبير الحتمي لها في هذه الحياة حتى وإن تم ذلك بشكل لا يمكنني الإحاطة به حيث تتوجه كافة طاقة الحياة تلقائياً صوب تحرير

الجوهر الروحي والوحي، وبالتالي صوب تجليه التلقائي.

نقلت ما سبق كما كتبه سابقاً دون تغيير. أتذكر كيف شعرت بذلك بقوة، لكنني لا أتذكر الأمر الآن إلا على نحو سيئ.

١٢ - حلمت بأني كنت أعد غرفة نوم شخص ما، وأن ذلك تطلب مني أن أسأل شخصاً ما في الشارع عن الأمر. أسير وأمر بأحد المنازل ولا يعرفونني لكنني أتقدم صوب صاحبه فيسألني عما أريد. وللأسف أنسى ما أريده. أبذل جهداً كي أتذكر، فأستيقظ إثر هذه الجهود. أحاول في يقظتي أن أتذكر، ولكن بلا جدوى. لكنني أدرك أنني لم أعرف لماذا كنت أسير في الحلم، وأن كل ما في الأمر أنني حلمت أنني نسيت. كل ما حلمت به كان خارج إطار الزمن بحسب ما تراءى لي. ما إن استيقظت حتى استطعت ترتيب الأمور زمنياً. أليس ذلك هو ما نفعله في حياتنا؟ كل ما نمر به - بحسب ما يبدو لنا - هو موجود فعلاً، وكل ما في الأمر أننا نرتبه زمنياً. عندما يحين موعد الموت (اليقظة) سنفهم أن كل شيء موجود، وأن لا شيء في حياتنا قد حدث في الماضي، تماماً مثلما فهمت عندما استيقظت أنني لم أنس، بل حلمت وحسب أنني نسيت.

كتبت في دفتر أفكاري أن الفكرة غير واضحة، لكنني لا أعتقد ذلك الآن.

١٣ - هل من سمات الشباب أن يرغب الواحد منهم فيما أرغب فيه الآن؛ خلاص الروح والاقتراب من الله؟ يبدو لي أنني لا أرغب في شيء آخر لأنني واقف قبالة الموت، بينما يبدو للشباب المسكين أن لديه الكثير من الرغبات الجديرة بالتحقيق، بالإضافة إلى تلك الرغبة الوحيدة التي

هو في حاجة إليها فعلاً.

١٤ - حسنًا أن تصلي في عزلتك، ولكن أأست بالإضافة إلى تلك الصلاة في حاجة أكبر إلى أن تصلي حينما تتعامل مع كل إنسان سواء كان قيصر أم فقيرًا؟ الصلاة تعني أن تُذكر نفسك بأنه قد حانت لحظة مهمة عليك أن تعيش فيها بكافة قواك الروحية.

١٥ - تعرف الحكومة الروسية جيدًا - ولا يمكنها ألا تعرف - أن كل شيء لدينا مؤسس على الدين، ولكن ذلك الدين الذي يُؤسس عليه كل شيء لم يكن متماسكًا فيما مضى، ولم يعد بإمكانه الآن أن يدعم أي شيء.

١٦ - فكرت في ضرورة أن أستعد جيدًا للموت، ثم تذكرت أن الحياة كلها منذ الطفولة هي عملية احتضار، لذا على المرء ألا يتوقف أبدًا عن الاستعداد.

١٧ - أقرأ غيبًا بعض العبارات عن الحب من رسالة يوحنا، وفكرت في كم الأمور التي يمكننا أن نعود أنفسنا عليها. أغلب ما تعودت عليه كان سيئًا، ولكن بإمكان المرء أن يُعود نفسه على الحسن بحيث يفعل الخير آليًا.

١٨ - عليك ألا تغضب، ليس لأن ذلك يضر الناس ويزعجهم، بل لأنه يضرك أنت، وهو أسوأ شيء بالنسبة لك.

١٩ - اعتقد داروين والعلماء أنهم قضوا على فكرة الله من خلال اكتشاف قانون «البقاء للأكثر قدرة على التكيف» واكتشاف الأشكال

البدئية للحياة، ولكن هنا يظهر السؤال: مَنْ وضع قانون البقاء للأكثر قدرة على التكيف ومَنْ خلق الأشكال البدائية للحياة؟ نجد أنفسنا نعود مجددًا إلى فكرة الله الخالق كما في الأسفار التوراتية. ألا يشبه ذلك ما حدث لي في نومي حينما حلمت أنني نسيت شيئًا مهمًا، ولم يكن هناك حقًا ما نسيتَه في الحلم؟

٢٠- يمكننا أن نقارن روح الإنسان بإناء ذي مخرج واحد. هذا المخرج هو مخرج الحب. الحياة هي بمثابة سكب سائل، لذا فعمل الحياة الرئيس هو الحفاظ على طهارة الثقب، لا محاولة إحداث ثقب جديد.

٢١- من السيئ أن تتصور المياه الموجودة بإناء أنها هي الإناء، فحينها لن تدرك قابليتها على التدفق والتبخر. الأمر كذلك مع الروح أيضًا. (لا ليس صحيحًا).

٢٩ نوفمبر.

لم أدوّن يومياتي منذ أسبوع وحسب، ولكن المدة تبدو لي طويلة جدًا. الحياة ممتلئة جدًا. عليّ أن أكتب الكثير، لكنني لن أكتب اليوم. سأكتفي اليوم بكتابة أهم شيء؛ أختبر الآن شعورًا بالعرفان لهذا النشاط الروحي الذي سلّمت نفسي إليه. إنني بخير في أسوأ حالاتي الجسدية والمعنوية. علاوةً على ذلك أشعر بالسُرور! مذهلة هي الطريقة التي يدمر بها الناس حياتهم بطيش حينما يسلمون أنفسهم للغضب! الأمر كله يعتمد عليك كما يقول سوتايف. انظر إلى العالم والناس بحب، وسينظران إليك بالطريقة ذاتها. أنا مشغول طوال الوقت بـ«دورة

قراءات» ويبدو أنني أتقدم فيها. أموري بخير مع الجميع: سير يوجا وماشا وأندريوشا. دوّنت ذلك في دفتر أفكاري:

١ - في البداية قد يبدو لنا من الغريب أن من يرتكب فعلاً شريراً يزداد شرّاً. كان يبدو لنا أن عليه بالأحرى أن يهدأ فقد فعل ما أراد. ولكن مرد ذلك إلى توبيخ الوعي والضمير له، لذا عليه أن يبرر نفسه؛ إن لم يكن أمام الناس فعلى الأقل أمام نفسه، ويتطلب منه ذلك فعل شر جديد شاعراً بالانتقام.

٢ - تناول الطعام جائز في حالة واحدة؛ عندما يكون نتاج لأمر ممكن ومرغوب، ألا وهو العمل. كذلك هو الأمر مع العلاقة الجنسية، فهي جائزة في حالة واحدة، عندما تكون نتاج لأمر ممكن ومرغوب؛ إنجاب الأطفال.

٣ - كم نجد حيوانات أكثر عفة من البشر، حيث إنها تكتفي بالجنس في موسم الإخصاب!

٤ - أكمل ما بدأته ولا تُبالِ بالصعوبات. الخجل العفيف هو أصلح وسيلة لحمايتك، بينما يعمل فننا على إصابته بالبلادة والقضاء عليه.

سأعمل الآن على القسم الأول من (دورة قراءات). سير يوجا وماشا هنا.

١٦ ديسمبر.

لم أكتب منذ فترة طويلة جداً. في يوم ٢٩ نوفمبر سقطت من على الجواد وأذيت ذراعي. حالتي تتحسن الآن. حدث الكثير أثناء تلك الفترة،

وبمرور الوقت يزداد وصول خطابات جيدة لي. لا أنساق وراء ذلك، ولم أعد أرغب في الشهرة كما كنت في الماضي، لكنني ببساطة سعيد لأنني استطعت - وأستطيع - أن أخدم الناس بطريقة ما. كم من الغريب أن يقترن التواضع بالصلاح! لم أعد في حاجة إلى التظاهر بالتواضع كما كنت أفعل سابقاً. ما إن تعمل على نفسك، حتى تدرك أنك لا تحوز من الأساس شيئاً لتفتخر أو تبتهج به. كل ما يبهجنني الآن أنني في حالة جيدة لا أستحقها، وأن حالتي تزداد تحسناً بالاقتراب من الموت.

أنا مشغول طوال الوقت بـ «دورة قراءات». الأمر الرئيس الآن هو ترتيب الفصول. يبدو أنني قد اقتربت الآن من نهاية التقسيم، ولكن لا يزال أمامي عمل ضخم يتعلق بتنقيح الأفكار ذاتها. نَقَّحت ثلاثة أقسام وحسب. جاء أندريه بصحبة.... الجديدة^(٣٢٧). شعرت بضيق شديد، وقد حاولت بقدر ما أستطيع، ولم أذنب في شيء. أموري بخير مع سيريوجا والجميع، وحتى مع الحراس. «افرح حين يشتمونك»^(٣٢٨). يبدو أن عليّ تدوين الكثير من الأفكار. لم يطلقوا سراح جوسيف حتى الآن رغم أنهم وعدوا بذلك منذ فترة طويلة؛ من يوم ٢٢ في تولا وبطرسبرج.

١ - تؤدي الخطايا إلى نتائج معاكسة للسبب الذي ارتكبت لأجله، وذلك لأنها خطايا؛ أي أخطاء. ينطبق ذلك على متعة الطعام والشراب

(٣٢٧) في النص الأصلي حُذفت كلمة «زوجة» واكتفى بوصفها بالجديدة، والأمر أن أندريه تزوج من خليلته ي.ف. أرtesيموفيتش، وقد عارض تولستوي هذا الزواج.

(٣٢٨) من صلاة تولستوي الصباحية التي كان يصليها يومياً.

والجنس والشراء والكبرياء. يؤدي إشباع هذه المتع إلى إضعاف الشعور بالسرور.

٢- بسبب غياب عمل الإنسان على نفسه واحتياجه إلى نقل حمولة هذا العمل إلى كاهل الآخرين يؤدي غياب الدين في أيامنا إلى نشر نوع من أنواع الجنون الأخلاقي قائم على إدانة الآخرين والاهتمام بتنظيم أمور العالم الخارجي بدلاً من اهتمام المرء بتنظيم أمور حياته الداخلية.

٣- لا ينجح الثوار في مساعيهم بسبب أنهم يحددون بفجاجة ما يجب أن يحدث، بل وكذلك كيف يجب أن يحدث. هذا بسبب العجلة وانعدام الصبر والصبرانية. لا تحدث الانقلابات الناجحة إلا بطريقة دينية، حينما يفكر الناس في أنفسهم وحياتهم، ولا يحددون الانقلابات التي يجب أن تحدث في الحياة العامة.

٤- حان الوقت ليدرك الإنسان قيمته الحقيقية. من المدهش أن وعي المرء بروحانيته يمنحه تقديرًا مرتفعًا لنفسه وفي الآن ذاته يُشعره بالتواضع. لا يشبه هذا التقدير المرتفع مدح الذات أو الكبرياء في شيء، فهو يعلن ما هو أسمى من متطلبات الكبرياء. لا يشبه أيضًا التواضع إذعان المرء، بل إنه يهبط إلى ما هو أكثر من ذلك بكثير.

صياغة سيئة!

٥- إصلاح أمور العالم... يا له من جنون! عِش من أجل نفسك ومن أجل الله، وستنظم الحياة نفسها بأفضل طريقة. أما الذين يعيشون حياة شريرة وقاسية، كالقيصرة والوزراء والثوار، فيظنون أنهم بحياتهم الشريرة هذه سينظمون العالم على نحو جيد!

٦- «ولكن كيف لا نهتم بإصلاح أمور العالم؟ ألا يؤدي عدم اهتمامنا بذلك إلى مساندة النظام القائم وبالتالي إلى هلاكنا؟». ضاع كل شيء منذ زمن بعيد، ولا يزال المرء يتمسك بما يزيد من هذا الضياع، كإنسان لا يستطيع تسديد كافة ديونه، ولا يمكنه ألا يزيد من قدرها، وبذلك تستمر حياته في العبودية.

٧- لا تتوفر حالة البطالة الجسدية لأحد إلا حينما يقع على كاهل البعض القيام بعمل مفرط.

٨- تعريف العالم كنتاج لحركة المادة وفقاً لماركس وإنجلز وفيورباخ وديتسجين^(٣٢٩) أكثر تعقيداً وصعوبة وتشابكاً بدرجة لا تقارن من تعريف الله، بل وكذلك لا يستند إلى أي أساس.

٩- الله محبة، والمحبة في كافة المعتقدات الإيمانية.

١٠- في غياب الدين؛ في غياب علاقة تربط الإنسان بالجوهر الروحي اللانهائي، يبدو الإنسان قرداً بلا ذيل، قادراً على صنع أجهزة الفونوغراف والمناطيد والقنابل... إلخ.

١١- لا يقتصر الأمر على أن معاصرنا، خاصة العلماء منهم، لا يعرفون ديناً، لكنهم لا يعرفون أيضاً ماهية الدين. الأسوأ من ذلك أنهم يعتقدون أنهم يعرفون ذلك، مفترضين أن الدين هو تلك الأحاديث والاستنتاجات الاعتبارية عن أمور غير محددة كالروح والله وما إلى ذلك. يشبه أولئك الناس خادماً لعالم رياضيات شهير،

(٣٢٩) من أقطاب الفلسفة الألمانية المادية.

شاهد سيده يكتب حروفاً وأرقاماً بالطباشير على السبورة، فظن هو ورفاقه أن عمل البروفيسور هو أن يرسم بعض العلامات والأرقام على سبورة سوداء.

١٣ - حسناً أن تتعامل مع الناس كما لو أنك تودعهم قبل الموت. حينها لن يكون هناك متسع للخطأ. أليس سيان ما إن كان يفصلك عن الموت نصف ساعة أم نصف قرن؟

١٤ - حسناً أن تتذكر أن كل يوم وكل ساعة هي بمثابة مهلة لك قبل الموت. حينها سيبدو كل شيء خارجي يحدث لك أنه ليس ذا أهمية تذكر، فماذا يعني جرح أو مرض أو فقر أو فقدان صديق ما أمام الموت؟ لذا سيكتسب استخدام الوقت المتبقي لك أهمية عظيمة. نعم... تذكر الموت (بالإيطالية في الأصل).

١٥ - يمكن لمن يتحمل العنف أن يكون حرّاً، ولكن لا يمكن لمن يمارس العنف أن يكون حرّاً أبداً.

١٦ - أين العزاء عندما تبدأ في تذكر كيف عليك أن تحيا، وتبدأ في العيش فعلاً بتلك الطريقة لتجد نفسك تموت؟ العزاء في أنك لست أنت من يعيش، بل الإنسانية جمعاء، وكل ما هو روحي يعيش بالله. اتحد به ولن تموت.

١٧ - الحب مخرج لك من إطار ذاتك.

١٨ - يشعر الإنسان بأن خطاياهم تمثل شرّاً، ويعاني منها، أما الإغواءات فلا يشعر بها، وبالنسبة للخرافات تجده يفخر بها!

١٩- أَمَرَ الإنسان بزيادة الحب (قلبه بأمره بذلك)، بينما هو مشغول بتحسين وسائل الحياة. يماثل ذلك أن يُؤمر عامل ببذر البذور وزراعة الأرض، وينسى ذلك -أو يتناسى- ويتذكر أنه سَوَّى الأرض وحرثها وسَوَّى التربة، وهو الآن يتفقد جزءاً من الأرض نَمَت فيه بعض النباتات بالفعل، ويبدو له بذلك أنه قد قام بعمله على أكمل وجه.

٢٠- ليست وظيفتنا في الحياة أن نصبح عظماء وأثرياء ومشهورين، بل أن نرعى الروح.

٢١- الدين هو العلاقة بالله، وهذا متوفر لدى الوثني وغائب عن العالم. الوثني إذَنْ أسمى من العالم بدرجة لا تُقاس.

٢٢- الانتقال من الدين العتيق إلى الجديد؛ إلى علاقة جديدة بالله، ليس مزحة، بل عمل صعب.

٢٣- يُعرِّف الماديون المفاهيم بشروحات أكثر غموضاً من المفاهيم ذاتها التي يشرحونها.

٢٤- الكذب ضروري للكبرياء والثراء والسلطة.

٢٥- التواضع والوعي بقيمتك الإنسانية وجهان لعملة واحدة، ولا يمكن ل كليهما أن يتناغم مع الفخر أو حب السلطة أو الثراء.

٣٠ ديسمبر.

لم أدوّن يومياتي منذ أسبوعين. لم يحدث شيء مهم في تلك الفترة سوى إطلاق سراح جوسيف. سيريوجا هنا وزوجته بصحبته. لا تزال تصلني خطابات مبهجة. وصلني اليوم تحديداً خطاب

مولوتشنيكوف^(٣٣٠) الرائع إلى ستوليبين. كتبت لأولسوفيف عن ذلك. لا أزال مشغولاً بـ«دورة قراءات»، وحمدًا لله أنها تنجلي لي أكثر فأكثر. أراجع أقسام العمل مجددًا. بلغ عددها ٣١ قسمًا، ويبدو أنني جعلت دون عمد عدد كل من الخطايا والإغواءات والخدع أربعة. بالأمس تجادلت بحدة مع سيريوجا عن العلم، ومن ثم كان جدًّا سيئًا. مدهش حقًّا ذلك الإيمان بالعلم وتشابهه مع الإيمان بالعقيدة الكنسية.

عليّ تدوين الآتي:

١ - يستحيل على المرء أن يتصور حياة أخرى غير الموجودة فعليًّا؛ يستحيل عليه أن يتصور وسيلة أخرى تمنح عددًا لا نهائيًّا من الكائنات وعيًا بالخير وفرحة الحياة. نقول: «هذه الحياة سيئة». مَنْ يقول ذلك؟ تقول ذلك شخصية، لكنها ليست كذلك في الحقيقية، فثمة كائن كلي واحد، ويمكن لكل جزء لا زمني ولا مكاني منه أن يدرك نفسه والكيان الكلي. ومع ذلك لا يشعر هذا الجزء بالرضى!

كل ما كتبه إما أنه تبصر عميق بجوهر الحياة وإما أنه محض هراء. أعتقد أنه الأول.

٢ - لست في حالة معنوية جيدة، لذا أفترق إلى حبي للناس... لا، لا، لا أفترق إلى الحب، بل أشعر بالضيق، ولا أزال في حالة معنوية سيئة.

(٣٣٠) الأول هو حرفي من أصل يهودي مناصر لأفكار تولستوي وقد أرسل خطابًا لستوليبين رئيس الوزراء، يطلب منه أن يذهب إلى تولستوي ليلتمس منه النصح حيال كيفية تلبية متطلبات الشعب.

٣- يبدو للأنا الإنسانية الموضوعة داخل نطاق المكان والزمان
أنهما لا نهائيان. يكشف ذلك عن روحية الأنا.
صياغة جيدة.

٤- يتجلى نشاط الحياة بالحب. لا يمكن للإنسان أن يُزيد قدر
الحب بداخله؛ لأن الحب ذاته هو جوهر الحياة. كل ما يمكن للإنسان أن
يفعله هو أن يدمر العوائق التي تحول دون تجلي الحب. في هذا تتلخص
حياة الإنسان، وهذا ما عليه أن يوجّه إليه كافة جهوده.



